رَوْضَةُ الآسِ
العَاطِرَةُ الأَنْفَاسِ

في

ذِكْرِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنْ أَعْلَامِ الحَضْرَتَيْنِ مُرَّاكُشَ وَفَاسَ

تأليف

أحمد بن محمد المقّري

(الطبعة الثانية)

1983 - 1403

المطبعة الملكية - الرباط

رَوْضَةُ الآسِ
العَاطِرَةُ الأَنْفَاسِ

في

ذِكرِ مَنْ لقيتُه مِنْ أَعْلامِ الحَضْرتَيْنِ مُراكِشَ وَفاسَ

تأليف

أحمد بن محمد المقَّري

(الطبعة الثانية)

1403 - 1983

تصدير

لم يحد عن الحقيقة من وسموا المغاربة باهمال التاريخ وقلة العناية به ، فتلك ظاهرة تجلت فيهم منذ تفتح العقل البشرى وأدرك ما لتدوين الوقائع والأخبار من أهمية بالنسبة لربط ماضى الانسانية بحاضرها ، وسوق المثلات والعبر من الأجيال السابقة الى الأجيال اللاحقة ، فبينما كان أهل البلدان الأخرى ينقشون حضاراتهم ومعتقداتهم على أعمدة الرخام وصخور الجبال ، ويكتبونها على أوراق البردى وسعف الشجر وشقوف الفخار كان المغاربة فى غفلة تامة عن تدوين ما لهم من عقائد ومدنيات ، وأنظمة وأعراف ، والآثار القليلة الموجودة بالمغرب ، والمبعثرة فى بقاع معدودة على أصابع اليد من قسمه الشمالى ما هى الا آثار أجنبية خلـدت وجود الأجانب الذين وضعوا أقدامهم فيه ، تجاراً كالفنيقيين ، أو غزاة كالرومانيين، ولم تخلد وجود سكانه الأصليين ، وقد استمرت هذه الظاهرة الى ما بعد الفتـح الاسلامى بقرون ، هذا الفتح الذى كان أعظم ما عرف المغرب خلال تاريخه الطويل من الانقلابات الاجتماعية ، والتطورات الفكرية والسياسية ، فرغم أن المغاربة أصبحوا بحكم اعتناقهم للاسلام ملزمين بالرحلة الى المشرق لحج البيت الحرام ، ورغم أنهم لقحوا بعناصر جديدة تتمثل فى العرب الذين حملوا اليهم الدين الجديد ومن جاء معهم لنشره ، ورغم أن بلدهم أصبح ممراً مطروقاً باستمرار للذاهبين الى الأندلس والآتين منها ــ لم يتغير موقفهم من التاريخ ، ولم تستطع هذه العوامل على أهميتها وقوتها أن تلفت أنظارهم اليه الى قيام الدولة المرابطية .

وهذا الاهمال ـ سواء قبل المرابطين أو بعدهم ـ له مظهران : أحدهما عدم كتابة التاريخ وترك تدوينه بالمرة لا فرق بين ما يرجع منه الى الدول أو الجماعات أو الافراد ، وثانيهما قلة العناية والاهتمام بالقليل الذى دون منه ، فلم يتنافس الناس فى انتساخه ودراسته ونقده ، ولم يخصصوا له كراسى رتيبة للتدريس كما خصصوها للعلوم الأخرى ، وقل تداول كتبه حتى كادت تعد فى حكم المفقود ، ولا يستثنا من هذا التعميم الا التاريخ الذى له صبغة مقدسة كقصص الأنبياء ، وسير الرسول والصحابة ومغازيهم ، ومناقب الأولياء والصلاح، فذلك لم يقع اهماله ولم يضعف الاهتمام به ، فبسبب قدسيته راجت سوقه ، وتعبدت الخاصة بكتابته مثلما تعبدت العامة بقراءته .

ومن غير المفيد أن يحاول محاول نقض هذا الحكم الذى لست جديدا فيه فيذكر كتاب كذا وكتاب كذا من الكتب التى ألفها المغاربة فى التاريخ ، فانها لا تبلغ عشر معشار ما ألفوا فى مادة واحدة غيره ، كالفقه ، أو التوحيد ، أو النحو، أو التصوف ، وحتى هذه المؤلفات التاريخية المغربية بلغ من اهمالها وضعف الاهتمام بها أن صار أكثرها انما يعرف بالاسم فقط ، وبعضها لا يعرف له مؤلف كالحلل الموشية والذخيرة السنية، وتاريخ الدولة السعدية التمكروتية، وبعضها وقع الخلاف فى نسبته كالقرطاس وهو من أهم مصادر التاريخ المغربى ، وبعضها لا يعرف عن مؤلفه الا اسمه كابن أبى زرع ، وصالح بن عبد الحليم، وأبى الحسن الجزنائى .

كما أنه من غير المفيد أن يحاول محاول مسح هذه الوصمة فيذكر الكتاب الفلانى والكتاب العلانى من هذه الكتب المطبوعة التى أصبحت اليوم فى متناول اليد ، فان حظ المغاربة فى طبعها قليل ، بل يرجع الفضل الى المستعربين الأوربيين الذين اكتشفوها وبعثوها من مرقدها وطبعوا نصوصها العربية وترجموها

الى لغاتهم ونشروا عنها شتى الدراسات والتحاليل ، فلولا جهودهم ، وجهود من حدا حدوهم من اخواننا عرب المشرق الذين سبقونا الى الأخذ بأسباب النهضة الحديثة على الرغم من قربنا من مواطنها وبعدهم النسبى عنها ، لولا جهود أولئك وهاؤلاء لم يكن من السهل معرفة قيمة كتب كتاريخ البيدق ، والمعجب لعبد الواحد التميمى المراكشى ، والبيان المعرب لابن عذارى ، والذخيرة السنية ، والنفحة المسكية وأزهار البستان وعشرات غيرها من المؤلفات التاريخية والأدبية التى كانت تسمع ولا ترى ، أو كانت مجهولة العين والأثر بالمرة .

ولا يتوهمن متوهم أننى أكتب هذا لاساءة سمعة قومى والحط من شأنهم ، فأنا من غزيتهم غواية ورشاداً ، ثم انهم وان فرطوا فى التاريخ ــ برزوا فى علوم وفنون أخرى تذكر فيذكر طول باعهم فيها وعلو كعبهم بالاجلال والتقدير ، وانما أكتبه لحض حكومة المغرب وشبانه على تلافى هذا التفريط ، وتنبيههم الى هذه النقطة الضعيفة ، وحثهم على أن يولوا تاريخهم ما يجب له من العناية ، فيرفعوا عنه الحجب ويزيحوا الستر ، ويجدوا فى بعثه ونفض الغبار عنه وجلو الصدأ الذى علاه ، ويخصصوا جزءا من فراغهم للبحث عن مصادره وانقاذ ما بقى منها حتى لا يصير الى ما صار اليه جلها ، ويعربوا ما كتبه عنا الأجانب بلغاتهم وهو كثير ، بعد غربلته فى غربال الحقيقة وتنقيته من الشوائب والشبهات التى مزجت عمداً به استجابة لحميات دينية ، وخدمة لأغراض استعمارية . فان الأمم كالشجر ، هذا لا تطول فروعه وتسمق أغصانه وتخضر أوراقه وتطيب ثماره الا اذا رسخت أصوله ، وعمقت جذوره ، وامتدت عروقه فى باطن التربة الطيبة التى استوفت حقها من الماء والهواء والحرارة والسماد . وتلك لا تطول أيامها ، وتسعد أقوامها ، وترفع أعلامها ، وتثبت عند المزالق أقدامها الا اذا كانت شديدة الارتباط بماضيها ، قوية التعلق بأمجادها ، عظيمة الاعتزاز ببناة حضارتها ، وحماة ثقافتها ، ومساعير حروبها ، ومشاهير طعونها وضروبها .

وان مـن حـق الوطـن على شبابه أن تنبـرى منهم طائفة الى سد هذه الثغرة وأداء هذا الواجب ليغسلوا هذه الوصمة ويمحوا هذا العار ، ويجنبـوا قومهم أن تضاف بالاهمال سيئات حاضرة الى سيئاتهم الماضية ، خصوصا وقد زالت الصعوبات التى كانت تعوق فى الماضى عـن التنقـل والبحث ، وتيسرت الأسباب للطباعة والنشر ، وانعدم جل الأعذار التى كان ينتحلها الكسالى كلمـا فوقت نحوهم سهام اللوم وصبت عليهم الالسنة والاقلام سوط التوبيخ .

أكتب هذا بمناسبة شروع المطبعة الملكية فى طبع مؤلف جليل لمؤلف جليل ، وهو كتاب **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** لأبى العباس أحمد بن محمد المقرى القرشى ، فقـد ألقت يد الاهمال بهذا الأثر النفيس فى احدى الزوايا المظلمة فالتقمته الأرضة تخرق أديمه ، وتخلق جديده ، وتسربت اليه الرطوبة تمحو سطوره ، وتعجل دثوره ، فحرم الناس ـ الا شخصاً واحداً أو شخصين فيما أظن ـ من الاطلاع عليه ، وبقى ما فيه من أدب وتاريخ مطوياً منذ تأليفه الى أن قيض الله له عناية الملك العالم **الحسن الثانى** تخرجه من رمسه ، وتطلقه من حبسه .

وقبل التحدث عن هذا الكتاب الجليل يحسن التحدث عن مؤلفه العبقرى الذى أسدى الى الآداب المغربية والأندلسية معروفاً وطوق أعناقها بمنن لا تنسى أبـد الآبديـن .

* * *

هو جاحظ البيان ، وحافظ العصر والأوان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمان بن أبى العيش بن محمد المقرى القرشى ، أصل سلفه من قرية بزاب افريقية تدعا مقرة بفتح الميم وسكون القاف ، أو فتح الميم وفتح القاف المشدد لغتان فيها ، والأولى أفصح وأشهر ، والنسبة اليها مقـرى

بسكون القاف ، وهو الجارى على ألسنة أهل تلمسان وفاس مستقرى أسرته فى القديم والحديث ، ومن قرية مقرة انتقل جده عبد الرحمان بن أبى بكر بن على فى القرن السادس الى تلمسان صحبة مخدومه الشيخ شعيب بن الحسين الأشبيلى المعروف بأبى مدين الغوث ، فاستقر بها وأنجب الذرية ، وتأثل أولاده الأموال ونالوا دنيا عريضة لقيامهم على التجارة بينها وبين الصحراء والسودان ، وتمهيدهم الطرق بحفر الآبار وتأمين التجار ، ومن أشهر رجال هذه الأسرة فى القرن الثامن الهجرى القاضى الأجل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المقرى قاضى الجماعة بفاس والمتوفى بها سنة 759 صاحب كتاب **(القواعد)** و **(الطرف والتحف)** و **(عمل من طب لمن حب)** و **(الافادات والانشادات)** وسواها .

ولد بتلمسان سنة 986 وقد كان مضا على احتلال الأتراك العثمانيين لهده الحاضرة الكبرى ثلاثون سنة ، فبدأت تفقد أهميتها العلمية والسياسية ، وأخد الكثير من علمائها وأدبائها وشرفائها وسراتها يهاجرون منها الى المغرب الأقصا وخاصة الى فاس التى كانت واياها فرسى رهان منذ أشرقت شمس الاسلام والعروبة على هذه البلاد يتسابقان فى حلبات الثقافة ويتنافسان فى ميادين المدنية، ويتباريان فى الحكم والسياسة والتعمير .

وبتلمسان طلب أبو العباس المقرى العلم وتلقاه من أفواه من بقى بها من العلماء والفقهاء والأدباء مقيما لم يهاجر ، وكان عمدته فى التعلم والتأدب عمه أبا عثمان سعيد المقرى مفتى تلمسان وكبير مشيختها الذى قرأ عليه ـ فى جملة ما قرأ ـ صحيح البخارى سبع مرات ، وروى عنه الكتب الستة بسنده عن أبى عبد الله التنسى عن أبى عبد الله ابن مرزوق ، عن أبى حيان ، عن أبى جعفر بن الزبير ، عن ابن أبى الربيع ، عن القاضى عياض بأسانيده المذكورة فى كتابه **(الشفا ، فى التعريف بحق المصطفى)** ،وقد كان سعيد هذا شيخاً مسناً

وقوراً بادى الفضل والصلاح ، غزير العلم مبرزاً فى فنونه ، ولا سيما الفقه والحديث ، وقد استمر مفتياً بتلمسان أزيد من ستين سنة ، وكانت صلته بفاس وشيوخ العلم بها وثيقة ، والمراسلات بينه وبينهم فى الشؤون العلمية غادية رائحة ، وما منهم الا رفيق له وصديق ، عرفه أثناء انتقاله الى فاس فى صغره لطلب العلم ، أو اثناء زيارة من الزيارات التى كان يقوم بها النابهون من طلبة احدا الحاضرتين وعلمائها الى الأخرا ، وانا لواجدون فى **(روضة الآس)** وفى سواها من الأثارات المعاصرة شواهد على هذه الصلات التى لم تكن حبالها رثت بعد ، ولا ريب فى أن سعيد المقرى هذا هو الذى كان يزين لابن أخيه الرحلة الى فاس ويحببها اليه ويرغبه فى أن يكمل بها المعارف والعلوم التى حصل عليها ببلده ، ويروم بالاضافة الى ذلك أن يبوئه مقعداً بديوان السلطان الجليل أبى العباس أحمد المنصور الذهبى الذى كانت شهرته طبقت يومئذ آفاق المغارب والمشارق وأوربا ، ويحله منه مكاناً يضمن له راحة النفس وتفتح المواهب وبسطة الكف مثلما حصل لجده القاضى محمد مع السلطان أبى عنان الذى صحبه معه عند ما بويع بتلمسان الى فاس ، وولاه قضاء حضرته ، وأشركه فى أموره ، وبنا له المدرسة المتوكلية الشهيرة بالطالعة الكبرا ، وفعلا فصل أبو العباس المقرى عن تلمسان الى فاس فوصلها يوم 4 صفر عام 1009 غض الاهاب رطب العود ، لم يعد الثالثة والعشرين من عمره ، فنزل بدار قاضى فاس الجديد أبى محمد عبد الوهاب بن القاضى أبى مالك عبد الواحد الحميدى ،ويوم وصوله قصد جامع القرويين وحضر مجلساً للشيخ على بن عمران السلاسى وناقشه فى بعض المسائل الفقهية التىأشكلت عليه ، وهو من هو يومئذ رسوخاً فى الفقه وتضلعاً فيه ـ فاعترف له السلاسى وأنصفه ، ومن يومها طار صيته كل مطار ، وسار ذكره كل مسير ، فأقبل على الناس وأقبلوا عليه ، وامتزج بالطلبة والأدباء وامتزجوا به ، واستجاز لنفسه

العلماء واستجازوا لأنفسهم من عمه بواسطته ، وكان يبهرهم بقوة عارضته ، وشدة ذاكرته ، وحضور حجته ، وكثرة حفظه ، حتى كتب بعضهم الى عمه بتلمسان يشكره على اتحاف فاس بهذه الدرة الفريدة والياقوتة الوهاجة ، ومنهم الفقيه المؤرخ أبو العباس ابن القاضي الذى كتب الى عمه رسالة ضمنها قصيدة جاء فيها مخاطباً لـه :

أرسلت للغرب القصى ببدرة ... قد أبهرت وغلت له الأسوام
جمع العلوم على حداثة سنه ... قد بارك الله به العلام
أكرم به من عالم علامة ... جمع العلا وزكت به الأفهام
فجزيت خيرا يا سعيد عن الورا ... بابن الأخ العلامة الصمصام
أدبته هذبته علمته ... ما ان يقاس بعلمه بهرام
ضاءت بكم يا مقرى سما العلا ... وعلت بكم بين الورا أقوام
دامت كرامتكم ودام المجد فى ... أكنافكم ما جلت الأقلام

ومن حسن حظ المقرى أن ورد على فاس بعيد وصوله اليها الفقيه الماجد ابراهيم بن محمد الآيسى أحد قواد المنصور الذهبى مبعوثاً من مخدومه لبناء سد وادى بوطوبة ، وهو المعروف الى الآن بالسد خارج الباب الجديد ، وخلال مقامه بفاس لفت الشاب نظره وكان الرجل من بيت علم وسراوة ، فعزم على أن يتحف به السلطان مخدومه ويزين به مجلسه ، فلما أتم بناء السد ذهب به فى صحبته الى مراكش ، وأدخله على السلطان وعرفه به ، وكان السلطان أيضاً رجلا عالماً أديباً ، أبدأ فى تقريب العلماء والأدباء واكرامهم وأعاد ، وأنفد بضاعة قرائحهم وانتاج أقلامهم بعد كساد ، وكان لا ينتقى وزراءه وقواد جيشه وبطانته الا منهم ، فسر بمقدم هذا الشاب العبقرى الذى لم يكن يجهل مكانة أسرته فى العلم والسراوة وصلاتها المكينة بملوك المغرب .

ولا يحدثنا المقرى عن تاريخ دخوله لمراكش وان كان حدثنا عن نزوله بدار الآيسى وما غمره به أهلها من بر واكرام ، ولكنه يذكر لنا بعض التواريخ لنشاطه بها ، فهو يشير الى زيارته للمسرة فى رمضان عام 1009 ، والى اجازة أبى العباس ابى القاضى له يوم عرفه من نفس العام بالمحلة المنصورة ، واجازة الفقيه المؤرخ سيدى أحمد بابا السودانى التنبكتى له بها فى منتصف محرم من عام 1010 ، وشهوده حفلات المولد النبوى بمحضر المنصور بعد ذلك بشهرين .

وبمراكش تعرف المقرى أيضاً على طائفة من العلماء والأدباء الذين كانت تعج بهم تلك الحاضرة وتزدان ، ورووا عنهم الأشعار والنثار ، واستجازهم وأدلى بدلوه بين دلائهم فيما كان يروج بينهم من مساجلات ومداعبات وقضايا علمية ، وملأ عيبته بمجموعة نفيسة من الكتب اقتناها أو أهديت اليه ونقل بعضها فيما بعد الى مسقط راسه فكان أول من أدخلها اليه .

وغادر مراكش يوم السبت 15 ربيع الثانى عام 1010 عائداً الى فاس ، فأقام بها الى يوم الخميس 17 ذى القعدة ، فكر راجعاً الى بلده تلمسان مبهوراً بما رأى من عز الاسلام ومجد العروبة وأبهة الملك وانتشار العلم ورخاء الحياة ، عازماً على هجرة بلده الذى ذهب بما له من مجد ورواء توالى الفتن وتلاحق الحروب واحتلال الأتراك ليستقر نهائياً بجوار من أنس بهم وأنسوا به تحت رعاية الخليفة المنصور .

ولم يمكث المقرى بتلمسان الا مقدار ما دبر أموره ، وصفى علاقاته ، وكان الشوق الى المغرب وحضرة امامها ابى العباس المنصور يلعب بنهاه ويستبد بحجاه ، واننا لنلمس آثار هذا الشوق المبرح فى كتابه هذا **(روضة الآس)** الذى شرع فى تأليفه غب رجوعه من فاس ،والذى لا يكاد باب من أبوابه بل ترجمة من تراجمه يخلو من دعاء وتوسل الى الله ان ييسر رحيله الى المغرب ، ويحقق ما عزم عليه من الانتقال الى الحضرة المنصورية والاستظلال بظلال دوحتها الخضراء ،

ورغم أن خبر وفاة هذا السلطان الجليل بلغته وهو لا يزال فى بلده فانها لم تصرف وجهه عما عزم عليه ونواه من الاستقرار النهائى بفاس ، ان لم يكن فى ظل أبـى العباس المنصور وتحت رعايته ففى ظل ورعاية أحد الأمراء من أبنائه الذين كان تعرف عليهم بالمغرب وتعرفوا عليه، وأورد فى الكتاب الذى كان أخذ نفسه بتأليفه وهو **(روضة الآس)** كثيراً من الاشعار التى قيلت فى مدحهم والثناء عليهم ، وهكذا لا تكاد سنة 1013 تدخل حتى يرد على فاس بقصد الاستقرار النهائى ونفسه يتنازعها فى آن واحد عاملان : عامل الارتياح الى موطنه الجديد، وعامل الحسرة على فراق بلده الحبيب ، موطن آبائه واجداده ، ومستودع طارفه وتلاده ، وانك لواجد فى مقدمـة كتابه **(أزهار الرياض)** ألواناً من التعبير عن هذا الارتياح المريح والتحسر الأليم .

ويستقر المقرى فى فاس فيجد فيها ضالته المنشودة ، وأمله المرغوب ، من مجالس العلم ، وخزائن الكتب ، وكثرة المثقفين، فياخذ ويعطى ، ويتعلم ويعلم، ويشارك فيما يشارك فيه أمثاله من شؤون العلم والأدب والسياسة ، ويتألـق نجمه ، ويعرف فضله ، ويصير مجلسه بجامع القرويين مجلساً مقصوداً يؤمـه طلاب العلم ورواد الأدب ، ويقبل الفقهاء والعلماء والمثقفون على قراءة كتبه الدينية والأدبية والعلمية ويتنافسون فى انتساخها ، ويلتمسون منه الاجازة ويستبيحون منه الروايـة ، ويقـف مـواقف مشرفة دفاعـاً عن قدسيـة الدين ووحدة البلاد لما أراد محمد الشيخ السعدى تبرير تسليمه مرسى العرائش للنصارى بفتـوى من العلماء فتقدر حميته وغيرته ، وبلغ من علو شأنه وارتفـاع مكـانته أن ولى الخطابة والامامة والفتوى بجامع القرويين اثر وفاة شيخه محمد الهوارى عام 1022 .

وتسير الأحوال بالمغرب من سيىء الى أسوأ ، ويشتد التطاحن على الملك بين أبناء أبى العباس المنصور ، ويتعاون بعضهم مع نصارى الاسبان والبرتغال ضد استقلال وطنه ووحدة ترابه ، ويبدأ ذلك الصرح الشامخ الذى شيده والدهم ىى

التضعضع والانهيار ، وتصاب الخاصة بما أصيبت به العامة من تصدع وحدة واختلاف رأى وافتراق كلمة ، ويميل بعضهم لهذا الأمير وبعضهم يضلع مع واحد من اخوانه ، وينعدم الأمن ، ويكثر الغلاء ، وتنهب المساكن ، وتنهك الحرمات ، ويؤخذ العلماء بالظنة ، ويحملون على الفتون لصالح المتغلب ، ويقف المقرى مشدوها ازاء هذا التدهور ، ويتهم بالميل الى شراكة ، فيبحث لنفسه عن مفر من خضم السوء الذى أصبحت أمواجه مصطخبة بالمغرب ، فلا يراه الا فى أرض النبوءة بجوار قبر الرسول عليه السلام ، واذذاك يصرح للناس بعزمه على الذهاب الى الحجاز، مستعملا الى الحقيقة المجاز ، ويتأثر تلاميذه وأصدقاؤه من هذه العزيمة ، ويعز عليهم فراقه ، ويكتب اليه صديقه أبو الحسن على الشامى الخزرجي متمثلا بما كتب به أبو جعفر ابن خاتمة الى بعض شيوخه :

أشمس الغرب حقا ما سمعنا ؟ ... بأنك قد سئمت من الاقامه
وأنك قد عزمت على طلوع ... الى شرق سموت به علامه
لقد زلزلت منا كل قلب ... بحق الله لا تقم القيامه

ولكن التوسلات والتضرعات لم تكن لتثنى عزمه أو تصرفه عن وجهته ، ويذهب الى السلطان عبد الله بن الشيخ مستأذنا فى أداء شعيرة من شعائر الاسلام ليس الى منعه من أدائها من سبيل ، وينشده متمثلا بقول على بن عبد العزيز الحضرمى :

محبتى تقتضى مقامى ... وحالتى تقتضى الرحيلا
هذان خصمان لست أقضى ... بينهما خوف أن أميلا
فلا يزالان فى خصام ... حتى أرى رأيك الجميلا

فيجيبه السلطان :

لا أوحش الله منك قوما ... سودوا صنعك الجميلا

فينعم المقرى بالا ، ويتوجه من فاس قاصداً بيت الله الحرام فى أواخر رمضان عام 1027 خارجاً كمائها بعد ان دخل اليها كمائها ، تاركاً المنصب والأهل ، والوطن والألف ، وبين جوانحه نيران مضطرمة على فراق المغرب الأقصى (الذى تمت محاسنه لولا أن سماسرة الفتن سامت بضائع أمنه نقصاً ، وطما به بحر الأهوال فاستعملت شعراء العيث فى كامل رونقة من الزحاف اضماراً وقطعا ووقصاً)

واذا كنا نجد فى مقدمة كتابه **(أزهار الرياض)** الذى الفه بفاس آثار شوقه ومعالم حنينه الى مسقط رأسه تلمسان ، فاننا نلفى فى مقدمة كتابه **(نفح الطيب)** الذى ألفه بمصر صفحات رائعة فى الاشادة والتنويه بالمغرب ، وقطعا مرونقة تترحم فى عبارات حرى عن شوقه وحنينه الى فاس بلده الحبيب الذى فارقه وما سلاه ، وكم يعجبنى من بين تلك القصائد والمقطعات العديدة التى أوردها منشئاً أو متمثلا قوله :

وأربع ألاف، اذا ما ذكرتها ... بكيت ، وقد يبكيك ا أنت ذاكر

بطاح وأدواح يروقك حسنها ... بكل خليج نمنمته الأزاهر

فما هو الا فضة فى زبرجد ... تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر

بحيث الصبا والترب والماء والهوا ... عبير وكافور وراح وعاطر

وما جبه الدنيا سوى ما ذكرته ... وما ضم منه الحسن نجد وحاجر

بلادى التى أهلى بها وأحبتى ... وروحى وقلبى والمنا والخواطر

تذكرنى انجادها ووهادها ... عهوداً مضت لى وهى خضر نواضر

اذ العيش صاف والزمان مساعد ... فلا العيش مملول ولا الدهر جائر

بحيث ليالينا كغض شبابنا ... وأيامنا سلك ونحن جواهر

ليالى كانت للشبيبة دولة ... بها ملك اللذات ناه وآمر

سلام على تلك العهود فانها ... موارد أفراح تلتها مصادر

وقولـــه :

كساهـا الحيا بـــرد الشباب فـانها ... بلاد بهـا عـق الشبـاب تمائمـــى

ذكرت بها عهـــد الصبـــا فكأنمـــا ... قدحت بنـار الشرق بيـن الحيـــازم

ليالى لا ألوى عـلى رشـــد ناصـــح ... عنانـــى ولا أثنيـه عن غى لائـــم

أنال سهـادى من عيـون نواعـــس ... وأجنى مـرادى من غصون نواعـــم

وليل لنا بالســـد بيـن معـــاطـف ... من النهـر ينسـاب انسياب الأراقم

تمـــر الينا ثم عنـا كـأنهـــا ... حـــواسد تمشى بيننـــا بالنمائـم

وبتنا ولا واش نخـاف كأنمـــا ... حللنـــا مكـان السر من صدر كاتـم

وبعد أدائه فريضة الحج انقلب الى مصر سنة 1028 فسكنها وتزوج بها سيدة من أسرة الوفائيين احدى أسرها الشريفة ، ولكنه ألفى فى طباع أهلها غلظة ومن علمائها سوء معاملة ، وكانت تقع بينه وبينهـم مشاحنـات تبعث عليها غيرتهـم منه وحسدهم له ، من دلك أنه حضر يوماً بسوق الكتب ، وهو اذذاك غير معروف ، فوقع فى يده جزء من تفسير غريب ففتح على سورة النور ، فاذا مؤلفه قد تعرض لمسألة فقهية غريبة ، وذكر فيها اختلافاً وتفصيلا وتحقيقا ، فاستوعب ما أورد فيها وحفظه على الفور ، وكانت سرعة حفظه وقوة ذاكرته ما أهم ما يمتـاز بـه ، واتفق انه اجتمع علماء البلد بعد ذلك فى دعوة حضرها معهم، فلما استقر بهم المجلس اذا سائل بيده بطاقة يسأل عن تلك المسألة نفسها ، فدفعت الى الأول من أكابر أهـل ذلك المجلس فتأملها ولم يستحضر عنها جوابـا ، فدفعها لمن يليه فدفعها بـدوره الى الآخـر ، وهكذا حتى بلغت اليه ، فلما تنـاولها طلـب دواة وقلمـا وكتب عليها جوابـا مطابقـا لما حفظ فجعلوا ينظرون اليه متعجبين ، فلما فرع تعاطوها وسألوه عمن ذكرها ، فقال ذكرها فلان فـى تفسيره لســورة النور . فأحضروا الكتاب فاذا الأمر كما ذكر ، فدخلهم الحسد منه بسبب ذلك ، قـال أبو على اليوسى فى (المحاضرات) معلقا على موقف علماء مصر من المقرى : وليس

هذا ببدع ، فما زال هذا الجنس يتحاملون على من توسموا فيه شفوفاً عليهم ، أو مزاحمة فى رتبة أو حظ الا من عصمه الله وقليل ما هم :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً انه لدميم

ويقال ان المقرى سئل عن حظه بمصر فأجاب : دخلها قبلنا ابن الحاجب ، وأنشد فيها قوله :

يا أهل مصر وجدت أيديكم فى بذلها بالسخاء منقبضه
لما عدمت القرا بأرضكم أكلت كتبى كأننى أرضه

وأنشد هو لنفسه :

تركت رسوم عزى فى بلادى وصرت بمصر منسى الرسوم
ونفسى عفتها بالذل فيها وقلت لها عن العلياء صومى
ولى عزم كحد السيف ماض ولكن الليالى من خصومى

ثم زار بيت المقدس فى شهر ربيع الأول من عام 1029 ورجع الى القاهرة ، واتخذ يكرر منها الحج فدخل مكة سنة 1037 خمس مرات ، وفى كل مرة كان يعقد مجالس للعلم ويملى دروساً فى الفقه والحديث والسيرة وغيرها ، وأملا دروس الحديث بجوار قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى مرأى منه ومسمع ، وألف بالروضة النبوية بعض كتبه أو نقحها ونسخها ، كـ **(فتح المتعال فى مدح النعال)** الذى أعاد كتابته عند قدمى الرسول، و **(أزهار الكمامة فى العمامة)** الذى ألفه تجاه رأسه ، و **(اضاءة الدجنة ، بعقائد أهل السنة)** التى كتب منها بالحرمين واليمن ومصر والشام أزيد من ألفى نسخة كتب خطه على اكثرها ، ثم رجع الى مصر سنة 1039 ودخل القدس فى رجب من تلك السنة ، وأقام به خمسا وعشرين يوما ، ثم سافر الى دمشق فدخلها فى أوائل شعبان ، وأعجبته مناظرها التى تشبه مناظر

بلديه تلمسان وفاس ، ولا سيما قرية الصالحية التى ذكر أنها كثيرة الشبه بقرية العباد بتلمسان ، كما استحسن أخلاق أهلها وليونة طباعهم وكرم أنفسهم ، وأرسل اليه أحد علمائها وسراتها شهاب الدين احمد بن شاهين مفتاح المدرسة الجقمقية ومعه هذه الأبيات :

كنف المقرى شيخى مقرى ... واليه من الزمان مفرى
كنف مثل صدره فى اتساع ... وعلوم كالبحر فى ضمن بحر
أى بدر قد أطلع الدهر منه ... ملأ الشرق نوره ؟ أى بدر
أحمد سيدى وشيخى وذخرى ... وسميى ، وذاك أشرف فخر
لو بغير الأقدام يسعا مشوق ... جئته زائراً على وجه شكرى

فأجابه المقرى بقوله :

أى نظم فى حسنه حار فكرى ... وتحلا بدره صدر ذكرى
طائر الصيت لابن شاهين ينما ... من بروض الندا له خير ذكر
أحمد الممتطين ذروة مجد ... لعوان من المعانى وبكر
حل مفتاح وصله باب وصل ... من معانى تعريفه دون نكر
يا بديع الزمان دم فى ازدياد ... بالعلا وازدياد تجنيس شكرى

ولم يمكث المقرى الا مقدار ما استراح من عناء السفر حتى شرع يلقى دروساً علمية بمساجد دمشق ومدارسها على عادته كلما حل ببلد ، ومن جملة ما درسه صحيح البخارى ، كان يمليه تحت قبة النسر بالجامع الأموى بعد صلاة الصبح ، ولما كثر الناس بعد أيام خرج الى صحن الجامع تحت القبة المعروفة بالباعونية ، ولم يكن يتخلف عن هذا الدرس أحد من الطلبة كما كان يحضره جل أعيان العلماء ، وكان يوم ختمه من الأيام الخالدة بالشام ، حضره الألوف من الناس ، وعلت الأصوات بالبكاء ، فنقلت حلقة الدرس الى وسط الصحن ، ثم الى

الباب الذى يوضع فيه العلم النبوى فى أيام الجمع من شهور رجب وشعبان ورمضان ، وجيء له بكرسى الوعظ فارتقاه ، وتكلم بكلام فى العقائد والحديث لم يسمع له نظير من قبل ، وكانت الجلسة من طلوع الشمس الى قرب الظهر ، وختم الدرس بأبيات قالها حين ودع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وهى قوله .

يا شفيع العصاة أنت رجائى كيف يخشا الرجاة عندك خيبه
واذا كنت حاضراً بفؤادى غيبة الجسم عنك ليست بغيبه
ليس بالعيش فى البلاد انقطاع أطيب العيش ما يكون بطيبه

ولما نزل عن الكرسى ازدحم الناس عليه يقبلون يده ويلتمسون بركته ، ويطلبون دعاءه ، ولم يتفق لأحد من العلماء الذين زاروا دمشق من قبل ما اتفق له من الاقبال والقبول فى ذلك اليوم ، ونستطيع ان نقول ان المقرى لم يجد عزاء ولا سلوى منذ غادر فاس الا فى دمشق كما يدل على ذلك ما أورد فى (نفح الطيب) عنها من الاطراء والمديح ، ونقل من المساجلات والاستجازات التى جرت بينه وبين علمائها الأعلام ، وسراتها الكرام ، فقد أحسنوا مثواه وأكرموا لقاه ، مما جعله ينجذب نحوهم ، ويقرر الاستيطان ببلدهم والاقامة بجانبهم ، فعاد الى مصر وطلق زوجته الوفائية ، وشرع يعد العدة للرحيل الى الشام ، ولكن الحمام فاجاه قبل بلوغ المرام ، فى شهر جمادى الاخرى سنة 1041 فدفن بمقبرة المجاورين ، وأفل بموته نجم لامع بل بدر ساطع من بدور الدين والعلم والأدب والفن فى العالم الاسلامى كله لا فى المغرب العربى وحده .

وقد خلف المقرى وراءه ثروة هائلة من الكتب التى ألفها بتلمسان وفاس ومصر والحرمين والشام فى الأدب والتاريخ والعقائد والفقه ، مثل كتاب (أزهار الرياض) الذى جعله موسوعة أدبية وتاريخية تستقى مواضيعها من حياة القاضى أبى الفضل عياض بن موسى اليحصبى دفين مراكش ، وكتاب (نفح الطيب) الذى

جعله أيضاً موسوعة أدبية وتاريخية تستقى ابوابها وفصولها من حياة الأديب الكبير أبى عبد الله محمد بن الخطيب السلمانى دفين فاس ، وكتاب **(البدأة والنشأة)** و **(الغث والسمين ، والرث والثمين)** و **(والجنابد)** الذى هو فهرسة شيوخه ومقروءاته ومسموعاته ومروياته ، و **(روضة الآس)** هذه التى نكتب لها هذا التصدير .

* * *

ما هى قصة هذا الكتاب ؟

رأينا فيما مضى أن أبا العباس المقرى ورد من تلمسان على فاس فى شهر صفر 1009 وأنه ذهب بعد ذلك باشهر الى مراكش صحبة القائد ابراهيم الآيسى أحد قواد المنصور السعدى الملقب بالذهبى ، وحضر بها سنة 1010 الحفلات التى كان السلطان يقيمها احتفاء بالمولد النبوى ، وأنه عاد منها الى فاس يوم السبت 15 ربيع الثانى من نفس السنة ، وأنه فارق فاسا متوجها الى تلمسان يوم الخميس 17 ذى القعدة بعده ، وذكرنا انه خلال هذه الاقامة التى استمرت واحداً وعشرين شهراً لم يعش فى معزل عن المجالس العلمية والنوادى الأدبية ، بل أخذ وأعطا ، وسمع وأملا ، وعلم وتعلم ، وحاور وساجل واجاز واستجاز ، ولم يعد الى بلده الا ليصفى به علاقاته ، ويهيىء اسباب الانتقال النهائى الى المغرب والاستقرار بمقربة من الحضرة المنصورية ، وفيما كان يدبر أموره ، شرع يرتب (المذكرات) التى كتبها أثناء وجوده بالمغرب، ويستعرض أعلام الفقهاء ومشاهير الأدباء الذين لقيهم، وينظم الرقاع التى قيد فيها ما لهم من منظوم ومنثور ، وما لهم من أشياخ وما الفوا من مؤلفات ، ليضع من كل ذلك مشروع كتاب يسميه **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** يهديه الى الخزانة الأحمدية المنصورية عند ارتحاله الى المغرب اقتداء بعلماء مملكته وأدبائها الذين كانوا يتبارون فى تأليف الكتب برسم تلك الخزانة ، وهو يذكر فى مشروع

(روضة الآس) هذه التاريخ الذى كان يؤلفها فيه وهو أول شوال عام ١٠١١ (١) وبما أن المنية اخترمت السلطان الذى ألف الكتاب برسمه فى ربيع الأول من السنة التالية فاننا لا نظن ان المقرى تعدى هذه المحاولة الأولى بكتابة شيء جديد ، أو اضاف الى مشروع الكتاب الذى وضع خطوطه الكبرى اضافات ما الا أن يلحق بعض النصوص التى لم يثبتها فى البداية ، أو يصحح من الأصول التى ينقل منها ما أثبت ، أو يخط ملاحظة عما ينبغى أن يعمله عند اخراج مشروع الكتاب من مبيضته .

وتشتمل **(روضة الآس)** أو مشروعها على مقدمة وثلاثة أبواب ، وهو قسمها الأول ، وعلى أربعة وثلاثين اسما من أسماء العلماء والأدباء الذين لقيهم اثناء وجوده بمراكش وفاس ، وهذا هو قسمها الثانى .

وقد ردد المقرى اسم **(الروضة)** فى بعض مؤلفاته الأخرى ، ولا سيما **(نفح الطيب)** ، وفى التعليقات والطرر التى كان يكتبها على ما يملك من الكتب مما يدل على انها كانت عزيزة عليه ، لأنها (بكر) مؤلفاته فيما نظن ، وسماها **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس فى ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** وهو أشهر أسمائها ، ورأيته سماها أيضا **روضة الآس ، العاطرة الأنفاس فى ذكر من لقيته فى الرحلة الى الحضرتين مراكش وفاس)** كتب ذلك بخط يده سنة ١٠١١ على ظهر كتاب **انشاد الضوال ، وارشاد السوال** الذى كان يملكه ، وهو محفوظ بالخزانة الملكية بالرباط تحت عدد 1399 ولكن **(الروضة)** بقيت مجهولة غير معروفة رغم تطلع الناس اليها ، وشدة بحث المؤرخين الذين كانوا معاصرين لمؤلفها أو قريبين من عصره عنها ، وكان من المرجح أن يظن ظان أنه لم يؤلفها وانما نوى ان يفعل ، وكتب صفحات منها ثم مل أو عدل ، لو لم يكن نعتقد أن المقرى رجل ثقة صادق فى أقواله ، ولو لم يحدثنا مؤرخان أنهما اطلعا عليها ، أحدهما المؤرخ محمد الطيب بن محمد بن الشيخ عبد القادر الفاسى المتوفى

(١) أنظر صفحة ١٩١ .

سنة 1113 الذى نقل فى كتابه **(مطمح النظر)** تراجم أشخاص واردة أسماؤهم فى **(روضة الآس)** ممن توفوا قبل سنة 1013 وهى السنة التى انتهى اليها المؤلف المذكور فى تاليفه ، مثل محمد بن عبد الواحد الحسنى ، وأخيه احمد ، والشيخ القصار ، والسلطان أحمد المنصور السعدى ، وأحمد بن ابى القاسم الصومعى التادلى ، وثانيهما أبو عبد الله محمد بن حمزة العياشى الذى أثبت له أبو على المعدانى التادلى فى كتابه **(الروض اليانع)** كتابا ذكر فيه أنه وقع بيده طرف من كتاب المقرى سماه **(الروضة العاطرة الأنفاس فيمن لقيت بمراكش وفاس)** فيها ترجمة الفشتالى والزياتي وأضرابهم من علماء حضرة الدولة الذهبية ، وجلب مقطعات من أشعارهم وهي مفيدة فى بابها غاية ، ان من الله عليه بكمالها ، لأن ما عنده منها ـ على حـد قوله ـ مبتور الأول والآخر ، ثم لا نلفى لها عيناً ولا أثراً بعد ذلك ، ولا نجد من يتحدث عنها الا فى معرض النقل عن كتاب **(مطمح النظر)** ، ورغم أن اسمها اثبت مرتين فى قوائم كتب الخزانة الملكية بفاس فان الناس بعد ما أيقنوا أن المقرى ألفها ثقة فى أقوالـه ، وبشهادة العالمين اللذين اطلعا عليها ونقل احدهما منها ـ أيسوا من وجودها، وتخيلوا أن تكون آلت الى ما أرادت الأهواء السياسية البليدة أن تؤول اليه أكثر المؤلفات التاريخية والأدبية التى ألفت فى العـصر السعـدى **كالمنتقى المقصور ، والممدود والمقصور ، ومناهل الصفا .**

وفى سنة 1380 كلفنى صاحب الجلالة الملك **الحسن الثانى** أيده الله بانقاذ عزم والده العظيم صاحب الجلالة الملك **محمد الخامس** رحمه الله على انقاذ الخزانة السلطانية بالقصر الملكى بفاس التى كانت كتبها ووثائقها وذخائرها عرضـة لعبث الانسان والأرضة والرطوبة جميعاً ، ولم تكن لى حيلة ازاء الأعمال المنوطة بى بديوان جلالته الا أن أنقل تلك الذخائر والأعلاق الى القصر الملكى بالربـاط ، حيث الحفظ والرعاية ، وتوفر وسائل الاصلاح وأسباب الصيانة ، وكنت بعد

نقلها كلما فرغ لى وقت ألتحق بالمكلفين بمعالجتها فأتصفح ما سمح لى الوقت بتصفحه منها ، وذات يوم وقع بين يدى منها مجلد كبير تدلت منه بطاقة كتب عليها (جزء من روضة الآس) للمقرى ، فاقشعر بدنى وأيقنت اننى وجدت الضالة التى نشدها المؤرخون والأدباء قرونا بدون جدوى ، وفتحت دفة الكتاب ، فاذا كاتب يكتب على ظهره أنه جزء من **(روضة الآس)** للمقرى ثم ياتى كاتب آخر فيكتب ـ نقلا عن **نفح الطيب** ـ الفقرات التى ورد فيها اسم الروضة اثناء الكلام على موشحات المنصور الذهبى ، فلم يبق لدى شك أنه هو ، ولكن شد ما كانت خيبتى وفرحتى معاً عند ما شرعت أتصفح الكتاب : خبت لأن الكتاب لم يكن **(روضة الآس)** ، وفرحت لأنى وجدت بين يدى ـ مؤكداً ـ المجلد الاخير من **(مناهل الصفا)** للوزير الفشتالى ، وهو أيضاً من الكتب التى لم تكن معروفة الا بالاسم حتى ذلك التاريخ .

وواصلت التردد على المكان الذى تعالج فيه الكتب المعالجة الأولية التى تتلخص فى نفض غبارها ، وتبخيرها بمواد سامة لقتل الأرضة التى تخرقها ، وذات يوم وقع بين يدى كتاب مهلهل النسج نالت منه الرطوبة كل منال ، تدلت منه أيضاً ورقة كتبت عليها هذه العبارة **(كتاب للمقرى مبتور)** فلم يكن لتلك البطاقة رد فعل قوى فى نفسى ، نظراً للخيبة التى أصابتنى المرة الأولى ، وفات ربما يكون كتاباً من كتب المقرى الفقهية والعقائدية، أو واحداً من كتبه الأدبية المتداولة **كالأزهار والنفح وفتح المتعال** ، ولما فتحت دفته وجدت على ظهر الصفحة الأولى اسم الكتاب كاملا ، كما وجدت فيها أسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم فى داخله، فلم يغرنى ذلك ، لأنى رأيت قبله جزءاً من **(مناهل الصفا)** كتب عليه أنه **(روضة الآس)** ، ولكننى عندما أخذت أتصفح الكتاب أيقنت أنه ذلك الكتاب لاريب فيه .

وصار همي الأول اثر ذلك أن أضع للكتاب (قيدا) حتى لا يفر ويتيه مدة أخرى يعلم الله وحده كم تطول ، فنمرت أوراقه ، وطبع بطابع المكتبة الملكية ، ورتب في السجلات والجزازات والمرافع تحت عدد 220 .

وبعد ذلك شرعت في نسخه بيدي ، وقضيت في هذه العملية الشهور ذوات العدد ، اذ لم يكن من الممكن أن يدفع الى واحد من النساخ العاديين ـ القدماء والمحدثين ـ لاستخراج ما فيه ، لأن بالهوامش ملاحق ومضافات ينبغي التحرى في اثباتها بالمواضع الملحقة بها حسبما أراد المؤلف ، ولأن الأرضة قامت بدور خطير في تمزيق صحف الكتاب ومحو كلمات منه ، فكان على الناسخ ان يقابل النصوص المثبتة فيه بنظائرها التي قد تكون مثبتة في كتب أخرى ، وان يستدل أحيانا بالحرف على الكلمة ، وبالكلمة على الجملة ، وهذا لا يتيسر لكل من علمه الله ان يكتب . وكنت كلما انتهيت من نسخ ملزمة دفعتها الى سفار الكتب الملكية فتغلف أوراقها ظاهراً وباطنا بأوراق البلاستيك الشفاف لحفظها الى ان كمل نسخ الكتاب .

بدراسة علمية بسيطة يستطيع المرء أن يجزم أن الكتاب المعثور عليه هو المشروع الأصلي لـ **(روضة الآس)** الذي كان المقري يكتبه بتلمسان في أول شوال عام 1011 قبل سفره بسنتين الى فاس ، ويؤكد هذا الجزم شواهد دامغة من الكتاب نفسه ، منها أنه مكتوب بخط المؤلف ، وقد قمت بمقارنته بالخط الذي كتب به المقري بعض الكتب والوثائق الاخرى سواء اثناء وجوده بالمغرب او بعد رحيله الى المشرق فألفيته مطابقاً له حذو النعل بالنعل ، فهو ليس مشابهاً له من الناحية الشكلية فحسب ، ولكنه يشبهه كذلك في الطرق التي كان يتبعها في الرسم ، ومنها أن الدعاء الذي يدعو به للمنصور دعاء حياة ، كقوله (نصره الله)

أو (أيده الله وأنجده) و (جعل الله الملك فيه.وفى عقبه أبدياً) ، وليس دعاء ممات مثل (رحمه الله) و (صب الله عليه شآبيب رحمته) و (سقى الله ضريحه ونوره) بل ان المقرى لا يفتأ يكرر فى (مشروع) كتابه التوسل الى الله ان يعجل انتقاله الى الحضرة المنصورية ، ومن المعلوم أن أبا العباس المنصور توفى فى شهر ربيع الأول من عام 1012 قبل انتقال المقرى الى فاس بسنة ، فلو ان الكتاب كتب أو نسخ بعد هذا التاريخ لوجدنا فيه عبارات تشعر بموت المنصور ، ومنها هذه الالحاقات التى كان المؤلف لا يفتأ يضيفها الى مؤلفه بخطه ناقلا لها من الأصول التى صحبها معه من المغرب ، ولو انه كان حرر الكتاب فى صيغته النهائية لكانت تلك الالحاقات مدمجة فى متن الكتاب ، ومنها تركه صفحات بيضاء فى بعض التراجم تنبىء عن عزمه على ملئها عندما يعثر فى مقيداته على النصوص التى يريدها ومنها تدوينه بخطه لملاحظات على الهوامش ينبه فيها الى انه سيقدم او يؤخر عندما يخرج الكتاب من مبيضته ، ويمضى على الملاحضة بقوله (قاله مؤلفه أحمد) ، فنحن اذا امام مشروع الكتاب أو مبيضته كما يسميه المؤلف ، بل يغلب على الظن ان يد المؤلف لم تخط الا هذا المشروع ، وأنه لم يخرجه قط من مبيضته، لأن السلطان الذى كتب برسمه أدركته الوفاة ففترت همة المؤلف عن اتمامه ، ولما انتقل الى فاس نقله اليها فى جملة كتبه، ثم تركه مع ما تركه بها عند رحيله منها يوم 28 رمضان 1027 الى المشرق ، ولما أفلت شمس الدولة السعدية عدت أيد أثيمة على صدره المتضمن لحياة المنصور الذهبى ومآثره فأعدمته ، وآلت نسخته الوحيدة الفريدة مبتورة الأول ناقصة الخاتمة الى المؤرخ محمد الطيب الفاسى ، والفقيه محمد بن حمزة العياشى وأخيراً شقت طريقها الى المكتبة السلطانية بالقصر الملكى بفاس ، فألقيت فى زاوية من زواياه لا تمتد اليها الأيدى ولا تلتفت اليها الأنظار ، الى أن قيض الله لها اليوم البعث والنشور .

تبلغ صفحات **(روضة الآس)** أو مشروعها 326 صفحة من الحجم المتوسط ، فـي كـل صفحـة 21 سطـراً كتبت بخط دقيق ، وقد ملئت هوامش كثير مـن الصفحات باضافات تعمر أحياناً جهاتها الأربع ، أو تنبيهات الى ما ينبغى أن يعلمه عندما يخرج الكتاب من مشروعه الذى يسميه آونة (المسودة) وأخرى (المبيضة) : من تقديم أو تأخير أو زيادة ، وهو يبدأ بالشطر الاخير من بابه الثانى ، ونحـن نتخيل أن المقرى بدأ كتابه بمقدمة ذكر فيها دواعى رحيله الى المغرب ومقدمه على حضرة سلطانه أبى العباس المنصور مخللا ذلك بأشعار فـي وصف بلـده تلمسـان الذى رحـل منه ، ومدينتى فاس ومراكش اللتين رحل اليهما ، ومـدح السلطان الذى وفد عليه ، ثم أتبع المقدمة بالباب الأول الذى نتخيل انه خصصه للكلام على شرف السلطان وطيب أرومته وكرم محتده وذكر مـيلاده ونشأتـه وصيرورة الملك اليه ، ثم أردفه بالباب الثانى وهو الذى خصصه لذكر مآثره وأعماله العمرانية ، وأنا لنجد النسخة المعثور عليها تبدأ بالشطر الأخير من هذا الباب ، وهو يصف فيه احتفالات المنصور بعيد المولد النبوى الشريف وعادته فيه. ووفادة العلماء عليه من الأقطار الشرقية ، وبناءه للمساجد والقناطر والسدود والحدائق والقصور ، وفتوحه لتوات وكورارة والسودان ، مخللا كل ذلك بقصائد وموشحات ومقطعات ، ومداعبات وحكايات ومساجلات . ثم يتبع المقدمة والبابين بباب ثالث يخصصه لذكر أشياخ السلطان وما وقع له من النظم ، وما صدر عنه من تآليف ، وفى هذا الباب يذكر المقرى أسماء العلماء الذين أخذ عنهم السلطان أبو العباس المنصور وأسماء العلوم التى قرأها عليهم ، وينقل عنه ما كتب هو نفسه عن شعره وبيان ما فيه من المحسنات البديعية ، والاختراعات العجيبة ، والتوليدات الغريبة فى نظره ، وتآليفه المفيدة ، التى منها كتاب **(العدد أحمد)** الذى اطلع المقرى على نسخة منه ونقل خاتمتها التى هى من انشاء الوزير الكاتب عبد العزيز الفشتـالى ، تلـك النسخـة التـى توجـد هـى عينهـا بالخـزانة الملكيـة ،

ويذكر المقـرى فى هذا البـاب أيضا المبانى التى شيدتها السيدة مسعـودة الوزكيتية والدة المنصور والاحباس والجرايات التى أوقفت عليها ، واجـازة المنصور لتحبيسها ، ويختمه بذكر فك المنصور للأسارى ، وما ألف برسم خزانته من التآليف ..

وبعد هذه الأبواب الثلاثة التى لا نعرف الا ثالثها ونصف ثانيها يشرع فى ذكر الأشخاص الذين لقيهم بفاس ومراكش ، وعددهم أربعة وثلاثون .

والطريقة التى اتبعها المقرى فى الكلام على هؤلاء الأدباء والعلماء تتلخص فى أنه يحلى الشخص ويسميه ، ويشير الى أى بلد ينتسب ، وفى أى البلدتين لقيه ، ثم يذكر شيئا من أحواله ، ويشير الى شيوخه وتآليفه ، ولا يغفل تاريخ مولده ان كان اطلع عليه ، ويورد منتخبات من شعره ، ونماذج من نثره ، وقد يستعيض عن الشعر بالنثر ان لم يكن للشخص الذى لقيه شعر معروف ، ولا يستنكف احيانا ان يورد بعض الأنظام التى تفيد فوائد نحوية او فقهية أو منطقيـة ، وان كـان الشخـص المتحدث عنه فقيها مشهورا أو محدثا كبيرا ذكر رواياته وأسانيـده واجازته له كما فعل لدى الكلام على ابن القاضى والقصار واحمد بابا السودانى .

ولا مجال للكلام على اسلوب المقرى فى هذا الكتاب ، لأنه فى الحقيقة إنما كان يرتب مذكراته ويضع تصميما لكتاب ، انما الملاحظ ان الكتاب موضوعـى اقتصر فيه على المواضيع التى تدل عليها العناوين ولم يجنح فيه الى الاستطرادات وترك الموضوع الى ما يشبهه أو ما له اتصال به ولو كان واهيا ، كما فعل فى **ازهار الرياض ونفح الطيب** ، ولم يجمح به قلمه الا مرة واحدة عند ما ذكر أشياخ بدر الدين القرافى واسانيده فى ترجمة القصار . فلذا جاءت **(روضة الآس)** على خلاف كتبه الاخرى مجموعة الشمل ملمومة الأطراف ، ولو أنه أخرجها فى صيغتها النهائية فهذب ونقح وألحق وأضاف لجاءت فى حجم **أزهار الرياض** ، ولو سلك

فى تحريرها النهائى مسلكه فى تحرير **نفح الطيب** لجاءت فى حجمه ، ومن يدرى ؟ فلعلنا نكون قد بالغنا عند ما جزمنا أن المقرى لم يعد بالتأليف هذا المشروع ، ولعله ان يكون حرره من جديد وأضاف اليه ما ليس فى المشروع الأول ووضع له خاتمة ، ولعل الزوايا تظهر يوماً من الأيام ما فى الخبايا فتضع بين أيدينا أو أيدى من يأتى بعدنا **(روضة آس)** فى حجم **أزهار الرياض** أو **نفح الطيب !**

أما أهمية الكتاب فلا تخفى على باحث ولا مطالع ، فهو قد عرفنا بشخصيات لم نكن نعرفها على الرغم من قرب العهد بها ، ونشاط الحركة العلمية والادبية فى أيامها ، ووسع معلوماتنا ومعرفتنا بآخرين كنا لا نعرف الا أسماءهم أو لا نعرف عنهم الا القليل ، وانت لو قارنت ما كتبه عن الأديب محمد الوجدى وهو يشغل 29 صفحة من هذا الكتاب بما كتبه عنه محمد بن الطيب القادرى فى **(نشر المثانى)** وهو لا يبلغ السطرين لعلمت أى معروف أسداه المقرى بهذا الكتاب الى هذه البلاد، وبالاضافة الى الرجال الذين عرف بهم وأطلعنا على بعض أخبارهم يحتوى الكتاب على مجموعة من القصائد والموشحات والمقطعات التى لم يرد لها ذكر فيما يتداوله الناس من هذه الكتب المطبوعة والمخطوطة على السواء ، وهذه المجموعة الشعرية وان كانت لم تبلغ كلها القمة البلاغية ـ تنمى ثروتنا الادبية من جهة أولى ، وتربط حلقات العصور الأدبية بالمغرب من جهة ثانية، وتبين لنا من جهة ثالثة مدا ما بلغ اليه بلدنا من رخاء وبذخ على عهد منصور السعديين ، وفى الحقيقة هناك من بينها قصائد ومقطعات حلقت فى آفاق البلاغة وبلغت منتهى السمو ، وانا لنجترىء بمثال واحد منها ، وهو القصيدة التى قالها عبد العزيز الفشتالى لما صرف السلطان أحمد المنصور هدية لولى عهده ، والتى يقول فيها واصفاً ما بلغ اليه المغرب من بذخ ، واحتواء قصوره الملكية على التحف والطرف المستوردة اليها من جميع بقاع الأرض :

كنوز الأرض وهى لكم ملاك … شموس فى قصورك مجتلاها
متوعة الفنون يروق منها … بديع فى بديعك قد تناها
فمن طرف العراق وكل أرض … عجائب راق أعيننا رؤاها
ومن كسب الملوك ومقتناها … غرائب جلل الدنيا سناها
بيوم أصبح الايوان منها … يجر ذيول بأو من بهاها
ملوك ملاكك ازدحمت عليها … لتبصر ما سباها من سباها
يكبر معجبا فكأنما قد … أطل على الفرادس من رآها
فمن بيض القباب مدبجات … تلوح بها المجرة فى سماها
ومن الديباج راق بصفحتيه … خمائل لحن باكرها نداها
حشين من التماثل كل حسن … ومن صور سواحر من يراها
فمن طير شدون بكل غصن … ومن غزلان رامة أومهاها
توافر من فوارس تدريها … وآساد لهن فغرن فاها
وابسط كالرياض مفوفات … وانماط لعبقر منتهاها
وأصناف التخوت ملونات … كما وشت يد الأنوار باها
وبيض كالأفاعى مطردات … لها سلخ اليواقيت من غشاها
تمت لذى الفقار بكل حرب … الى صفين تنسبها ظباها
لها نجر على الجد سام … لأقيال شوامخ فى علاها
ومن طيب العبير حقاق (فاجت) … وأرخص كل غالية شذاها
وأحجار نفاس فاخرات … لوامع كالبرق يشف ماها
وأجرام الصنادق موقرات … بأموال صوامت ملء فاها
ذخائر ما القياصر أحرزوها … ولا ملك الاكاسرة اقتناها

ويحسن قبل ختام هذا التصدير أن نعرف جهد المستطاع بالشخصيات المذكورة فى الكتاب ، ونشير الى المراجع التى يمكن لمن أحب أن يرجع اليها ليزداد بهم معرفة ، فان بعضهم كان مجهولا أو معدوداً فى حكم المجهول ، والبعض الآخر اقتصر المؤلف على ما علمه عنه أثناء التقائه به ، مع أنه عمر عشرات السنين ، وامتدت به العيش الى ما بعد وفاة المؤلف ، وأخصبت حياته السياسية والثقافية بعد تأليف الكتاب ، وسنعرف بهم جهد الاستطاعة فيما يلى ملتزمين الترتيب الذى التزمه مؤلف **(زهرة الآس)** :

السلطان أحمد المنصور الذهبى

أبو العباس أحمد ، ابن أبى عبد الله محمد الشيخ المهدى ، ابن أبى عبد الله محمد القائم بأمر الله السعدى فخر سلاطين الدولة السعدية التكمدارتية ، وأحد ملوك المغرب العظام ، تنتمى أسرته الى النسب النبوى ، ومن النسابين من رفع نسبهما الى العباس بن عبد المطلب والى بنى سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليمة السعدية ظئر النبى صلى الله عليه وسلم ، ولد بفاس سنة 956 وهى السنة التى استولى فيها السعديون على فاس ، وقضوا على ملك بنى وطاس المرينيين ، ونشأ فى بيت النعمة والملك ، محاطاً بخيرة المعلمين ونخبة المربين ، فتبحر فى العلم واستوعب كثيرا من فنونه وصنوفه ، وكان معروفا من صغره بثقوب الذهن ، وسداد الرأى ، وشدة النجابة ، ولما اشتد ساعده وأصبح رجلا سويا شارك فى سياسة بلده ، وأسندت اليه الخلافة عن الملك بفاس وكان السعديون يقيمون فى الغالب بمراكش منذ وطدوا أركان دولتهم ، ومن فاس جاء الأمير أبو العباس أحمد بجيش المغرب الشمالى لصد زحف نصارى البرتغال وايقاف مدهم سنة 986 وأبلا البلاء الحسن فى وقعة وادى المخازن التى خرج منها المغرب منيع الجانب مرتفع الأعلام ، وباء البرتغاليون بالخزن والهوان مخلفين فى ميدان المعركة جثث ملكهم

وقواد جيشهم وآلاف من جنودهم . وعندما انجلت الغمرة بويع له بالملك خلفا لأخيه الذى لفظ أنفاسه بوادى المخازن والحرب حامية الوطيس فمهد البلاد ، وساس الرعية بحزم وعدل، وثبت السلطة باقليمى كورارة وتوات وفتح السودان، وجدد النظم الادارية وأعاد للدولة شبابها ، واعتنى بالمرافق العامة فبنى المساجد والقناطر والمستشفيات ، وأقام المصانع ، ونشط التجارة والتبادل مع الخارج ، وعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية وتبادل واياها السفارات ، ومن أكبر مآثره بناء القصور والحدائق الملكية بعاصمته مثل البديع والمسرة والمشتها ، وتشييد الخزانات العلمية وتحبيس الكتب النفيسة عليها ، والاحتفال الباذخ بالاعياد والمواسم الدينية والقومية ، ولا سيما المولد النبوى الذى بذ فى الحفاوة به ملوك المسلمين ، وقد نفقت فى أيامه أسواق العلوم بعد كسادها ، وأحيى فى عهده ما اندرس من الحرف والفنون المهمة كالمنطق والنحو والفقه والحساب والهندسة والطب والموسيقى ، وتعاطى الناس الآداب وتنافسوا فى تأليف الكتب واقتنائها وكان هو قدوتهم فيها ، وألف برسم خزانته مآت الكتب وأجاز عليها مؤلفيها من مغاربة ومشارقة ، وعربت فى أيامه بعض مؤلفات الأوربيين، وكان بلاطه غاصاً بفحول الشعراء وبلغاء الكتاب ونبغاء الفقهاء والعلماء وكان جواداً كريما يصل الخاصة والعامة ويقضى الحاجات ويقعد لسماع المظالم ، وله ألف أبو العباس المقرى **(روضة الآس)** .

مرض بظاهر فاس يوم الأربعاء 11 ربيع النبوى عام 1012 والتزم الفراش الى ليلة الاثنين بعده فتوفى مطعوناً ، وصلى عليه عند صلاة العصر يوم الاثنين ودفن بفاس العليا ، ثم أمر ابنه زيدان فيما بعد بنقله الى مراكش ، فنقل اليها ودفن بمقابر السعديين .

وقد خصت حياته وأيامه بتآليف ، كـ **(المنتقى المقصور)** لابن القاضي ، و **(الممدود والمقصور)** لابن عيسى ، و **(مناهل الصفا)** للفشتالي ، وتمكن مراجعة ترجمته في **نزهة الحادي** (71 ـ 171) **ونشر المثاني** (1 : 73) **والاستقصا** (5 : 89) **وصفوة من انتشر ، وجذوة الاقتباس ، والاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام .**

محمد بن علي الوجدي

الأديب الكبير ، الشاعر الناثر ، أبو عبد الله محمد بن علي الوجدي الفاسي المعروف عند أصدقائه بالغماد .

أحد الأدباء الذين أنس المقري بلقائهم في رحلته الأولى وأثنى عليهم ، وقال انه من نبغاء فاس الذين يحصل الفخر بلقائهم والتعرف عليهم ، وهو من بركات **(روضة الآس)** اذ لم ينبه له في غير هنا ذكر ، ولم يثبت له في ديوان شعر ولا نثر ، رغم بلاغته وبراعته ، لأن الفقر عضه بنابه ، وتركته حرفة الأدب في معترك الحرمان طريحا ، أخذ عن يحيى السراج ، وعبد الواحد الحميدي ، ومحمد القصار ، والحسن الدرعي ، وأبي القاسم الوزير الغساني ، وسمع الصحيحين من عبد الرحمان بن محمد الفاسي ، واجازه فيهما وفي كل ما تصح له وعنه روايته ، ومن تآليفه **(الألباب الطائشة ، في مناقب أم المؤمنين عائشة)** و **(العنبر الشحري ، فيما أنشدنيه صاحبنا أبو العباس المقري)** و **(تميمة الالباب ، ورتيمة الآداب)** ذكر المقري أن فيه شيئا كثيراً من أشعار القدماء والمعاصرين ، وأورد فيه مؤلفه أكثر من مئتي قطعة في لابسي ثوب كذا من أنواع اللباس فقط الشيء الذي يدل على غزارة حفظه .

توفي بفاس عام 1033 ، ذكره محمد بن الطيب القادري في **(نشر المثاني 1 : 148)** في أقل من سطرين ، ووصفه بالفقيه الاديب العلامة ، ومحمد اليفرني في **(نزهة الحادي ص 150)** وذكر في **(الاكليل والتاج ، في تذييل كفاية المحتاج)** و **(أزهار البستان ، في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمان)** و **(التقاط الدرر)**

علي الهوزالي

أسرة الهوزالي أسرة سوسية تنتمي الى قبيلة ندو وزال ، وايدا وزال من قبائل الاقليم السبوسي ، ولم ينبه ذكر هذا الشخص رغم انه كان شاعراً ومن كتاب الامير محمد الشيخ الملقب بالمامون ولي عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي وخليفته بفاس ، ولعل عمله مع الامير المذكور الذي كان معروفا بخبث السيرة وقبح السلوك هو الذي جعل المؤرخين يغفلونه ، وهو أيضاً من حسنات (روضة الآس) اذ هي التي عرفتنا ببعض شيوخه وتنقلاته ، واطلعتنا على بعض قصائده ومقطعاته ، وهو في غالب الظن والد الأديب الكبير النابه الذكر محمد بن علي الهوزالي كاتب السلطان احمد المنصور .

أحمد بن عبد العزيز

هو كسابقه ، لا أعرف عنه الا ما ذكره المقري في (روضة الآس)

عبد الرحمان العلج

بيتهم شهير بفاس ، وهو أيضاً كسابقه ، لا أعرف عنه الا ما ذكره المقري في (روضة الآس)

عبد العزيز الفشتالي

من أهل فاس ، وأصل سلفه من فشتالة قبيلة جبلية بشمالها ، أشهر وزراء الدولة السعدية وأكبر كتاب المغرب وشعرائه في عهدها ، وصفه الشهاب الخفاجي شارح الشفا في رحلته لما ذكر محاسن أهل عصره من المغاربة فقال : أديب عذب اللسان ، ماضي السنان ، له دمث أخلاق وشمائل ، تجر وراءها ذيول الصبا والشمائل ، ألطف من وجنات ورد عذارها ، وأسحر من عيون غيد اذا غازلها النعاس ، ان خط زين طرس البلاغة ووشاه ، وتعاين على أخذ الرنة لفظه ومعناه ،

فيطرب السمع لألفاظه ويرقص القلب لمعناه ، بهمة هى حدت الفضا ، ولطف طبع ألذ من ذنب محاه الرضا .

ووصفه محمد بن الطيب القادرى بقوله : الكاتب الأرفع ، البليغ الأبرع ، صاحب القلم العالى ، والقدم التى رسخت بالبلاغة على هام المعالى ، جامع أشتات فنون الأدب على التمام ، والمزيل عن خفايا بدائعه النقاب واللثام .

ولد سنة 956 وهى سنة ميلاد مخدومه ، واكب على العلم والطلب فظهرت براعته على صغر سنه فى الشعر والترسل ، ومن شيوخه احمد المنجور ، وعبد الواحد الحميدى ،وأحمد الزمورى ، وكان رفيقاً لمخدومه فى صباه وربى نعمة بيتهم ، ولما تولى الملك يوم وقعة وادى المخازن تألق نجمه وصار المقدم على رجال الدولة ، وأصبح اسمه مقترنا بنشاط السلطان ومذكورا كلما ذكرت واقعة او اشير الى حادثة .

من تآليفه العظيمة **(مناهل الصفا ، فى مآثر موالينا الشرفا)** المشتمل على عدة أسفار ، وقد ظل هذا الكتاب سرا مكتوما حتى عثرت على نسختين كاملتين من جزئه الاخير بالخزانة السلطانية بفاس ، وقد ذكر المقرى انه فى عدة أسفار ، وأن مؤلفه أخبره انه ذكر فى الباب الخاص بفتح السودان منه ما يحمله سفر ضخم ، ومنها **(تقديم الامام)** فى فن التورية ، و **(مدد الجيش)** ذيل به **جيش التوشيح** لابن الخطيب ، و **(ترتيب ديوان أبى الطيب المتنبى)** .

توفى عام 1031 ، وانقرضت أسرته بوفاته

تراجع أخباره فى أخبار دولة مخدومه أبى العباس المنصور من كتب التاريخ والأدب ، وتنظر أيضا فى **نشر المثانى** (1 : 140) .

الحسن المسفيوى

الحسن بن أحمد بن الحسن بن يعقوب بن محمد المسفيوى المراكشى . أحد كتاب الانشاء بديوان السلطان أحمد المنصور ، ولد عام 968 وأخذ العلم عن اشياخ كثيرين كالحميدى ، والزمورى ، والمنجور ، وعبد الواحد الحسنى ، ومحمد المرى مفتى مراكش ، وقرأ علم الطب على أبى القاسم الوزير الغسانى . وكان مبرزاً فى الطب والتاريخ ، وله مؤلفات فى التاريخ والأدب . ونقل الى العربية بعض المؤلفات الطبية التى كتبها الأوربيون ، وهو أيضا من حسنات **(روضة الآس)** اذ لم أر له فى غيرها ذكراً الا ترجمة قصيرة فى **درة الحجال** لابن القاضى (I : 128 ع 356) .

على بن منصور الشيظمى

أبو الحسن على بن منصور بن المرابط الشيظمى المراكشى ، أحد قواد جيش المنصور الذهبى وأدباء بلاطه . ولد سنة 951 وأخذ عن المنجور وغيره ، وكان متضلعاً فى النحو والفقه زيادة على الأدب

ترجمه ابن القاضى فى **درة الحجال** (2 : 449 ع 1285) ووصفه بالفقيه الاديب المتفنن ، وذكر أن له نظماً رائعاً ، ونثراً فائقا .

أحمد الغرديس التغلبى

أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضى محمد بن الغرديس التغلبى من بنى الغرديس أحد بيوتات فاس الشهيرة الأصيلة ، ولد سنة 947 بفاس ، ودرس على مشيخة الوقت ، وبرع فى الشعر والترسل ، واستكتبه محمد الشيخ الملقب بالمامون بن السلطان أحمد المنصور أيام خلافته عن والده بفاس وبعد صيرورة الملك اليه .

وكان مولعا باقتناء الكتب ، جرياً على عادة سلفه وينسخ منها لخزانته ما لا يستطيع اقتناءه ، ومن حكاياته فى هذا الباب فى ذكره سيدى العربى الفاسى فى

شرحه لدلائل الخيرات عند قوله : كان لى جار نساخ الخ أنه استعار منه كتاب **الأنباء فى شرح الأسماء** للاقليشى ، ثم مرض مرض موته فعاده فوجد الكتاب عند رأسه ، ومعه كراريس منسوخة واخرى معدة للنسخ فقال له : انى اذا وجدت راحة كتبت ما قدرت عليه ، فاذا غلبنى ما بى أمسكت ، فقال له : ولم تكلف نفسك بذلك ؟فقال له انى عصيت الله بهذه الأصابع ما لا أحصيه ، فرجوت ان يكون ما أعانيه على هذه الحالة من نسخ هذا الكتاب خاتمة عملى بها وكفارة لذلك ، فكمل الله قصده وأتم الكتاب .

توفى من مرضه بعد أن طال من عام 1019 الى عام 1020 ، وفى **نشر المثانى** ، وكذا فى طرة بهامش **(روضة الآس)** توفى عام 1021 .

وفى شعره فى مرضه :

فلما انقضى سبعون حان حماميا ... وأذهلنى ما ذا ألاقى اماميا
وبدل منى كل وصف بضده ... وأقعدنى عما أروم سقاميا
فلا أنا حى أرتجا لمهمة ... ولا انا ميت اكف هم ملاميا

وفيه يقول الشاعر :

تمتعت يا غرديس والدهر راقد ... وأنت بفاس وابن حيون واجد
لسعدك راحت خيزران لقبرها ... (مصائب قوم عند قوم فوائد)

وردت ترجمته فى كتب كثيرة مثل **(نشر المثانى)** و **(صفوة من انتشر)** و **(درة الحجال)** و **(الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام)** .

ادريس بن راشد الحسنى

أبو العلاء ادريس بن على بن ابراهيم بن راشد الحسنى من بيت بنى راشد أمراء شفشاون ومختطيها . ولد بعد عام 960 ، ورد ذكره فى **(درة الحجال 1 : 116 ع 306)**

احمد بن محمد الآيسى

من أسرة سوسية ذاع صيتها فى عهد السلطان المنصور ، وببيتهم نزل المقرى عند ما ورد على مراكش ، وأخوه القائد ابراهيم هو الذى أشرف على بناء سند بوطوبة بفاس ، وذهب بالمقرى الى مخدومه ، لا أعرف عنه وعن أخيه الا ما ورد فى **(روضة الآس)** .

الحسن بن عبد الكريم المراكشى

كاتب المظالم بديوان السلطان أحمد المنصور ، عرف به ابن القاضى تعريفا هزيلا فى **(درة الحجال** 1 : 133 ع 374) .

محمد بن عبد الواحد الحسنى

لم يزد المؤرخون شيئاً على ما ذكره فى حقه المقرى فى **(روضة الآس)** ، انظر **نشر المثانى** (1 : 57) و **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** (2 : 208)

احمد بن عبد الواحد الحسنى

أخو المتقدم ، لم يزد المترجمون شيئاً على ما ورد عنه فى **روضة الآس** ، انظر **نشر المثانى** (1 : 57) و **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** (2 : 44)

محمد بن عبد العزيز الفشتالى

لا أعرف عنه شيئاً أكثر مما ورد فى **(روضة الآس)**

على المروانى المطاعى

لا أعلم عنه شيئاً اكثر مما ذكره المقرى فى **(روضة الآس)**

احمد المريد المراكشى

أبو العباس أحمد بن عبد الحميد بن الناصر بن عبد الرحمان الشهير بالمريد من أهل مراكش .

عرف به اليفرني في **(صفوة من انتشر)** ، وقال انه كان اماما جامعاً في جميع الفنون ، حكيما ماهرا في الطب ، دمث الاخلاق متواضعا ساقط الدعوى .

وترجمه الحضيكي في طبقاته ، وحكى عنه الفقيه محمد بن سعيد المرغيثي انه كان يمنع قراءة القرآن بلا تجويد .

توفي عام 1048 على ما في كتاب **الاعلام** لعبد الله الفاسي

وانظر أيضا **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام (2 : 114)**

عبد الله بن عجال المزوري

لا أعرف عنه شيئا اكثر مما ورد في **(روضة الآس)**

أبو القاسم الوزير الغساني

الطبيب الماهر، الاديب الكاتب أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم الوزير الغساني ولد بفاس عام 055 وأخذ الطب عن أبيه ، وسائر العلوم عن المنجور ، والحميدي ، وابن مجبر المساري ، وأحمد القدومي ، ويحيى السراج ، وغيرهم ، ومن تلاميذه أبو العباس المقري ، وعبد الواحد بن عاشر ، وعلي بن الزبير المكناسي، والعربي بن يوسف الفاسي ، وأحمد بن علي السوسي ، وعبد القادر بن علي الفاسي ، وله مؤلفات في الطب ، وكتاب في الأعشاب ، وشرح على حميات ابن عزرون ، وكان على اشتغاله بالعلوم الرياضية والطبيعية صحيح الاعتقاد ، واكثر مؤلفاته في الطب ، بعضها ألفها ، وبعضها عربها ، وله قصائد ومقطعات وموشحات .

وهو غير القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني المعاصر له ، فهذا فقيه وذاك طبيب ، وكثيرا يختلط أحدهما بالآخر عند المؤرخين لتشابه اسميهما وتعاصرهما ، وسنأتي ترجمة القاضي بعد .

ترجمه ابن القاضى فى **درة الحجال** (2 : 466 ع 1347) .

عبد الوهاب الحميدى

ذكره القادرى فى **نشر المثانى** 1 : 117 فيمن توفوا عام 1022 ، وأخبر أنه تولى قضاء فاس بعد ابن أبى النعيم ، ثم أخر وقدم ابن أبى النعيم ، وهو أول من بادر الى اكرام المقرى لما دخل الى فاس .

قاسم بن القاضى

القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن على بن عبد الرحمان ابن أبى العافية المكناسى

ولد عام 959 ، وأخذ عن ابن مجبر المسارى ، وأبى القاسم بن ابراهيم المشترائى ، والقدومى ، وعلى الحاجى ، ويحيى السراج ، والحميدى ، وابن عرضون ، والمنجور ، واليدرى ، وكان ذا شهرة فى تدريس النحو ، له شرح على الالفية فى مجلدين ، وشرح على مقدمة ابن آجروم فى مجلد عظيم ، وشرح تصريف المكودى .

توفى عام 1022

انظر **نشر المثانى** (1 : 117) و**درة الحجال** (2 : 464 ع 1342)

سعيد الماغوسى

سعيد بن مسعود الماغوسى الصنهاجى المعروف بالحاج أبوجمعة المراكشى ولد بعد عام 950 وأخذ عن أعلام بلده ، ثم رحل الى الشرق سنة 974 ، ثم عاد سنة 983 ثم رحل مرة ثانية سنة 987 واخذ خلال الرحلتين عن اعلام الجزائر وتونس ومصر والشام والحجاز والقسطنطينية العظمى ، ولما رجع للمغرب أضفى عليه

المنصور حلل اكرامه ، وأسبغ عليه فواضل نعمه ، فحبس عليه من جهته ما يصدر عنه من نظم ونثر وتاليف .

ذكره ابن القاضي فى **درة الحجال** (2 : 475 ع 1366) وقال ان له خطا رائقاً ، ومشاركة فى العلوم وفهما ثاقبا .

أحمد بن القاضي

الفقيه الأديب المؤرخ أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبى العافية الشهير بابن القاضى الفاسى ، صاحب التآليف المفيدة مثل **(درة الحجال ، فى غرة أسماء الرجال)** و **(جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس)** ، و **(المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة أبى العباس المنصور)** ، و **(درة السلوك ، فيمن حوا الملك من الملوك)** ، و **(درر الملوك فى شرح درة السلوك)** ، و **(لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد)** ، و **(رائد الفلاح ، فى ذكر ما لى من الأسانيد الصحاح)** وغيرها

ولد سنة 960 وتوفى سنة 1025

وهو أشهر من نار على علم ، ونكتفى بالاشارة الى بعض المؤلفات التى عرفت به لمن أراد التوسع فى معرفته . فمنها **نشر المثانى** (: 128) و **صفوة من انتشر** ، **والاعلام ، بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** (2 : 93) **واتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** (1 : 324) و **فهرس الفهارس والأثبات** (1 : 77) الخ

أحمد الصومعى التادلى

أبو العباس احمد بن أبى القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز بن شعيب الشعبى الهروى الزمرانى دفين الصومعة من بلاد تادلة أحد مؤلفى المغرب المكثرين، وصلاحه المشهورين

توفى فى اوائل ربيع الأول عام 1013

عرف به فى **نشر المثانى** (1 : 84) **وصفوة من انتشر** ، و **الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام** (2 : 72)

أحمد بابا التنبكتي السوداني

أبو العباس احمد بن احمد بن احمد بن عمر بن أقيت المسوفي التنبكتي المعروف ببابا السوداني الفقيه المصنف المؤلف الذائع الصيت ، بيته بيت علم وصلاح توارث أهله العلم ببلدهم خمسمئة سنة .

ولد ليلة الحادي والعشرين من ذي الحجة عام 963 وتوفي في 7 شعبان عام 1032 .

ترجمه في **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام** (2 : 99) **ونشر المثاني** (1 : 151) و **صفوة من انتشر** ، و **فهرس الفهارس والأثبات** (1 : 76)

عبد الواحد الركراكي

ترجمه ابن القاضي ترجمة وجيزة جدا لا تغني في **درة الحجـال** (2 : 384 ع 1079) .

محمد القصار

أبو عبد الله محمد بن قاسم بن علي القصار القيسي الأندلسي الفاسي أحـد محدثي المعرب وفقهائه النابهين في القرن الحادي عشر

ولد بفاس عام 939 وتوفي سنة 1012 بزاوية ابن ساسي اثناء ذهابه الـى مراكش ، ونقل اليها فدفن بازاء باب روضة أبي العباس السبتي .

عرف به في **نشر المثاني** (1 : 12) و **والاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام** (4 : 227) **وفهرس الفهارس والاثبات** (1 : 316) **والفكر السامي** (4 : 107) ، **ودرة الحجال** (1 : 227 ع 618)

علي بن عمران السلاسي

ابو الحسن علي بن عبد الرحمان بن عمران السلاسي الفقيه المفتي قـاضي الجماعة بفاس

ولد بفاس سنة 960

كان مجلسه بفاس لا نظير له فصاحة لسان ، وصراحة بيان ، وحسن ايراد وترتيب وتنميق ، امتحن بالسجن فى فاس الجديد عام 1017 فكاتبه الاديب محمد ابن أحمد المكلاتى بهذه الابيات :

أما لهلال غاب عنا سفور … فيجلى به خطب دجاه يثور
تصبر لدهر راح يمنحك الاسا … فأنت عظيم والعظيم صبور
سيظهر ما عهدته من جمالكم … فللبدر من بعد الكسوف ظهور
وتحيى رسوم للمعالى تغيرت … فللميت من بعد الممات نشور
أبا حسن انى على العهد لم أزل … مقيماً عليه ما أقام ثبير
ففى فى ماء من بقايا ودادكم … فطعمه عندى سائغ ونمير
عليكم سلام الله ما هطل الحيا … وغنت بأغصان الرياض طيور

فلما أنشد ذلك بمحبسه بكا حتى ظن أنه سيهلك ، ثم أفاق وتلا : لله الأمر من قبل ومن بعد ، ثم أجابه بعد أيام بالابيات التالية :

تفتق عن زهر الربيع سطور … فما هى الا روضة وغدير
هزمت من الصدر الجريح همومه … فانت على جند الكلام أمير
محمد هل فى العصر غيرك شاعر … له معكم فى الخافقين ظهور
بنى كذا هو الوداد ، واننى … سأشدو وقلبى بالهموم كسير
متى وعسى يثنى الزمان عنانه … لعثرة جد والزمان عثور
فتدرك آمال وتقضى مآرب … وتحدث من بعد الأمور أمور
عليكم سلام الله منى واننى … غريب بأقصى المغربين أسير

توفى مسموماً فى جامع المشور بفاس فى سجن السلطان زيدان بن احمد المنصور فى ربيع الثانى عام 1018 .

تراجع ترجمته فى **نشر المثانى** (1 : 104) **ودرة الحجال** (2 : 447 ع 1276) **وصفوة من انتشر** .

أبــو القاسم الغسانى

أبو القاسم بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن أبى النعيم الغسانى قاضى **فاس وقبيلة زمور**

ولد فى رمضان عام 952 وتوفى قتيلا وهو نازل من صلاة الجمعة بفاس **الجديد** يوم 5 ذى القعدة عام 1032 قتله اللصوص بباب المدرسة العنانية لاتهامه **بالميل** لعبد الله بن الشيخ ، وثارت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين أهل فــاس . **وهو غير** أبى القاسم الوزير الغسانى الطبيب المتقدم الذكر

انظر **نزهة الحادى** (ص 212) ، و **نشر المثانى** (1 : 147) **ودرة الحجــال** (2 : 464 ع 1340)

عبد الرحمان بن ابراهيم المشترائى

أبو زيد عبد الرحمان بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن ابراهيم المشترائى الدكالى المشهور بيتهم بفاس بأولاد ابن ابراهيم ، خطيب مسجد باب عجيسة بعد أبيه

ولد بفاس سنة 969

ترجمه ابن القاضى ترجمة وجيزة فى **درة الحجال** (2 : 362 ع 1008) .

محمد بن رضوان النجارى

ولد بفاس سنة 967 وتوفى سنة 1025

وهو من ذرية أبى القاسم بن رضوان صاحب المؤلف الشهير فى السياسة ، وكان بيتهم بفاس بيت ثروة وعلم ثم انقرض .

ترجم بايجاز فى **نشر المثانى** (1 : 130)

على بن الزبير السجلماسى

أبو الحسن على بن الزبير السجلماسى الملقب بين أصدقائه بالعضد ، الفقيه **النحوى** الاديب توفى عام 1035

ترجم بايجاز فى **نشر المثانى** (1 : 147)

عبد العزيز الجيار

أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن عمر الجيار الفاسي

ولد قرب سنة ٩٦٠

ترجم بايجاز في **درة الحجال** (2 : 380 ع 1067)

محمد الغجاف

لا أعرف عنه الا ما أورده المقري في **(روضة الآس)**

الحسن بن يوسف الزياني

الحسن بن يوسف بن مهدي الزياني فقيه نحوي أديب

أخذ عن الحميدي **مختصر خليل** ، وعن القصار **الموطأ والصحيحين** ، واجازه اجازة عامة ، ثم اتصل بالشيخ أبي المحاسن ، ورفض الدنيا وأقبل على العبادة ، وانتفع بدروسه خلق كثير . له مؤلفات كثيرة في النحو والفقه والتوحيد ، وهو – كأبي العباس المقري – واحد من العلماء الذين اختفوا فراراً من الفتوى لمحمد الشيخ السعدي بجواز تسليم ثغر العرائش للنصارى .

انقطع بجبل كرت من بلاد الغرب لما كثرت الفتن بالمغرب ، وتوفي بمكان هناك يسمى زاوية الهبط عام 1023

ترجمه القادري في **نشر المثاني** (1 : 125) وابن القاضي في **درة الحجال** (1 : 132 ع 373) وأنشد له مما لم يورده المقري في **روضة الآس** قوله :

يا ناصبا علم الحساب حباله ليصيد ظبيا ساحر الألباب

ان كنت ترزق بالحساب وصاله فالله يرزقنا بغير حساب

وبعد ، فهذه **(روضة الآس ، العاطرة الأنفاس ، في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس)** أجلوها من الخدر عذراء لم ترقب ، ومن الصدف درة لم تثقب ، وقد بذلت من الجهد ما وسعنى الاطلاع والوقت بذله فى تصحيحها وترتيبها ، وشرح طرف مما ينبغى شرحه من ألفاظها ومعانيها ، وكم كنت أتمنى أن لو سمحت الأشغال من الوقت بأكثر مما سمحت لأوفيها حقها من العناية ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ، وعلى قدر الكساء مددت رجلى ، ولو طال الكساء لها لطالت ، وحسبى أن أبرز هذه النوادر من مخابئها ، وأبعثها من مراقدها ، وأجعلها فى متناول عشاق ثقافتنا وآدابنا ، وكما قلت فى تصدير واحد من هذه المطبوعات الصادرة عن القصر الملكى : المهم فى الساعة الراهنة ليس هو الشرح والتعليق ، بل المهم نبش التربة لاستخراج المادة الخامة منها ، فلعل الله يهيىء لها منا أو من أجيالنا اللاحقة من ينكب بعبقريته عليها ، فيخرج منها من نخب الصنائع وتحف البدائع ما يقر النواظر ويرضى الضمائر ويريح الخواطر .

الرباط ـ الأحد { 17 رمضان 1383 / 2 يبراير 1964 }

عبد الوهاب بن منصور

روضة الآس العاطرة الأنفاس

في

ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس

تأليف

أحمد بن محمد المقري



بسم الله الرحمن الرحيم

. . . . لم يسبقوا اليه ، فاذا فرغوا من ذلك كله دعوا كلهم لمولانا نصره الله ، ثم يشرع الفقهاء والكتاب من أهل حضرته نصره الله (فى انشاد) قصائد قد اخترعوها فى مدح مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتخلصون بأحسن تخلص الى مدح سبطه مولانا المنصور ايده الله وأنجده ، وسيأتى فى تراجمهم كثير من هذا النوع .

ومن بعض ذلك قول الامام العلم ، العلامة الحجة القدوة ، المحقق المجتهد، مفتى الحضرة المراكشية وشيخ أعلامها ، أبو مالك ، سيدى عبد الواحد الشريف (1) صب الله عليه شآبيب رحمته :

حدث حديث أصيحابى وسمارى — وجيرتى حالتى يسرى واعسارى
القادحين بزند البين نار أسا — بين الجوانح من شوق وتذكار
ركب سرا وظلام الليل معتكر — يؤم بيداء لا يسرى بها السارى
بانوا فما زلت أبكيهم وأندبهم — أكابد الوجد آصالى وأبكارى
وخلفونى صريعاً فى ديارهم — نضو ضنا فى أسيحاق (2) وأطمار
وألثم الربع من شوقى ومن حزنى — أبيت حلف صبابات وأفكار
أسامر الشهب فى جنح الدجا سهراً — شوقاً اليهم لقرب العهد بالدار
وأسأل البارق النجدى عن نبأ — منهم ، أو الريح ان هبت بأسحار
أين استقلوا وأين يمموا سحراً — بظعن بين أنجاد وأغوار

1) ظ ترجمته فى نشر المثانى I : I4 .
2) تصغير أسحاق ج سحق : الثوب البالى .

كانوا لناجيرة والدار واحدة ... فاليوم مالى من دار ولا جار

أقوت (3) معاهدهم من بعدما أهلت ... فيامحاقاً أتا من بعد ابدار

أذكرهم لبروق فى الهوا ومضت ... فترسل الوبل أجفانى واشفارى

عجبت من خورى لبينهم أسفاً ... ولم أكن قبل فى بين بخوار

ولم أموت صبابة الى نفر ؟ ... على هواهم . . . ـا عقد أزرارى

آهاً وآها لأيام لنا سلفت ... قضيت فيها لباناتى وأوطارى

أجريت فيها جياد اللهو جامحة ... ملء العنان واعلانى كاسرارى

سقياً لأربعنا الأولى التى حمدت ... فيها شؤونى وأحيانى وأطوارى

ولصحابتى الغر الذين نأوا ... وخالص الود لم يشب بأكدار

لا تنكرن حنينا ظلت شاهده ... منى اليهم فقد أوضحت اعذارى

ما خلفونى سآمة ولا مللا ... كلا وحاشاهم شىء من العار

لكن ترامت بهم أيدى المطى الى ... خير الورى من بنى عدنان مختار

أسما النبيئين قدراً غير مزدحم ... قدماً به بشرت أخبار أحبار

وأفضل الرسل الشم الذين مضوا ... فى مدد قد خلت قبل وأعصار

هم النجوم وخير الخلق بدرهم ... شتان ما بين أنجم وأقدار

لئن تأخر عنهم بعثه فلقد ... خص قديماً بأسرار واسرار

اكرم به من رسول جاء مبتعثاً ... الى العباد بآيات وأنوار

كم منقذ بعلاه من معاطبه ... لولا هداه تردا من شفا هار

أجل من مرحت به جياد وغى ... لمزبد من بحور الطعن زخار

وخير من قد أقل رحل ناجية ... وأشرف الخلق فى ورد واصدار

هو الملاذ اذا خطب ألم ولا ... يرجا سواه لاوجال وأخطار

هو العتاد لنا فى كل نائبة ... والمستجار به حقاً من النار

اليه مفزع أهل الحشر قاطبة ... عند تفاقم أهوال وأغيار

---

3) خلت .

كم آية أعلنت بصدق بعثته   وكم وكم من براهين وأخبار

أعيى الأعادى ما راموا وما طلبوا   بلا دليل سوى جحد وانكار

ويحهم و . . . . . ق . . . .   وحسبهم من دليل قصة الغار

بذ المعارض من قرب ومن بعد   بما تحدا به من خارق البارى

يا معشر العرب العرباء مالكم   ألستم فى الورى أصحاب أقدار

أما الفصاحة لا تعزا لغيركم   وقد أحطتم بها عون وأبكار

هذا المنزل يتلا بين أظهركم   بكل دار مقام أو بأسفار

يدعوكم لل . . . . . أين السنة   لها العجائب فى نثر وأشعار

عجزتم أو صرفتم عن معارضة   بقدرة من اله الخلق قهار

هذى الخوارق فى حل وفى ظعن   فأين كهانكم أو سحر سحار ؟

تباً لهم ولقوم كذبوا سفها   أوفا الورا ذمة من غير اخفار

يا خير من شد رحل لزيارته   وخير من يممت وفود زوار

صلى عليك الاه ما بدا قمر   بفلك بجميع الشهب دوار

وما سرت نسمات للصبا سحراً   وما شدا الطير فى أغصان أشجار

وما حدا الركب حاديه وما مزجت   يد المقادير احلاء بامرار

بك اعتلاقى يا خير الورا كرما   قد خفت شؤم اساءاتى وأوزارى

فاجعل شفاعتك العظما لنا وزرأ   وملجأ وملاذاً يوم احضار

لا زلت منى مخصوصاً بحسن ثنا   على المدا وباجلالى واكبارى

انى بكم وبآلكم لمغتبط   ومدحهم خير أورادى وأذكارى

قوم على غيرهم بالأحمدين لهم   فخر وأى فخار فى الورا جارى

ذاك رسول وهذا من خلائفه   لله من شرف جم ومقدار

خير الخلائف فى خلق وفى خلق   عديم شبه وأمثال وأنظار

جرى له لقب المنصور منفردا   فالنصر عادته من غير انصار

فخر البنوة . . . . لابـي حسن ... ربـي محتـد افضـال وايثـار

لله أى نجار ارتقى نسبا ... تكل عن وصفه أقلام مكثار

أعلا الملوك وأسماهم وأشرفهم ... جاءت به الصيد أخياراً لأخيار

شاد المعالى لا زالت مدائحه ... تهز من طرب أعطاف سمار

ولا تزال على الأيام متلوة ... سورها فوق أرحل وأكوار

أجل من قد أقام رسم مملكة ... بصارم من سيوف الهند بتار

أذل كل مليك بمهابته ... وأخمد الكل من باغ وثوار

فى السلم سهل وفى يوم الوغا خشن ... فى عسكر من ليوث الغاب جرار

يهتز كالنصل ان دعى لمكرمة ... أو حادث جلل فى الأرض ضرار

بسيفه وبسيبه جرا مثل ... لله من مثل فى الأرض سيار

تسابقت للدخول فى خفارته ... قبائل الناس فى قرا وأمصار

هذى الأقاليم قد دانت لسطوته ... لتأمنن غب اعذار وانذار

مدت اليه رقاباً لمبايعة ... من كل فج وأكناف وأقطار

تعنو الملوك وأبناء الملوك له ... فهم به بين أنياب وأظفار

أرى الليالى والأيام جارية ... بما يريد بداراً دون انظار

فاغمد سيوفك لا تفلل ظباها فقد ... كفتك ما تتقى سيوف أقدار

يا مالكاً طمحت للمجد همته ... رفقاً على فقد أتعبت أشطارى

فان مدحك بحر لا يحاط به ... سيان فى ذاك اقلالى واكثارى

أعيت مفاخرك الغر التى انبسطت ... على البسيطة أعجازى وأصدارى

هذا البسيط جرى شأوا فعن له ... عجز لبحر من الامداح تيار

ان الحديث يمل من تكرره ... وفى مديحك يحلو كل تكرار

وما تشرفكم حقاً قصائدنا ... لكن امداحكم تشريف أشعارى

قلت ولهذا الامام ، شيخ الاسلام ، سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله أشعار كثيرة فى مولانا نصره الله فى المواسم والفتوحات وغير ذلك ، وقفت له على أكثر من عشرين قصيدة ، ولولا الاختصار الذى بنيت عليه هذا التأليف لذكرت جملة منها ، وفيما ذكر كفاية .

ومن القصائد الميلادية قول الكاتب البليغ ، الرئيس الأسنا الأسما ، أبى عبد الله سيدى محمد بن على الفشتالى أدام الله رياسته :

سرا ومنام العاشقين حرام ... نسيم له بين الحجون مقام
وجر ذيولا بالكثيب عليلة ... وفض هناك عن شذاة ختام
وماس قضيب البان وهو كأنما ... تمايل صب أثقلته مدام
وكنت أرجى سلوة بهبوبه ... فزاد فؤاداً نال منه غرام
وأنت خبير بالذى تفعل الصبا ... تلاقى هشيماً حل فيه ضرام
لئن كنت عن عذل العواذل معرضاً ... عروض جموح ما ثناه لجام
وملت الى دوح اللذاذة قاطفاً ... ثمار الأمانى والزمان غلام
فانى ذاك أمس واليوم آخر ... وقد حط عن وجه الصواب لثام
فما لغراب طيتى قد أطاره ... وروعه بعد الهدوء حمام
تسترت فى عصر الشباب بليله ... وغاب الرقيب والعواذل ناموا
وأسلمنى ذاك الدجا لبديله ... نهار المشيب ليس فيه ظلام
ألا ليت شعرى هل لدهرى عطفة ... يطيب شراب بعدها وطعام
أسلى فؤادا طالما عيل صبره ... لـ . . . . أهل الرسول أوام
لمهبط وحى الله والمربع الذى ... يغاديه من عين اليقين سجام
وجر به ذيل الرسالة ضافيا ... وسل لنصر الدين فيه حسام
ولاح بيان المعجزات كأنها ... بدور سماء ما كساها غمام

فمنها انشقـاق البدر والحفل شاهد ومنها لعجماء الوجـود كـــــلام
كبزل وذيب او كضب ومثلــــــه غــزال وجـذع النخل فيه . . . . ام
وحسبك فيض الماء بين أنـامل الـ رسول فأروى الجيش وهـو لهـام
وهذا كتاب الله أعظـم آيـــــة لها فى صدور المشركين سمـــام
فماذا أطيـق والجنـاب معظـــم وسيف لسانـى فى البيـان كهام
أقطب الوجود فى حماك مخيـــم رجائى ، وهل جار النبى يضـام ؟
وأنت الذى لولاه ما هـز ذابـــل ولا شد فى ركب الجهـاد حـرام
ولولاك ما كان الوجود ولا بـــدا كثيف الغمام : صيب وجهـــام
ولا هاج راعى الرعد فيـه وبـرقـه عصا من نظـار والسحـاب سـوام
ولا نسجت أيدى السحـاب مطارفـاً على الأرض فازدهت ربـا وأكـــام
ولا كان فى أمر الخليفـة أحمـــد على الخلـق فرض ليس فيـه خصـام
مقيم مواسـم النبوءة غبطـــــة وليست على غير السداد تقـــام
ومعطى المعالى حقهـا والذى غـدت ربـوع الفخـار له ؟ وهـو أمـــام
حقيق الوراثـة التى عـز نيلهـــا لدعوتـه تقـدم وامــــام
أيالتـه أمـن وظـل عـلى الـــورا مديد ، وفـى أنف العصى زمـــام
تسليت بالفرع الـذى طاب أصلـه فلى فى ذاره خـدمـــة ولـــزام
ألست أمير المـومنـــين . . . . له بمنـاط الفـرقديـن مقـــام ؟
ألست الذى اضحى على الشمس نعله وتبنى له فـوق الـدرارى خيـــام ؟
ألست الـذى . . . . وأرغمـــــت سيوفك أنفـاً كـان فيـه عرام ؟
ألست الذى سـاد الملـوك ولو علت بـآل عـلـى ذروة وسـنــــام ؟
ألست الذى كالشمس مجدك فى الورا شهير وليس بـالجحـود يــــرام
ألست الذى أحيـا الوفـــاء وأقبرت ظباه صروف الدهـــر وهـى عظام ؟
ألست الذى قد صار عدله فى الورا خطيبـاً وعود الحـق فيـه قـــوام

وجردت فى ذات الاله صوارماً ... تصول بها والعاجزون نيام
ضربت بها التثليث للحتف ضربة ... فلم يبق بعد للصليب قيام
وأمطرت وبلا بالمخازن (4) قطره ... بموت الأعادى بندق وسهام
فكم لك فيها من سيول مواكب ... طلعت بها كالبدر فيه تمام
وحولك عقبان الكماة تساقطت ... لبطشتها يوم الأعادى وهام
تزاحم قضبان الوشيج كأنما ... تروم عناق الموت وهو زؤام
عوامل تبدى الفتح بعد خفائه ... وتصحبها عند النواصب لام (5)
ولاح وميض المرهفات كأنه ... وميض نجوم والدياجى قتام
فأبرزت فتحاً دوخ الأرض صيته ... وزين أشتات المعالى نظام
اذا للعدا ألفت عزماً ومرهفاً ... فأن نتيجة القياس حمام (6)
كأنك فى غاب الخلافة ضيغم ... فهل لرعاة البهم فيها مرام
فيمناك مجمع العطايا ومنبع الـ ... ـمنايا فللجنسين فيها زحام
نوالك غيث جلل الأرض صوبه ... وفتح جنا زهر الأمانى كمام
رويدك فافعل ما تراه فاننا ... نرا الدهر شيئاً قد تبناه حام
كسوت بحمراء الحواضر حلة ... تضاءل بغداد لها وشام
فتاهت بها تيه الذى أنت ذخره ... له من حماك حرمة وذمام
عليك أبا العباس من طيبة التى ... بها المصطفا تحية وسلام

ومن ذلك أيضا قول الأديب العلامة البارع المكثر ، أبى عبد الله سيدى محمد بن على بن ياسين الهوزالى ، أبقاه الله ملجأ للعشى والنوابغ ، والحكم البوالغ ، والنعم السوابغ ، فى بعض الموالد الشريفة :

---

4) يشير الشاعر الى الموقف البطولى الذى وقفه ممدوحه السلطان أحمد المنصور السعدى الذهبى بوقيعة وادى المخازن التى جرت يوم الاثنين متم جمادى الأولى عام 986 انظر عن هذه المعركة وما وهب الله فيها المغاربة من نصر كتاب **الاستقصا** 5 : 69 .

5) قف على هذه التورية النحوية التى أجاد فيها (مؤلف) .

6) قف على هذه التورية المنطقية أيضا (مؤلف) .

يا حبذا ريح أتاك نسيمها ... ولديه من أخبارهم مكتومها

أهداه من سلع بريق لامع ... فانصب من نثر الدموع نظيمها

فاجت به نفحات رملة عالج ... بشذا عريب باللوا تخييمها

ينبيك عن مسراه فجر باسم ... بحديث أشواق شواك أليمها

يا ساكناً تلعات جرعاء الحما ... فربا العذيب ظعينها ومقيمها

هل لى الى تلك المرابع (7) عودة ... تشفى شجوناً فى حشاى سمومها

بأبى عشيات هنالك تزدهى ... حسناً ، ويعبق نشرها وشميمها

بيوانع عين سقام جفونها ... سقم الجوانح لا يبل سقيمها

غيد تشب على القلوب غرامها ... حتى يذوب غشاؤها وصميمها

من لى بمن حل العذيب ودونه ... أعلام نجد سهلها وحزونها

ومهامه لو كلفت بسلوكها ... ريح لكل بليلها وسمومها

هل من خوانف مهريات صلب ... أخفافها ولحومها وأديمها

وقف على أسرا السرا ارقالها ... وذميلها وعنيفها ورسيمها

تسم المزورات المجاهل فاغتدت ... بزلا لها ءاكامهن وكومها

حتى نشق الدرب فوق ظهورها ... ويسيل فى بطن المسيل سعومها

وتنيخ بالبطحا فيحطم كل ما ... حطمت عليهن النفوس حطيمها

وتصب فى تلك الجمار مدامعا ... تطفى لظا جحم القلوب جحيمها

وتعرفت عرفاتها وحراؤها ... شوقى وزمزم والصفا ورسومها

وأميط عند المشعرين كليهما ... شعرى وميط عن القلوب همومها

فأكون ممن قد أجاب ولم ين ... لما دعا للبيت ابراهيمها

وارى بروقا موشمات موهنا ... من نحو طيبة لا أزال أشيمها

لاحت فزمت للرحيل رواحل ... يحكى وشيك وميضهن طهيمها

تخوى بنا فى كل مرت صحصح ... والآل يخفضها به ويقيمها

---

7) فى مناهل الصفا : المعالم .

حتى وردن بنا العقيق فراقها — بتلاع هاتيك الربا تنومها
وتنسمت نفحات تربة من به — طابت أباطح طيبة ونسيمها
وتلألأت أنواره فسمت لنا — غرر طوا حجب الضلال نجومها
قبب حوت سر الوجود ومن له — وجدت فراديس العلا ونعيمها
من تنجلي يوم الجزاء بجاهه — عن أوجه الرسل الكرام غمومها
فخليلها ألجا لأحمد قومه — يبغى الجوار ، وروحها وكليمها
من أفصح الحجر الأصم بصدقه — وأجابه ذئب الفلاة وريمها
وسقا وأطعمها كتائب جيشه — صاعاً فأشبع هيمها ونهيمها
والبدر منشق لبعثته كما — خمدت لفارس نارها وضريمها
قسماً بساطع نوره ان حم لي — زور لتربته الكريمة خيمها
لأعفرن جبين وجهي لاثماً — لثرا رسوم لا يمل لثومها
لمعالم جاست خلال ديارها — ءاى ملائكة السماء تسيمها
ءايات وحي أحكمت وأتى بها — مثوى الأمانة روحها وحميمها
ما زال روح الله يعبق عرفه — بحمى مدينته المنيع حريمها
وصلاته أبداً يضاعفها له — حتى القيامة لا يزال يديمها
وأدام تأييداً لوارث مجده — أسنا الخلائف فخرها وعظيمها
ملك نمته دوحة نبوية — وسمت به أقيالها وقرومها
شمسية أحسابها وبهاؤها — بدرية أنسابها وأرومها
سهلية رحبية أخلاقها — جبليه ءاناتها وحلومها
مضرية فهرية مرية — أسنا مناسب خندف وصميمها
أقمار مجد في مطالع سؤدد — كشفت بهم بهم الخطوب وشيمها
أعلام فخر سودت هضباتها — علما نزار قيسها وتميمها
لم تاب سؤددهم أباة ربيعة — بكر وتغلب ذهلها وجشومها

يمن بن قحطان عشت أذواءهـا — أضواء خندف فاستنار بهيمهـا
نسب تهز به قصي عطفهـا — تيهاً وهاشمها كذا مخزومهـا
وتفرع النور المبين محمد — من هاشم أرج الأصول كريمها
ونما لنا المنصور فهو سليله — وأمام أمته فنعم مسيمها
وأتا به المهدى فارع نبعة — ينبوع عذب المكرمات نديمها
تتفيأ الآنام وارف ظلها — وتصوب فيهم بالمواهب ديمها
وافا أبو العباس فانتشرت به — أغصانها وظلالها وغيومها
حتى أعاد لنا خلافة هاشم — موطودة أكنافها ورسومها
مخضرة عرصاتها قد فوفت — تلع المنا صمعاؤها وجميمها
لا زال منه للبرية سائس — يقظان في مهد الأمان ينيمها
وغدت معاصم المواسم تزدهي — بحلا محاسنه ودام يقيمها

ومن ذلك أيضا قول الأديب المؤرخ أبى عبد الله محمد بن يعقوب رحمه الله من قصيدة :

حديث الركب ريحاني وراحي — الى ذكر الحما سكن ارتياحي
أدر لى من حديثهم كؤوسا — ففيها من شفا هذى الجراح
وأطنب فى ادكار عهود ليلى — تعاودها المساء مع الصباح
يحن القلب ان ذكرت مغان — كما حن الشجاع الى الكفاح
سعيت لتبلغ الرضوان منها — وقد وضح الصدود من الرداح

وهى طويلة تركتها اختصارا ، وآخرها :

اذا اقترعت بمحضركم نزار — فحظكم المعلى (8) من قداح

---

8) سابع سهام الميسر .

وما قيل في الموالد النبوية التي احتفل لها هذا الخليفة أيده الله كثير لا يمكن حصره ، وسيأتي ان شاء الله كثير من ذلك في ترجمة الامام ، رئيس الكتاب ، علم الأعلام ، وقدوة أكابر أهل المحابر والأقلام ، أبي فارس ، سيدي عبد العزيز الفشتالي أبقاه الله ، وكذا في ترجمة الكاتب البليغ المجيد، أبي محمد سيدي الحسن بن أحمد المسفيوي أدامه الله ، وكذا في تراجم غيرهم ممن نذكره ان شاء الله .

فاذا فرغ الفقهاء من انشاد قصائدهم أتي بأنواع الطعام التي لم يسمع قط بها ، فاذا قضا الناس أربهم منها رفعت وأتي بغيرها ، ويؤتى في آخر ذلك بالكوامخ (9) ونحوها التي من شأنها ان تستعمل أخيرا . فاذا فرغ منها أتي بصحاف كبيرة يحمل الواحدة منها جماعة كثيرة من الرجال فيها اللوز المقشر بالسكر ، فيأكلون منها أيضاً ، ثم بعد ذلك تنشر على المسمعين (10) فيتناهبونها ، ومولانا نصره الله على أريكة ملكه ، وهم بمرآى منه ومسمع ، فاذا قضوا أربا من ذلك شرع نصره الله في الدعاء والناس يؤمنون على دعائه بنيات صادقة ، ثم ينصرفون وكلهم شاكر آلاءه نصره الله داع له بدوام النصر .

ومن عادته نصره الله في الميلاد النبوي أنه تصنع له شموع (11) أعظم من الأسطوانات يطاف بها في البلد ، ومعها الآلات ، وجميع أهل الحضرة قد جاءوا لينظروا اليها ، وذلك اليوم الذي يطاف بها عيد عظيم عندهم وحق لهم ذلك ، فاذا وصلوا بها الى قصر الخلافة (أدخلوها الى) المشور (12) العلي ، وقد اتخذت لها آلات عظيمة من النحاس المحكم الصنعة ، فتجعل على تلك الآلات ، فترى صعداً في السماء كالمنارة .

---

9) ج كامخ : ادام يؤتدم به ، وخصه بعضهم بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام .

10) المنشدون ، والسماع الغناء والانشاد ، وهو في عرف المغاربة خاص بانشاد المدائح النبوية ، والموشحات الدينية .

11) ما زالت عادة صنع هذه الشموع العظيمة والطواف بها ليلة المولد النبوي – موجودة الى الآن بمدينة سلا .

12) ساحة مجاورة لأحد القصور الملكية (مغربية) .

وفى سابع الميلاد يذهب بتلك الشموع الى ضريح والده أمير المومنين المهدى بالله رضى الله عنه ، فيأتى أيضاً أولئك المسمعون الى هذا الضريح الذى حل به أمير المومنين مولانا المهدى بالله رضى الله عنه ، فيذكـرون هنالـك أيضـاً ، ويحضرهم أولاد مولانا أمير المومنين نصره الله ويحشر الناس الى ذلك ، ثم يدعـو المسمعين نصره الله ليلا الى قصره مع خواصه ، فاذا فرغوا مما هم بصدده ، نثرت عليهم الفضة فيتناهبونها بين يديه نصره الله ، فمنهم من ينهب ما يكون فيه غناء ، وبعد ذلك يذهبون الى الدور التى أعدت لهم ، هذا كله والجرايات السلطانيـة تعمهم كلهم ، ثم يأمر نصره الله لكل واحد منهم بكسا وجوائز ، كل على قـدره ، فيذهبون وكلهم راض . أخبرنى بعضهم أنه قد ينوب الواحد منهم من ذلك الأربعة آلاف ونحوها ، هكذا فعله نصره الله فى الميلاد النبوى ، فالله تعالى يجعل الملك فيه وفى عقبه أبديا ، آمين ، وبالله تعالى التوفيق .

ومن مآثره نصره الله التى اختص بها ولم يشارك فيها اكرامه للفقهاء ، لاسيما الوافدين على مقامه من البلاد الشاسعة ، فتعم جميعهم آلاؤه الواسعـة ، ولذلك تجدهم قد وفدوا عليه من أقاصى الارض كالشام والعراق ومصر والحجاز وغيرها ، ومن غريب ذلك أنه اجتمع يوماً بين يديه نصره الله ثلاثة أعلام ، كل واحد من أهل المدن الثلاث التى تشد اليها الرحال ، أحدهم من مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، والآخر من مكة زادها الله تشريفا ، والثالث خليلى من بيت المقدس يقال له امام الدين ، فألقى فى خاطر الخليلى المذكور ما اتفق من اجتماعهم فـى حضرة مولانا نصره الله ، فأنشأ بيتين فى الحال وقام على قدميه وأنشدهما أميـر المومنين نصره الله وهما :

ان أميـر المؤمنـين أحمـد ... بحـر الندا وفضلـه لا يجحـد
فمكـة وطيبة أهلهمـا ... والمسجد الأقصا بذاك شهـدوا

فلما بلغ قوله : فمكة وطيبة أشار الى كل من صاحبيه ، ولما بلغ قوله والمسجد الأقصى أشار الى نفسه ، ثم قال : نصرك الله ، لم يتفق مثل هذا لملك قصدت ايالته قبلك ؟ فتبسم لذلك أبقاه الله وأجزل لهم فى العطاء ، ولله در المتنبى :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الاجسام

واحد هؤلاء الثلاثة هو الشريف أبو الفضل بن محمد العقاد من أهل مكة ، كان أديباً فاضلا ناظماً فكاهة ، فمن شعره رحمة الله عليه :

لا وفرع كدجا الليل غسق وجبين ضوءه ضوء الفلق
ومحيا كلف البدر به وخديد من حواليه شفق
ما أرى الغزلان الا سرقت منه جيداً والتفاتا وحدق
ثم خافت فتولت شردا كيف لا يشرد خوفا من سرق

وقد مدح أمير المومنين ايده الله بموشحة عجيبة عارض بها موشحة ابن الخطيب وابن سهل ، وهى :

ليت شعرى هل أروى ذا الظما من لما ذاك الشنيب (13) الألعس
وترى عيناى ربات الحما باهيات بقدود ميس

* * * *

يدخلون السقم من دار اللوا كلم الهجر فؤادى وأسر
هد من ركن اصطبارى والقوى مبدلا أجفان عينى بالسهر
حين عز الوصل عن وادى طوا هملت عينى بدمع كالمطر

* * * *

13) فى نزهة الحادى (115) : النغير .

فعساكـــم أن تجـودوا كرمـــــا   بلقـاكم فـى سـواد الحنـــدس
وتداووا قلب صـب مغـرمـــــا   من جراحات العيون النعـــس

* * * *

كلمـــا جـن ظـلام الغســـــق   هزنى الشـوق اليكـــم شغـفـــا
واعترانى من جفـاكم قلقـــــى   مذ تذكرت جيـــاداً والصفـــا (14)
وتناهت لوعتـى مـن حـرقـــى   ثم زاد الوجد فى التلفــــــا

* * * *

فانعموا لى ثـم جودوا بـمـــــا   يطفى نيـــران الجـوا والقبس القبس
ساعـة لى من رضاكـم مغنمـــا   وتـداوى جثتـى مـع نفسـى

* * * *

كنت قبل الآن (15) فى زهـو وتيـه   مـع أحبابى بسلـــع (16) ألعـب
ومعى ظبـى بـاحـدى وجنتيـــه   مشرق الشمس وأخـرى مـغرب
فرمانـى بسهـام مـن يديـــــه   ضارب البيـن فقلبـى متعـب

* * * *

لست أرجـو للقـاكـم سلمـــا   غير مدحـى للامـــام الأقـدس
أحمد المحمـود حقـاً من سمـــا   الكريـم ابن الكريـم الكيـــس

وله فى مولانا نصره الله موشحات غير هذه .

واما الأديب المدنى فمن قوله :

عللانـى عن الحجـاز بـذكـــرى   ان قلبـى اليـه بالاشـــواق
مـا تمثلتـه بفـكـــرى الا   صرت أمشى هنـاك بالأحـداق

---

14) مكانان بمكة .
15) فى **نزهة الحادى** : اليوم .
16) مكان بمكة .

وأما القدسى فهو الفقيه امام الدين ابن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطائحى الخليلى الخزرجى الشافعى الأشعرى . أخبر عن نفسه قال : جلت في الأقاليم فما رأيت من تسمى بهذا الاسم أعنى امام الدين غير رجل بصعيد مصر فى الصدر الأول .... وكان ذا نوادر وطرف ، له فى مولانا أمير المومنين نصره الله أمداح كثيرة ، وفى أولاد مولانا نصره الله أيضاً ، فمن ذلك ما خاطب به أمير المومنين مولانا نصره الله عند وداعه اياه :

أسير عنك ولى فى كل جارحة ... فم يحدث عن احسانكم عجبا
لا نلت قصدى اذا ما كان فى أملى ... أكون فى خدمة المنصور ان رغبا
قال رضى بى فيا فخرى ويا شرفى ... وان أبا الملك المنصور واحربا

فوقع له نصره الله : رغبناك وأردناك ورضيناك !

ولامام الدين أيضاً :

يا قومنا شدوا الرحال وأدلجوا ... وارجوا اماماً لا يشق غباره
هذا أبو العباس طود علمه ... ان لم تروه فهذه آثاره

وله أيضاً فى أحد أولاد مولانا الخليفة نصره الله نصراً مؤزراً :

ازجر مطيك واسرعن يا حادى ... حتى تحل بساحة الأولاد
لولا بنون لوى الحشاشة بعدهم ... للزمتهم عمرى بهذا النادى
أهلى بارض القدس ينتظروننى ... قد مسهم ألم النوا ببعادى
لى طفلة كلف الفؤاد بحبها ... وتشتتت لفراقها أكبادى
لهفى عليها ما أمر فراقها ... والله انى قد فقدت جلادى
يا دهر مالك هكذا أقصيتنى ... أبعدتنى عن جيرتى وبلادى

يا دهر ما أقساك ما قلبى كـــــذا رفقا فقـد واصلتنـى بسهـــــادى
هــلا رحمت لحالتى ولغـــربتـــى أو ما ترا دمعـى كـــواد غــاد
فسقى الخليل معـاهد صوب الحيـا حتـى يعـم ثغـوره والبـــادى

ومنهـــا :

بعـد وشـوق وفـــراق احبـــــة فكأنما كانت عـلى ميعـــــاد

ومنهـــا :

والله ان لـم تنتـهـــى أو تـرعـوى فلأشكـونك لـلامـام الهــــادى

ومنهـــا :

جست الأراضى واختبـرت ملـوكهـا ولقيت من فيهـا مـن الأمجـــاد
ما شاهدت عينـاى مثلك فى الـورا تتبين الأشيـاء بالأضــــداد
بل جودكـم عم الأنـــام وقدركـم أربـــا على المامـون فى بغـــداد

وهى طويلة ، وله غيرها مما لا يحصا كثرة رحمه الله بمنه .

ولما تقرر عند أعيان البلاد الشرقية حب مولانا نصره الله فى العلمـاء ، وبره بهم ، واجزاله عطاياهم ، نسلوا اليه من كل حدب ، ومن لم يمكنه الاتيان خدمه نصره الله بالتآليف ، فألف تاريخ دولته نصره الله جماعة من أكابر علماء القسطنطينية العظمى ، وكذا جماعة من أعلام مصر وغيرها مما لا يحصا عدده .

قلت : ومما ينخرط في سلك هذا المعنى حكاية ها أنا ذاكرها مع ان فيها شيئاً من المزاح ، لأن ذلك سنة الفضلاء فى بعض الاحيان ، رأيتهـا بخـط الامامين الشهيرين الكبيرين ، مفتى الحضرة المراكشية سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى ، وقاضى الحضرة الفاسية أبى مالك سيدى عبد الواحد الحميدى ، نصها وهى بخط المفتى على صورة سؤال :

الحمد لله وحده

سيدى أعزكم الله ، جوابكم فى . . . . على رجلين اشتركا فى الاسم ، كل منهما يسمى عبد الواحد ، أحدهما قاضى الجماعة ، والآخر فى العلم مزجى البضاعة ، ولم يزل مولانا المنصور أيده الله يدر عليهما الأرزاق ، ويولى كليهما وجوه الارتفاق ، ثم ان ليلة من الليالى أرخت السماء عزالها بالطل والوابل، فلم يتمكن اعمال الرجلين أقدامهما الى المضرب المولوى ، فوجه نصره الله الحرس والخدم بالطعام الى من عادته نصره الله نداؤه من الرجلين وغيرهما ، فسمع عبد الواحد ، مزجى البضاعة النداء بعبد الواحد ، فأجاب ، فاذا الحرس والخدمة يحملون كذا من أنواع الأطعمة الملوكية ، فأخذه منهم وهو يعلم ويغلب على ظنه أن المراد بذلك انما هو عبد الواحد قاضى الجماعة ، فأخذه وأكله ، هل يلزمه غرم ويكون متعديا بهذا أم لا ؟

انتهى سؤال السيد المفتى المذكور .

ووجدت اثره بخط قاضى الجماعة مجيباً عن السؤال ما نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

الجواب والله الموفق للصواب : ان كان الأمر كما ذكر فهاذه نازلة عظيمة ، وكان الأليق بمثل هذا السيد العالم أن لا يزل به القدم فى مثل هذه ، وان يتثبت ولا يدخل جوفه من الطعام الا ما علم وجهه وحليته ، لاسيما والمبعوث اليه رجل غريب ، شيخ كبير ، وذلك الطعام الذى بعث مولانا به هو حياته ، وبه حركاته ، والجواب بعد الوقوع والنزول أن المبعوث اليه والمتعدى كل منهما مملوك لمولى غنى ، وقد تقرر فى مذهب امامنا مالك رضى الله عنه أن العبد اذا تعدا وثبت تعديه فان كان ذلك مما يرجع الى بدن العبد كما اذا أمر بقتل أو قطع أو ما أشبه ذلك

فـان العبـد يـو . . . . وان كان ما تعدا فيه مما يرجع الى المال كنازلتنـا هـذه فالغرم على المولا الغنى ، فخرج لنا من هذه الفتوا قياس من الشكل الأول ، وهو أن يقال فيه : المتعدى مملوك ، وكل مملوك يغرم عنه سيده ما أتلفه مـن المـال ، فالنتيجة : أن المتعدى يغرم عنه سيده ما أتلفه العبد من المال . الصغرى : وهو ان المتعدى والمتعدى عليه مملوكان مسألة لانزاع فيها ، ودليل الكبرى وهو أن السيد يغرم ما أتلفه عبده ما نص عليه مالك فى (المدونة) وتبعه على ذلك المختصرون ، مثل ابن الحاجب وخليل وغيرهما ، واذا سلمت الصغرى والكبرى فالنتيجة حق ، هذا اذا وقفنا مع النص ، والا فالذى يقتضيه النظر ، ويجمع عليه كل ذى عقل ، أن المولى نصره الله يغرم عن عبده لعبده الطعام المذكور ثلاثة أيام متوالية ، مضمومـا الى ذلك كذا مع كذا وكذا ، وهذا النظر يوافق عليه أبـو حنيفـة رضى الله عنه ، والحاصل ان هذه النتيجة التى أوجبها الاشتراك فى الاسم للنظر فيهـا مجـال ، واقتصرنا على ما ذكر خشية الاطالة والسلام .

وكتب عبد السلطان نصره الله : عبد الواحد بن أحمد الحميدى لطف الله به

انتهى ما وقفت عليه من خط الامامين المذكورين وفى كلامهما تعيين الطعام المذكور الا انى لم اذكره خشية الاطالة .

وأخبرت أنه لما اطلع نصره الله على هذا الجواب أجاز كلا من الامامين بمـا يليق بقدره ، فهذا ما فعله نصره الله مع الفقهاء ، ولو تتبعت ما بلغوا فى زمانه من العلو والرفعة واجراء المرتبات العظيمة لخرجت عن الاختصار ، وفيما ذكر كفاية ، جعل الله الملك فيه وفى عقبه أبدياً لا الى غاية ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

ومن مآثره نصره الله السنية، ومفاخره العلوية النبوية، بناء القناطر والمساجد، حسبما ظهر ذلك للغائب والشاهد ، وها أنا ذاكر طرفاً مما رأيت من ذلك ، فمن ذلك بناء المسجد العظيم بحارة ياسر من حضرتهم المراكشية ، عهدى به قد قارب

اتمامه ، أخبرت أنه أراد أن يجعل به مدرسة وحمامات وغيرها محيطة بالمسجد المذكور ، أعانه الله على اكماله ، وبلغه غاية آماله .

ومن مآثره نصره الله بناء القبة العظيمة على الخصة (17) بصحن جامع القرويين عمره الله بذكره ، وقد رأيت هذه القبة وقد أكملت صنعتها الى الغاية ، وجعل على خارجها وداخلها الذهب الأحمر ، فهي عبرة لمن اعتبر ، وجعل مكان خصتها القديمة خصة عظيمة سيق رخامها من بلاد افرانسا بناها في سنة 996 ، وفي ذلك قال شيخنا الامام العلامة القاضي أبو العباس أحمد بن القاضي المكناسي أدام الله وجوده مما يكتب داخل القبة المذكورة المزركشة بأنواع الألوان والنقوش والمقربس وغير ذلك من أنواع الصناعات هذه الابيات مضمنة التاريخ :

كهف الملوك أبو العباس أنشأني (18) بحر المكارم من معد بن عدنان
عين السلاطين من أبناء فاطمة انسان عين غدا في عين انسان
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها ومن علاه سنام المجد أوطاني
من جاء يشكو الظما يوماً وقبلني أغناه ما قد هما من صوب أجفاني
لا تنكرن وجود الدمع من فرح فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئاً من السلسال لاحرج معين دمع جرا من بيض خلجان
فخر الخلائف والأقيال من مضر أشاع صيتي في أطراف عمان
وقد جرت مقلتي حكت سحائبها كف الخليفة من أبناء زيدان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما ما هيجت عاشقا ورق بأفنان
أنشأني زمن التاريخ وافقه (للدين) والاجر بحر الجود أجراني

17) الفسقية في وسطها نافورة .

18) في نزهة الحادي : امام دين الهدى المنصور شيدني .

فالتاريخ هو (للدين) ، والحرف المضعف من حرفين ، وتحسب فى الدين لام الجر ولام التعريف .

وكتب فى خارجها الاديب الكاتب البليغ الحسيب الماجد أبو العباس أحمد بن محمد الغرديس التغلبي هذه الابيات :

حسن سنـا منظـرى يستوقف النظرا — وفائق الصنع منى طـرز الطـررا
حباب ماء من الدر النثير غـدا — وصوب وردى من ذوب اللجيـن جرا
لا ينثنى راشف ثغـرى من ظمـا — الا ويحمد منى الـورد والصـدرا
من أم قربى بفـرض أو بنـافلـة — يجد معينى معينـاً للطهـور سرا
ابن نبى الهـدى المنصـور أبدعنـى — من فيض نعماه ما بين الورى انتشـرا
فعـال بره لا يحصـا تعـددهـا — وخبـر آثـاره يصـدق الـخبـرا

ورأيت القطعتين معاً مكتوبتين بها ، تلك من داخلها ، وهذه من خارجها .

ومن آثاره نصره الله الخزانة العليا التى صنعت بازاء المحراب عن يساره بجامع القرويين عمره الله بذكره ، تركتهم مشتغلين بسقفها وحبس عليها نصره الله من غرائب الكتب ما لم يسمع بمثله قط ، وقد أشهد نصره الله بتحبيس الكتب ، وحيزت كما يجب ، أبقاه الله وشمس ايالته لا تحتجب .

ومنها بناء القناطر المتعددة كقنطرة تانسيفت ، كنت بمراكش حين ذهب السيل بنحو الأربعة أقواس منها ، فبناها نصره الله احتساباً ، وكذا قنطرة وادى ام الربيع السفلى ، وكنت أيضاً هنالك حين ذهب بها السيل ، فأخبرنى الثقات أنه قد بناها فى هذه السنة ، وكذا قنطرة (بين المدن) بمحروسة فاس بناها أيضاً فى هذه السنة ، وأخبرت أيضاً أنه مشتغل هذه الايام ببناء القنطرة العظيمة التى على وادى سبو ، وهى من مفاخر والده مولانا أمير المومنين المهدى بالله رضى الله

عنه ، وهى قنطرة لا نظير لها عظماً ، وأخبرت أيضاً أنه نصره الله أمر لهذا التاريخ ببناء أسوار مدينة فاس صانها الله .

ومنهما بناء السدين العظيمين بوادى بوطوبة (19) وقد أنفق عليهما نصره الله أموالا كثيرة، كنت اذذاك بفاس حين بعث نصره الله لبناء السد الأعظم منهما قائده الفقيه الأيسنى ، الماجد السرى النحرير ، صاحب القريحة الوقادة ، سيدى ابراهيم بن محمد الايسى أبقاه الله وحرس علاءه ، وشكر عنى أياديه وآلاءه ، فهو الواسطة بينى وبين مولانا أمير المومنين نصره الله ، كنت حينئذ بفاس ، فلما فرغ من بناء السد ذهب بى فى صحبته الى الحضرة المراكشية ، وأدخلنى الى أمير المومنين ، فيالله من نعمة حصلت على يديه قد عظمت وجلت ، ومشاهدة لحضرة الامامة انماعت لها صروف الدهر واضمحلت ، نسأل الله سبحانه أن ييسر على العود الى حضرة هذا الخليفة الميمون النقيبة ، فأحوز حينئذ من المجد معلاه ورقيبه ، آمين .

قلت : ولما فرغ هذا القائد من أمر هذا السد أشار على فقهاء الحضرة الفاسية باختراع قطع فى مدح مولانا نصره الله فأجابوا مسرعين ، فمن ذلك قول شيخنا الامام ، أبى العباس سيدى أحمد ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى حفظ الله مكانته .

وجب الثنا للقاطنين بفاس	شكراً لمولانا أبى العباس
اذ سد سداً من سديد صنيعه	كم مسجد أحيا وكم أغراس
كم منزل بالحال أضحى منشداً :	الملك أصبح ثابت الآساس
اذ ساسه مولى الملوك وتاجهم	نجل النبى الطاهر الأنفاس
لما تأسس جاء فى تاريخه	سد مرى ؟ ما به من باس

19) هو أعلا وادى بوخرارب عند مدخله لفاس من باب الجديد ، ولا يزال السد موجوداً الى الآن على حالته التى بناه عليها أبو العباس المنصور ، وهو واقع عن يسار الذاهب الى باب فتوح قريباً من معمل الكهرباء (مكينة الضوء) .

وقال في ذلك الاديب البارع المكثر ، الفقيه سيدى محمد بن علي الوجدى :

اذا قصر الأملاك عن دفع معضل — وجلب صلاح ، وانطوى العزم والرشد
فللملك المنصور حزم ونجده — يفل بها عضب الخطوب التى تبدو
امام له في المعلوات مآثر — مسلسلة عالى أسانيدها المجد
رواها عطاء عن مجاهد كفه — وصحت عن السيد الذى ماله ند
وحين طغا ياجوج ماء على الثرا — ولم يستطع ردع لذاك ولا رد
أقمت له السد الحصين وشدته — فطاب لفاس بعد ما ظمئت ورد
جزاك اله العرش نصراً مؤبدا — وملكاً عريضاً لا يرام له حد
ومذ تم بنه الرصف قلت مؤرخا — بسد متين لا يطاق له هد

وقال فيه أيضا جماعة من الاعلام حسبما ياتى في تراجمهم ، كالامام الماهر المجيد ، الحجة السرى الشهير الكبير ، سيدى أبى القاسم الوزير الغساني ، والفقيه النحوى سيدى علي بن الزبير السجلماسي ، وكالفقيه الاصيل سيدى محمد بن رضوان البخارى .

قلت : وكلفت حينئذ أن أفعل كفعل هؤلاء الاعلام ، فقلت وان كنت في ذلك مزجى البضاعة :

سعد الزمان بدولة المنصور — وغدا الورا في غبطة وسرور
فخر الخلائف من ذؤابة هاشم — سبط الرسول فحسب كل فخور
أنشا وأتقن من ذؤابة هاشم — قصرت مرين عنه أى قصور
هذا وكم أبدا مآثر شادها — ضربت بها الأمثال في المعمور
لا زالت الأيام طوع يمينه — والنصر يخدمه ممر دهور

وأما مصانع مولانا الملوكية فلا يخفى أنها أزرت بالرصافة والزهراء ، ولم يوجد مثلها لملك على وجه الغبراء ، خجل منها الخورنق والسدير وغمدان ، وحجت

كعبتها المحاسن القاصى منها والدان ، كالمسرة التى أنشأها نصره الله بحصرتهم العلية المراكشية .

قلت زرتها فى أواسط رمضان المعظم من عام تسعة وألف ، فرأيت العجب العجاب . أخبرنى الثقات الذين لا أمترى فى أخبارهم أن عدد ما اشتملت عليه من أشجار النارنج ستة عشر الفا ، فاذا كان هذا العدد نارنجا فما بالك بغيره ، وبها صهريج عظيم لا نظير له عظماً ، وعليه مبانى مونقة ، وقد تركت هذا الخليفة أيده الله شرع فى بناء مدينة عظيمة بازاء هذا الصهريج ، وقد قال فى وصفها الكتاب والفقهاء فأجادوا ، وكذا وقع لمولانا نصره الله فى نظمه كثير من التورية بها على ما ياتى فى نظمه نصره الله .

ورأيت فى المسرة للأديب الكاتب السيد محمد بن يوسف التاملى . . . الله ـما نصه :

اجتمعت بعض العشيات مع بعض الأصحاب ، ممن له أدب منساب ، على ضفة صهريج المسرة ، نتعاطى على ذلك البحر ، كؤوس الخمر ، أيام كلفى بالمعاقرة . وأجلنا جياد الالسنة فى ميدان المذاكرة ، من حكايات ظريفة ، الى أبيات لطيفة ، ومقاطيع منيفة ، ثم أفضا بنا القول الى ذكر متنزهات الدنيا على ما ذكـره أهـل الادب ، وتلك المناظر التى تسر وتطرب : شعب بوان ليس له فى الحسن ثان ، ونهر الأبلة والغوطة وحدائقها البسيطة ، والنيل ، الذى ليس له فى النضارة من مثيل ، فتناشدنا ما قيل فى ذلك من الابيات، وشربنا على ذكر هذه المنازه كاسات، فقال بعض الحاضرين من الفاسيين : ما فى زيادة وادى فاس ، على هذه الاربعة من باس ، فقلت : وأنا عندى المسرة ، التى يود لوحل فى نهرها نهر المجرة ، وتتمنـى الفراقد ، أن تتمشى فى بسائطها مشى الـ ...... قد ، ويشتهى سرطان ...... حوت بروجها ، السباحة فى بركتها وصهريجها ، أفضل من النيل ، وربا نهرها على الأبلة

وشنيل ، واتضح فضل نضارتها وبان ، وزاد على الغوطة وشعب بوان ، هيهات ، أين المسرة من هذه المنتزهات ؟ فقال بعض الحاضرين لقد حكمت عقلك ، وخالفت مر . . . . وأفرطت فى الاوصاف ، وما كنا نعتاد منك هذا الانصاف ، لكن ان قويت دعواك بشعرك ، ورجحتها ببنات فكرك ، ملنا الى دعواك ، وأعرضنا عن قول سواك، فقلت ارتجالا :

انا المسرة لا شيء يشاكلني — يـ . . . . من حل بى من لاعج الكرب

. . . . — الى السرور مع اللذات والطرب

. . . . — . . . . الحسن نفسى كل ذى ادب

دع الابلة وا . . . . ـول مادحها — وذكر غوطتها والنيل وا . . . . نب

قيو . . . . . بيـن . . . . . رقا . . . . . — وبـ . . . . . . اليوم شيء غ . . . . . رب

. . . . . مفوفة بالزهر . . . . — . . . . والنهر فيها . . . . . شطب

. . . . . بحر حلق با . . . . — . . . .

ومنها البديع الذى يضرب به المثل الآن فى مشارق الارض ومغاربها ، ونالت منه العناية المولوية أسنا مآربها ، وهو ساكن به الآن نصره الله ، أخبرنى جم غفير ممن شاهده بغرائب لا يمكن وصفها ، وبه منزه مشرف ساما منارة الكتبيين التى يضرب بها المثل فى الدنيا ، وبالبديع البستان الشهير الذى أنشأه مولانا نصره الله ، ويسمى المشتها ، وقد أكثر أعلام حضرته فى وصف البديع والمشتها فأجادوا الى الغاية ، وسيأتى كثير من ذلك فى ترجمة الامام وزير الكتاب أبى فارس الفشتالى وفى ترجمة غيره ان شاء الله تعالى .

ومما يستجاد فى ذلك قول الامام الحجة شيخ الاسلام أبى مالك سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله فى البديع المذكور :

أجـل اللواحظ فى رقـوم لبـــاسى ... فلها به حرس من الأحـــــراس
فمتى نظـرت فـان طرفـك مـورد ... للقلب أعـذب من رحيـق الكـاس
ومتى ضجـرت فـان عنـدى شأو ما ... قد شئت مـن طـرب ومـن ايناس
ومتى تنافست القبـاب فانـنـــى ... ببدائـع الفـردوس كـان قيـاسى
او ما رأيت النهـر تحتـى جـاريـاً ... والـدوح يعبـق من حنـايـا آس
وحصـاى در فـى بسـاط زبرجـد ... والسقف حـال باللجيـن وكـاس
ساميت فرقـدى السمـاء وكللـت ... بزواهـر الاكليـل قنـة راسـى
فلئـن ربيت عـلى القصـور وفقتهـا ... طـراً فمخترعـى أبو العبـاس
ملك تقـاصرت الملـوك بأسرهـا ... عن شأوه من بعـد فـرط ايـاس
وتسابقـوا متفيئيـن لظلـه ... مستمطرين لجـوده البجـاس
من كل قطر وافديـن وفـدفـد ... متبايـن الأوصـاف والأجناس
والعجـم من أقصـا البـلاد عنت لـه ... فزعين فى الآجـام والأخيـاس
فأتت تخوض البحـر من قسطينـة ... وتشـق كل ثنيـة ووهـاس
والروم جاءت رسلهـا مـن رومـة ... متخوفين لبطشـه والبـاس
أفلا أطاول للثريـا أذنهـا ... والبهـو منى كاشـف الأغـلاس
لا زلت أكشف منـه ليث عرينـة ... بين الجـآذر من ظبـاء كنـاس

وللكاتب البليغ المجيد الناظم الناثر الرئيس الاجل ، أبى عبد الله محمد بن علي الفشتالى ، أدام الله وجوده ، هذه القصيدة الفريدة الحائية ، قالها لتكتب فى القبة الخمسينية (20) من البديع المذكور وهى هذه :

20) أخبرنى مـ ... الشيخ سيدى عبد الله ... ومـ ... بن الحسن المعلم ... أن سبب تسمية هذه القبة بالخمسينية أنه أنفق على بنائها خمسون قنطاراً (مؤلف) .

الى حيث أطناب المعالى فساح ... وزند الأمانى ليس فيه شحاح
ومرمى نفوس الاكرمين وملتقا ... حجيج العفاة والورود مباح
ومجمع أشتات الجلال الذى به ... مناخ الورا والمجد فيه صراح
فحث المطايا واقطعن مهامها ... عراض النواحى ليس فيها قداح
الى أن تحل من جنابى بجنة ... يطيب مقيل عندها ورواح
تجد روضة غناء باكرها الحيا ... تقابل فيها نرجس وأقاح
وصفف آذريون فيها كؤوسه ... تثلم بعض والبواقى صحاح
كان بياض الياسمين بسحرة الـ ... ـرياض ظلام بان منه صباح
كان احمرار الورد خد عقيلة ... علاها الحيا ان حط عنه وشاح
كان البنفسج النضير خمائل ... تقلدها بين الوفود سلاح
كان جداول المعين صفائح ... تسل ، وقضب الروض فيها مراح
كان خرير الماء فى عرصاتها ... شخير عتاق جدلتها رماح
كان الطيور والغصون منابر ... أئمة وعظ للقلوب فصاح
ولكنها تدعو الى كل نزهة ... تريك وجوه اللهو وهى صباح
فما الحسن الا ما حوته بدائعى ... وصيد الفلاة فى فراه متاح
فلو قابلتنى فى الظلام نواظر المـ ... ـجوس لخروا ساجدين وصاحوا
يظنون أنى الشمس والراى ما رأوا ... فكيف يعاب قولهم ويزاح
وانى لكعبة المحاسن كلها ... وليس على فى العموم جناح
فما الشعب والزهراء والصنعة التى ... بصنعاء ؟ تلك فخرهن مزاح
فهذا البديع قد تناهى نضارة ... وعندى المعلا اذ تجال قداح
فكم غادة حسناء ماست كأنها ... قضيب رياض صافحته رياح
اذا ما تبدت يفضح البدر حسنها ... لها فى بسيطى متغدا ومراح
وشكلى لانتاج المحاسن سورة ... لكل قضايا السعد فيه نجاح

ففخري بمن دان الملوك لقهره … وزفت له العلياء وهي رداح
امام يهاب الموت حد حسامه … ويفنى العدا فما يقيها سلاح
وحسبك من وادى المخازن اذ طمت … بحار الردا والخيل فيها جماح
فكان به كالصقر ينقض ظافراً … تساعد منه مخلب وجناح
له حالتا سيف وسيب كأنما … تجمع في يمناه سم وراح
هو الملك المنصور ، لا زال عدله … تروا به الغبرا رباً وبطاح
ولا زال ملك المسلمين يصونه … بحوز حماه ساتر ووجاح

ومما قيل في مدح الامام نصره الله وفيه ذكر البديع أيضا هذه الموشحة لبعض أعلام الحضرة الامامية زادها الله سمواً ولم يحضرني الآن اسمه وهي :

واخجلتا للصباح … والشمس اذ لاح جوذر
ساق يدير الكؤوسا … تضيء خمراً وتزهر

* * * *

تقادمت في الدنان … من عهد نوح تروق
في لونها البرهان … تدار فينا وتعبق
قد أطلقت من عنان … من عن صبوح يرقق

* * * *

يسعا بها من ملاح … من كان باللحظ يسكر
بالحسن يصبي الجليسا … ويستخف الموقر

* * * *

يثير كامن وجد … في قلب كل سقيم
يسطو علينا بقد … يزرى بغصن قويم
أشقى بعشقي وودى … في جنة من نعيم

* * * *

من ذى الوجــوه الصبــاح يا شا ذ نــا غــن واذكــــر
وهــات لحنــا نفيســـ نــرويــه عنــك ونــأثــر

* * * *

فى مدح من ساد طفــلا هــذى البــرايــا وفــاقــا
من حاز مجـداً وفضـــلا بيــن الأنــام وفــاقــا
فــى عدلــه قــال قــولا يســرى فيعــدو العــراقــا

* * * *

فــى أحمد ذى السمــاح فى الشــرق والغــرب ينصــر
أحيــى الــهــدى والنفــوســا وذ ل ملــة قيصـــر

* * * * .

تــراه سلمــا وحــربــا من رأيه فى جنـــود
يختــال قــدراً لاعجبـــاً من عـــزه فـــى بـــرود
يحــوى المعــالى كسبــاً ويقتنيهــا بجـــود

* * * *

فخــار أهــل البطــاح وعــز مــن قــد تمضـــر
ثناه . . . . . . الطروســا عن صــورة المجـد عبـــر

* * * *

بــدر عــلا فى البديـــع منـــازلا كالــــدر ارى
فيـالــه مــن صنيــع الــروض والمــاء جــارى
فــقــل بــصــوت رفيــع اذ بــان فـجــر الــنــهــار

* * * *

أهــدى نــســيــم الــصــبــاح . . . كــا نسـيــمــا وعنــبــر
بحــ . . . . خــنــد ريســا فــى خــد ساقــيــهــا تــعــصــر

انتهت الموشحة

الى غير ذلك مما قيل فيه ان تتبعناه خرجنا عن حد الاطالة ، وقد حاز في ذلك قصب السبق رئيس الكتاب أبو فارس الفشتالى أسماه الله حسبما يأتي في ترجمته ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق .

أما الفتوحات التى أربى فيها على غيره من أسلافه وغيرهم فمن ذلك فتحه صقعي توات (2I) وتيجورارين (22) حسبما ذلك مشهور فأغنى ذلك عن شرحه ، وهنىء أيضاً نصره الله فى ذلك بقصائد متعددة سيأتى بعضها ان شاء الله .

ومن ذلك قول (أبى عبد الله محمد بن على الهوزالى 23) :

جرت بمناك الدهر ملء عنانها	مساعدة الأيام فى عنفوانها
ولاحت لنا من أفق يمناك غرة	بلوغ مدا ءامالنا فى ضمانها
بشائر تاتينا ولاء كأنها	لطائم مسك أخرجت من صوانها
فتوح جنا المنصور فى عرصاتها	أزاهر نصر يانع من غضانها
ولا روض الا من كثيف كتائب	ولا سقى الا ما جرا من طعانها

2I) اقليم مغربى واقع فى الجنوب الشرقى للملكة المغربية جنوبى اقليم فجيج ، واهم واحاته واقع على نهر وادى الساورة وسائرها واقع فى شرقه ، وتسقى هذه الواحات من مياه تستنبط من باطن الارض ، ويزرع فيها مختلف انواع الحبوب والخضر وينتج نخلها تمراً جيداً يسد احتياجات السكان المحليين ، ويصدر ما زاد منه على حاجتهم الى الشمال .

وقد قام أبو العباس أحمد المنصور السعدى بتنظيم شؤونه الادارية بعد الانحلال الذى أصابها منذ دب الضعف الى الدولة المرينية ، فبعث لهذه الغاية سنة 990 قائديه ابا عبد الله محمد بن بركة ، وأبا العباس احمد بن الحداد العمرى المعقلى فى جيش كثيف ، قطع اليه القفر من مراكش وانتهى اليه بعد سبعين مرحلة ، فنازلا ثواره وافتتحا قراه وأمصاره ، وأعادا أهله الى الطاعة والنظام ، فعم الفرح سكان المغرب باجتماع الشمل وتوحيد البلاد ، وهنأ الشعراء السلطان بالقصائد الغر الطوال على ذلك . وظل اقليم توات مثلما كان من قبل جزءا من التراب الوطنى للملكة المغربية الى ان احتلت فرنسا الجزائر ، فتشوف ولاتها الاستعماريون الى الاستيلاء على ذلك الاقليم لعزل باقى المغرب عن طرابلس والسودان ، ولم تزل تغتصبه جزءاً جزءاً حتى احتلته جميعه فى أول هذا القرن وضمته الى المقاطعات الصحراوية الجنوبية التى كانت تديرها الولاية العامة الفرنسية بالجزائر. وقد احتج سلاطين المغرب وحكوماته المتعاقبة – فى حينه – على الاعتداءات الفرنسية ، وأيدتهم الدول فى موقفهم ولا سيما الدولة الانجليزية ، وفى خزانة الكتب السلطانية عدد عديد من الوثائق القومية والدولية التى تثبت اعتداءات فرنسا وحق المغرب فى ذلك الاقليم ، والمؤمل أن يصل المغرب مع شقيقته الدولة الجزائرية الجديدة الى حل مرض لهذه المشكلة ويصفيا هذه التركة الاستعمارية بالتى هى أحسن لخير البلدين .

22) كلمة بربرية عربت الآن بكورارة ، وهى اسم لمنطقة فسيحة واقعة فى شمال اقليم توات بين العرق الغربى ، وهضبة تدمايت ووادى الساورة ، ففيها تقع واحات تبلكوزة ، وطلمين ، وشروين ، وأولاد سعيد ، وتيميمون ، ووكروت ، والخنافسة ، ودلدل ، وقصور كرارة التى تقع فى وسطها .

23) ما بين القوسين من **مناهل الصفا** ، ولم يذكر المؤلف اسم الناظم .

ولا غصن الا من قناة قويمة ... ولا زهر الا من شباة سنانها

كتائب منصورية قذفت بها ... مرام نأت عن أرضها ومكانها

تهيج بها الارواح حتى تخالها ... تناغى عزيف الجن فى دورانها

طويت بساط أرضها بقنابل ... سنابكها أطوالها من بنانها

سحائب من مراكش قد أثارها ... صبا النصر يحدوها حدا كتعانها

يؤم بها الصحراء يرتاد أمة ... سدا أنفت آنافها من عرانها

فكم ملك قد رامها فتصعبت ... عليه ولجت فى مجون حرانها

فلما همت تلك السحائب فوقها ... أفاقت وهبت من كرا هيمانها

فألقت مقاليد الأمور الى الذى ... نضا العز عنها فارتدت بهوانها

الى الملك الشهم الذى لقحت به ... لقاح الحروب بكرها وعوانها

الى ابن البتول المجتبى من نجارها ... وفرع العلا المعتام من خيرانها

الى ابن الهدا وابن الندا وردا العدا ... وفخر بنى ابن المصطفا وهجانها

بنى الحسن السبط الذكى الذى خبت ... به فتن الاسلام فى هيجانها

وفاءت الى الالف القلوب التى غدت ... بمستعر الأضغان فى غليانها

هديت أبا العباس فينا كهديه ... فكم فتنة كشفت ليل عثانها

وأطفيتها بالسيف لا السلم بعدما ... تصدع شمل الدين من شنآنها

وكم وكفت من كف يمناك ديمة ... ففاضت شعاب العرف من هطلانها

فلا زالت الأقطار تعطى قيادها ... لسيفك من سوس الى خرسانها

اليك أمير المؤمنين قلادة ... تروق بأفق الملك زهر جمانها

مفصلة أقطارها بيواقت ... نحور المعالى تزدهى بازديانها

فرائد من أوصافك الغر صغتها ... لتنشر فى الازمان فضل زمانها

تكاد قلوب السامعين اذا انتشوا ... بها تخرق الأحشاء من خفقانها

لئن هجر الجد الخون . . . . بما أحكم الحجاب من رسفانها

ف . . . المنصور بالله انها ... تحوز خصال السبق يوم رهانها

وان فاخر البدر الذكاء بسبقه ... فأين ضياء البدر من لمعانها ؟

وأما فتحه لبلاد السودان فلم يسمع قط أن ملكاً أبيض وطأها جيوشه غيره ، ملك منها قواعد عظيمة كتنبكتو وجنى وجاغو وغيرها ، أخبر أنه ملك منها نصره الله مسافة شهرين ، وكنت يوماً بمحلته نصره فاذا بعير قد قدمت منها ، نحو العشرين منها موقرة تبراً ، وباقيها بسائر الطرف التى لا توجد الا بتلك البلاد ، وكان فتحها فى احدى الجمادين من سنة تسع وتسعين وتسعمئة على يد فتاه جؤذر ، وقد قال فى ذلك الفقهاء من النظم والنثر ما لا مطمح وراءه ، وسيأتى فى ترجمة الكاتب العلم أبى فارس الفشتالى ، والكاتب أبى محمد الحسن المسفيوى طرف من ذلك ان شاء الله .

ومما أنشدنى لنفسه فى ذلك شيخنا الامام العلم القاضى الأجل ، أبو العباس بن أبى العافية ، أبقاه الله قال : قمت بها بين يدى أمير المومنين نصره الله، فقرأها عنى شيخنا الزمورى (24) رحمه الله :

حمداً من المسك المفتق أعطر	عن غرة النصر المبارك يسفر
يا أيها المنصور أبشر بالمنى	النصر حقاً من لوائك ينشر
عقدت يمين النصر منكم سنجقاً (25)	فبذاك أهل الأرض طراً تقهر
هكذا كذا فتح البلاد اذا سمت	همم الملوك الى المآثر يذكر
جند رمت نحو الجنوب خيامها	فارتج مصر والعراق وزنرر
قطعت رؤوس المعتدين سيوفهم	من ما ت منهم فى الحـ . . ا . . ر يقبر
قادوا من الأبطال كل غضنفر	أسد هصور فى الكريهة أكشر
ملئت بهم عين الزمان وقلبه	واسود وجه الكفر فهو الأغبر
أيها الجنوب فان جندك لم يدع	شخصاً بها ينوى الشقاق فيعذر
أجليتهم منها وجسمك قد ثوا	مراكشاً ، هذا لعمرك أكبر
تركوا لك الأوطان دون منازع	تالله ان الترك موت أحمر
لا زلت بالسيف المهند بانياً	شرفاً به نحن الموالى نفخر !

24) الفقيه الأديب العالم أبو العباس احمد بن على الزمورى المتوفى بفاس فى رجب عام 1001 . ظ ترجمته فى نشر المثانى 1 : 19 .

25) راية ، لواء ، والكلمة تركية .

وأنشدني أيضا لنفسه في ذلك مطلع قصيدة نذكر بعضها ان شاء الله في ترجمته :

بشراك بالفتح المبين المتاح قطفته تحت القنا والصفاح

وقد خرجنا عن حد الاختصار ، فان فتوحات هذا المولى أيده الله كثيرة فالأولى على ما ذكرنا الاقتصار ، وبالله تعالى التوفيق .

ومن مآثر هذا المولى أيده الله زيارة الأولياء الذين ترجى بركاتهم ، خرج الى أغمات لزيارتهم سنة 996 وسيأتي في الباب بعد هذا ما قيل في ذلك ، نسأل الله سبحانه أن يديم سلطانه ، وينجد أنصاره وأعوانه ، آمين .

الباب الثالث

في أشياخه ، وما وقع له نصره الله من النظم ، وذكر تآليفه وما يتصل بذلك

لا خفاء أن لهذا المولى أيده الله قدماً راسخاً في أنواع العلوم ، من معرفة الشعر والتاريخ والمنطق والبيان والأصلين والفقه واللغة والتفسير والحديث والسير وعلوم الحديث والحساب والهيأة والهندسة والنحو ، وغير ذلك .

أخذ أيده الله عن الامام العلامة أوحد عصره في علمي المعقول والمنقول ، أبي العباس سيدى احمد المنجور (26) ما اشتملت عليه فهرسته التي عد فيها مقروءاته أيده الله عليه .

وأخذ النحو عن أبي العباس أحمد بن قاسم القدومي الأندلسي(27) ، وقد وقع الاصفاق من أهل عصره أعني القدومي أنه لا يجارا في علم النحو ، ولخزانة مولانا أمير المومنين نصره الله ألف كتاب **(الهادي في حل مقفلات المرادي)** في أربعة أسفار

---

26) أحمد بن علي بن عبد الرحمان المنجور المولود عام 926 والمتوفى بفاس في 16 ذي القعدة عام 995 ظ ترجمته في **درة الحجال** I : 84 أما الفهرسة التي أجاز بها أبا العباس المنصور الاجازة العامة فقد أتم تاليفها عام 989 وهي موجودة بالخزانة السلطانية .

27) أحمد بن قاسم بن علي القدومي الأندلسي توفي بفاس في شعبان عام 992 ودفن خارج باب الفتوح . ظ ترجمته في **درة الحجال** I : 83 أما كتابه **(الهادي ، في حل مقفلات المرادي)** الذي ألفه للمنصور الذهبي فيوجد بالخزانة السلطانية .

وأخذ نصره الله ايضاً النحو والتفسير عن القاضي أبي مالك عبد الواحد الحميدي (28) رحمه الله

وأخذ نصره الله الحديث عن أبي النعيم ولي الله سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي(29)، وأجاز له عن سقين، عن زكرياء والقلقشندي عن ابن حجر ، وقد رأيت اجازته له على النسخة الرائقة التي أنشأها نصره الله من صحيح البخاري وقد تقدم ذكرها .

وقرأ كتاب الله العظيم على معلم أولاد الملوك بالدولتين الفقيه الاستاذ أبي عبد الله محمد الدرعي (30) وعن الفقيه القاضي سليمان بن ابراهيم .

وأخذ رسالة الامام ابن أبي زيد عن الفقيه أبي عمران موسى السوسي ، وكذا مختصر الشيخ خليل بن اسحاق .

وأخذ الرسالة أيضاً عن أبي فارس عبد العزيز بن ابراهيم الدمناتي .

وقرأ مقدمة ابن آجروم ، وألفية ابن مالك ، ولامية الأفعال له على أبي عبد الله محمد الحارثي .

وأخذ المعاني والبيان والأصلين والمنطق والفقه والتفسير على أبي العباس أحمد بن علي بن عبد الله المنجور ، وعلم الحساب .

وفتح الله عليه أيده الله في فهم كتاب أوقليدس من غير شيخ لعزة وجوده في المغرب ، أخبرني شيخنا الامام ، أبو العباس أحمد بن أبي العافية ، معتق ايالته نصره الله ، وكان يتناول معه كتاب أوقليدس قال : رأيت من قوة ادراكه نصره الله ما لا يمكن وصفه ، قال لي الشيخ المذكور : ربما تكون هنالك أشكال صعبة فأريد ايضاحها فيسبقني الى ذلك وأصير مستفيدا لا مستفاداً منه (عقول الملوك ملوك العقول) . وأخبرني الشيخ المذكور أنه نصره الله كان يفك شكلا من أشكاله في

28) الامام العلامة قاضي فاس أبو محمد عبد الواحد بن احمد الحميدي ولد عام 930 وتوفي عشية السبت 18 ربيع الثاني عام 1003 بفاس ظ ترجمته في نشر المثاني 1 : 27 .

29) رضوان بن عبد الله الجنوي الولي الصالح المحدث المكثر الراوية ، ولد بفاس عام 910 وتوفي بها عام 991 ظ ترجمته في درة الحجال 1 : 147 .

30) لعله محمد بن علي الدرعي المترجم في دوحة الناشر ص 69 .

كل يوم مع سعة ملكه الى أنا عليه ، وأخبرني الشيخ العلامة الماهر ، سيدى أبو القاسم الوزير حفظه الله - ولهذا الشيخ أبقاه الله ملكة فى علم الطب مع المشاركة فى غيره - قال : رأيت من ادراك هذا الخليفة أيده الله فى علم الطب ما لم أر لغيره قط ، وكذا أخبرت أنه كان يورد فى مجلس البخارى اشكالات صعبة يصعب الانفكاك عنها. واذا أورد غيره اشكاله أجاب عنه سريعا (طرق الجد غير طرق المزاح)!

وأما نظمه نصره الله فالغاية العليا ، وستقف من ذلك على ما يسحر الألباب ، والملوك لا تأتى بالكثير من النظم ، وانما تأتى بالقدر الذى يدل على سلامة طبعها فقط .

فمما ألفى بخطه أيده الله ما نصه : من أوليات شعرى ما قلته فى وردة مقلوبة بين يدى محبوب .

وودرة شفعت لى عند مرتهنى — راقت وقد سجدت لفاتر الحدق
كأن خضرتها من فوق حمرتها — خال على خده من عنبر عبق

ثم قال أيده الله : ومن يعلم ذلك الخال العنبرى الذى يوضع على الخدود يعلم عظم هذا التشبيه .

وله أيضاً نصره الله من التورية وهو من أولياته :

شاذن ثم عليه نفحه — ما خلاصى من سهام كامنه ؟
أحلال فيه أنى خائف — وغزالى بعد خوفى آمنه

وقال نصره الله وسدده فى وصف رقيب ملازم :

رقيبى كان الأرض مرآة شخصه — فأين تولى الطرف منى يراه
مقيم بوجه الوصل حتى كأنما — وصالى هلال والسواد صداه

وقال نصره الله أعلامه ، وعمر بالفتوحات لياليه وأيامه ، ويغنى به فى رمل المايـة :

أيا روضـة ضنت على بـزهـرهـا ولـم يتلـق نـاظـراى سنـاك
أبيحـى لنفسـى من شذاك بقاءهـا اذا فت طرفى عل أنفـى يـراك

وقال أيده الله وهذا مأخوذ من قول الشريف الرضى رحمه الله :

عارضا بى ركب الحجاز وسلـه فمتى عهده بأكنـاف جمـع
واستمـلا حديث مـن سكـن الخيـف ولا تكتبـاه الا بـدمـع
فاتنـى أن أرى الديـار بـطـرفـى فلعلـى أرى الديـار بسمعـى

وهو أخذ من بشار قوله :

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهـم الأذن كالعيـن توفـى القلب ما كانـا

وأنت اذا تأملت هذا وجدتنى أقنـع بالقليـل من الرضى وبشار ، وذلك أن من يحدثهما يصف لكل منهما حبيبه ، وأين هو ؟ وباى حالة تركه ؟ فيتعلل بذلك ، وربما شفا بذلك غليله ، وقد قيل :

. . . . يكفى المحب من الحبيب قليـل
وينوب عن شخـص الحبيب خيـالـه ان لـم يكنـه فانـه تمثيـل

وما قنعت أنا به لا يغنى فتيلا ، وربما ألهب غليلا ، وما هو الا كمـا قـال الأرجـانـى :

سال الصـدى عنه وأصغـى للصدى كى ما يقول فقـال مثل مقـالـه
ناداه أين ترى محط رحـالـه ؟ فأجاب أين ترى محـط رحـالـه ؟

وقد علمت أن الشم انما يحصل بواسطة تكييف الهواء المتصل بالخيشوم بتكييف الرائحـة، لا بطريق نقل الرائحة من ذى الرائحـة الى الهـواء لامتنـاع انتقال الأعراض .

وقولى أبيحى لنفسى بقاءها التى هى الرائحة ولا بقاء لها بغيره ليس كفول الرضى ولا تكتباه الا بدمع .

انتهى كلامه نصره الله .

وقال أيضاً أدام الله كلمته العالية ، وعمر بالفتوح أيامه ولياليه :

على جدول غطت عليه بشعرها — ليلا يرى الشمس الرقيبة لى طرف

فبت أرى فى جدولى بدر وجهها — غريقاً ونقطات العبير به كلف

وقال أيده الله :

طرقت حماه والأسود خوادر — به فتولى فى الظبا وهو يبعد

فعلمت آساد الشرى كيف تقدم — وعلم غزلان النقا كيف تشرد

وقد خمسها الامام القاضى العلم ابو . . . . بن عمرا . . . . حسبما يأتى فى ترجمته .

وله أيده الله من الجناس المركب ويغنى به فى الحسين :

لما نأى المحبوب رق لى الدجا — وأتى يعللنى برعى كواكبه

أولى غراب البين ودك يا حشا — والبين مزنى الصباح كواك به

وقد ذيلهما القائد الأجل أبو الحسن الشيظمى حسبما يأتى فى ترجمته ، كما عارضهما أحمد بن عبد السلام . . . . . . سنى المصرى .

. . . . — . . . . ويحل سواك به

يا ظبيا ..... بالمنحا من أضلعى — رفقاً به من ذا الذى أغراك به ؟

يا نار شوقى فى حشاشته اخمدى — من بـ أذكاك أو أوراك به

. . . . — كبهيم جنح قد أضل براكبه

فمتى نرى شمس الوصال تبرجت — فى ظل ناد ظل لى مشواك به

وقال أيضاً نصره الله من طريق التعمية فى اسم نسيم :

يا هلالا طلـوعـه بيـــن جفنـــــــى وغزالا كنـــاسه بيــن جنبـــــــى
ان سهمـاً رميت غادر همـــــــــاً لو تناهـى ما شك آخـــــر قلبـــى

قال أيده الله : فقولى ان سهماً تنصيص ، وغادرهما اسقاط ، وهـو اشـارة لاسقاط هماً من هذا الاسم . وقولى لو تناهى انتقاد ، والانتقاد هو اشارة الى بعض أجزاء الكلمة ليؤخذ جزء الاسم المطلوب كأن يذكر الوجه والصدر والتاج والصافى والرأس ويريد به الحرف الاول من الكلمة ، أو يذكر القلب والجـوف والحشا والخصر ويريد به الوسط ، أو يذكر الآخر والمنتهى والختام ويريد آخر الكلمـة ، فقولى لو تناهى معناه أنه أخذ لفظة هم غير متناه فبقيت الميم من هم ، وقولى ما شك آخر قلبي انتقاد أيضا ، وأردت بآخر قلبى الياء ويسمى أيضا التسمية ، وهو أن تذكر الاسم وتريد المسمى ، أو تذكر المسمى وتريد الاسم ، وقد تم الاسم .

واعلم أنهم لم يشترطوا فى استخراج الكلمـة بطريـق التعمية حصـولهـا بحركاتها وسكناتها ، بل اكتفوا بحصول الكلمة من غير ملاحظة هيأتها الخاصة فاذا وقع ذلك فمن المحسنات ، ويسمى العمل التذييلى .

انتهى كلامه أيده الله على البيتين .

وقال أيضاً أدامه الله فى حصن من النصر حصين ، وملكه من سوس الأقصا الى الصين ، فى اسم غزال ، وقد جمع فيه تعميتين ولغزاً :

وأملـد مطوى الحشـا زال ردفـــه فلا خصر الا ان تصـورتـه وهمــــا
بنصف اسمه يرمى القلوب وعكس ما بقى أبـداً اذن الحبيب بـه صمــــا

قال أيده الله : فقولى أملد أردت به بعمل الترادف غصن مطوى الحشا انتقادا، وزال ردفه قضيت بـه غـرضين أزلت به النون بعمـل الاسقاط الباقى من غصن بعد طى الصاد التى بوسطه ، وأثبتته بموضعه بعمل الانتقاد ، وأوضحت ذلك بقولى فلا خصر وأن كنت لا أحتاج اليه ليلا يكون فى البيت شىء خارج عن التعمية .

انتهى تفسيره نصره الله .

قلت : فتأمل هذه القريحة الوقادة ، التى أضحت جميع الأغراض لها منقادة ، واعجب لهذا الغوص الذى غاص هذا الامام ، فوالله ما رأيت مثل هذا قط لملك أو سوقة ولو أوتى بالبراعة فى زمام ، ويعنى نصره الله بقوله ، بنصف اسمه يرمى القلوب غز . . . . . غـوال ، ويعنـى بقوله : عكس ما بقـى اذن المحب بـه صماء . . . . ما بقى وهوال .

وقال نصره الله فى اسم سلاف على منهج ما تقدم أيضاً :

وأحـور وسنـان الجفون كأنـمــا	سقى لحظه من ريـق فيـه بقـرقـف
نضا صارماً لافــل صارم لحظــه	تـزايد منـه منذ سـل تــلاه ف

قال أبقاه الله تعالى وأنجده : فقولى تلاه ف من طريق التعمية ، وفى العمل التذييلى وهو أن يأتى بالكلمة بحركاتها وسكناتها وهو من المحسنات كما سبق .

وقال نصره الله أيضاً فى اسم آمنة من التعمية أيضاً :

من شقـائى قنصته وهـو خشـف	لم أقل ف أن قلت فات فهمـت
أملـد منه مذ تحلـل خصـر	وتثنـى عن حبـه ما عـدلـت

قال أيده الله : فقولى أملد أردت الألف بعمل التشبيه ، وتحلـل خـصر منه انتقاد ، أردت بالخصر وسط لفظة منه ، وتحلله أن ينحل السكون الذى على النون،

وقولى : وتثنى أى الألف من التثنية لا التثنى ، فتم الاسم بحركاته وعدده .

انتهى تفسيره أيده الله بمنه

وقال أيده الله بمنه : ولهما حكاية ، وذلك لأنه كان أيده الله لابساً منصورية من الملف الذى يقال له قلب حجر ، والمنصورية نوع من اللباس معروف استخرجه نصره الله ولم يسبق اليه ، فلذلك أضيف اليه فقيل له منصورية ، كما استخرج أيضا نصره الله أنواعاً غير اللباس أضيفت اليه أيضاً حسبما ذلك مشهور هذين البيتين :

وصفوا اشتياقى للحبيب وسرهم	قول الحبيب أنا أنا فيه
قلبى له حجر ، فقلت مغالطا	للعاذل المؤذى أنا فيه

قال أيده الله : وفى هذين البيتين عدة من المحسنات غير التعمية ، منها جناس التورية المسما عندهم بالجناس الملفق، وحده أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين، وهذا هو الفرق بينه وبين المركب، وقل من فرق بينهما، ومنها الانسجام، ومنها الاستخدام ، وعهدى بالفقيه على بن منصور الشيطمى تعرض الى شرحها بكراسة ، والتعمية فى هذين البيتين بالعد الحسابى وهو كثير ، الا أن هذا العمل أحسبنى أبا عذرته اذ لم أره لغيرى ، ومادة التعمية فيه أنا أنا فيه ، قلبى له حجر ، فقولى أنا فيه اضرب أنا فى هـ وقولى فى هـ نص فى الضرب ، ويخرج من هذا 260 عدد حروف هيمانى وحقك ، وقولى : قلبى له حجر بعمل القلب يصير رجح فصار المجموع هيمانى وحقك يرجح ، وفيه التورية وهيمانى وحقك الخارج من هذا الضرب فيه تهكم بالواشى ، فهو من المحسنات أيضا أعنى قوله وحقك ، وتصلح أن تسمى هذه التعمية بالافتنان ، لأن الافتنان عندهم أن يفتن الشاعر فيأتى بفنين متضادين من فنون الشعر فى بيت واحد ، وهذا وقع التضاد فيه فى كلمة واحدة ،

فظاهر أنا أنا فيه يضاد هيمانى وحقك يرجع الذى يخرج بطريق الحساب فافهمه ، ويمكن استخراج تعمية أخرى من قولى للحاسد أنا فيه .

انتهى تفسيره أيده الله للبيتين .

وقوله نصره الله : الا أن هذا العمل أحسبنى أبا عذرته صدق نصره الله ، ولم نقف على مثله لاحد أصلا ، وهذا العمل والله أعلم لا يمكن أن يؤتى بمثلـه ، فهـو كالمعجز فى نوعه ، فاعجب لانقياده لهذا الخليفة أيده الله وطوعه ، قوله نصره الله ومنها الاستخدام يعنى فى قوله أنا فيه ، أى فى قلب حجر كما دلت عليه الحكاية وهذا معنى آخر . . . . لقوله أنا فيه ، وقد علم أن حقيقته الاستخدام وهذا هو الموجود فى كلام المولى نصره الله ، والاستخدام عند أهل البيان أن يكون اللفظ نه معنيان ، فيراد به أحد المعنيين ، وبضميره المعنى الآخر ، وهذا هو الموجود فـى كلام المولى نصره الله ، وللاستخدام نوع آخر ، وهو أن يكونا معاً ضميرين حسبما ذلك مذكور فى موضعه ، وحق لامام اهتدى فكره الى مثل هذا المعنى أن يكـون بالخلافة جديراً ، نسأل المولى العظيم أن يزعجنا فى هذه الايام الى حضرته لمشاهدة تلك المآثر النبوية ، انه كان ولم يزل قديراً .

ومن له فى صناعة النظم أدنى ذوق يدرك ما ذكرناه ، ولكن كما قيل فى المثل، شب عمرو عن الطوق .

وقال أيده الله : ومن الأبيات المثلثة قولى وقد قطفت وردة من روض المسرة فى زمن النرجس :

وافـى بهـا البستـان صنـوك وردة	يقـضى بهـا لمـا مطلت وعـــودا
أهدى البهـار محاجـراً وأتـى بهــا	فى وقتـــه كيمـا تكـون خـــدودا
فبعثتهـا مرتـادة بنسيمهـــــــــا	تثنى من الروض النضيـر قـــدودا

وله أيده الله من الأبيات المثلثة أيضاً :

لى حبيب ياتى بكـــل غـريـــــــب	فهـو عنـدى منكـــر ومعـــــرف

لست أشكو لصيرفى ونحوى ... انه لى نحا وفى تصرف
فعله فى لازم متعد ... ومزيد مجرد ومضعف

وله أيده الله من الأبيات المربعة :

لا وطرف علم السيف فقد ... فى قوام كقا الخط نهد
ووميض لاح لما بسمت ... فأرتنا منه دراً أوبرد
ما هلال الأفق الا حاسد ... منك حسناً وعلاء وغيد
ولذا عاش قليلا ناحلا ... كيف لا يفنى نحولا من حسد ؟

وقد ضمن امام الدين الخليلى الوافد على مقام أمير المومنين نصره الله وقد تقدم ذكره هذا البيت الذى قبل الاخير فقال :

قسماً بالبيت والركن الذى ... طاب حجاً واستلاماً للابد
ما هلال الأفق الا حاسد ... منه حسنا وعلاء وغيد

قلت : ولما قال مولانا أمير المومنين هذه الابيات تنافس كتابه نصره الله وقواده وغيرهم فى هذا المعنى حسبما وقفت على كلام جماعة منهم فى ذلك ، وقد تقدم ما قال فى ذلك الشريف المكى الوافد على أبوابه العلية ، ومن ذلك أيضاً قول الكاتب الأجل القائد أحمد بن يحيى الهوزالى رحمه الله :

لا وصدغ كدجا الليل اكتنف ... وشفوظ الخد كواو قد عطف
وجبين أطلع البدر على ... غصن بان ما عليه من كلف
وغزال غزل الحسن بها ... رقة الخصر وعب المرتدف
ما برا الأقمار الا طلعة ... وسنا ثغر بها لما خطف
فتوخت دوراناً ولها ... من نزوع وولوع وشغف

ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر نظم أمير المومنين نصره الله :

قال أيده الله وخلد ذكره من مقطوع .

من عنبر الشحرام أم من مسك دارين ؟	بلى ، ومنه نسيمات الرياحـــــين
مهفهف ان تثنــا قلت مقتـــضــب	من قضب نعمان أو من كتب يبريــن
ذنبــى اليــه ولا ذنب محبتــــــه	من أجلهــا بسهــام اللحــظ يرمينــى
يا ما أميلحـــه ظلمـــاً رضيت بـــه	لــو أنه دام منــه كـــان يكفينـــى
معذبــى قد حرمت النــوم بعدكـــم	فانعــم بوصل هنــى غيــر مفتـــون
ومض على ورد ذاك الخد بــرق فـــم	يعــوض الخــد من ورد بنسريــــن

وقال نصره الله أيضا من الأبيات المربعة :

تخالفت منه عينــاه الى سبـــــب	كـــان اتفاقهمـــا بـــه عـــلى عطـــب
فحدقة العــين تقصينــــى وتويئسنى	واللحظ يطمعنــى فيــه ويسخر بــى
أشكو نهاى وشوقى كيف يفترقـــا	فى أمــره وكلا ذا زاد فى تعبـــــى
فان أطـــع ذاك من لى فاتنى أربـــى	أو طعت هذا فمن لى فاتنــى حسبـــى

قوله نصره الله : كيف يفترقا فيه حذف النون من غيــر جــازم ولا ناصــب ، وذلك جائز عند بعض العرب كما نص عليه ابن مالك فى شرح الكافية وغيره ، قلت وانما نبهت على هذا لأنى رأيت بخط رجل من أهل مراكش يقال له ابن يعقوب الأديب على هذا المحل : انظر كيف حذف النون أمير المومنين مــن غير موجب مــع رسوخ قدمه فى علم العربية هـ . ولم يعلم هذا المسكين أن ذلك جائز كما أشرنا اليه، وأن أمير المومنين نصره الله مصيب وهو مصاب .

وقد وقفت على تذييل جماعة من أهل حضرة مولانا نصره الله لهذه القطعة ، فمن ذلك قول الرئيس العلم ، وزير القلم ، أبى فارس الفشتالى أبقاه الله :

فنرجس . . . ـرمى بالذبـــول الــى	قاضى الهــوا فى انتهاز فرصة الادب

وسجل الحكم فيه شاهـدان لـه : ورد الخدود وبـرد الثغر والشنب
حتى أتيت خطيب العقـل لقنـنـي من القضايا نقيض الحكم والسبب
فصح لى ولسان الحال ينشدنـي ان طعت هذا فمن لى فاتنى حسبـي

ومن الأبيـات المزدوجة قولـه نصره الله :

هذا الحفيد الذى وافى عـلى قـدر أقر عينى ولكن زاد فى فكـرى
بشارة لو تلقـى مثلهـا حجـر لبـان تأثيرها فى ذلك الحجـر

وذيلهما أيضا جماعة من أعلام حضرته نصره الله ، فمن ذلك قول . . . . . .

طوالع السعد لاحت وهـى شـاهـدة بمـا يفيد دليـل العـز والظفـر
وأن دولة منصـور اللـواء لهـا حكـم البسيطة بين الناب والظفـر

وقوله أيضاً :

بشـارة رفعت للمجـد قبتـه وآيـة تليت بـألسـن البشـر
فهى تشير اشارة الحفيـد الـى طى بـرود الصبـا بـراحـة النظـر

وقال نصره الله من الأبيات المزدوجة أيضاً :

أقام بقلب فى هـواه مقلـب وأنى له بيـن الضلـوع مقـام ؟
فيا شاذنـاً يرعى الحشا أنت بالحشا أما لمحـل أنت فيـه ذمـام ؟

وقال نصره الله يخاطب كاتب أسراره أبا فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالى.

يـاكـاتـبـاً اذا كـتـب يغرس روضـاً ذا فـنـن
ان جـوابـى لـلـذى يشكـو دنـاه اردد حـزن

وقال أدام الله نصره ، وأولاه معونته ويسره ، من المزدوجة أيضا وفيه تورية :

بستـان حسنك أينعـت زهـراتـه ولكـم نهيت القلب عنه فما انتهـى

وقوام غصنك بالمسرة ينثني   يا حسنه رمانة للمشتهي

وقعت التورية فى كلامه نصره الله بالبديع والمسرة والمشتهى ، وهذه الثلاثة من مآثره الملوكية التى لم يخترع مثلها ، وقد تقدم ذكرها .

وقال نصره الله وفيه تورية :

ان يوماً لناظر من قد تبدا   فتملا من حسنه تكحيلا
قال جفني لصنوه لا تلاقي   ان بيني وبين لقياك ميلا

وقعت التورية بقوله نصره الله ان بيني وبين لقياك ميلا ، فالميل له معنيان ، أحدهما قريب وهو الميل الذى تقدر به الأسفار ، وهو المورى به ، والآخر بعيد وهو المرود ، وهو المورى عنه ، وقد خمس هذين البيتين الامام العلامة الحجة الاستاذ النحوى الحافظ ، سيدى أحمد بن على الزمورى رحمه الله فقال :

ورقيب يردد اللحظ ردا   ليس يرضى سوى ازديادي بعدا
ساءه الطرف مذ جنا الخد وردا   ان يوماً لناظرى قد تبدا
فتملا من حسنه تكحيلا

وتصدى من فحشه فى استباق   يمنع اللحظ من جنا واعتناق
أيأس العين من لحاظ ائتلاق   قال جفني لصنوه لا تلاقي
ان بيني وبين لقياك ميلا

وقال أيده الله فى نهر المسرة ، وقد تعددت فيه التورية :

نهر المسرة ان تسل   منه الرحيق الأطيب
الطير فيها تنتقل   والغصن فيها يشرب

فقوله نصره الله : منه الرحيق الأطيب ، يحتمل معنيين قريب وبعيد ، وكذا

قوله الطير فيها تنتقل يحتمل معنيين أيضاً كونه من النقل وهو طعام الشراب، أو من الانتقال وهو الحركة ، وكذا والغصن فيها يشرب يحتمل الحقيقة، ويحتمل التشبيه وان تأملتهما وجدت فيهما غير ما ذكرنا .

وقال أيضا زاده الله شرفاً الى شرفه ، وبوأه من النصر أعلا غرفه هذين البيتين ولهما حكاية تأتي بعد انشادهما :

لقد أتى صارما صقيلا ولم يرث ذاك من بعيد
شديد بأس متى يعادى وشدة البأس فى الحديد

وسببهما أن ابن الأثير الامام المشهور ، ألف كتاباً فى علم البيان سماه **(المثل السائر)** فانتقده الشيخ ابن أبى الحديد بكتاب سماه **(الفلك الدائر ، على المثل السائر)** ، فألف امام ثالث لا أدرى من هو الآن فى الانتقاد على ابن أبى الحديد والانتصار لابن الأثير كتاباً سماه **(طى الفلك الدائر)** وأنشد راداً على ابن أبى الحديد:

لقد أتى باردا ثقيلا ولم يرث ذاك من بعيد
فهو كما قد علمت شيء أشهر ما كان فى الحديد

ولما وقف أمير المومنين نصره الله على هذين البيتين انتصر لابن أبى الحديد ، وقال البيتين المتقدمين ردا على هذا ، ومن له أدنى ذوق عرف بون ما بينهما .

وقال نصره الله فى فن التورية ، وقد صنع له تمر مدبر بغير نوا على ما اخبرت به :

لله تمر طيب وافا على البشرى انطوا
يا حسنه مجتمعاً يحلو لنا بلا نوا

وقال فى معنى هذين البيتين الامام العلم ، الكاتب الرئيس ، أبو فارس الفشتالى أبقاه الله :

أكرم به تمراً حوى طيباً على النشر طوى ؟
أهدى الهنا لأنه تمر أتى بلا نوا

وفى ذلك أيضاً قال الكاتب المجيد أبو محمد الحسن المسفيوى أعلاه الله :

يا حسن تمر جال فى ماء نعيم وارتوى
فاعجب له قد بان عنه الفه بلا نوا

وقال فى معناهما الفقيه المتفنن أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى أبقاه الله :

ناهيك من تمر علا طعماً وطيباً وروا
أكرم به كأنما أخلاق موليه حوا
تواصلت أهواؤه حتى تحاماه النوا

وقال نصره الله فى اسم قمر بطريق التعمية وفيه الاكتفاء بالتورية :

معذبى أعجزنى نيله من لى بمن مسكنه فى السما
لم أنس اذ قال ألا تكتفنى قلت بمن بالطرف قلبى رما

يعنى نصره الله بقوله : بالطرف قلبى رما أنك اذا قلبت لفظه قمر خرج رمق ، فاذا اكتفيت أى حذفت الحرف الآخر يبقى رم ، وانما زاده الألف فقال رمى لاطلاق القافية ، والمعنى الآخر القريب ظاهر ، قلت لم أقف على مثل هذا العمل فى الاكتفاء بالنورية على هذه الهيأة التى فعل هذا الامام أيده الله ، فيمكن أن يعد هذا من مخترعاته ، انما غاية المتقدمين أن يحدوا الاكتفاء بأنه حذف بعض الكلمة كقول الصفى الحلى فى بديعته .

قالوا ألم تدروا ان الحب غايته سلب الخواطر والألباب قلت لم

أى لم أدر ، ثم ان المتأخرين لم يعدوه من المحسنات الا اذا اشتمل على تورية كقول الامام ابن نباتة :

بنفسى أمـر النـاس نأيـاً وجفـوة | وأملحهـم دلا وأحسنـهـم شكــلا
يقولون فى الأحلام يـوجد شكلـه | فقلت ومن ذا بعده يجـد الأحـلا (م)

وكقول فخر الدين بن مكانس وهو من بديع ماقيل فى ذلك :

لله ظبى زارنـى فـى الدجـا | مستوفـزا ممتطيـا للخـطـر
فلـم يـقـم الا بمقـدار أن | قلت لـه أهـلا وسهـلا ومـر (حبا)

وقال الامام الدمامينى فى ذلك مقطعات منها قوله :

شقائق النعمـان ألهـو بـهـا | ان غـاب من أهـوا وعـز اللقـا
فالخد فى القـرب نعيمـى وان | غـاب فانـى اكتفـى بالشقا (ثق)

وقوله ايضا رحمة الله عليه ورضوانه :

يقـول مصاحبـى والـروض زاه | وقـد نشر الربيـع بسـاط زهـر
تعـال نبـاكر الـروض المفـدى | وقـم نسعـى الى ورد ونسر (ين)

وقوله ايضا :

الـدمع قاض بافتضاحى فـى هـوا | ظـبى يـغـار الغصن منه اذا مشـى
وغدا بوجدى شاهداً ووشـابـمـا | أخفـى فيا لله من قـاض وشا (هد)

وقال فى ذلك الامام شيخ الاسلام شهاب الدين بن حجر العسقلانى رحمه الله

نسيمكـم ينعشنـى والدجـا | طـال فمن لى بمجـىء الصبـا
. . . . . . الوجـه . . . . | ذ . . فـقـدت الصـبـا . . . .

وقال ابن حجر أيضاً :

. . . . . . لال لـمـن لامـنـى | وأمـلا . . . . الـطـلا
. . . الـمـلاهـى وصـ . . . الـمـلا | فـهـا انـا فـى الـمـلا (هـ)

وقال ابن حجر أيضاً :

الا يا معشر العذال كفوا فلست بتارك عشق الملاح
ولاحين المشيب أطيع نصحاً ولا أصغى للوام ولاح (ين المشيب)

وقال ابن حجر أيضاً فى ذلك رحمه الله :

ثويت فيكم راجياً منكم أجر الهوا دهراً فضاع الثوا (ب)
ردوا جوابى ودعوا جوا فما منوا برد الجوا (ب)

وقال ابن حجر أيضاً رحمه الله :

حبيبى ان العيش فى الوصل فاسترح اليه فلا ترحل ولا تركب الفلا
واياك لا تصعد فلاها ولا تنخ قلوصاً ومهما اسطعت فاجتنب الضلا

وقال غيره فى ذلك وهو الصدر على بن الآدمى يخاطب خليل بن بشار:

يا متهمى بالشوق كن منجدى ولا تطل رفضى فانى عل (يل)
ويا خليلى فبحق الهوا كن لشجونى راحماً يا خل (يل)

وقال تقى الدين بن حجة فى بديعيته فى ذلك :

لما اكتسا خده القانى بحمرته قال العواذل بغضاً انه لدمى (م)

وقال الجلال السيوطى فى ذلك :

قلت وقد بشروا بنجل رب أنلنى مناى فضلا
ان عاش فاجعله خير نجل موفياً عهده والا

أى والا فاقبضه صغيراً ،ويحتمل عطفه على العهد ، والأل الذمة ، قال تعالى :
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة

وفى ذلك قال الامام ابن الها . . . . فيمن أهدى اليه موزاً :

سيدى برك وافى وجزاء البر فوز

كـــم أتـــانـــى مـنـــــك رزق غـيــر مـوزون ومـــــوز (ون)

قلت وقد تشبثت بأذيال القوم فى ذلك ، فقلت مع زيادة التضمين بالتورية حسبما يظهر من البيتين ، وأثبتهما هنا وان كان بالنسبة الى ما تقدم هجـ . . . :

لم أنـس يـومـاً والنـواعـير بـــه بقصـــر فـاس هيجت منـى الجـوا

أنشد اذ ذكـــرنى معـهـــــدا (لله ما قد هيجت يا يوم النوا (عيـــر)

وقد علم أن قولنا لله ما قد هيجت الخ هـو مطلـع مقصـورة الامـام حازم القرطاجنى ، وقد خرجا عن معناهما كما ترى .

وانما ذكرت هذه الشواهد لتعلم أنه لم يظفر أحد ممن قـال فـى الاكتـفاء بالتورية بما ظفر به هذا الامام أيده الله وليس الخبر كالعيان .

ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر نظم الخليفة أيد الله أوامره العلية ، ونشر بنواسم التمكين والفتح المبين ألويته العلوية : وجد بخط القائد الأجل البـارع الأديب الفقيه أبى الحسن على بن منصور الشيظمى أبقاه الله ما نصه :

الحمد لله كما يجب لكمالـه والصلاة والسلام على محمد وآلـه

يقول (على بن) منصور الشيظمى ، عامله الله بلطفه الخفى :

انه لما قضى الله للامام المنصور ، وصل الله له أسباب تملك جميع المعمور ، بالوقوف على رسم أغمات ، وزيارة من فيها من الصلحاء الأموات ، بشهر جمادى الأولى من عام ستة وتسعين وتسعمئة (996) كان من عادته أيده الله الارتياح الـى الأدب والتشوف الى من يتنشأ منه فى مثل ذلك ، فاتحته أيده الله مخاطباً له بخطاب جعلت فيه آخر بيتاً من انشائى ، وقلت له أريد أن يجيزنى أصحابنا الكتاب هذا البيت ، ونزيد معهم الى أن نكمل قصيدة ، فعرض أيده الله البيت عـلى الكـتاب ، وتحرك بسببه بحر قريحته الزاخر ، فلما أن لم يجد مجيباً لداعى الأدب ، استعمل

فكرته المنورة فى انشاء أربعة أبيات تذكر بعد ، ولما أكملها أوقفنى أيده الله عليها ، وقال لى: دونك هذه الأبيات عارضها أنت أوذيلها، فقد أجبتك لما أن عجز أصحابك، فوقفت منها على ما يسحر الألباب ، وخجلت من أن أجارى ذلك العباب ، فكلف على أيده الله انشـاء قصيدة تتم بهـا الأبيات ، فلم يسعنى بعد الاهمال ، وبادرت الـى الامتثال ، فاكملت القصيدة فى يومين ورفعتها لمقامه العلى ، فوقعت منه ببـال أيده الله ، وأبياته الأربعة هى التى بصدر القصيدة ، وما بعدها من انشائى ، وهذا مطلع صباحها ، ومنبع افتتاحها :

تبـدا وزنـد الشوق تقدحـه النـوا	فتوقـد أنفـاسـى لظـاه وتضـرم
وهش لتوديعـى فأعرضت مشفقـاً	على كبـد حـرا وقلب يقسـم
ولـولا ثـواه بالحشـا لأهنتهـا	ولكنهـا تعـزا اليـه فتكـرم
فاعجب لآسـاد الشرا كيـف تحجـم	على أنـه ظبـى الكناس ويـقـدم

هذه هى أبياته نصره الله والتى للشيظمى هى هذه حسبما وجد بخطه اثـر مـا تقـدم :

فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة	يميـد بها أملـود بان متـوم
غـزال عـلى الاقـدام جـرأه الـتـوا	بقلب جريىء للهـوى فيـه معلـم
يصـول فيرضى الضـد وهـو مصمـم	وتثنـى المها منه العنـان فيحجـم
امام على كل الكمـال قـد احتـوى	فلا فضـل الا وهو فيه متمـم
لئن شغـف الآرام حبـاً فقـد سبا	فـواد المعـالى وهو فـى الغيب مكتم
وشاق كـذا بكر الخلافة فارتمـت	عليـه جهـاراً والمعاطس رغـم
فعـانقهـا بيـن الصوارم والقنـا	وكانت شهوداً والصـداق التقـدم
وحـلا لها جيـداً وسـاقـاً ومعصمـاً	بنصر عزيـز يزدهيهـا ويعصـم
تخطت اليه الخاطبيـن ولـم تكـن	لتعـدل بالمنصور والله يعلـم

ولو لـم يصلها لاستمـرت مشيحـة … عن الغيـر أو تفنا الدنـا وهـى أيـم

فلم لا تجـر الذيـل فخـراً وقد سمت … به حيث لـم تسم شموس وأنجـم

أليس هو المنصور من وطد العـلا … وذب عن الاسلام والخطب مظلـم

ومهـده بالهنـدوانى والـقـنـا … وما أسس الـرأى السديـد المحكم

اليس الـذى حاط البريـة واغتـدا … به الدين مرصوص المبانى مفخـم

وثـلـل عـرش الكفـر عند اعتدائـه … وغـادره بـالبيض وهـو مـصـرم

فدانت لـه صيـد الملـوك وأصبحت … مماليك تمضى كـل ما هـو يـلـزم

وطـاع له الدهـر الكؤود وأجمعـت … عليه السعـود تعتريـه وتخـدم

فشيد ما شاء العـلاء ولم يـدع … من المجـد طـراً ما يفوت ويبهـم

وأحيا رسوماً للعلـوم قد احتـوى … عليها العفا فهـى به الآن تنعـم

وقـام يجـلـى حـلاهـا مطبقـا … مفاصلها والفهم فى ذاك صيلـم

يبيت عليها ساهر العين كالـئـا … بسلطانه فى الـرأى يسدى ويـلـحم

خبير بما تحـوى الدفاتر مخبـر … ولكنـه مغـرى بذلك مغـرم

عليم بـأ سـرار الديانـة عـامـل … وقوف على حـد الشريعـة قيـم

امام له ارث النبوءة والهـدا … دوين الملوك ان هذا مسلـم

سليل رسول الله والمجتبـى الـذى … تقر له بالفضل عـرب وأعجـم

فمذ ظـفـر الاسلام منـه بصـارم … تيقن أن الشرك لا شك مقصـم

كما أننى منذ اتصلت بـه سمـت … بى الحـال وانتـال الغنا حيث تعلـم

وأصبحت أكنى ثم لولاه لاغتـدى … سميى كذا عند النداء يـرخـم

ولو لم أفـز بالسبق منه لما اعتـرت … عيون المعانى فكرتى حين أنظـم

ولا ساغ لى صوغ القوافى أرومهـا … فتأتى سريعاً وفـق ما أتحكـم

ولا طاع لى حر الكلام يزينـه … مديـح الامام عند ما أتكلـم

ولا انقاد لى جيش (31) لهـام أقـوده فيتبعنى من خلف وهو عرمـرم
ولكنه صنع له الشكر فيـه لا الى فانى عن نهاه معلـم
وما الشعر الا جوهـر لا تنالـه من أبحره ذات الأعاريض عـوم
ولو نيل بالأيدى لهان ولاستـوى بليغ يجيـد القول فيه ومفحـم
ولكن بغوص الفكر بعد ارتياضـه زمانا بآداب تعين وتفهـم
لقد رضته الى أن انقاد واغتـدى يسلم لى فيـه حبيب ومسلـم
وهـا أنا ذا قد جئت منـه بـمـدحـة فان قصرت فالأمر من ذاك أعظـم
وان صادفت قصد الامـام فانـه مـرامـى والأمـر الذى كنت أر أم
فخذها أمير المومنين عقيلـة تروم رضاكم فهو للفوز سلـم
محبرة تروى أحاديث مجدكـم فتطرب عنها النفس اذ تترنـم
محلاة بالمدح مدحك قـد ضـفـا عليهـا يمان من ثنـائك مـعـلـم
ندبت لها من بعـد أن زنت صدرهـا بأربعة تعلو على من يتمـم
فجاءت بوجه المدح غرة أدهـم وتلك تجر الذيـل زهـوا وتفخـم
تهنيك بالزور الذى نلت أجـره ويعقبه بالله فتـح معمـم
ويمن واقبال وجـد مجـدد ونصر وتمكين مبيـن ومغنـم
بقيتـم بقـاء النيريـن وملككم مدا الدهر بالنصر العزيز مخـدم
ولا عدمت منك الخلافـة ناصـرا فأنت لها دون الأنـام المقـدم

انتهى كلام القائد المذكور .

قلت وقد ذيل هذه الأبيات جماعة غير المذكور ، فمنهم الامام المفتى سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله ، قال بعد أبيات أمير المومنين نصره الله :

واعجب من ذا طـور صبرى عند مـا تجـلـى فدك والجنـان مـتـيـم
تحمـل منى القلب فـى شرك الهـوا وحـل اصطبـارى وهو من قبل مبـرم

---

31) يعنى ألف فارس (مؤلف) .

وغادرني مضنى حليف صبابة ... وقدماً بتعذيبي خليق ومغرم
فلله عينا من رآنا وبيننا ... رسائل شوق لا تبين وتكتم

وقال في ذلك وزير القلم الأعلا ، الكاتب البارع ، أبو فارس الفشتالي أبقاه الله :

ألم يك هذا الخشف يألف وجرة ... فما باله بالمنحنى يتلوم
صحبت أخاه البدر في الليل ساهراً ... تنافسني في لثم خديه أنجم (32)
وقالوا نظير الخيزران قوامه ... فقلت غلطتم انه منه أقوم
لقد وسع الأرضين صدري فسحة ... وضاق احتمالا بالذي منه يكتم

وقال في ذلك الرئيس الكاتب المجيد أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي أبقاه الله :

خضوعي حاكم الغرام قضى به ... وشأن القضاة بالشهادة تحكم
فلو لم ير العدلان دمعي وزفرتي ... لما كان في رسم القضية يعلم
غزال يميس خوط بان وانني ... لأنجد دأباً في هواه وأتهم
فهبني أروم كتم نار صبابتي ... فان لسان الحال عنها يترجم

وقال الفقيه المجيد ، أبو عبد الله محمد بن علي بن ياسين الهوزالي أدامه الله .

أخوض عباب الموت في حومة الوغا ... وسمر القنا بين الضلوع تحطم
وأصدع قلب الفليق المجر عنوة ... ويصدع قلبي أحور العين أفحم
وأحمي دمار الملك شرقاً ومغرباً ... ويحمى فؤادي وهو فيه محكم
وأكتم ما أنويه حتى عن الحشا ... وأودعت من بلواه ما ليس يكتم
تواى به ما بي أسا وصبابة ... سواها فماء العين عنها يترجم (33)

---

32) في **مناهل الصفا** : يمثله لي الهوا والتوهم .

33) هذا البيت نسبه الفشتالي في **مناهل الصفا** للكاتب أبي علي الحسن بن احمد المسفيوي وجعله مطلع قطعة ذيل بها الكاتب المذكور قطعة مخدومة أبي العباس المنصور ، واتماماً للفائدة نثبت القطعة كما أوردها الفشتالي :

تواى به ما بي أسا وصبابة ... طواها فبات البين عنها يترجم
بها جرني أودى بحسن تبصري ... وذا جلدي نهب لديه ومغنم
ليهنهم متوى الضلوع فانه ... سليم على حكم الصبابة مسلم
فان يك تعذيب المتيم في الهوا ... فان فؤادي في هواهم منعم

وقال فى زيارة أمير المومنين أيده الله جماعة من الأعلام ، منهم سليمان بن ابراهيم التاملى فانه قال :

ومحلة ملأ البسيطة حسنها ... وتشرفت بنزولها أغمات
أبدت جمالا فى الربا اذ خيمت ... فكأنما هى حولها مرآة
أم الامام بها الزيارة فاستوت ... فى نفعها الاحياء والأموات
ملك تباعد قدره عن أى تفى ... بكماله ومديحه أبيات
فالله يبقى مجده وعلاءه ... ما جددت لزيارة نيات

ولنرجع الى ما كنا بسبيله ، قلت ولنختم هذا الباب بموشحتين من موشحات أمير المومنين نصره الله وهى كثيرة ، قال أيده الله :

ريان من ماء الصبا ... أهيف ممتلىء البرد

* * * *

كالغصن هزته الصبا ... فوق الربى الشهب
قد قلت لما أن سبا ... بحسنه لبى
من عينه سل ظبا ... وغمدها قلبى

* * * *

أسرنى ماضى الشبا ... أوطف مرنح القد

* * * *

يا فاضح الروض سنا ... بل مخجل البدر
وقاطعى ظلما ومن ... مقره صدرى
ان لم تكن شمس دنا ... فانها تجرى

* * * *

علقته من الظبا ... أسجف يسطو على الأسد

* * * *

قلت له وقد نهد ... وجد فى حربى
وغلب الظبى الأسد ... وفاز بالغلب
الشمس برجها الأسد ... فاسع الى قلبى

* * * *

. . . . وقد سمه . . . . انصف أمنت من صد

الموشحة الثانية له نصره الله معارضاً ابن الخطيب وابن الصابونى وغيرهما

وليـــالى الشعـــور اذ تســـرى مالنهـــر النهـــار مـن فجـــر
حبذا الليـل طـال لى وحـــدى لو تـــرانى جعلتـــه بـــردى
فـاطميـاً فى خلـعـة الجعـدى هى ليلـــى أخت بنـــى بشـر
فأين أنت يـا أبـا بـــدر

كم سقطنـا ألطـف مـن طــل واسترحنـا من كـاشـح نذل
واجـتـمـعـنـا ومـادرا ظـلـى رب ليـل ظفـرت بالبـــدر
ونجوم السما لم تدر (لابن الخطيـب)

وبنفـسـى مهـفـهـف ألـمـا ومطيـع وغـرنى لـمـــا
يا عفـافـى وقـائـعـى ممـا فى ربـاط قسمتـى صـــدرى
لحنيـن ونـاظـرى بـــدرى

وهلال فى حسنـه اكتمـــلا هو شمس وأضلعـى الحمـــلا
قـام يـشـدو وينثنـى فى عـلا قسمـاً بالهـوا لـذى حجـــر
ما لليل المشوق من فجر (لابن الصابونى)

قلت ولنقتصر على هـذا القدر من نظم الخليفة الذى ازدهت بيمنه العرب على العجم ، ولنكتف بهذا النزر من غيث أدبه الذى انسجم ، والمقام أعظم من أن يحاط بأخباره ، ويوفى بشر بتعظيمه واكباره ، لا زال منهل جوده للمعتفين مورودا ، ونبـأ آياتـه الأحمدية على مـنابر الآفاق مسروداً ، امين وبـالله التوفيـق .

واما تآليفه نصره الله فمنها كتاب **(المعارف ، فى كل ما تحتاج اليه الخلائف)** مضمنه علم السياسة ، وهو غاية فى بابه لم يؤلف مثله ، ومنها تأليف فى الجواب عن حديث على والعباس رضى الله عنهما وفاطمة ابنة النبى (ص) فى حديث لانورث ما تركناه صدقة . أخبرنى من رآه أنه تأليف غريب فى بابه ، أزاح أشكالات المسألة كلها ، وقد علمت أنها من أشكل المشكلات ، ومنها كتاب فى الأدعيـة والأذكـار سماه **(العود أحمد)** وسبب تسميته بهذا الاسم أنه كان ألفه أولا ثم بدا له ورتبه

على ترتيب غير الترتيب الأول ، وقال فى خطبته : نوديت العود أحمد ، أى العود يا أحمد ، فتنبه الى هذه التسمية الغريبة ، وما تضمنت من التورية العجيبة ، لأن أحمد عندهم أفعل تفضيل ، فجعله أمير المومنين نصره الله منادى ، وقد ذكر الشريشى فى شرح المقامات حكاية عبد الملك بن مروان مع الشعراء فى قولهم العود أحمد انظرها ان شئت . والحاصل أن تسميته نصره الله بهذا من غرائب الاتفاق . قلت وقد رأيت هذا التأليف بخط تأنق فيه صاحبه الى الغاية عن أمر هذا الخليفة ، وتخيل لى أنه لا يمكن أن يوجد له نظير فى مضمنه وخطه ، وقد اشتملت خطبة هذا الكتاب على ثلاث عشرة تورية ، وكتب فى آخره من انشاء وزير القلم الامام أبى فارس الفشتالى ما نصه :

انتهى المجموع المبارك فى الأدعية الناجحة المقصد ، والأوراد العائدة بالبركة الزكية والعود أحمد ، والأحزاب التى هى بالجمع والارداف من مقرا امام هو بسيبه نافع ، وبسيفه عاصم ، وبمسند جامع التفضيل أحمد ، تحرير مولانا نخبة الخلفاء الأعلام ، حامى حمى الايمان والاسلام ، مقيم الانام ، تحت كفالة السنان والحسام ، مولانا أمير المومنين أحمد المنصور بالله ، ثبت الله تعالى قواعد دولتهم الشريفة الغراء ، وأنار جهات البسيطة بأنوار معدلتهم المديدة الجناح على أديم الغبراء ، ووافق تمامه بمعسكرهم السعيد من ساحة حضرتهم العلية الحمية مراكش حاطها الله . أواسط ذى الحجة الحرام متم عام تسعة بعد الألف .

الى غير ذلك من تآليفه أيده الله .

وأما ما يرجع الى علو همته ، ورفعة قدره ، وحمله وفضله ، وبذله ومجده وشجاعته ، وحسن خلقه وعقله وصبره، ومقابلته الاساءة بالاحسان، وكثرة حيائه، واقالته العثرات ، ومجاوزته عن كبائر السيآت ، وغير ذلك من خصاله الحميدة ، فبحر لا ساحل له ، وقد ذكر شيخنا الامام أبو العباس ابن أبى العافية أبقاه الله

كثيراً من ذلك فى كتابه **(المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة أبى العباس المنصور)** وكذا ذكر كثيراً من ذلك وزير القلم الأعلى ، أبو فارس الفشتالى فى كتابه **(مناهل الصفا ، فى مآثر الشرفا)** وكذلك توقيعاته الحسنة ، وأغراضه المستحسنة .

وقد تخلق بأخلاقه نصره الله وتبعه فى مآثره وعلو همتـه موالينـا أولاده الهداة ، وسائر أهل بيته سم العداة ، فقد ابتنى ولده الامير الأجل مولانا الواثـق بالله أبو فارس عبد العزيز أدام الله علوه جامعاً عظيماً عند ضريح ولى الله تعالى سيدى أبى العباس السبتى أفاض الله علينا من أنواره ، وحبس عليه خزائن من الكتب العتيقة ، وكراسى للتفسير وغيره من أنواع العلوم تقام به الجمعة هنالك ، وهذا المولى الواثق بالله الامير مولاى أبو فارس مولع بالأدب وأهله واكرام العلماء جمع بعضهم مما قيل فى مدحه مجلداً ضخما ، فمما مدح به هذه الموشحة للفقيه الاديب محمد بن ابراهيم الفاسى الملقب ببديع الزمان رحمه الله وهى :

بـارق الـثـغـر لاح عـن در ... مـن خـلال العقيـق
وعذيـب الريـق غـدا يجـرى ... مثـل كـأس الرحيـق

* * * *

شـاذن حسنـه اراق دمـى ... سـاحـر سـاخـر
نـاظر لا يـرى سـوى عـدمـى ... فـاتـن فـاتـر
نـام عـن منيتـى وفى سقمـى ... سـاهد سـاهـر

* * * *

فـاضـح البـدر .... ليـس يلـفـى رفيـق
....

* * * *

جمـرة الحـب أحـرقـت خلـدى ... وقلبـى المـروع
يـا لـهـا حرقـة وهـا جسـدى ... عنـدهـا والضلـوع
من .... ـلا قـود ... لا يـرجـى الـرجـوع

* * * *

ظاعن الصبر في بحر — للدموع غريق
وغدا من بعده لا يدري — للسلو طريق

* * * *

ءان لي والهوا برا بدني — أن أرى شاكيا
من خطوب .... — .... عاديا
للذي ينتمي الى الحسن — .... عاليا

* * * *

.... — في .... ز وثيق
.... اثق في يسر — بعد عسر وضيق

* * * *

لذ به في الخطوب ان طرقت — فهو حامي الحما
تلفه صارماً اذا عظمت — ليس يشكو الظما
فهو من دوحة ذكت وزكت — فرعها في السما

* * * *

غارس البر مجتني الشكر — روض جود أنيق
وتراه الدهر من البشر — ....

* * * *

دمت للمجد مالكاً ملكاً — محسناً لا تسى
انت مليك نراه أم ملكا — بالرضا مكتسي
فابق فرداً وللعلا فلكا — يا آبا فارس

* * * *

دائم النصر ما شدا القمري — ....
.... — .... عشيق

وقال فى ذلك الأديب المؤرخ الحافظ ، أبو عبد الله محمد بن يعقوب رحمه الله :

يأبى غزال صادنـى بمـزاح — وسبا الفـؤاد بطرفـه الجـراح
صبراً فؤادى ان سطا بك لحظـه — فلقد أصبت بصـارم السفـاح
عـاطيته من خندريس أكـؤسـاً — طلعت علينا كالنجـوم بـراح
ساق سقانـى من مدامـة .... — ممزوجة من كأسـه بالـراح
وغدا يعانقنـى وألثـم ثغـره — عطـر شـذاه الطيب الأرواح
بتنا ونحن نديرهـا فـى مجلـس — أنواره تغنـى عـن المصبـاح
شمس من الكاسـات مطلـع فجـرها — مترنـح الأسفـار والاصبـاح
تحيـى النفـوس اذا الأنوف تنسمت — عرف الندا من طيبهـا الفـواح
وسـرا النسيـم معطراً ما ينثنـى — وتمايـل الاغصـان فـى الأدواح
والطيـر غنـى والحمام مغـرد — والـروض يبسـم عـن ثغور أقاح
والعـود يضرب والربـاب يهـزنى — والنفس تغنـم منتـدا الأفـراح
والماء يجـرى فى الجداول يلتـوى — كمقـاييس الحسنـاء ذات وشـاح
راحت على المهجات من ذا نـفـحـة — طارت لهـا طربـاً بغيـر جنـاح
والورد يعبـق فى ......ـال مدامنـا — ..... النسمـات والاريـاح
وكانه فى الطيب أخـلاق الرضـا — بـدر النـدا الواثـق الـوضـاح

وقال فيه أيضا ابن يعقوب المذكور :

عساه يدنـو فان القلب قـد أيسـا — فيطفـىء الجمـر من خديه مقتبسا
تجلو على رياض الورد وجنتـه — فيجتنـى اللحظ منى كلمـا غرسـا
أهدا السهاد لعينـى من لواحظـه — وكـيـف . . . السهاد ناظر نعسـا
يا ليتـه . . . . وافـى بليلتـه — . . . أنشـد . . . شعـرى انبجسا
يا ليلة بـات فيها الوصـل ثـالثنا — وبت أرشف منـه الثغـر واللعسـا

وليس مصباح بيتى غير بـارقـــــه لا أعرف الجنح بالـلأ . . . . والغلسا
انقـاد طـوع يدى من بعد نفرتـــه . . . الغزال فيغــدو وحشـه أنسا
أهـواه غصنـا وا . . . . وأه . . . . . فى . . . . سا
أيا غـزالا غـزا نفسـى . . . . ـه عمدا . . . . . الوجـد . . . .
جل التصبر . . . . لطيف خصرك ثـم ريقـك السلسـا
ارحم فدينك منـــى عاشقـــاً ولهـاً ضل الفؤاد وأمسى نطقـه خـرسـا
وليس خـاطـره الا متـى وعســـى . . . . . . لجميل فداركنى تجد نفســا
كما تدورك هــذا المجـــــد . . . . . . بالواثق بن الامام بعدما اندرســـا
يا ابن الاكارم من سارت منـاقبـــه فى كل قطــر تر . . . . درسا
. . . . سـا
المعحد . . . . . والاخـــلاق طـاهـرة فمـا تراه عبـوسـا لاولا شكســا
هو الكريم الذى طابت مغـارســـه يزكو النبات اذا ما طاب مغتـرسـا
...... قحط والامـطـار مخلـفـــة تـسعـــى فـتـــ . . . . (34)

وكذا ولده الأسنا مولانا أبو المعالى زيدان أدام الله عزه بنا مدينة عظيمة على وادى أم الربيع وأضافها الى اسمه (35) وهى من مفاخر هذا البيت النبـوى أيـد الله أمره ، وتلا أباه نصره الله فى اكرامه الفقهاء والكبراء وادرار النعم على الوافدين والشعراء ، فمن بعض ما مدح به قول بعض الأعلام من أهل الحـضرة زادهـا الله سرورا ونضـرة :

لشخصك فى سويدا قلبى ايـــوان وان شحطت بى عن ديارك أوطـــان
ذكرتك فاستعبرت حتى لقـد جــرا على الخد من فيض المدامـع طوفـان
سرت وكميت الليل مرخى جـــلالـه وأشهب من جود المجـــرة حيـــران

(34) فتكت الأرضة بالصفحة التى كتبت فيها هذه القصيدة فنقلنا منها ما امكننا نقله وبقيت بضعة أبيات لم نتمكن من قراءتها .

(35) هى القصبة الزيدانية المعروفة بهذا الاسم الى اليوم .

فبت أجارى النجم والنجم واقف ... وأرتاد هدى البدر والبدر حيران

وأرتاد فى روض النجوم لعلنى ... أراها كما ترعا الخمائل غزلان

فلاح لى البدر المنير كأنه ... وقد لاح فى زهر الفوارس زيدان

همام له فى الغرب صيت مؤثل ... تهز له فى الشرق مصر وبغدان

تخف الجبال الشم ان ووزنت به ... وقد أحجمت عن مأزق الحرب شجعان

دعته المعالى وهو فى مهده لها ... وحنت اليه فى المنابر عيدان

أمولاى لا أحصى مديحك كله ... لقد عز فى أمداح علياك امكان

أمولاى هبنى عنكم متوانيا ... زمانا أما يمحو الاساءة غفران

لئن عاقنى شيخ تعين بره ... فلى فى كتاب الله عذر وبرهان

أتغمر بالنيل البرية كلها ... وأمسى وحظى من جنابك حرمان ؟

وترفل فى أثواب نعماك كلها ... وعبدك أضحى بينها وهو عريان

على أننى العلق الثمين نفاسة ... فكم لى فى نيل الاجادة احسان

فعطفاً فما لى فى البرية موئل ... سواك وهل يأوى لغيرك انسان

فلا زلت للمنصور نصراً مؤزرا ... يقر بكم عين الخلافة رحمان

وما قيل فى هذا الأمير من المدح كثير جداً لا تسعه هذه العجالة ، وقد مدحه شيخنا أبو العباس بن القاضى أسماه الله بعدة قصائد تركتها اختصارا ، والله سبحانه ولى التوفيق ، وعليه التكلان .

وقد ابتنت أم مولانا نصره الله جامعاً عظيماً بباب دكالة وأكثرت عليه من الأوقاف والجرايات وخزائن الكتب وكراسى أنواع العلوم . وقد صليت فيه الجمعة مراراً ، ورأيت جماعة أعلام يدرسون به أنواع العلوم .

ونص تحبيسه بعد البسملة والتصلية :

لما نشر الله سبحانه ــ من الذرية الشريفة العنصر ذات النسبتين الطاهرتين ، والسلالتين الطيبتين ، والولادتين الكريمتين ، العلوية الحسنية الفاطمية آل بيت المصطفى رضوان الله عليهم ــ النور والضياء ، وألاح من حسن الاقتداء بهم

السبيل السواء ، أصبح الفضل لفضلهم تابعاً ، والجود والسؤدد لأصلهم طائعاً ، والفضائل والمآثر بعناياتهم متحققة ، والآراء المختلفة على تقديمهم متفقة ،والامامة والخلافة لجنابهم عاطفة ، والأمم بمكارمهم عالمة عارفة ، والقلوب على محبتهم مطبوعة مجبولة ، والأسباب المنقطعة بانعامهم الشامل موصولة ، فارتفع فى عقائد فضلهم الأصيل القواعد الخلاف، واستقلت أساسات فخرهم على ما أسس الأسلاف، فأقاموا شعائر هذه الشريعة الشريفة ، وحازوا قصبات السبق الى المعالى المنيفة ، وخص من بينهم بفواضل متوالية ، وفضائل غير متناهية ، الامام المطاع ، الواجب لعظيم قدره فى الملوك الانقياد والاهطاع ، عميد عصابتهم العلوية وأثيرها ، وممهد قواعد ايالتهم الحسنية ومقررها ، ومؤسس مبانيها ومطهرها ، وكبير امرها السامى ومدبرها ، صدر الصدور ، وبدر البدور ، وعلم الملة المشهور ، ومؤمل الخاصة والجمهور ، السلطان المؤيد بالنصر أمير المومنين أبو العباس المنصور أدام الله عزته ، ووالى سموه ورفعته ، وكانت دولته الشريفة المذهبة المذاهب ، التى هى نزهة الصادر والذاهب ، يزهى الوجود بحسن وجودها ، وتستمد أضواء الفضائل من مقباس جودها ، ثم ان دواعى رفعة شأنه وعزة سلطانه ، ومحاسن أوصافه ومفاخر أسلافه ، حرك العزم الساكن من نشاط والدة هذا السلطان الحرة الجليلة ، الحسيبة الحفيلة ، الولية العابدة ، الصالحة الصوامة القوامة الكثيرة الأوراد ، المشفقة على العباد ، المحافظة على الأدعية والاذكار ، والسعى فى الخيرات واعمال البر والايثار ، المرتسمة بديوان الأولياء ، الموفقة بفضل الله لأعمال الصالحين الأتقياء ، المتفضلة على نساء أهل زمانها ، المتحدث بنباهة شأنها ، المعروفة بسداد النظر واصابة الرأى ، الحائزة درجات السبق بالمبادرة والسعى ، الميمونة المسعودة ، أمة الله عودة (36) بنت أحمد صان الله مجدها ، وبلغها من كل خير أملها

36) عودة أو مسعودة بنت الشيخ الاجل أبى العباس احمد بن عبد الله الوزكيتى والدة السلطان احمد المنصور السعدى كانت امرأة صالحة حريصة على اقتناء المفاخر وفعل الخير ، وأنشأت فى هذا السبيل عدداً من المرافق العامة لنفع المجتمع كالمساجد والقناطر وكراسى العلم وحبست عليها الاحباس الطائلة ، توفيت سحر يوم الثلاثاء 27 صفر عام 1000 . ظ ترجمتها فى **نزهة الحادى** 72 .

وقصدها ، وألهمها التـوفيق ، والهداية الى سواء الطريق ، بعـزيمة علم صدقـها ، ونية رضى عملها ، اذ كانت أدام الله حفظها أوفى الناس رغبة الى التكثير من الخير ، والفحص عن عمل البر ، والعثور على أسبابه ، والتطلع الى ايناسه والحرص عـلى اقتباسه ، فكانت آثارها الحسنة ، وأفعالها المستحسنة ، تخرق المعتاد خـرقـاً ، وتجوب البلاد غربا وشرقا ، وتلك هداية من الله استاخرت الى زمانها ، وحسنات ادخرها لميزانها ، فحبست لوجه الله العظيم ، ورجاء ثوابه الجسيم ، والنعيم المقيم ، جميع السبعين حانوت غير نصف حانوت الواجبة لها فى نصفها من القيسارية (37) المشتركة بينها وبين مساكين المارستان المخترعة لها وسط سـوق الحضـرة المراكشية دون البقعة المتصلة بقلعتها ، وجميع بيت الأرحاء الجديدة المخترعـة لهـا على وادى تسلطانت القـريب من أرحاء أولاد الأمين محمد بن قاسم القسطـلى وأولاد التاجر عبد الله التنجارفى ، المشتمل على أربع مدارات ، مـع جميـع داره المبنية له وجميع العين الكبرى التى تملكتها من ورثة أحمد بن ربـوح الكائنـة بالمخالص خارج باب تاغزوت مع جميع أرضها وجنانها ومائها ما عدا الحظ الواجب لأولاد الولى الصالح السيد أبى عمر القسطالى بجميع منافع ذلك كلـه وحقوقـه الداخلية فيه والخارجية عنه ، وما عد منه ونسب اليه ، جعلته حبساً مؤبداً ووقفاً مخلداً ، يحاز بما تحاز به الأوقاف ، ويحترم بحرمتها ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، على جامعها الأعظم السعيد ، المخترع لها الجديد ، بين حومتى باب الرخـا وباب دكالة من حضرتهم المراكشية الذى هو لكريم جنابها منسوب ، ولعظيم أجرها مجلوب ، أحيت به ذلك المكان الميت وألهمها الله قوله : وما رميـت اذ رميـت ، تـأنقت فى بنائـه ، وبلغت الغاية الممكنة فى انشائه وأمدته بعين الما ، لاسبـاغ الطهور وارواء الظما ، فجاء محكم الانشا ، وأغنا عن الدلو والرشا ، فما أعظم (منة) منت بها ، وأجل قدر هبتها فى مواهبها ، فالله سبحانه مجازيها عن كل كبد رطبة سقتها ، ومشقة صعبة وقتها ، بكل صعبة أجراً يقود منها الى أفضل ألف ، ويضاعفه

37) السوق الذى تباع فيه الثياب ، واصلها قيصرية (مغربية)

الى مئة ألـف ضعف ، وتصير الأوقاف المذكـورة يصرف خراجها ومستفادها فـي مصالح الجامع المذكور من مرتب أئمته وفقهائه وقرائه ومؤذنيه القيمين بسائر وظـائفه واجراء مائه ، واكمال بنائه ، قالت ذلك وأشهـدت به عـلى نفسها حسبما وضعت به خاتمهـا المتضمـن اسمهـا فى أواسط شهر الله المحرم من عام خمسة وتسعين وتسعمئة .

ثم بعد هذا اشهاد حافدها الواثق بالله تعالى ، مولانا أبى فارس ، ثم اشهـاد أبى الحسن أحمد بن أبى الحسن بن أحمد بن مولانا القائم بأمر الله تعالى ، ثم حيازة الأملاك المذكورة ، ثم استقلال أبى القاسم بن على الشاطبى ، ثم امضاء ولـى عهـد مولانا ، المأمون ، أمنه الله تعالى بمنه .

وأمـا امضاء مولانـا أمير المومنين نصره الله فنصه وهـو من انشـاء أبـى فـارس الفشتـالـى :

عن أمر عبد الله تعالى ، الامام الخليفة المجاهد ، أبى العباس المنصور ، أمير المومنين ابن مولانا الامام الخليفة ، أمير المومنين ، وناصر الدين ، أبى عبد الله محمد الشيخ المهدى ، ابن مولانا الامام الخليفة ، أمير المومنين أبى عبد الله القائم بأمر الله الشريف الحسنى ، أيد الله أوامره ، ووصل له مجد الدنيا بمجـد الآخرة ، صدر هذا الأمر العلى ، الامامى الكريم المنصورى ، أعلا الله به الدين وشرفه ، ورفع الى سمك السماكين غرفه ، بامضاء التحبيس الصادر أسفله عن الحرة الجليلة ، الأصيلة المثيلة ، الحسيبة القانتة ، العابدة الصالحة ، الغادية فى سبيل مرضـاة الرب والرائحة ، أم القرب والحسنات، وكاشفة الكرب المزمنات، السيدة الطاهرة، والدة أمير المومنين وكافلة البنات والبنين ، أبقا الله ببركتهـا ، وأجـرا على الخـير والصلاح سكونها وحركتها ، امضاء لا يعقبه بحول الله فسخ ، ولا يتناول آيه المحكمة نسخ ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، والله لا يضيع أجـــر

المحسنين ، بفضله ومنه ، وبتاريخ المحرم الحرام فاتح خمسة وتسعين وتسعمئة .
وعــلامته أيده الله باعــلاهــا .

وأفعال برها لا تحصا كثرة ، كبناء القنطرة العظيمة على وادى أم الربيع ، وقنطرة أخرى أيضاً وغير ذلك ، ولولا الاطالة لذكرت جملة منها .

أخبرنى مكاتبة شيخنا الامام القاضى ، أبو العباس بن أبى العافية الشهيـر بابن القاضى ، أسماه الله ، أنه كاتبها من مدينة سلا حرسها الله يستنجدها لاصلاح دار بالشراط ، اذ هو محل مخوف قال : فو الله الذى لا اله الا هو ما مضا للكتـاب مقدار وصوله الا وأمرت ـ عاملها الله بلطفه واحسانه ـ بانشائها هنالك ، فجاءت فى غاية الرفق للمسلمين ، رحمة الله تعالى عليها ، فهذا هو الفخر الأخروى . . .

ولو لم يكن لأمير المومنين نصره الله من المفاخر الا فكه الأسرى لكان ذلك كافياً ، فكيف وقد انضم الى ذلك ما لا يحصا ، ولقد فك نصره الله من ربقة الأسر شيخنا الامام العلامة المؤلف الكبير الشهير ، أبا العباس سيدى أحمد بن أبـي العافية المكناسى الشهير بابن لقاضى أبقاه الله ، حدثنى حفظه الله أن افتكاكه كان بنحو الاثنين وعشرين ألف أوقية ، وذكر لى فى ذلك قضية طويلة تركتها مخافـة الطول ، وفى ذلك يقول شيخنا المذكور مادحاً مولانا نصره الله :

فـرع النبوءة أصل كل كـريمــة	يروى السيادة أشرفا عـن أشـرف
عضب حسـام ماله من صيقــل	غير المعالى للمعـالم يصطفـى
ما ان يساجل فى العلا تلك الحــلا	مـلـك تمنـع بالجناب الأكـنـف
كم أضحك الخيـرات وسط يمينـه	وأسال عبرة كل سيف مـرهـف
ليث الشـرا غيث الـورا لـكـنـه	من نسـل أحمد فضله لـم يختـف
ألمم به تلف البرية كـلـهــا	فى ذاته والعــدل فى أسد وفــى
تلفيه الا فى المحامد معرضــاً	ولمـاله فى حـكـمـه لـم ينصـف

مجد بخد الفرقدين نعالـــه ... مصباح ذهنه نوره لم ينطـف
من معشر للمعتفين زواخـر ... فاذكر حلاهم فى الأنام وشنف
طفل اذا جاشت عليه ملاحم ... كهل المحافل قوة المستضعف
بحر المكارم أصلها المنصور من ... نادا به فى المعضلات لقد كفى
ناديته بمصيبتى فكأنـه ... لشفائها أم الكتاب لمشتف
أخرجتنى من ضيق أسر نالنى ... ومنحتنى اسماع آى المصحف
اذ كنت أسحب للحديد خلاخلا ... وسلا سلا أغلالها لم توصف
لا زلت تكشف كرب كل مولـه ... ما أصحب المحزون باللطف الخفى

حدثنى الشيخ المذكور حفظ الله علاه بما تقدم ، وأنشدنى هذه القصيدة الآتية التى كانت سبب خلاصه قال : سافرت للمرة الثانية الى مصر لطلب العلم الشريف بعد أن استشرته أيده الله فى ذلك وأذن لى ، فسافرت فى البحر متوجها للمقصود ، فكان من أمر الله المعبود فى يوم الخميس 14 شعبان عام 994 فبعد دلك لجأت الى الله وتوكلت عليه ، وعلمت أن سبب خلاصى لا يكون الا على يديه ، لما تحصل عندى من عظيم فضله ، وكريم أصله ، فكاتبته بأبيات حضرتنى وهى :

تجلت عن العانى الأسير المكبل ... هموم سرت فى الجسم فى كل مفصل
بذكر الامام الهاشمى الذى سما ... بسيمة خير الخلق فى كل محفل
امام العلا المنصور فخر أئمة ... به قد تحلا كل جيد معطل
به راق وجه الأرض وافتر ثغـره ... وحلى جيد منه بالدر والحلى
امام همام همه طول همة ... ظبا ماله غير المعالى بصيقل
فكم تضحك الخيرات فى بطن كفه ... ويبكى دماء كل رمح ومنصل
وكم جاوز الغايات حتى لو أنـه ... أراد الثريا أمها فى التنزل
فغر الليالى من سناه توقدت ... ضياء بنور للخلافة مشعل

زكي زهي للسماح سماؤه جناح لنسر النصر في كل جحفل
امام الهدا بحر الندا قسور الردا الى المعتفي والفاجر المتضلل
بحق الذي أولاك ملكاً فنجني من الملك ياقصد الأسير المكبل
وكن يا امام العدل في عون حائر أسير كبير في جناح مذلل
لقد قرفت أيدي الزمان وريده ودارت عليه الدائرات كجلجل
وأخنا عليه الدهر من كل وجهة وداست عليه النائبات بأرجل
فعافاك رب العرش يا مالك العلا ودمت اماماً في علاء مزمل
ولا زلت حج المعتفين وكعبة مطافاً لأهل الفضل في كل محفل

قال : فما بلغت ليده الا بعد تكفل همته العلية باخراجي ، لأنه أيده الله تعالى كان قد كتب في شأني لقواد الثغور أن يبحثوا عني ، وفي أي موضع مستقري من بلاد الكفرة أذلهم الله تعالى ، قال : وقد أخرجني في السابع عشر من رجب سنة 95 ، وبلغت للحضرة العلية مراكش في يوم الاثنين 8 شعبان من عام تاريخه وقمت بين يديه بقصيدة نونية مطلعها :

من العقيق عقيق العين هتان سل عنه سلعاً فما يغنيك نعمان

وهي طويلة أذكرها في ترجمته ان شاء الله تعالى .

وهذا الطرف وان كان اللائق به الباب قبل هذا لكني أخرته في هذه المبيضة الى هنا ، وسأخرجه ان شاء الله تعالى على ما ينبغي ، والله الموفق بفضله .

وقد ألف لخزانته نصره الله أكثر من مئة تأليف على أخبرت ، من ذلك 13 تأليفا لشيخنا الامام ابن القاضي المتقدم الذكر ، وسياتي ذكرها في ترجمته ان شاء الله ، ومن ذلك تأليفان في الطب للشيخ العلم الماهر ، شيخنا أبي القاسم الوزير أبقاه الله ، ومن ذلك جملة تآليف للامام فريد زمانه في علمي المعقول والمنقول ،

سيدى احمد المنجور رحمه الله ورضى عنه ، ومن ذلك جملة تآليف لوزير القلم الأعلا أبى فارس عبد العزيز الفشتالى أبقا الله رياسته ، وهو متولى تاريخ دولته الشريفة أعلا الله كلمتها على الدول ، وقد فعل ، فقد ظهر لها من المآثر ما لم يظهر لغيرها من الأول . ومن ذلك **شرح المتنبى** للامام البليغ الحجة الحافظ ، سيدى محمد بن على الهوزالى أبقاه الله . وقد انفرد هذا الرجل بمعرفة كتاب المتنبى على ما أخبرت به ، ولم ألقه يسر الله على لقاه فى هذه الوجهة ، وكذلك رتب له نصره الله ديوان المتنبى على حروف المعجم ، وجعلت له خطبة باسمه نصره الله ، ألف ذلك وزير القلم الأعلا ، أبو فارس الفشتالى أبقاه الله ، وألف أيضاً **مدد الجيش** كمل به **جيش التوشيح** لابن الخطيب حسبما يأتى فى ترجمته . ومن ذلك أيضاً جمع كلام الامام الششترى رضى الله عنه، أخبرنى الكاتب البارع سيدى الحسن المسفيوى أنه فى سفرين ، ومن ذلك شرح مقصورة الامام المكودى ، أخبرت أنه ألفه لخزانته المفتى الامام ، سيدى عبد الواحد الشريف رحمه الله ، لا أدرى هل كمل أم لا ، ومن ذلك **الهادى فى حل مقفلات المرادى** فى أربعة أسفار لنحوى عصره ، أبى العباس القدومى رحمه الله ، وقد ألف لعلى مقامه الفقيه النحرير ، صاحب المظالم ببابه الامامى ، السيد أحمد بن الشيخ العلامة سيدى على بن سليمان حاشية على الكبرا . وأما الشيخ الماهر ، الامام المتفنن ، الحاج أبو جمعة سعيد فقد أوقف قريحته على جملة تآليف للخزانة المنصورية ، كشرح **درر السمط ، فى فضائل السبط ،** للامام ابن الأبار أجازه عنه نصره الله بألف دون ما يعطيه من الجرايات والكسا ، وسيأتى عدد تآليفه فى ترجمته ان شاء الله تعالى . وأما أعلام أهل القسطنطينية العظما ، وأعلام مصر فهم مع كل وارد يوجهون لعلى مقامه تصانيف ألفوها لخزانته ، وتسمية الكتب المؤلفة لهذه الخزانة المنصورية عمرها الله لمن تتبعها تؤدى الى الطول ، وفيما ذكرناه كفاية ، نسأل الله سبحانه أن ييسر علينا ما نحن بصدده من الأخذ فى الانتقال الى حضرته العلية عاجلا .

واعلم أن ما ذكرنا في جنب محاسن هذا الخليفة أيده الله انما هو نقطة من بحر زاخر ، لا يقدر على السفر فيه بفلك التآليف المواخر ، ولكن الخليفة نصره الله جدير بالاغضاء عن هذه العبارات التي خرجت عن سنن الفصاحة ، لأن كل واحد ينفق على قدره وعفوه نصره الله رحب الساحة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

1 ـ محمد الوجدى الغماد

الكاتب البارع ، الذى سن البدائع وشرعها ، وولد عقائل المعانى واخترعها ، وافتض أبكار المحاسن وافترعها ، الهائم كلما تألق بارق نجدى ، أبو عبد الله محمد بن على الوجدى ، من أهل فاس ، الملقب عند الأصحاب بالغماد .

حاز هذا الفاضل حفظه الله قصب السبق فى النثر والنظم ، مع عض الخمول له بنابه فلم يرج لغيظه كظم ، حتى نال منه أجل مشتها ، ورام أن ينتهى عنه فما انتها ، وستقف أثناء كلامه على ذلك صريحاً ، وتعلم أن حرفة (38) الأدب تركته فى معترك الحرمان طريحاً ، وهو الآن أسماه الله متول كتابة بعض الأجناد ، راو أحاديث ابن منيع عالية الاسناد ، وحين ورد أمير المؤمنين نصره الله الحضرة الفاسية تحققت أن خموله يعود بفضل الله ظهورا ، لأنه نصره الله كفؤ لبنات أفكاره فلعله يغلى لهن صدقات ومهوراً ، ومثله نصره الله بارتفاع شأنه جدير ، نسأله سبحانه أن يطيل نصره فهو على ذلك قدير .

لقيت هذا الفاضل حفظه الله بفاس ، وأولانى من بساتين ايناسه زهر صفاء عاطر الأنفاس ، وسلانى عن الأهل والوطن والاخوان ، وشربت من عقار براعته فها أنا من ذلك نشوان ، وها أنا أذكر جملة من نظمه ونثره ، فمن ذلك قصيدة يمدح بها ولى عهد أمير المومنين مولانا أبا عبد الله المأمون نصرهم الله وهى :

38) بضم الحاء : الحرمان وسوء الحظ ، وحرفة الأدب معروفة واردة فى أشعار الكثير من الشعراء البؤساء .

هلال الأفق أم ظبى الفلاة … أعلق قد سطا بالمرهفات ؛
نعم من قد سبا الأرواح حسناً … وفاق البدر فى كل الصفات
أزاح قناعه عن وجه ظبى … فأوضح وجنة سلبت حياتى
فما للبدر ما فى الوجه منه … وما للظبى قد كالقناة
ولا ردف يميل اذا تثنى … يميل الصب ما بين الوشاة
رنا فأصاب سهم اللحظ قلبى … فويحى من سهام مصميات
حكت سيف الامير بيوم حرب … هو المأمون فوق الصافنات
امام سيبه عم البرايا … ودوخ ملكه الست الجهات
له يوم الطعان لواء نصر … يؤيده بثارا صالحات
ويوم السلم للأموال أضحى … يبددها باعطاء الصلات
فكم من معدم أغنى وكم من … طغاة أعدموا سبل النجاة

ومنها :

لك البشرى بعيدك عيد أضحى … لبست له ثياب المكرمات
وبشرى بالأمان من الليالى … وبشرى بالسعادة والنجاة
ودم لا زلت فى ملك منيع … ولا زال الزمان لكم مواة
ولا زلتم بدوراً فى بروج … ولا زال الأعادى فى شتات
ولا زلتم يقام الملك منكم … الى يوم القيامة فى ثبات
مدا ما عوينت فى الأفق شهب … وما نودى بحى على الصلاة

وله أيضاً أسماه الله يهنىء ولى العهد مولانا المأمون المذكور أيده الله ، بهزيمته لابن عمه الناصر ابن أمير المومنين الغالب بالله مولانا عبد الله رضى الله عنهم :

بشــرى فقد رفعت للنصــر رايــات وأعلنت بـدوام العــز آيـــــات
وأصبح الملك محفوظا جوانبــــــه محروسة منه أرجــاء وساحــــات
مستقبل السعد فى ورد وفى صــدر معجل الظفر تحميــه السعـــادات
يــا حـبذا أوبـة المأمون مـغتبطـاً بالنصر تخفـــق عن يمنـــاه رايات
من بعد ما عاين الأقوام منـــــه لـدا يـوم الطعـان هـزبراً لـه وثبـات
علا الأعادى بجيش لا يفـــــز ولا يهتـز ان وقعت للخيـــل كــرات
كأنهم والأعـــادى لا ثيـــاب لهــم أسد وبهــم لها فيهـــن فتكـــات

ومنــهـــا :

وهاكها من بنات الفكـر قـد جليـت عـــلى منصة حسن منــــه أبيـــات
جاءتك تختال فى حلى وفى حلـــل عذراء تزرى لها بالحــور وجنـــات
تقبل الأرض اجــلالا وتكرمـــــة ما قبلت ركب منكـم وراحـــــات
ترجو القبول ليمن من رضاك بهـــا ان الـقـبول من المأمـون نعـمـات
دامت علاكم ودام السعـــد يخدمكم ما هز غصن النقا فى الروض نسمات
وما تجلا صباح النصر عـن ظلـــم وما تبدت بوجه اليمـــن غـــرات

قلت : ولما أبت من حضرة الامامة مراكش حاطها الله مقضى الغرض من أمير المومنين أيده الله الى محروسة فاس من سنة عشر وألف فى ربيع الآخر ، وكتب لى أمير المومنين نصره الله الى ولى عهده يؤكد عليه الوصاة فى شأنى ، كتب صاحبنا الكاتب المذكور الى ولى العهد مولانا المامون أمنه الله فى ذلك ما نصه :

ملك الملوك السامى المقـــــــدار طود العــلا ومشيد كــل فخــار
مولى الندا علم الهدا الشيخ الرضـــا سبط النبى المصطفـــا المختـــار
حامى حما الاسلام ان طرق الـــردا بسنــــانه وحســامه البتـــــار

الله ملكك البسيطة وفـــق مـــا   نطقت بذلك ألســن الأجفـــار

ردعاك داعى النصــر مسروراً وقـد   حنت لذكرك سائـر الأقـطـــار

تـرجـو لقاءك مـصـرها وعـراقهـا   وحجازهـا والشـام دون تمـــار

وبنصركـم قـد أفصحت أدباؤهـا   من سوس الأقصـا الـى الأنبـار

أمـا تلمسان فقـد كلفت بكـم   كلف الجذيب المحـل بالأمطـار

وافى اليك فقيههـا وأديبهـا   ونبيههـا المعدود فى الأخيـار

الـمـقـرى عـلى مـقـامك وافـدا   ومـؤمـلا مـا عـز من أوطـار

ومقبلا هـذا البساط وصادحـاً   بعلاك فى الاسرار والاجهـار

لينال من جدواك كـل غنيمـة   فى حالى الايـراد والاصـدار

واليكها يـا ابـن الرسول خـريـدة   عذراء ترفـل فى ازار وقـار

جاءت تقبل من يمينك راحـة   وتكر آيبة بفضل يسـار

وافى بها الوجدى عبدكـم وقـد   فلت حجـاه صـوارم الاقتـار

فاهنأ ودم للدين والدنيـا فقـد   أمنت ذارك طـوارق الأقـدار

ما غنت الورقـاء من طـرب بهـا   وترنمت بخمائـل الأزهـار

وقال أسماه الله متغزلا أنشدنيها لنفسه وكتبها لى بخطه أيضاً :

يا قلب عشقك للحسان من الصـور   يتلو عليك النازعـات من السـور

ان رمت نظم الحسن بعد وشرحـه   فخذ البيان له بقـول معتبـر

ان الرشاقة واللطافـة والصبـا   حة والملاحة والحلاوة والحـور

فى حلة ذهبية فضيـة   مـوشـيـة بنفيس أفـراد الـدرر

صيغت لمن أهـوا وألبس سندسـا   منها وديباجـا عليه قد ظهـر

متأودا فيهـا بردف مـردف   متبخـترا يمشى بخصـر مختصـر

لبيـاض وجهه واللجـين تنـافس   ولوجهه اللآلاء فضـل بالخفـر

فاذا بدا واذا شــــدا واذا رنــــــــا خلت الغـــزال أو الهـــزار أو القمر

واذا نظرت لوجهه ولعينــــــــــــه قلت الجمال من الخدود قـــد انفجر

عينى وأذنى فى النعيم بنظــــــرة وبلفظه منه ، وقلبــى فى سقـــــر

هل عطفة أو زورة أو وقفـــــــة أو لفظة تقضى بادراك الــوطــــر ؟

ان لم يكن من ذى الثلاثـة واحـــد فاسمح فديتك يا حياتى بالنصـــر

بينى وبينك يا غـــزال قـــرابـــة بالحب فاحفظهـــا وصل ألف السهر

يا منيتى يا بغيتى يا نخبتـــــــى يا فرحتى ان نيـــل منك المنتظــر

أنت الطبيب لعلتى وعـلاجهـــــا بالورد أو ماء اللســـان اذا قطـــر

جسمى كجسم الناقهـــين من النـدا والنفـع منك اذا تشاء أو الـــضرر

ماذا يضرك ان مننت بعطفــــــة تشفى الضنـا وتـزيـل أوهام الفكر

ســلطــان حسنك بـالصبابـة آمـر وأنا المطيــع اذا نهـا واذا أمـــر

نفسى ونفس العـامليــن فـداك يـــا قوت القلـوب وروح أرواح البشـــر

لا تنكـرن ولهـى وفـرط تحيـــرى فجمـالك الزاهى للبى قـد بـهـــر

هلا قبلت تشعى وتضـــرعــــــى وأمرت طيفك بالـمـقـــام اذا خـطر

كن كيف شئت فاننى لك طـــائـــع راض بحكمك صابر مـع من صـبـــر

لا تلفيـــن قلبى لغيـــرك مـــائـــلا سيان عندى من لحـا أو مـن عـــذر

وقال يتغزل أيضاً وأنشدنيها لنفسه أبقاه الله :

سل الليل عنى فهو ليس بغـافـــل يخبرك من أنباء حالـى بطـائـــل

وقل لأخيك البدر ينبيك بـالـــذى أشـاهده من لوعتى وبــلابـلـــى

وسل طـاب هل طاب الكرا لى بعـدما نـأيت وسل عنى سمير البـــلابـــل

يخيـل لى واقلب خامره الـهـــوا بـأنى لقيت النفث مـن سـحـر بابل

عدمت جفونـى ان نظرت سـواكـــم جميلا وسحت بالـدمـوع الهـوامـل

وتبت يدى ان صافحت غير كـفـكم ... خضيبا ونـال الخدش منها أنـامـل
ولا جـال فكرى فى سواكم ولا سعت ... الى غيركم رجلاى سعى مـواصـل
ولا سمعت أذنـاى غير حـديثكـم ... ولو كـان من انشاء سحبان وائـل
ولـم يـثـنـنـى عـن بابكم لـزيارة ... قصور ولا عجز ولا نيل نـائـل
سـوى اننى خفت الأقـارب أن يـروا ... زيـارتنا تنبى بفعـل الأسـافـل

ومنـهـا :

ولست أبـالى بالعشيرة ان وشـوا ... وان أوغروا صـدراً على بـبـاطـل
اذا كان مابينى وبينك طيبـاً ... فما ذا الـذى يجدى كـلام العـواذل

ومنـهـا :

سأوليك من أبكار مـدحى خريـدة ... وأثنى عليك فى صدور المحـافـل
وأصفيـك مـادامت حيـاتى مـودة ... وان مت تلفـى بيـن صـدرى وكافلى

وقال أبقاه الله فى ذلك أيضاً من قصيدة :

يامن يسـائـل عن ذاتى وعن عرضـى ... فى حالة الحب قاصيهـا ودانيهـا
جسمى بفاس رهين فى معـاهـدهـا ... وليس ينفك عن بلوى يـعانيهـا
ولـى بمكناسة روح مـودعـة ... من دون جسـم يكـاد الحب يفنيـهـا

ومنـهـا :

ولـى بثغـر سـلا لب فلو يئسـت ... منه النفـوس لكـان اليأس يضنيهـا
ولـى بمراكش شـوق أكـابـده ... لو يسعد الـدهـر فى رؤيا مغـانيهـا
ولـى ارتياح الى القصر الكبير فقـد ... نالت به النفس بعضاً من أمانيهـا
ولـى بتطـاون دار الصبـا طـرب ... لموعد قد غوانى من غـوانـيـهـا

وأنشدني لنفسه من مقطعاته كثيراً ، فمن ذلك قوله :

بي جؤذر قد برا فؤادي ... حتى غدا بالهوا جذاذا
اذا شكوت اليه ما بي ... يقول ان مت كان ماذا
يا غاية الأمن والتمني ... رفقا بمن بحماك لاذا

وله مما كتب بالذهب في نوع من الحلي يجعله النساء عى رؤوسهن يقال له السلتة :

لي فضل على الثياب لأني ... حزت من دونها بحسني الرؤسا
وحللت الجباه يوم اجتلاء ... وحكيت بمذهبي الشموسا
وأنا مثل لابستني جمالا ... حين تبرز بي تسر النفوسا

وأنشدني لنفسه من قصيدة خاطب بها مولانا المأمون أمنه الله تعالى يستعين به ويستمنحه حين تزوج :

ملك الملوك ومولى النعم التي ... جلت فأجلت ظلمة الاقتار
أنت الامام المرتضا الشيخ الرضا ... وابن الرسول المصطفا المختار

ومنها :

امنح عبيدك من نداك معونة ... في نقد مهر عقيلة الأبكار
لا زلت منصور اللواء مظفراً ... ماضي العزائم سامق المقدار

وأنشدني أيضاً لنفسه يصف روض الطريفي (39) أحد متنزهات فاس :

ءاهاً لروض طالما غنت به ... قينات أنس تحت ظل غصون
فغدا هشيماً بان عنه زهوه ... وذوت غصون الليم والليمون

39) ما زال هذا الروض معروفا بفاس ، ويسميه أهلها منزه الطرايفي ويضربون به المثل في الفخامة والرفعة ، وهو منسوب لبانيه الحاجب الوزير عبد الله الطريفي ، حاجب السلطان عثمان بن أحمد بن أبي سالم المريني .

وأنشدني أيضاً لنفسه مما كتب في مدفع أمره بذلك ولي العهد المأمون مولانا الشيخ ابن أمير المومنين مولانا المنصور أيد الله أمرهم :

بديع شكلي وفعلي في الوغا رفعا   قدري على البيض والأقواس والأسل
ولأعادي الامام الشيخ صغت فلا   أنفك أرميهم بالحتف من عجل

ولـه في ذلك أيضـاً :

انـي لحتف عـدو لا يـقـيـه نـورا   مني وللملك الشيـخ الرضـا واق
وقد فخرت على كل السـلاح بـه   وما لمن كلمتـه ضربتـي راق

وله في ذلك :

وأنا التي فقت السـلاح بأسرهـا   تصمي عـدا الشيخ الامـام مضـاربي
مهما ربوت الى الكمـاة بسطوتـي   يلقـون مني الموت ضربة لازب

وفي مثله الا أنها مدفع الزناد :

انـا المصـوغ لحتـف   مـهـمـا قـدحـت زنـادي
من راحـة الشيـخ مولـى الـ   ـملوك أصمي الأعـادي

وأنشدني أيضاً لنفسه مما كتب في الخباء الماهوني المعروف ببيت الجماعة :

أنـا القبة الحسنـا التي راق منظري   وكم في من حسن بديع واحسـان
فحيطـان من وشي الحـرير تـلألأت   وقد حاز بحر الجود والحلم جثمـان
امام الهدا الشيخ الرضا قامع العـدا   به حسنت حالي وعظم لي شـان

وله أيضاً حفظه الله يخـاطب الفـقيه النـحوي أبا الحسـن علي بن الـزبير السجلماسي رعاه الله :

اقدم أبا حسن تشاهد مجلســــــا يغنى عن المصبـــاح وشى طـــرازه
تلفـــى الصدور على البدور مطلـــة وتشاهـــد الأعجاز فى أعجـــــازه

وقـــال أيضاً وقـــد أمر ولى عهد المسلمين بانشاء ما يكتب فى قبة اسطبـــل الخيـــول الصافنـــات ، وكلف أن يقـــول انهـــا تقـــابل قبة النصر وقبة الريح ، وأن خيلهـــا بين الريـــاحين :

أنا التى لسرور النفس مبدعــــــة ومنظرى لجيـــاد حـــول ريحـــــان
لقبـــة الريـــح والأفراح ناظـــرة تاج الملوك الامام الشيـــــخ أنشانى

وقال حفظه الله متشوقاً الى الحضرة الفاسية حين فارقها مضطرا :

بعاد وبين كل ذاك يهــــــــــون فهل عودة بعـــد النوا وسكـــــون
وهل أطأن جسر الرصيـــف وهل انا بمخفية بعد الظعـــان قطـــــــون
وهل أردن ماء المعادى على الظمــــــا وهل يبدون لى سهلهـــــا وحـــزون
وهل لى الى تلك المنـــــازه نـــزهـــة وهل تستلـــذ النـــوم فيهـــا جفون
وهل لى على وادى الجواهـــــر جلســة تسلى فؤاداً أثخنتـــه شجـــــــون
بلادى التى أصبو مقيمـــاً وظاعنـــــاً اليها ، وقلبـــى منذ نشأت حنيـــــن

ولـــه أبقـــاه الله ممـــا كتب عـــلى منزهه المـــرتفع المطل عـــلى وادى الزيتون كـــتـــب . . . . . . زوردى :

اننـــــى مجلس أنـــــــــس وســــرور وانشـــــــــــراح
فاغتنـــم عندى غبــــوقـــــــا واصطبـــاحـــاً فـــى الصبـــــــاح
للصبــــــا منـــــى محــــــل فـــــى غـــــــــــدو ورواح
طالب العفـــو بـــنــــــانـــــى من رحيـــم ذى سمـــــــــاح

وقـــال أبقاه الله يخاطب من خامر لبه لما سأله السلو عنه :

ولما أبيتم أن تجودوا بوصلكـــــم   وطوقتمونـــا من هـــواكم سلاســلا
ركبنا متون الصبـــر نفـلى فلا النوا   الى أن بلغنا للسلـــو منـــــــازلا

ولـــه أيضاً :

قالوا يحبك من تحب فهمت حبـــــ   ـى فهمت ذاك ومست كالنشــــوان
ورجوت أن تكون عنـــدى ألفـــــة   مثل القلوب بناعـــم الأبـــــدان

وله يتغزل فى ابن مالك :

تمنيت تقبيلا بمذهب مـــالـــــك   رجاء لأن أحظى بمذهب مـالــــك
وما كل عطف يشتفى بـه مغــــرم   ولكن شفاء الوجد عطف ابن مالـــك

وقال أيضاً أبقاه لله وقد ساير الأديب السائح رحمه الله :

وذى خد أسيـــل لم يـــــــراع   ذمام الحب فى الصب القتيــــــل

فقال السـائـــح :

له لحظ من الهندى أمضـــــــا   وردف قـــد تعلـــق من نحيــــل

فقال الوجدى أبقاه الله :

ولى قلب يذوب أساً وشوقـــــــاً   وجسمى من جفـاه فى نحـــــول

فقال السـائـــح :

فليت الدهـــر أتحفنا بجمـــــع   ولقـــانا على رغـــم العـــــذول

وكتب له الحافظ المؤرخ الأديب محمد بن يعقوب رحمه الله مسلياً عن نكبته :

تألم هذا القلب من ألم الوجـــــد   ولا غرو فى وجد أتانا عن الوجـــدى
فتى العلم والآداب والخط والحجـــا   ونظم القريض والسيادة والمجـــد

فأجابه أبقاه الله أعنى صاحب الترجمة بقوله :

لئن تألمت من وجدى ومن كمدى — وما تقاسيه من حر النوا كبدى
فالله يجزيك عنى كل مكرومة — تسمو بها بدوام لا الى أمد

وقال أيضاً أبقاه الله فى أكليل الملك المشهور بمجيد ش :

يا حسن نور مكيدش لما غدا — يحكى لنا تاج النضار المنسبك
وغدا يسير تبختراً فى قضبه — وبوشيه يسبى اللبيب المنتسك
لا تعجبوا من حسنه فهو الذى — يدعا من الافضال اكليل الملك

وقال حفظه الله يتغزل والتزم التجنيس :

حاكاك بدر الدجا لم يدر منحاكا — شتان ما بين محكى ومن حاكا
ألقاك حسنك يا مولاى فى كبدى — واخجلتى واصفرارى حين ألقاكا
معناك يعجز عنه الواصفون فهل — أقضى لبانات قلب عند مغناكا
أغناك ربك عن خصر فأنحله — سبحانه بثقيل الردف أعناكا
ما شاك لحظى الى أن غبت فى كبدى — وقدك السمهرى للقلب ما شاكا
سواك ربى من نور ومن درر — من ذا الذى فى بديع الحسن ساواكا
أقصاك حسنك عن ادراك ذى مقه — والقلب قاسى فما اقسا وأقصاك
من جاك مختلسا ورد الخدود فقل — هيهات أين من الألحاظ منجاكا ؟

ومما كتب به الى وأنا اذ ذاك بمحضر الامامة حاطها الله صدر رسالة عام تيسعة وألف :

أمولاى ياذا الجود والفضل والمجد — يناجيك قلب مستهام من الوجد
ويهدى على شط المزار تحية — اليك تبارى المسك والعنبر الوردى

وقال وقد سأله أحد المسمعين بين يدى مولانا أمير المومنين المنصور أيده الله أن يخترع له ما يليق بالمقام السلطانى فى غرض الهناء :

السعد أقبل والأيام دانية ... واليمن أسفر عن وضاحه الحسن
فالآن أنشد اذ طاب المقام لكم ... هنئت بالملك والأحباب والوطن

وقال أيضاً على لسان المسمع المذكور وأخبرت أن أمير المؤمنين أيده الله استحسنه :

اذا يمم الحادى بديعك أوحدا ... غدوت على حكم الهوا فيك أوحدا
وان غردت فى دوحها الورق بالحما ... حكيت بسجعى فى مديحك معبدا

وقال رعاه الله فى غرض التضمين :

ولما جفوتم وازوررتم وبنتم ... وقد قطعت باليأس تلك المطامع
ظللت وكفى فى كلوم يد النوا ... على كبدى واللب عنى شاسع
وبت كأنى ساورتنى ضئيلة ... من الرقش فى أنيابها السم ناقع

وقال مضمناً أيضاً :

وصفراء كالشمس المنيرة نورها ... لها فى خدود الشاربين مطالع
اذا لمعت بالكأس قال مديرها ... أبدر بدا من جانب الغور لامع (40)

وقال فى لابس أصفر :

لبس الصفرة كى يزهو بها ... شاذن من جنة الخلد نفر
خلته من حسنة لما بدا ... هالة العسجد وسطها قمر

40) صدر بيت لابن الفارض ، وعجزه : أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع .

وقال أبقاه الله في غرض التورية بكتب مشهورة :

أمولاي رفقا بصادى الفؤاد ... فها أناذا من صفاء وداد
وهبتك طوعاً كتاب المكودى ... عساك تقابلني بالمرادى
والا فجد بشفاء الغليل ... فتوضيح سقمى عندك باد

وقال أبقاه الله :

وقائلة لما رأتنى نائماً ... كذبت ولا والله ما أنت تعشق
فقلت لها ما نمت الا لأننى ... رجوت خيالا منك فى النوم يطرق

وقال فى غرض التضمين :

يقول مودعى لما رآنى ... كئيب القلب من فقد الديار
ونار الشوق تضرم فى فؤادى ... ودمع العين فوق الخد جار
(تمتع من شميم عرار فاس ... وهل بعد العشية من عرار (41)

وقال أبقاه الله يمدح تأليف شيخنا الامام شهاب الدين بن القاضى أبقاه الله المسمى بـ (**جذوة الاقتباس ، فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**) :

ان التآليف لا تحصا لكثرتها ... فى جملة العلم منظوم ومنثور
وما رأت مقلتى فى كل ما لحظت ... كـ (جذوة) قد أنارت كل ديجور
أتا الشهاب بها تولى مطالعها ... علماً بما قد مضا من كل مشهور
لأحمد بمراقى العلم مرتبة ... علياء يقصر عنها كل نحرير
آنست من جانب المنصور كل منا ... بها وبـ (المنتقى (42) فى زى مسرور

41) أصل البيت :

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

42) **المنتقى المقصور ، على مآثر الخليفة ابى العباس احمد المنصور** تاليف أبى العباس احمد بن **القاضى** ، توجد منه نسخ بالخزانة الملكية بالرباط والخزانة الزيدانية بمكناس ، والخزانة العامة بالرباط

لك البشـارة واهنأ بالقبول فـقــد قبست ما شئت من علم ومـن نــور
جوزيت خيراً ولقـاك الالـه غـــداً منا النفوس من الولدان والـحــور

وأنشدني لنفسه أبقاه الله :

بالله يا ريح الصبا هبـي عـلـى من بالحشـاشة خيموا وأقـامـوا
وعلى (زقاق البغل43) ان تسرى ضحاً قولى عليك من المشوق سـلام

وتذاكرنا يوما ما قيل في وصف النخل ، وجلبنا بعض ما قيل فـي ذلك ، فأنشأ صاحب الترجمة ثلاث قطع كلها في غاية الجودة .

الأولـى :

انظر الى شجرات النخل كيف بـدت بين الـريـاض بأغصان وقـامـات
كـأنهن ممـاليك وقـد حـملـت للدب عن ملـك خضـر المـدبـات

الـثـانـيـة :

كـأنـمـا الروض مليك الـربـا من حسـنـه استولـى على جـنـسه
فاستخدم النخـل عبيداً لـه يـقـفـن للدب عـلـى رأسـه

الـثـالـثـة :

انظـر الـى النـخـل وقـامـاتـه تميلها الأرواح بيـن الغـروس
تحكى بنـات الزنج في محـفـل قامت لتأديب عـراة الـرؤس

وأنشدنـى لنفسـه يخاطب الفـاضل المـاجد أبا الحسن عـلى الحسنـى بمجلس أنس :

ان شئت أن تلـقـا محيـا جميـل وقهـوة كالشمس عـنـد الأصيـل
فاقدم على خلك فى سـرعـة يابغية النفس ونعم الخليـل

43) حى شهير بفاس ، عدوة القرويين .

وقال مضمناً :

ولــمـــا رآنى من كلفت بحبـــــه ... وقد وعد الحـادى بترحالنـــا غــدا

أتانى يـقـول لم طلبت فـراقـنـــا ... ولــم صـــار شمل الوصــل منا مبددا

فقلت مجيبـاً كى تطول اقامـــتـى ... وصححت قولى بالــذى فيه أنشـــدا

(سأطلب بعد الدار عنكم لتقربــوا ... وتسكب عيناى الدموع لتجمـــــدا)

وقال أيضا أبقاه الله مجيباً عن سؤال كتب له به الفقيه الأجـل الـمدرس الخطيب ، صاحبنا أبو زيد عبد الرحمان بن ابراهيم المشتراءى حفظه الله أوله :

أسـائـل فـاضـلا حبراً نجيبـــا ... ليعـرب عن ضمـائـر ما بـفـهـــم

وسياتى تمامه فى ترجمته ، فأجابه صاحب الترجمة بقوله :

فدتك النفس مولـــود أتـاكـــم ... وتلـك الشـــاة فاعلـــم ثـــدى أم

وذاك الخل ضـاهـــا وجـه حــب ... وحسن سنـائـه يحكى بـوهــــم

والاثنـــان اللذان قــد استـطـــالا ... نـهـــار كان فيه ألـف يــــوم

وليل مثل عـــرض الأرض طـــولا ... على أنـى حرمت فـيـه نـــومـــى

فـدونك سيدى حـــل الأحـاجـــى ... وعش مـا دام قطر المزن يـهـمـــى

وكتب الى وأنا بتلمسان المحروسة قبل أن أعمل الرحلة الى حضرة الامـامة حاطها الله بهذا اللغز فى اسم برنية (44) :

اسـم الـتـى تيمنـى حـبـهـــا ... تصحيفـــه تـربيـــة للـــهـــوا

فبعضـهـــا وصف امرىء صـالـــح ... لـــوالـديـه طـائـع مـا غــــوا

وبعضها الآخـر من فـعـلـهـــا ... لكن بتصحيف يـزيد الـجـــــوا

فوقع الجواب منى بما نصه :

---

44) الباذنجان ، وبهما تعرف فى الأندلس والمغرب ، ويقال انها منسوبة الى بوران أحد مماليك بنى أمية بالاندلس ، اذ كان هو الذى جلبها من فارس واعتنا بغراستها هناك .

يا كاتباً على الكمـــال احتـــوا وبارعـــاً من البيـــان ارتـــوا
لـغـزكـم تصحيفه ان بـــــدا يـــزينه بـشـر عـليه انطـــوى
فـالبعض وصف لمسيـح الـهـــوا والـبعض مثل مصـدر من نـــوا
تصحيفـه تيه فعـــش آمنـــــا وقـــاك ربى كـــل مـا يجتـــوا

وكتب الى أيضا لغزاً فى اسم أحمد :

أســائـل حبراً حل فى بلدة الـعـلا تلمسان دار العلم خير مـديـنـــة
عن اسم بقلبى ما حييت مـعـظـــم وان زال منه الصـدر خمد لـوعـتـى
ولكن بتصحيف وان زال ثـالـــث فوصف اله العرش تلك عـقـيـدتى
وان زال ثـان من حـروف فـانـه يصير دمـاً فى القلب من أجل عشقتى
فبين لـنـا من قـد كلفت بـحـبـه ومن حبه فرضى ونفـلى وسنتـــى
فلا زلت فى فن البلاغـــة كعبـــة ولا زلت فـــى حـل اللغـوز وسيلتـى
وعش سالمـاً ما أنشد القوم منشد : نـعـم بالصبـا قلبى صبا لأحبتـى

فصدر الجواب منى بما طال العهد به ، وأوله :

أيا ماجـداً قد حـــاز أشرف خطـــة ببلـدة فاس فى سرور وغبطـــــة
أتيت بلغـز كاللآلـى مـنـظـــم قصـدت به من حـل فى أرض طيبـة

ولم يحضرنى الآن تمام القطعة التى حصل الجواب بها، ولم أجد الا ما ذكرت .

وقال أبقاه الله ارتجالا :

وهـويته ألـمـاً أغـن مـهـفـهـفـا من لطفـه أدميه بـالـوهـــم
متخنثـاً متأوداً فـى مشيــــه فـكـأنـه لـحـم بـلا عـظـــم

وأخبرنى أنه أنشده لنفسه النحوى أبو عبد الله محمد بن سيدنا الامام الماهر العلم أبى القاسم الوزير الغسانى أسماه الله مورياً بالعروض قائلا :

خـلـيـل لـو رآه سـيـبـويـه يقطـع قـال ذا هـو الـخـلـيل
عجبت لـه يـقـطـع كـل قـلـب ولا سبب خفيف أو ثـقـيـل

فأجابه حفظه الله بقوله :

لـعـمـر أبيك لا تعجب لـخـل يقطع انه لـغـو الـخـلـيـل
ولا تـقـل بـلا سـبـب فـردف خفيف منه والخضر الـثـقـيـل

وأنشدني لنفسه في لابس أزرق :

لبس الـزرقـة ظـبـى فـغـدت حلة الحسن عليه ضـافـيـه
خلته والحسن يـعـلـى قـدره بـدر تـم فى سـمـاء صـافـيـه

وكتب اليه أبو عبد الله الوزير المذكور ملغزاً فى مسألة (ان المـاء) وهـى شهيرة عند النحويين بما نصه :

يـا من سـمـا قـدره للسـمـاء وعقلـه عـن رتبـة الذكـاء
ما كلمة فى صورة الحـروف ليست بجـر لا ولا تـصـريـف
معمولـهـا بالرفـع والخفض وصف تصحيـف معنـاهـا متيم كلف (45)
جـوابكـم للـغـزنـا دواء من شبهة طـال لك الـشـفـاء

فأجابه أسماه الله بقوله :

يـا من عـلاه قارنت أوج الـفـلـك أمـا مبانى المجـد كلهـا فـلـك
يا حبـذا لـغـزك الـبـديـع فـى كـل لفظـة بـه بـديـع
ان التى فـى صـورة الحـرف غدت مشبهـة لـمـا بحكـم أكـدت
ليس لـمـا تعمـل فـيـه من عمـل لمصحف المعنـى كمـا جـاء المثـل

45) يعنى صب ، لأن أن الماء من قولك أننت الماء فى الحوض اذا صببته ، فاعلمه ، قاله مؤلفه سامحه الله .

والقلب من مصحف وصف حجر — اذا أسيل منه جاء وندر

كالقلب من ظبي بترخيم غدا — يفعل فينا لحظه فعل المدا

ولفظها شيخ النحاة ذكره — الأزهري في نائب خذ خبره

وعند ما قال ابن مالك كتب — وما لباع يرى لنحو صب

معمولها بغير رفع ما وصف — في اللفظ والخط بهذا قد عرف

وطبعه الخفض وقد وصف به — معنا وهذا الفيلسوف قال به

لكن ذا بحسب الهواء — والأرض من تحت بلا امتراء

فانظر اذا ما مانع من الغرق — واشكر الاه عزة رب الفلق

هذا جواب اللغز يا نبيل — قد جاء وهو قاطع دليل

فخذه سيدي ولا تعترض — واقبله باسمه وكن عنه رضي

وان رأيت فيه ما يشينه — فاجبره من لفظك ما يزينه

وابق بقاء الدهر في عيش رغد — طول المدا واليوم والأمس وغد

وباللغوز دائماً تحاجي — ما طلع النجم بليل داج

وكتب اليه الفقيه النحوي أبو الحسن علي بن الزبير السجلماسي سدده الله لغزاً سيأتي في ترجمته ان شاء الله أوله : أحاجي خبيراً باللغوز وحلها الخ في بفر فأجابه صاحب الترجمة بما نصه :

أمسك تضوع أم عنبر — ودر تنظم أم جوهر ؟

أم السحر لكن حلال بدا — وما كل حبر به يشعر

بلى ذاك نظم بديع أتى — به العالم العلم الأشهر

أبو الحسن المرتضا المجتبا — يحاجي ومن بحره يعبر

ويلغز في اسم اذا صحفوه — يقر له الذرب الأكبر

وفي قلبه رفث بين — اذا صحفوه لمن ينظر

وان زال آخره فاسم ما ... بعضه طيب الكرا ينفر

فهذا جواب امرىء عاجز ... يعانى من الشعر ما يعسر

فلاحظ بعين الرضا هجنه ... فعذرى باد لمن يعذر

ودم فى سرور ونيل منا ... وأعطاك ربك ما تشكر

وخل أخاك لحمل الهموم ... ونيل الغموم بها يسهر

وزرق النبال وسمر العوال ... وبيض النصال لها يصبر

حبيب جفاه وقلب عصاه ... وعشق براه به يقبر

صنعت القريض فلا مانح ... ولا فاضل جوده ممطر

وقلت النسيب فلا عاطف ... ولا واصل بعدما يهجر

لى الله من عاشق مبعد ... حنين الفؤاد متى ينصر

وقال أسماه الله مضمناً بيت الشريف العقيلى رحمه الله :

يا والى الحب اجتهد فى حجتى ... فالقلب من دين الصبابة فى عنا

خلص بجاه الحب قلب متيم ... غمز الصدود عليه أعوان الضنا

وقال حفظه الله وقد أمر له ولى عهد أمير المومنين نصرهم الله بصلة عند قائدين من قواده أحدهما اسمه الناصر والآخر منصور :

يا من لعزة ملكه ... خضع الأكاسر والقياصر

ضاعت معونة عبدكم ... ما بين منصور وناصر !

وقال مجيباً شيخنا وشيخه العلامة شهاب الدين ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى أسماه الله عن لغز فى اسم زينب سياتى فى ترجمته :

لغزت يا من قدره ... بطلعة الشمس اقترن

فى غادة مسحرة ... فنصفها ردف حسن

ونصفها أمر امرىء	لمن ينوب فى المحن
فدونك اللغز الذى	به اللبيب يمتحن
واقبله بالعذر ولا	تعتب على الذى وهن

وقال الامام ابن القاضى المذكور حفظه الله هذا البيت الفرد :

فالعلوم به اضمحلت فأضحت	يعتريها من العفا خفقان

فذيله صاحب الترجمة المذكور بقوله :

لهف نفسى على التفاسير أضحا	بالفهوم (كشاف) ها يستهان
واكتسا (الفخر) فيه ثوب خمول	(والجواهر) ما لهن حسان
(والصحيحان) انهكا باعتلال	فقد فهم من عالم له شان
و (خليل) لم يلف فى الفهم خلا	يرتضيه توضيحه مستبان
و (البيان) سعوده فى نحوس	والكلام أودى به الحد ثان
وقضايا المنطق أضحت عرايا	عن نتائج يقتضيها العيان
والعروض أسبابه قد تقوت	والقوافى بالاكتفاء تزان
والقريض ينشد وعظاً وردعا	للجهول كما تدين تدان
كان للدين والعلوم فحول	حشو فاس بانا معاً منذ بانوا
حق للعين أن تجود بدمع	بل دماء وأن يذوب الجنان

ونظم الكاتب الوجدى المذكور أكثر من هذا كله ولنقتصر على هذا القدر منه ففيه اقناع ،

وأما موشحاته فكثيرة منها قوله :

ياقد غصن البان	رفقاً على المشتاق
قد ضرنى الهجران	والقلب فى احراق

* * * *

قد طال يا سفاك   في حبكم سهدي
لكنه اذ ذاك   أحلا من الشهد
بلحظك الفتاك   أقصر عن البعد

* * * *

يا ساحر الأذهان   الوصل لي درياق
عني الكرا قد بان   وهاجت الأشواق

* * * *

عذبت ما ارتاح   بشاذن أحور
ريقته كالراح   وعرفه عنبر
كأنه ياصاح   عن لؤلؤ يفتر

* * * *

ظبي له أجفان   بها الورا قد شاق
ووجهه الفتان   قد أدهش العشاق

* * * *

فلي به اعجاب   يزداد بالتخمين
وما بي من أوصاب   يشيره التحسين
ياعابد الوهاب   جد لي بالتلقين

* * * *

فان حيني حان   وليس لي من واق
قتلتني طغيان   بصارم الأحداق

* * * *

لازمـــنـــي الـسـقـــم وبـــرؤه مـشـكـــوك
فـــالـدمـع والـجـسـم منـسـرح منـهـــوك
فـصـــل ولا اثـــــم فـي قـتـلـة الـمـمـلوك

* * * *

يـا قـد غـصـن الـبـــان رفـقـاً عـلى الـمـشـتـاق
قـــد ضرنـــي الهجـــران والـقـلـب فـي احـــراق

* * * *

الى غير ذلك من كلامه الحر ، وموشحاته التى خجل منها ابن زهر .

وأما نثره فغاية فى بابه ، وقد ألبسه البيان من جلبابـه ، فمن ذلك ما كتب به الى قبل هذه الأيام ، وصدره بنظم ، ونص كتابه المذكـور ،

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

تحية اخـوان معطـرة الـنـشـــر تخص الامـام الأوحـد السامى القدر
ويغشا الجناب المقـرى عبيرهـــا وتوليه منا أطيب الحمد والشكـــر
اليك أبـــا العباس سقـنـا مطيهـــا عـلى خـطـر تـفـلى فـلا المهمه الفقر
نبت على ذرا فـــاس لـشوق ويممت تلمسان تنحو جانب المجد والفخـــر
بعثنـا بهـا عن وحشة ومــــودة تجدد عهـداً أخلقته يـد الـدهــــر
وتـلـثـم عنا كف كـل مـنـــوه فقيه نبيل فـاضل ماجـد بـــــر
خـصـوصـاً أبـا عثمان عمكم الرضا امام الهدا ركن التقـــا واحد العصر
فان وردت تلك المنـازل فـاذكـرن بهـا ما مضا من حسن أيامنـا الغـــر
ولا تنس عهـداً بان واذكر اخـاءنـا فحفظ الاخا والعهد من شيم الـحـــر
فانا وان شط الـتـزاور بيـنـنــا لملتـزمـو العهـد القديم الذى تدرى

فلله عيش قد مضا باجتماعكم قصيراً وعذباً مثل اغفاءة الفجر
وأوقات أنس ذكرتنا وريطكم (46) بطيب مقيل فى بساتينه الخضر
ومنا السلام العاطر العرف كلنا عن كلكم ، من غير عد ولا حصر

الأصالة التى ألتحق بأصلها فرعاً ، وأثنى على فضلها طبعاً وشرعاً ، والمكانة التى رقت الأفلاك ، وامتطت سنام الفرقد والسماك ، واستخدمت عطارد فاستفاد من علومها ، وما منعت المشترى من أعلاق فهومها ، مكانة سيدنا وأخينا وحبيبنا الذى من تلقائه كل بر يوافينا ، العلم السامى الجلال ، الحافظ أصالته وعراقة مجادته بكريم الفعال ، وحميد الخصال ، الأنوه الذى كرم فرعاً وأصلا ، وشرف جنساً وفصلا ، الفقيه العالم الأبرع ، والناسك الأنزه الأورع ، والخطيب المجيد المصقع ، الناظم الناثر ، الحافظ المكثر الماهر ، اللوذعى العبقرى ، سيدنا أحمد بن محمد المقرى، أبقاها الله ملجأ للعشى والنوابغ، والحكم البوالغ، والنعم السوابغ، ولا زال جنابكم السيادى بالتعظيم يعتمد ، وفسحة سعدكم ليس لها حد ولا أمد ، سلام كريم ، طيب واكف بالتعظيم ، صيب كما تأرج الروض غب سمائه ، وتاه سام الصبح على حام الليل بضيائه ، عن صافى محبة وخلة ، وشفوف فؤاد أنهل الفؤاد وأعله ، ووحشه حندسها داجى ، وتذكر كل حين لكم يناجى ، وسؤال عن تلك الاحوال ، المرضية بعون الله فى الحل والترحال ، وبعد ، فقد وافانا كتابكم الذى أروا صادياً ، وصار فى نهج الوفاء رائحاً غادياً ، مسفراً عن وجه خلته ، باسماً عن عارضى الوداد وثنيته ، ضارباً فى فن البلاغة بنصيب ، فائزاً من أقلام البراعة بالمعلا والرقيب ، فحبذا طعام اشتركناه ، ومتات توسدت خدودنا أبردى أرطاه ، ووفاء حكا وفاء السموأل ، وأنجد لما خان الدهر وخذل ، الا أنه كان كليلة الوصل ما عابه الا القصر ، فوددنا أن لو أمده بسواد منا القلب والبصر ، بخس قدره

46) الوريط متنزه واقع على بعد 7 كلم الى الشرق من تلمسان به كهوف وغدران وشلالات تنصب الى نهر الصفصيف من وادى المفروش ، وهو من أجمل متنزهات الشمال الافريقى ، وقد خلده شعراء العرب وغيرهم ـ قدماء ومحدثين ـ فى قصائدهم .

الاختصار ، وافتقر الى شرح يقع به على متعاطى معانيه الانتصار ، لكن غبطة النفوس به عظمت ، والأخوة الى حضور مأدبته انتدبت ، قد قرأناه قراءة اعجاب ، وتأملناه تأمل استملاح واستغراب ، وتقصينا فصوله وأبوابه ، وكلفنا به كلف يزيد بحبابه ! نقبله طورا وطوراً نجله ، فننزله فوق الرؤوس ونحله :

سررنا به حتى ظننا بأنه   أتانا من الرحمان فى يدنا اليمنا

وان تفضلتم بسؤال ، وتشوفتم الى أنباء الأحوال ، فليس الا :

دقائق جل الصبر عنها فلم نطق   سوى غض أجفان وعض أباهم

هؤلاء اخوتك الثلاثة ، الذين نادتهم العوامل من باب الندبة والاستغاثة ، قد نضبت عندهم الموارد ، وقل لهم المرافق والمساعد ، فهم أثفيات نار الجوا ، ومطيات سفير النوا ، أما الجريح فقد عضه الدهر الخؤون بنابه ، وسافر كى يجبر رضه بنابه ، فورد من وشل ، واستمك بفشل ، وحين قفوله الى وطنه ، واقترابه من أهاليه وسكنه ، حاربته الفئة المتلصصة ليلا ، وجرت اليه نحسا وويلا ، فأخذ جميع ما كان له مملوكا ، وأصبح فقيرا صعلوكا ، وهانحن نكابد همه ، ونشاطره كمده وغمه ، والله بجبر ما تلف له كفيل ، وهو حسبه ونعمل الوكيل ، وأما العضد فهو فى طلب معاشه ، ومكابدة ألمه وانتعاشه ، يعلو ويرسب ، ويجيىء ويذهب ، ما استضاء ضال بمصباحه ، ولا تطلع معقب الى اصباحه ، مع علمه الذى به فى مضمار المدارسة قد جلا ، ونباهته التى فاز من قدحها بالرقيب والمعلا ، وأما العماد فقد وها ، ونال منه الخمول أجل مشتها ، أنكرته أوطانه ، ولم يشقه حجاره ولا أصبهانه ، ولما لم يجد خاطباً لأبكاره ، من بنات افكاره ، لاذ بخيسه ، على قل بضاعته وفراغ كيسه ، بعد أن شام من مخدومه برقاً قد وجده خلباً ، وتراءى له من قبله سحابا جهاماً لاصيبا، وقد أنها الينا ما تلقاكم به أعيان ذلك البلد، منالترحيب والتبجيل الذى لم يعهد ، فمثلكم بالتكبير جدير ، ومثلهم بأثمان الأعلاق بصير ،

وما أشرتم اليه فى خاتمة بديع كتابكم ، وتكملة عائد أنبائكم ، من العارض الذى بكم ألم ، قد أساء والله الجميع وأهم ، فهو المسؤول أن يرفع عامل ذلك الوصب ، ويرد من أجزاء الصحة المقتضب ، وبعض ما ارتكبتم من التلويح، أغنا عن التصريح، ومن غص بالريق ، طوا الكشح على حريق ، وما بالك أفعم الله اناءك ، ووالا بمنه ارتقاءك ، لم تخبر أخوتك بما خولته من جزيل الفائدة ، والنعمة الزائـدة . فقـد أخبرنــا الغير أنكم توليتم استغلال الجنان بالحنايا (47) المحتوى عـلى أشجـار الزيتون الثمين ، وأن غلته فى كل سنة تساوى المئين ، فسررنا بذلك ، واغتبطنا بصلاح أحوالك ، اذ نحن شركاء فى البؤس والانعام ، تألفنا على نسب كريم من رحم الأقلام ، نخبركم حفظكم الله أن الفقيه القاضى المفتى سيدى على بن عمران قدم الى مراكش عن أمر مولانا السلطان المنصور بالله ، أمير المومنين أيد الله عساكرهم ، وأحمد مواردهم ومصادرهم ، ظن الناس أن ذلك لمزية يتملاها ، أو خطـة قضاء يتولاها ، ونخبركم أن صاحبنا وأخانا الأود الأرضا الفقيه البارع ، سيدى عبد الرحمان بن ابراهيم ، قد سافر لبلاد السودان الشاسعة ، يرتاد هنالك معيشة واسعة ، وحين أنكرته هذه البلاد ، خرج مع البازى وعليه سواد ؛ بعـد أن سلـم عليك ، وكان يسأل عنك ، وكان يريد القدوم الى حضرتكم فلم يجد موافقتنا عـلى ذلك ، والله المسؤول أن يصحبه السلامة فى المقام والسفر ، سرواً أمامه وتاويباً على الأثر ، وسلم منا أيها الأحب سلاما رحب الساحة ، بتقبيل الأنامل والراحة ، على العم الأرضا ، الفقيه القدوة الأحظا ، المفتى الخطيب البليغ سيدى سعيد ، وعلى سيدنا الفاضل ، الفقيه البارع الكامل ، القاضى الأنزه سيدى أحمد اليزناسنى ، وعلى سيدنا الفقيه العالم العلم ، فارج باب النوازل المبهم ، سيدى حميدة بن أبى مدين ، وعلى سيدنا الأجل الأسعد العابد ، الخير سيدى محمد الوالد ، وعلى جميع

47) قرية واقعة على بعد 10 كلم شمالى تلمسان .

من لاذ بكم . والسلام الكريم عائد على أخينا وسيدنا البر الوصول ، الذى زكت منه الفروع والأصول ، ما تعاقب البشر والقنوط ، وولجت ركاب فارس باب كشوط (48) أو ما أضاء مصباح سليط ، وترنمت ورقاء بالوريط ، واسنشق زهره المتضوع العبير ، وسبح أهل الحضرة بالغدير ، بمنه وطوله .

محبكم ومجلكم الذاكر الشاكر ، محمد بن على الوجدى كتب خار الله لـه ، وأصلح فى الدارين باله .

وبعد كتبى لهذا المحل وقفت على كتاب له عن أهل فاس الى أمير المؤمنين المنصور بالله أيد الله أمره هناء بابلال ، نصه

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

المقام الذى سلم من درك السرار بدره ، وأسفر عن وجوه الوقاية فجره، وظهر فى نصبة السعادة بعد التعديل يمنه وبشره ، وأتيح له كسليمان ونوح عليهما السلام ملكه وعمره ، واطرد فى سبل التمكين تأييده ونصره ، وخطب على منصة الجوزاء بعراقة الملك فخره ، وحكم باذعان المطيع والعاصى والقريب والقاصى سماحه وقهره ، مقام مولانا السلطان المعان ، الكبير القدر والشان ، الذى شفى المجد والكرم بشفائه ، وعاد جفن الملة بأنباء صحته الى اغفائه ، وثبت للدين الحنيف ، بما بادر به من التعريف ، السعد المنيف ، مولانا الامام الهمام ، حامى حمى الاسلام ، وفخر الليالى والأيام ، وباسط ظلال العدل على الأنام ، الملك الناصر العادل ، المؤيد المظفر الغالب الكامل ، عماد الدنيا والدين ، وسيف خلافة الله على المومنين ، صاحب السير الكريمة المناصب ، والأصالة الرفيعة المناسب ، والمكارم التى شهدت بها مواقف الجهاد ، وظهور الجياد، وصحائف الكتب وصفائح الجلاد ، مولانا أبو العباس ، أمير المومنين المنصور بالله ، ابن مولانا أمير المومنين،

(48) بتلمسان ، وهو بابها الغربى الواقع فى طريق منصورة المسمى اليوم باب سيدى بوجمعة .

ابن مولانا أمير المومنين ، الشريف الحسنى العلوى ، الهاشمى القرشى النبوى ، أبقاه الله يلبس حلل العافية جدداً ، ويمد الجيش بأوامره الموفقة مدداً ، وفسح له فى العمر الطويل مدداً ، ولا زالت ذاته المقدسة مفداة بالنفوس ، متهللا باتصال عافيتها وجه الزمان العبوس ، سلام كما أسفر وجه الهناء عن نقابه ، وتقدمت طلائع بشراه ورايات المسرات فى أعقابه ، أما بعد حمد الله الذى أذن لسعود الاسلام ، بدوام عصمة ملكهم المنصور الأعلام ، واهب النعم الجسام ، ومولى الألطاف الخفية فى حالى الصحة والسقام ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أصدق قائل ، وأكرم فاعل ، ذى العناية المؤيدة فى العاجل والآجل ، والملجأ المنيع عند كل أمر هائل ، وخطب غائل ، وعلى آله وصحبه السابقين فى ميدان الايمان بما شاء من بأس ونائل، فقد كتبه عبيد مولانا وعتقاء انعامه ، الواضعون أسماءهم عقب تاريخه واختتامه ، جمهور الشرفاء والفقهاء ، وأعيان الصلحاء والنبهاء ، من أهل حاضرتكم المكلوءة فاس حاط الله أرجاءها ، وحرس فناءها ، كتب الله لمولانا عافية مديدة الظلال ، وصحة ضافية السربال ، مستصحبة فى الحال والمآل ، مقبلين حواشى ذلك البساط الأسما ، الذى هو ملتثم شفاه بطارق العجم وأمراء العرب ، ومهنئين ذلك الجناب الأحما ، بعقيلة الصحة التى عادت الى خدرها ، ونذرت ألا تفارق فوفت بعون الله فى نذرها ، ولا زائد بفضل الله الا مسرات راحتكم نعاطى راحها ، ، ونذيع أفراحها ، ونجعل فى مسارح حمد الله وشكره مغداها ومراحها ، هذا وان سفير الابلال لما قدم بالبشارة مقدماً سعيداً ، جعلنا يومه ذلك موسماً واتخذناه مهرجاناً وعيداً ، وسرحنا من المسرة فى روض هتون ، وروينا أحاديث الشفاء صحيحة الأسانيد والمتون ، فابتدرنا الى أبواب حضرة مولانا الخليفة الأسعد ، السبط الجليل الأصعد ، الأمير الأرضا الأرشد ، ذى الساعد الأشد ، والرأى الأضبط الأسد ، مولانا الشيخ أبى عبد الله محمد، أدام الله تأييده، ووالا بمنه علاءه وتسديده، فوجدنا الجماهير قد غمرتها ، وآلات المسرات قد عمرتها ، واتضح خبر الانبساط ، وعظم

للنفوس به الاغتباط ، ووجدناه أيده الله يتهلل وجهه سرورا وغبطه ، ويتلألأ ارجاؤه طرباً ونشطه ، قد عقد لذلك مهرجانا حافلا ، نبه له نبيهاً وخاملا ، وفرض له أياما ثلاثا، حثثنا فيها ركائب الأماني احثاثاً، فهنينا مقامه أسعده الله بالابلال والاستقلال، وحمدنا الله على معافاة ذلك الجلال ، وقلنا ما هو الا سيف الله المستضاء به جدد له الصقال ، وطفقنا هنالك نستبق صهوات جياد الأفراح ، نركض بها في بسيط الهناء بهزج الانشراح ، وعلمنا أن الله لطف بنا اللطف الخفي ، وأنه بنا حفي ، حين دافع عن مولانا وأهدى له الشفاء والراحة ، وزحزح عنه السقام وأزاحه ، اذ في راحتكم نصركم الله راحة العباد ، وفي ضمنها النعم الواكفة لصلاح البلاد ، وكان من لطف الله بنا ، ونظره بعين الرحمة الينا ، أن جعل لنا خبر السقم مقروناً بخبر الراحة ، وأمن تلك الساحة ، ولولاه لعظمت الأوجال ، وانتهبت الصبر الكرب العجال، لكن السدفة كانت مردفة بالصباح ، والمسرات موصولة بالارتياح، فكان :

هناء ولا شجو عليه تقدما فما عبس المذعور حتى تبسما

ولما كان كل من عبيدكم تجب عليه التهنئة ، بالقدوم على تلك الأبواب العلية، وكان المانع من ذلك قيام كل واحد منهم بحقوق الخدمة من خطة لها نصب ، أو غرض من أغراض الخلافة له انتسب ، وكان القلم أحد اللسانين ، والطرس أحد القدمين ، استنابوا في ذلك بعث الكتاب ، عن حث الركاب ، واعلام الأقلام ، عن أعمال الأقدام ، ولمولانا نصره الله كمال الفضل في قبوله ، والاغضاء عن مزيفه ومهلهله ومعلوله ، والله المسؤول أن يحرس ذاتكم الطاهرة من طرق النوائب ، ويكنفكم بجناح العصمة في الشاهد والغائب ، والسلام الاتم ، المبارك الأعم ، على ذلك المقام العلي الأعظم .

وكتب بتاريخ خمس عشرة خلت من جمادى الأخيرة من عام عشرة وألف .

وله حفظه الله نثر رائق غير ما ذكرنا .

وأمـا تآليفه فمنها كتاب عظيم جامع للأدب اشتمل على فنون شتى ، سمـاه **(تميمة الألباب ، ورتيمة الآداب)** أجـاد فيه غـايـــة ، ومنهـا **(الألباب الطائشة ، في مناقب أم المومنين عائشة)** ، ومنها آخـر سماه **(العنبر الشحرى ، فيما أنشدنيه صاحبنا أبو العباس المقرى)** ، وذلك لأنى كنت كثيراً ما أتذاكر معه أنواعا من الأدب ، فكان حفظه الله يقيدها والفضل له ، والا فلست والله ممن يستفاد منه بالكليـة ، وغير ذلك .

وله مشاركة حسنة فى العلوم ، أخذ عن الشيخ الامام المفتى سيدى يحيى السراج الرندى رحمه الله ، وعن القاضى العلم أبى مالك الحميدى رحمه الله ، وعن الشيخ المفتى أبى عبد الله القصار أبقاه الله ، وعن الشيخ الاستاذ أبى محمد الحسن الدرعى رحمه الله ، وأخذ الطب عن الفقيه الماهر الجليل ، أبى القاسـم الوزيـر الغسانى حفظه الله ، وأخذ عن غير هؤلاء من أعلام المغرب ، وله اليد الطولى فى علم الـعـروض .

وبالجملة فهو من مفاخر الحضرة الفاسية ، وممن يحصل بلقائه الفخر ، والله تعالى يرقيه الى أعلا المراتب ، ويبقيه مجلياً فى ميدان أعلام المغرب من منشئى ناظم أو ناثر كاتب ، بمنه وكرمه وطوله ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

2 ـ عـلـى الهـوزالى

الكـاتب البـارع الفقيه أبو الحسن على الهوزالى أحد كتاب الانشاء بباب ولى العهد بالحضرة الفاسية من أهل سوس(49) وبيتهم بيت صلاح ودين، لقيته بالحضرة الفاسية حماها الله ووقاها ، وأدامها دار علم وأبقاها ، أنشدنى المذكور كثيراً مـن نظمه فى الموسم الميلادى وغيره ، وكتبت عنه كثيراً من ذلك ، ولم يحضرنى الآن من ذلك الا ما أثبته هـنـا .

---

49) من قبيلة هوزالة المعروفة اليوم بادا وزال بقيادة اركانة وفى سوس أيضا قبيلة أخرى تعرف بنـدو وزال .

فمن ذلك قوله في بعض الموالد الشريفة يمدح المأمون ولى العهد بعد مدح جده صلى الله عليه وسلم :

كف الملام عن الشجى الحيران ... فاللوم يوثر (50) كامن الأشجان

ودع المولـه يشتكى ما فى الحشا ... من لوعة أذكت لظا نيران

ويفوه عما فى الضمير بواكف ... مغدودق من دمعه الهتان

ويبوح بالمحبوب اعلاناً فقد ... ضاق الفضا عن أوجه الكتمان

ضاق الفضاء وصرت من فرط الغرا ... م أسكب العبرات من أجفاني

أبكى المعاهد والديار وان نأت ... كلفاً بها وبشيحها والبان

وأسائل العرصات عما قد حوت ... أكنافها من خرد الغزلان

وأبث من شوقى ما يقضى بأ ... نى فى المحبة ليس لى من ثان

لم لا وبين جوانحى للوجد ما ... لم يرو عن قيس ولا غيلان (51)

ومن الصبابة ما أذاب حشاشتى ... وأرق واستولا على جثمانى

حتى بقيت من الوجا غرضاً لأسـ ... ـهم شوق كل مجانب الركبان

أحدو فياحادى المطى امهل عسى ... أن تحملن صبا لشعب بوان

تنثال عن ماء العقيق جفونه ... مهما تذكر ما حوا المزمان

ويهزه شغف متى لتهامة ... أمت كرام نجائب الأظعان

شوقاً لبارق لعلع وهبوب ريـ ... ـح جاء من اضم ومن عسفان

ولما حوت بطحاء مكة من منى ... قد تيمت قلب الكئيب العانى

ولما أود بلوغه من محفل ... حفت به عرفات والعلمان

ولمنعج والمنحنى مع ما حوا ... وادى القرا من يانق السعدان

---

50) كذا بالاصل ، وهو يقصد دون شك كلمة يثير بمعنى يهيج ويحرك ، ولا يستقيم بها الوزن .

51) قيس بن ذريح الكنانى صاحب لبنى بنت الحباب الكعبية المتوفى عام 68 هـ . أما غيلان فهو ذو الرمة غيلان بن عقبة العدوى صاحب مية المنقرية ، المولود عام 77 هـ والمتوفى عام 117 . وكلاهما من شعراء العرب وعشاقهم المتيمين .

ولتربة وارت لأكرم مرسل ... يرجا ليوم العرض والميزان
وارت لشمس لم تغب لنوارها ... عنا وبدر غير ذى نقصان
وارت لأفضل من له يلجا متى ... ما أزمة كشرت عن النيبان
أكرم بها من تربة أزرت فتا ... ئق نشرها بعبوق نشر عمان
أكرم بها من أربع ومعاهد ... تنفى الصدا عن غلة الهيمان
تهدى بطيب نسيمها من ضل عن ... طرق الرشاد لمهيع الاحسان
فبطيبها وبطيب ذكر حديثها ... يضحى المشوق مفوف الأردان
دار السلامة والمنا دار الهنا ... دار القرار ، نعم ، ودار أمان
دار يجوس الوحى بين خيامها ... بشرائع تتلا بكل أوان
دار بها انتصر النبى وأعلنت ... كلماته بقواطع البرهان
كم من محب مات شوقاً عندما ... لا حت بدور غيابها لعيان
كم مغرم أو مستهام مدنف ... لا يلف عن أرجائها متوان
ان كان جسمى عن عراها فاصلا ... فأريجها متعلق بجنانى
كعلاقتى بمديح أشرف من بها ... فى يوم مولده البهى الشان
فى يوم مولده الذى كسى الورا ... حللا تعد معاقد التيجان
يوم أباد الشرك واستولا على ... صف أصول الزيغ والبهتان
طلعت به شمس النبوءة فانجلا ... عنه ظلام الشرك والعدوان
وخبت لفارس نارها وانقض ما ... قد كان شيد من بنا الايوان
وتصدع التاج الذى قد طال ما ... يلقا على كسرا أنو شروان
وكذا البحيرة ماؤها قد غاض وانـ ... ـتكست رؤوس مشاهر الأوثان
يوم له شرف على الأعياد فى الـ ... ـأحوال والأوقات والأزمان
يوم به نجنى المنا وندير مس ... كأس السرور مدامة السلوان
ونهز أعطافاً ونرقص تارة ... ونميل فيه تمايل النشوان

فرحاً بميلاد الذى لــولاه مـــا ... اقتطفت أزاهــر آيــة القــران
بشرى لأمــة أحمد بطلــوع غـ ... ـرته التى محقت دجــا الكفـران
بشرى بمن ركب البراق وجال فى الـ ... ـملكوت واستولا أعز مــكــان
بشرى بمن تعنو الوجوه له ويفـ ... ـتـقـر الوجود لجاهـه الـربـانـى
بشرى بمن لولاه مـا طلعت ذكـا ... ولما استعد لأوجهـا الثومــان
محمد الهادى الأمين ومن بــوا ... سـع فضله يستشفـع الثقــلان
العاقب الماحى الزكــى ومن بــه ... يلتــاح نور ضوء ذى الأكــوان
صلى عليه الله ما صدحت حمــا ... مة أيكة فى يــانـع الأغصــان
وأدام نصر سليلــه وسيمــه الـ ... ـمأمون ما هبت صبـا تهــلان
ملك له الخلفــاء تعنو هيبــة ... لجلاله ، وترى يــد الأذعــان
نجل الوصى ومن له فــى المعلــوا ... ت مناقب مشهورة الديــوان
والمنتقا من دولة الحسب الـرفيـ ... ـع المحتذا المـوما لـه ببنــان
من معشر طيب الأرومـة ان حللـ ... ـت حماهم تسلو عـن الأوطــان
عن شأوهم قصرت ملــوك قد مضت ... وكذا الأساور من بنـى خــاقــان
فهم الغيوث متى تواتـرت المحــو ... ل ، وهم ليوث غداة يــوم طعــان
وهم هم والحرب تغـلى بالدمــا ... وجماجـم الأبطال والشجعــان
وهم العيون لنا وأنت بينهــم ... فى شكلها بمثابة الانســان
تجلا بكم عنا غياهب حندس الـ ... ـهيجاء يوم تعانق الفرســان
وتود أقطار الدنــا أن لو بكــم ... نيطت كما نيط البها بجمــان
ولدعوة وجبت لكم كتبت تخــو ... م المشرقين وما ورا قمــران
ثقة بأنك وارث الأمــر الــذى ... يرويــه أهـل العلـم والحدثــان
وبأن من فى الغرب أو فى الهنــد أو ... فى مصر أو فى الشــام أو بغـدان
يعنو لسطوتكم ويظهـر ذلــة ... رغـمـا ويلقـى اليك طـوع عـنـان

أو لست أنت قائد الجيش الــــذى لمعت بليل النقـــع شهب سنــــان
ورواعـد من بندق قد تقشعــــــ ـــر لها المواكب فى قصى البلــــدان
واليكها يا ابن النبى خــريـــــدة مجلـــوة بالــدر والعقيــــان
تختال فى حلل من الزهـــر النضيـ ـــر على خميلة روضـــة البستـــان
ترجوك تمرح فى فناك لكى تـــرى محســوبـة لك من بنـــات قيـــان
تنمى الى هوزالة نسبـــاً وتفـــ ـــصح عن شمائلكـم بكـــل لســان
ما دمت ركن الوافديـــن وكعبـــة للطائفين وزمـــزم اللهفـــان
ما دامت الأفلاك تجلـــو نيـــراً بسنـــا محيـــا جـدك العـدنـــان

وله يخاطب ولى عهد المسلمين ، المولى أبا عبد الله ، المأمـون ، ابـــن أمير المومنين ، مولانا ابى العباس المنصور ، أيد الله أمرهم بمنه :

أبلـغ المـــأمـون أنــــــــى قد كسانى الدهـــر ضيمـــــا
واعتـــرانى من خمـــــــول ما يـــزيد القلب سقمـــــا
وامتنعت من عطــــائـــــى منــذ عاميـــــن ظلمـــــا
وانتـهـــا حـــالـى الـــى حـــــا ل زوا لــحـمـــاً وعـظـمـــا
فى بنيـن غـــادروا مـــــن فــرط مـــا يلقـــون نـــومـــا
علـــه يسخـــو بمـــا مـــن دأبـــه يســـديـه حلمـــا
لا يكـل أمـــرى لمــــــن لا يتــقى عيبـــاً وشتمـــــا
ان لى فى مدحـــه مـــــا يمـلأ الأسفـــار نظمـــــا

وقـــال أيضـــاً :

ألا هل الى صبـــح الـوصـــال سبيل وهل لى عن ليل الصـــدود محيـــل
فيكشف غيـم الهجـــر عنى قناعـــه وألـــثم ثـغـراً ريقـــه سلسبيـل

وقال يخاطبه أيضاً :

أنت الملاذ وأنت ركـــن أعظـــــم أنت المزيـــل الجور عمن يهضـــم
أنت الغياث وأنت وهـــاب الألـــو ف وبغيــة وحمـــا لمـــن يستعصم

ومـنـهـا :

فلـئن عدمت اليك واسطـة تبـــلـ ـغ حاجتى فلســـان حـــالى يترجـم
سيف المهابة يمنعـــن عبيدكــــم من قربكـم ، فلذاك لا يتكلـــــم

ومـنـهـا :

فامنن على بقيمة فيمـــا بقـــــى بك يبدأ الـذكـــر الجميـــل ويختم

وقال أيضاً وقد أمره المأمون أمنه الله لما ماتت احدى حظاياه بما يكتب عـلى قبـرهـــا :

يا زائرى قف وقفة المستعبـــــر وانظر بقـلـب الخاشـع المستبصر
وابسط لأدعية أكف اجـــابــــة تقضى لنا بالخير يـــوم المحشــــر
لأفوز يوما من دعـــاك برحمـــــة نزلت على أهـــل الصفـــا والمشعر
وأكـــون ممن يهتدى للحـــوض او يسقى بعذب معيــــن مـــاء الكوثر

وله فى ذلك بأمره أيضاً :

درر الدموع نثـرن من آماقهـــــا تحكى يد المأمـــون فى اغداقهـــا
ينـــدبن من أضحت لطيب خـلالهـا حور الجنان تعلهـــا بدهاقهـــا
لما انتهت بحلول شمس كمـالـهـا فـــى أوجها احتجبت عـلى رمـاقـهـا
لا زال روح الله فـــوق ضـريـحهـا يـغدو ويسـرى فى حـلا أطـواقها

وقال من قصيدة يمدح بها القاضي أبا مالك الحميدى رحمه الله :

ان عبد الواحد القاضي بفاس ذو اثاره
جمع الفضل بنص وبرمز واشاره
لا يجارى فى علوم عاطرات مستثاره
ان يكن فى الغرب ابريـ ـزاً ففى الشرق نضاره
أو يعظ فابن عبيد أو يحدث فعماره
أو يسجع فهو سحبا ن وقس وابن داره

ومنها :

عاذلى أقصر فانى من هواه فى حياره
لا تلومن يا عذولى ان فى لومى مراره
كيف لا أسلو وأنت اليو م غوث ومزاره

ومنها :

نقتبس من نوركم علماً يقيناً من حراره
دمت فينا معقلا للأمن ملجا للسياره
ما سرا الركب لبيت الله قصداً للزيارة

وقال أيضاً فيه يوم التفريق (52) ، وكأنه نطق بالغيب ، اذ فى ذلك العام توفى القاضي المذكور عام ثلاثة وألف رحمه الله ورضى عنه :

يا ليت ما قد كان أمس من تعاطى الأنفس
قد دام لم يفصل بفصل عاطلى أخرس
قد كنت يا قاضى القضاة أنيس هذا المجلس

(52) هو فى عرف أهل فاس اليوم الثالث ليوم وفاة الميت ، وفيه يتفرق ذوو قرباه وينصرفون الى بيوتهم بعدما يلازمون الحزن والترحم عليه مدة ثلاثة أيام .

تحيي القلوب بما يسر من العلوم وتكتسي
وتجول في ميدان ما يسدى الحلي من سندس
وتحل أشكالا بدا بنباهة وتفرس
تهتز للبحث القريب كغصن بان أملس

ومنها :

تدلي بتفسير بليغ ساحر للأنفس
وتجر ذيل التيه في أزهار ذاك المغرس
واليوم قد أصبحت تومي للفراق المبلس

ومنها :

تباً على يوم الفراق لكم سقا من أكؤس

ومنها :

كم خاشع ألفيت مكلوم الحشا المتنكس
ولكم عيون قد همت بالعارض المتبجس
لو شاهدتك أئمة التفسير صدر المجلس
لترشفت يمناك رشف اللوذعي المؤنس
علماً بأنك نور من يعشو بليل مدبس

ومنها :

لا زلتم للمجد طلعة صبحه المتبجس
مادام مزن السحب ينسج هدب عين النرجس

وقال أيضاً من قصيدة متغزلا أبقاه الله :

قـــد غبـــت عـــن عقـــلى لـــمـــا أن ومقـــت معـــلـــمـــا

ومنــهـــا :

ينجـو الجريح من سـهـــا ... م مـقتلـيـه ان رمـــا

فـــاق الظبــــا مـع المهـا ... وفـــــاق ربـــرب الحمـــا

قد حاز معنـى الحســـن لـم ... يفصــــل بالا أو بمـــــا

من لى متـى يبخـــل بـأنـــ ... ـــس كنت فيـــه مغـــرمـــا

انى ببذل النفـس فيـــــــ ... ـــه لـم أطلـــق أن أكتمـــا

دعنـــى فانـى قـــد شغفـــ ... ـــت بحبـــه فـــى كـل مـــا

يقضى علـــى وكيـــــف لا ... يقضـى بمـــن قـــد تيمـــا

ذو الوجنتيـــن كـالشقيـــــ ... ـــق أو كـرقـراق الـدمـــا

عبـــل نحيـــل الخصر دعـــ ... ـــص الـردف معسـول اللمـا

شـــاه وسلطـــان وبــــــد ... ر لاح فـــى أفـــق السمـــا

من أجلـه همـــت وصـــــر ... ت كالعبيــــد المنتمـــــا

فاسمـــح بوصـــل لـــم تشبــ ... ـــه بعســـى ولا بلـعـلـمـــا

وهى طويلة ، وهذا ما وقفت عليه من شعر الكاتب المذكور ، وله مشاركة في العلوم والبيان والنحو وغيرها ، أخذ عن القاضي الحميدى ، والامام المنجـور ، وقاضى الجماعة أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى حفظه الله وغيرهـم ، ودخـل القسطنطينية العظمى مع بعض قرابته ، وهو القائد أبو العباس أحمد بن يحيـى الهوزالى رحمه الله ، وأخبرنى أنه أنشده بعض العجم هناك شعرا أكثره بالعربية وباقيه بلسانهم ، وهو :

بـى مـن التـرك غـزال | خـالـه كالعنـبـر
ذو عيـون نـاعسـات | وخـدود أحمـر
ورضـاب قـرقـفـى | طـعـمـه كالسـكـر
قلت والقلـب عليـل | مـن هـواه مـا بـرى
جانمـا هنـده كـدرسن | قـال أوده كـلـبـرى

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

3 ـ أحمد بن عبد العزيز

الكاتب المجيد ، الناظم الناثر أبو العباس أحمد بن عبد العزيز من كتاب ولى عهد المسلمين لقيته بفاس ، وأنشدنى كثيراً من نظمه وناولنيه ، فمن ذلك ميلاديات ضاعت منى ، أول واحدة منهن قوله :

أرح دمـعـا تـحـدر كـالجمـان | وقلباً يشتـكى ما قـد دهـانـى (53)

ورأيت بخط الأديب ابن يعقوب رحمه الله ، قال أنشدنى صاحبنا الكاتب أبو العباس أحمد بن عبد العزيز رعاه الله فى الدولاب لنفسه :

ودولاب كـأن المـاء فيـه | سيـوف جـردت يـوم اللقـاء
ويحكـى فى سنـاه اذا تبـدا | بـروق الجو فى كبـد السمـاء

وبخطه أيضاً له :

مأقى جفونـى دائـم الهطـلات | ونـار فـؤاد مسعـر الجمـرات
مرضت وسقمـى من جفون مريضة | وآسى رضاب معـذب الرشفـات
لئن خاننى دهرى بنأى أحبتـى | وأضحت حبـال الوصل منصرمـات

53) ترك المؤلف بعد هذا البيت بياضا لعلة كان ينوى ملاه ببقية القصيدة عند عثوره عليها .

وقاضي الهوا يسطو على بجـــــوره ... يرى أن آى الحـــق منعكســـــات

كـفــانــى أن أبكى والتــذ عندمـــــا ... تكون دمــــوع العين منحـــــــدرات

سكبت دماً بعد الدموع فعبــــرتــــى ... تفيــض دمــاً يجــرى عــلى الوجنــات

يحق لجفنى أن يبيت مسهـــــــــداً ... ولا يشتكــى ما ذاق مـــن حـسرات

دهــاه واضنــاه الذى حـــل مهجتـــى ... وأجـــج نــار الشـــوق فـــى طـويــات

يتيه على قلبــى المعنـــــى اســــاءة ... أيا ليته يدنــو ويقـــرب ساحـــاتى

متى ما تقس حسن العبــاد بحسنــــه ... تجد حسنه بدراً وغيـــــره هــــالات

حداة المطايا ان نهضتم بليلكــــــم ... فوجنة حبى ضوء تلك اللويــــــلات

محاسنه تهديك فى غيهب الــدجـــا ... هو البدر يجلو حالك الوجنـــــــات

فـدعنى أنــزه مقلتى فــى ريــاضـــــه ... واقطف منه الورد من كل ساحــــات

أنزه طرفى فى محاسن سيـــــــدى ... وأطلب منه الوصـــــل طــول حياتــى

لـعـلى أن أحــظ بعيش يــســـرنـــى ... ويضحى زمانى دائـم المســــــرات

ومـنـهــا :

زيارة أهل الحب توجب قـــربــــه ... فبادر ولو كانت بطيف سنـــــــات

يرجيك مملـــوك وأنت مليكـــــــه ... فديتك بالأهلين فاقض لبــــانـــــانــى

رعاك اله العرش يا نخبة الـــــــورا ... ويا غصن بان مائـــل بين دوحـــــات

الا أن فى هذه القصيدة التحريد ، وهو اختلاف الضرب ، لأنه هنـــا بعض أضربه محذوفة ، وبعضها تامة ، والله أعلم .

ولهذا الكاتب فهم حسن ، ومشاركة فى العلوم ، وله نظم جيد ، ولم أجد منه الآن الا ما كتبت ، والله الموفق بفضله ، لا رب غيره .

4 – عبد الرحمان بن العلج

الأديب الأجل البارع المجيد ، أبو زيد عبد الرحمان ابن القائد الأجل الوزير ، عبد الكريم ابن القائد الرئيس مومن بن يحيى ابن العلج الشهير بيتهم ببنـي العلـج له أغراض دقيقة، ومنازع رياسية استولت على رائق النظم مجازا وحقيقة ، لم أكتب من نظمه الا يسيراً أثبته ليشهد على حسن ما لم أطلع عليه ، وليعلم أن لواء البراعة دفعه الرؤساء اليه .

لقيته بفاس ، وله نظم جيد ومقطعات رائقة ، وبيتهم بيت رياسة ، كان أبوه وزير أمير المومنين المولى عبد الله رضى الله عنه ، وجده من أكابر خواص مولانا محمد المهدى بالله رضى الله عنه ، وأخوه لهذا التاريخ قائد ثغر تطاون حرسه الله ، وعهدى بهذا الفاضل أسماه الله قد تشبث بأذيال المولى الأمير الأجل ، أبى المعالى زيدان ابن مولانا أمير المومنين المنصور بالله ، أيد الله أمرهم ، وخلد ذكرهم

فمن نظمه من قصيدة يخاطب بها بعض أولاد مولانا أمير المؤمنين نصره الله .

يا نجل من أحيا دعـاه دفينـا ... والجـذع أعـلا مـن نواه حنينـا
ان المديح فديت بين يديـك قـد ... رن اللسان بذكـره ترنينـا
قدمته قبل الخطـاب كـرامـة ... والترب يعـدل فى القفـار معينـا
فاقبـل اذ المهديه ذلـك قـدره ... لا قدرك السامـى علـى علينـا
فبه قضيت حقوق بعـض محبتـى ... فى ذا الجنـان أرى به تمكينـا
بقيت رسالة نازح ودعتهـا ... أبـغـى أبين شرحهـا تبيينـا
فالحـر من أدى الأمانـة مثلمـا ... خلصت اليه لأن لأن يكـون أمينـا

ومـنـهـا :

أهدتـه نحـوك طيبـاً فكـأنمـا ... أهدت بذاك الـورد والنسريـنـا

ومنها :

فافكك أبيت اللعن طائل أسرها فوراً فما تبغى سواك خدينا

ومضمن القصيدة أنه يشكو ببعض عماله فى بعض البلاد ، وأراد منه عزله ، والقصيدة طويلة تركتها اختصارا .

وأخبرنى أخونا الكاتب البارع أبو عبد الله الوجدى أنه أنشده لنفسه قوله :

يا قاطع الصب اهمالا وواصله من عينه صلة المستوكف الهامى
حسب المتيم برق المنحنا فله فى قلبه منكم رفع على الهام

فانظر الى حسن هذين البيتين وما اشتملا عليه من المحسنات ، فلقد أيقظ عيون البديع من السنات ، فمن ذلك التجنيس الذى فى القافية ، ومنها المطابقة وهى غير خافيه ، ومنها الاستخدام فى قوله وواصله أى الصب بالمعنى الآخر الذى هو صب الدمع والسحاب ، ومنها التورية فى قوله فى قلبه يعنى قلب البرق وهو القرب ، ومعناه الآخر واضح ليس فيه ارتياب ، فلله دره من غصن تفرع من دوحة رياسة سقتها الدولة النبوية من ديم واكفها المدرار والى ظل مولانا المنصور أمير المومنين أيده الله الذى وجد فى دولته أهل الرياسة هذه المتابة يتفيأ العفاة حالى الاحلاء والامرار ، نسأل الله سبحانه أن يزعجنا عاجلا الى حضرته المقدسة الطاهرة من أدناس الجور والحيف ، فنطوف بكعبة العدل ونرمى جمار الشوق بمنى اقباله وننزل بذلك الخيف ، بمن الله وكرمه .

وقال صاحب الترجمة أبقاه يخاطب صاحبنا الكاتب البارع المجيد ، الناظم الناثر ، أبا عبد الله ، محمد بن على الوجدى أسماه الله ، ويعاتبه على ترك الزيارة :

هجر الدنو وهام بالبعد خل تناها فى هوا الصد
وجدى به ملأ الأضالع لوعة من شافعى فى ذاك للوجدى

وقال أيضا أسماه الله فى لابس ثوب أسود ، أنشدنيها لبعض الأعلام ، قال أنشدنيها أبو زيد المذكور ثم انى لما لقيته أنشدنيها لنفسه :

لله ملتــف بثــوب أســــود   يرمى الــورا من طـرفــه بسهـام
شبهتــه لما تكـامل حسنــــه   صبحـاً تطلـع من ذيــول ظــلام

قلت : ذكرت بهذين البيتين ما طالعته فى تأليف الكاتب المجيد ، أبى عبد الله الوجدى المتقدم ، الذى سماه (**تميمة الألباب ، ورتيمة الآداب**) ذكر فيه أكثر من مئتى قطعة كلها فى لابس ثوب كذا من أنواع اللباس ، منها ما هو للقدماء ، ومنها ما هو لأهل العصر ، وذلك مما يدل على غزارة حفظ الكاتب المذكور ، ومن جملة ما أنشد فيها هذين البيتين لصاحب الترجمة أبقاه الله ، وذكر لأهل العصر من ذلك كثيرا ، الا أنى أزعجت عن كتب بعضها ، ولعل الله ييسر علينا الاياب الــى تلك الحضرة المنيفة ، فألحق ما فاتنى من كلام الأعلام الذين تقدم وياتى ذكرهم (54)

5 — عبد العزيز الفشتالى

وزير القلم الأعلا ، الوارد من البلاغة والبراعة المنهل الأحلا ، نشأة الدولــة المنصورية وكاتب أسرارها ، ومنزل القوافى من قننها ومستعبد أحرارها ، المقدم فــى الفضائــل والــمحاسن وان كان فى الزمــان التــالى ، أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتــالى .

لقيته حفظه الله بمراكش المحروسة ، فوسعنى بره وفضله ، وقضا لى مآرب من أمير المومــنين نصره الله سقــا الله باقبال مولانا الامام بساتين مجده وغروسه ،

54) هناك ترك المؤلف صفحة بيضاء، لعله كان ينوى كتابة شيء مما يعثر عليه من شعر ابن العلج أو نــشـره فـيـهــا .

وهو حفظه الله آيـة من آيـات الله فى النظم والنثر ، ولو لم يكن من محاسن الدولـة الأحمدية أيدها الله غيره لحصل لها الفخر ، وها أنا أذكر جملة من نظمه ، فمنه ما انشدنيه ومنه ما نقلته من خطه (55) .

فمن ذلك هذه الميلادية التى قالها عام 1005 وهـى :

انســان عينـى هـام مـا ان يفيـق	لما رأى بالعيـن سفـح العقيـق
يسبح فـى بـحـر طـمـا لـجـه	أضـحـا ينادى مـنـه ياللغـريـق
مـاء ونـار زج بـيـنـهـمـا	يـالك انسـان غـريـق حـريـق
يـهـيـم فـى واد لـديـه التـوا	صدغ الـريـاحـيـن بخـد الشقيق
رقيـق أغـزال النبـات لـذا	أضحت غـواليـاً بسـوق الـرقيـق
يصـلا بنار الشـوق من أضلـع	قد حملت أعبـاء ما لا تطيـق
بالمنحـا منهـا عرفـت الهـوا	يفتك بـالألبـاب فتك الـرحيـق
يهـفـو الى بانات أرض الحمـا	قلب بجنبيهـا وجيـب خفـوق
أغـار ان مـر النسيـم بـهـا	مـعـانـقاً لـكـل قـنـد رشيـق
أرض اذا هـبـت بـهـا نـسـمـة	شممت مـنـهـا المسك وهو فتيـق
حصباؤهـا در ومن تـربهـا	يستنبط الـغـزلان طيب الـخـلوق
بالخيـف منهـا للـهـوا معرك	تلقـا به الصبـر هـزيـم الفريـق
يـا أهـل نجـد حبكم مـتـلـف	قلبى ، فـهـل منكم رحيـم شفيـق ؟
وهـل الى أوطـانـكـم زورة	تدنو ، وهـل نحوكم من طريـق ؟
مـروا لعينـى أن تنـام فقـد	قنعت منكـم بالخيـال الطـروق
هـلا رثيتـم لقتيـل الهـوا	وأصلكم فى المجـد أصل عريـق

55) اللائق ان يكتب هنا اشياخه وتآليفه وما له من النثر ، وبعد ذلك يذكر النظم ، وكذلك أفعل ان شاء الله عند اخراجه من هذه المبيضة سهل الله ذلك بمنه ، قاله مؤلفه أحمد كان الله له .

كونوا كما قد شئتم انني ... عبد لكم يا أهل بيت عتيق
أحسابكم دلت على أنكم ... رهط رسول الله أنتم حقيق
صفوة كل الرسل من آدم ... جامع شمل الدين وهو فريق
وكاشف البلوا اذا أعضلت ... ومنجد المتهم عند المضيق
ذو المعجزات الواضحات التى ... منها بكا الجذع وشكوا الفنيق
ورفعة يحنو هلال الدجا ... لها ويالو عن مداها العيوق
ذو عزمة لها بهام العدا ... وقع يرد الصخر وهو فليق
قد كسرت كسرى العراق فلم ... يخفق له منها جناح خفوق
وقذفت قيصر من قنة ... تهوى به الى مكان سحيق
قد جاوز السبع الطباق الى ... ما حام عنه الروح وهو الرفيق
وسبحت فى الكف منه الحصا ... وأشبع الجيش بصاع دقيق
وسرحة جاءته ساجدة ... تسعا على أعراقها فوق سوق
الضب ثم الظبى قد سلما ... عليه نطقاً بلسان طليق
ياخير من أسرى ومن قد دنا ... كقاب قوسين دنواً حقيق
صلا عليك الله ما فضضت ... ثوب النهار الشمس عند الشروق
صلا عليك الله ما شهرت ... صمصامها المذهب أيدى البروق
صلا عليك الله ما أتلعت ... أجيادها الأغصان بين الوروق
قيدنى ذنبى عنك لذا ... أضحا على الخدين دمعى طليق
جفنى خليق بجديد البكا ... عليك ، فاعجب من جديد خليق
ومدمعى يروى اشتياقا لكم ... عن جعفر الصادق صوب العقيق
قد أثقلت ظهرى ذنوب طمت ... مولاى أنقذنى فانى غريق
فهل سواك من عظيم وهل ... سواك من مولى رحيم شفيق ؟
عز الفدا مولاى كن مخلصى ... أفدى بحر الدمع وهو رفيق

أهدى الى المنصور كهف الورا ... سبطك منه المسك وهو فتيق
هبت على الدنيا فنون الرضا ... منه فأهدتها العبير العبيق
من عرفه استعير عرف الشذا ... من خلقه قد ضاع طيب الخلوق
هو الامام ابن الامام الذى ... أسس ركن المجد وهو وثيق
أصبحت الايام من عدله ... تختال فى برد قشيب أنيق
أضحت ملوك الأرض تعنو له ... من أرض اسحاق الى الجاثليق
صفت على بابك تيجانها ... وهى سماطان بكل طريق
حضرتك العليا لهم قبلة ... قمت بها أمام كل فريق
وقام سيفك خطيباً لهم ... فأهطعوا من كل فج عميق
لواؤك المنصور مهما سما ... يلقاك وجه الفتح وهو طليق
حنت لكم أرض الحجاز كما ... أن العراق فى هواكم عريق
دمت عزيز الأمر فى غلظة ... على العدا بكل عضب رقيق
تجلو على الكفر كؤوس ردا ... من سكرها المثقل لا يستفيق.

وقال أيضا أسماه الله فى بعض الموالد النبوية ، مادحاً النبى صلى الله عليه وسلم ، وحافده الخليفة مولانا المنصور بالله أعلا الله أواصره وأدام نصره :

زفرات حبك قد صدعن فؤادى ... وطيور شوقك قد صدحن بوادى
وشهود صدقى فيك وهى مدامعى ... خطت خطوطاً فى الخدود بوادى
تسن فى ميدان خدى حمرها ... فكأنها فى الجرى خيل طراد
والعين تنهر من شؤونى سائلا ... غدقاً وما نقعت غليل الصادى
وقف على بانات جرعاء الحما ... عبراتها وعلى مسيل الوادى
وبمهجتى ركب رموا كبد النوا ... فتصدعت بحنية منآد
لما تنادوا بالرحيل الى الحما ... خفت على قلبى يوم تناد

خاضوا المهامه أبحراً بسفائن يفرى الرياح سنامها والهادى

يبدو لها بدر الحما فيشوقها فأعجب لحاضر شوقها من باد

واذا تهب من أرض نجد نسمة يلقا القبول على شذاها الحادى

أفدى بسلع والمصلا جيرة ما لأسير غرامهم من فاد

حاولت نحوهم التخلص رائحاً بالقلب كى أحظا بوصلى غاد

وتخذت زادى مدحهم فلذا اغتدا مدحى لخير الخلق أحمد زادى

سر العوالم نكتة الكون الذى هتفت به الأحبار قبل ولاد

هو مجتبا الرحمان من أرساله وامام جمعهم وبدر النادى

وعميدهم وكفيلهم وأجل من ساد الورا من حاضر أو باد

هو أول ، هو آخر ، هو جامع هو فارق للغى عن ارشاد

متقدم متأخر متوسط ناهيك من أوصافه الأضداد

هو رافع علم الهدا ومناره ومشيد الأبيات ذات عماد

هو مودع الأسرار فى الاسرا الى علم الغيوب وحضرة الاشهاد

وهو الذى راض العلا وهو الذى خضعت له الأسياف فى الأغماد

من هاشم البطحاء أرباب الورا وصميم عبد منافها الأطواد

ولباب عدنان ولب قصيها حسباً على غرر الكواكب باد

متنوع الآيات يعيى عدها قلم الحساب وجامع الأعداد

متسنم الأفلاك بالقدر الذى ترك المثال على صفا الاصلاد

ومساير الأملاك وهى مواكب من فوق سبع قد علون شداد

يا مصطفا الرحمان من أرساله وامامهم فى الجمع والأفراد

ومحط آمال الورا ومنيلهم كرماً وكعبة أوجه القصاد

أودى بعبدكم الغرام ، فهل له وصل لبابك ؟ فهو عبد وداد

أبداً أهيم بكم فمن ذكراكم أضحت جفونى وهى ذات سهاد

تحدو بقلبى نحوكـم أشواقـه ... فتذوب وسط المنحنا أكبادى
يثنى اليكـم وده عـن غيركـم ... فهواكـم ثان ولى أنا حـاد
واذا أيمـم مخلصـاً فـلأنتـم ... والسبـط سبطكـم الامام عمادى
خير الخلائـق احمد المنصـور من ... أربـا على الأضداد والأنـداد
بسماحـة وصبـاحة وفصاحـة ... وأصالة وجـزالـة وجـلاد
واجـل من خضعت لسطـوة سيفه ... وهو الغلـوب ملوك كل بـلاد
فتاح أمصـار البـلاد بعـزمـة ... فـرقت لهـا الأسيـاف فى الأغماد
وموطـد لممالك مـن حسنهـا ... كالعيـن حف بياضهـا بسـواد
بكتائب علويـة بسيوفهـا ... وركـام بندقهـا كبرق غـواد
هو مخمد الأهـوال بعـد هياجهـا ... هو صالح الأيـام بعـد فسـاد
من معـشر فضلوا الأنـام فمنهم ... مهديهـا الأهـدا ، ومنهـا الهـادى
وولاة حـوض الله يجـرى سلسلا ... بمسوسه العـذب وصفـو بـراد
وحماة مكة بـل كوافـل بيتهـا ... وما لهـا من حاضر أو بـاد
فتوطـدوا بحريمهـا غرف العـلا ... وتسنمـوا فى الحجـر خير مهاد
فلهم بها ما انجـاب عنـه فجرهـا ... من قلبهـا ومصادهـا ومـراد
وشعابهـا وهضابهـا وسهولهـا ... وحزونهـا ونجادهـا ووهـاد
وحريمهـا المحمـى اذ يحمونـه ... بالبيـض والسمـر الطـوال صعـاد
قد دافعـوا بالسيف أبرهـة الـذى ... للحرب لف بياضهـا بسـواد
أسواهم أبغى وآمـل للندا ؟ ... أم غيرهـم أرجـو ليـوم معـاد ؟
فهم أباحوا كـل ممنـوع الحمـا ... وهم أذلوا أنف كـل معـاد
تبدو بدور التـم من تيجانهـم ... وعليهـم المـأذى مثـل دءاد
من كل رقـراق الحواشى فوقـه ... كعيون أفعـا أو كعين جـراد
يعلو على أحسابهـم نـور الهـدا ... وعلى الدلاص يلـوح صبـغ جسـاد

فهم أماتوا حاتماً في طيء ... وهم أماتوا الدهر كعب اياد

وهم الحيا من قبل أن يحيا الحيا ... وعهاد مزن قبل مزن عهاد

قد جدد المنصور ما قد أسسوا ... من كل مكرمة وكل أياد

وبنا بناء زائداً أربا على ... ما كان شاد غطارف الأجداد

ان كان أهل البيت أعمدة الورا ... فهو لاهل البيت خير عماد

وقال أيضا سنا الله آرابه ، وأحله من غمدان العز محرابه ، فى ميلاد عام تسعة والف ، وأنشدنيها لنفسه ، ونقلتها من خطه :

دار الحما ادنفت جسمي ذكراك ... فأنعشى بشذا رياك مضناك

وحميله صبا فى طى هبتها ... نشر لذا الفهم يفشى سر ليلاك

ويامحجبة خلف الستور أما ... يدنو المزار لكى أحظا بلقياك

لولاك ما كنت أصبو عند كل صبا ... لها مرور بذاك السفح لولاك

طافت بركنك آمال المحب فان ... كلفته السعى فوق الوجه لباك

يصلا بنار اشتياق من تذكره ... لما يخيل من أوصاف معناك

هل بان حيك عن بان اللوا سحرا ... ويمموا من أراك الشعب أرطاك

أظما الى رشفة الوى المطال بها ... من حجر لاح خالا فى محياك

فبرقع الوجنة اللمياء من صدا ... يعلوه من زفرات كل نساك

لله أنت متى يطوى النوا ومتى ... يقول عزمى باسم الله مجراك

ما للتخلص عن شوقى اليك سوى ... انى بمدح رسول الله أسلاك

محمد المصطفا المبعوث من مضر ... وخير من سار فوق السبع أفلاك

من خبرت فيه آيات الهدا مدحاً ... تحلو على السمع اذ يشدو بها الحاكى

أجل كل الورا قدراً وأحفلها ... فهو الموحد حسناً دون اشراك

نزهت طلعته فى الحسن عن شبه ... وقلت أشهد أن لا بدر الاك

ذو المعجـزات التى قد أطلعت حججاً — أبطلن بالحق دعـــوا كـــل أفـــاك

فهو الذى كسرت كســـرا مهابتـــه — وقصرت قيصراً عـــن نيـــل ادراك

وهو الذى يوم بدر جاءه مــــــدداً — عرمرم الجيش من أجنـــاد أمـلاك

وهو الذى قد أرانـــا كل معجـــزة — رشداً لتـــاو ومنجـــاة لهـــلاك

الفاتح الخاتم الهادى الشفيع ومـــن — محا بنور الهـــدا ديجـــور اشراك

أنف لعبد مناف فخـــر هاشمهـــا — وهاشم فخـــر هذا المعـدن الزاكى

غوث الطريد ومأمن الشريد ومـــن — لديه كـــل المنـــا للآمـــل الشاكى

يا من دنا فتدلا للعـــلا صعـــــداً — كقـــاب قوســـين أو أدنا لادراك

عليك أزكـــا ســـلام دائـم وعـــلى — آل سمـــوا للمعـــالى فـــوق أملاك

انى بمدحـــك مشغـــوف أحبـره — أو مـــدح سبطكـــم غـــلاب أملاك

كهف الأنـــام أميـــر المومنين ومن — بالأمن ياملل التوحيـــــــد أولاك

مغنى الطواغيت والأحـزاب أفضل من — يا عابدى اللات بالتدميـــر أبـــلاك

وعاقد التاج للأمـــلاك يمنحهـــا — عنه كفـى له ملك دون أمـــــلاك

وكل جيل يؤمون اليـــك فمـــن — عـــرب وعجـــم وأروام (56) وأتراك

تقوم وهى سماطان ببابـــــك كـــى — تقضى فروض المطيـــع الخاضع اءلاك

تقلدوك اماماً لا تنـــازع فـــى — تفضيله بين أقيـــال وأمـــلاك

وخصصوك بتشريف حبـــاك بـــه — من صاغ مجدكـــم من معـــدن زاكى

نادت لأسيافك الأمـلاك خـاضعـة — كفى القتـال وفـكـى قيد أســراك

صـوارم بيـن حـديهـا مـجانـسـة — اذ اصبحـــا بيـن سفـــاح وسفـاك

تقـاسم الـكـفـر والايمـان شيمتها — فطـابقت بيـن عباس وضـحـــاك

قلت لهـا يـا سيوف الهند صانك من — بالنصـر منه على الأرضيـــن ولاك

---

56) الأروام جمع الجمع للروم (مؤلف)

وصان كف الذى بما تقلد من حلا المفاخر والاحسان حلاك
يا واحداًمفرداً فى مجده علما سامى الذوائب يسمو فوق أفلاك
لا زلت فى درجات العز فى صعد ودام شانيك فى ادراك أضناك

وقال أيضا أبقاه الله فى بعض الموالد الشريفة التى من شأن خليفة الله أن يحتفل لها غاية الاحتفال :

هم سلبونى الصبر والصبر من شأنى وهم حرموا من لذة الغمض أجفانى
وهم أخفروا فى مهجتى ذمم الهوا فلم يثنهم عن سفكها حبى الجانى
لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسى فشوقهم أضحا سميرى وندمانى
وان غادرتنى بالعراء حمولهم كفى أن قلبى جاهد اثر أظعان
قف العيس واسأل ربعهم أية مضوا أللجزع ساروا مدلجين أم البان ؟
وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا ملاعب آرام هناك وغزلان ؟
وأين استقلوا هل بهضب تهامة أناخوا المطايا ، أم على كثب نعمان ؟
وهل سال فى بطن المسيل تشوقاً نفوس ترامت للحما قبل جثمان ؟
واذ زجروها بالعشى فهل ثنا أزمتها الحادى الى شعب بوان ؟
وهل عرسوا فى دير عبدون أم سروا يؤم بهم رهبانهم دير نجران ؟
سروا والدجا صبغ المطارف فانثنا بأحداجهم شتى صفات وألوان
وأدلج فى الأسحار بيض قبابهم فلحن نجوماً فى معارج كثبان
لك الله من ركب يرى الأرض خطوة اذا زمها بدناً نواعم أبدان
أرحها مطايا قد تمشا بها الهوا تمشى الحميا فى مفاصل نشوان
ويمم بها الوادى المقدس بالحما به الماء صدا والكلا نبت سعدان
وأهدى حلول الحجر منه تحية تفارح عرفاً ذاكى الرند والبان
لقد نفحت من شيح يثرب نفحة فهاجت مع الأسحار شوقى وأشجانى

وفتت منهـا الشرق فى الغرب مسكة ... سحبت بها فى أرض داريـن أردانـى
وأذكرنى نجـداً وطيب عـــراره ... نسيم الصـبـا من نحو طيبة حيانى
أحن الى تلك المعـاهد انـهــا ... مـعـاهد راحاتى وروحـى وريحانى
واهفو مـع الأشواق للوطـن الـذى ... بـه صح لـى أنسى الهنـى وسلوانى
واصبو الـى أعـلام مكـة شيـقـا ... اذا لاح بـرق من ثمام وتـهـلان
أهيل الحما دينى عـلى الدهـر زورة ... أحث بـهـا شوقـاً لكم عزمى الوانى
متى يشتفى جفنى القريح بلـحـظـة ... تـرج بهـا فى نوركـم عيـن انسـان
ومن لـى بـأن يدنو لقـاكـم تعطفـاً ... ودهـرى عنى دائمـاً عطفـه ثـانـى
سـقـا عهدكـم بالخيف عهد تمـده ... سـوافح دمـع من شؤونى هتـان
وأنـعـم فى شط الـعقيـق أراكــة ... بأفيائـهـا ظل المنـا والهـوا دان
وحيا ربوعـاً بين مـروة والصفـا ... تحيـة مشتـاق لها الدهر حيـران
ربـوعـاً بها تتلو الملائـكـة العـلا ... أفـانيـن وحـى بيـن ذكر وقـرآن
وأول أرض بـاكرت عـرصـاتـهـا ... ووشت بـطـاحـهـا سحائب ايمان
وعرس فيهـا للنبـوءة مـوكـب ... هو البحر سـال فوق هضب وغيطان
وأدا بـهـا الـروح الأميـن رسـالـة ... أفـادت بـهـا البشرا مدايـح عنوان
هنـالكفض ختمهـا أشـرف الـورا ... وفخـر نـزار من معد بـن عـدنـان
محمـد خيـر العالميـن بـأسـرهـا ... وسيـد أهل الأرض م الانس والجان
ومن بشرت ببعثـه قبـل كـونـه ... نـوامس كـهـان وأخبـار رهبـان
وعلة هذا الكون لولاه مـا سمت ... سمـاء ولا غاضت طـوافح طـوفـان
ولا زخـرت من جنة الخلـد أربـع ... تسبـح فيهـا الحور مـع جمع ولدان
ولا طلعت شمس الهدا غب دجيـة ... تجهـم من ديجورهـا ليـل كـفـران
ولا أحدقت بـالمذنبيـن شفـاعـة ... يـذود بـهـا عنهـم زبانـى نيـران
لـه معجزات أخـرست كـل جاحـد ... وسلـت على الـمرتـاب صارم برهان

له انشق قرص البدر شقين وارتوا … بماء هما من كفه كل ظمآن

وأنطقت الأصنام نطقاً تبرأت … الى الله فيه من زخارف ميان

دعا سرحة عجما فلبت وأقبلت … تجر ديول الزهر ما بين أفنان

وضاءت قصور الشام من نوره الذى … على كل أفق نازح القطر أو دان

وقد بهج الأنوا بدعوته التى … كست أوجه الغبراء بهجة نيسان

وان كتاب الله أعظم آية … بها افتضح الميان وابتأس الشانى

وعدا على شأو البليغ بيانه … فهيهات منه سجع قس وسحبان

نبى الهدى من اطلع الحق أنجما … محا نورها أسداف أفك وبهتان

لعزتها ذل الأكاسرة الأولى … هم سلبوا نيجانها آل ساسان

وأحرز للدين الحنيفى بالظبا … تراث الملوك الصيد من ولد يونان

ونقع من سمر القناسم قيصر … فجرعه منه مجاجة ثعبان

وأضحت ربوع الكفر والشرك بلقعاً … يناغى الصدا فيهن هاتف شيطان

وأصبحت السمحا ترف نضارة … ووجه الهدا بادى الصباحة للرانى

أيا خير أهل الأرض بيتاً ومحتداً … وأكرم كل الخلق عجم وعربان

فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم … ولو ساجلت سبقاً مدائح حسان

اليك بعثناها أمانى أجدبت … لتسقى بمزن من أياديك هتان

أجرنى اذا °أبداالحساب جرائمى … وأثقلت الأوزار كفة ميزانى

فأنت الذى لولا وسائل عزه … لما فتحت ابواب عفو وغفران

عليك سلام الله ما هبت الصبا … وماست على كثبانها ملد قضبان

وحمل في جيب الجنوب تحية … يفوح بمسراها شذا كل توقان

الى العمرين صاحبيك كليهما … وتلوهما ى الفضل صهرك عثمان

وحيا علياً عرفها وأريجها … ووالا على سبطيك أوفر رضوان

اليك رسول الله صممت عزمة … اذا ازمعت فلشحط والقرب سيان

وخاطبت منى القلب وهو مقلب ... على جمرة الأشواق فيك فلبانى
فياليت شعرى هل أزم قلائصى ... اليك بداراً أو أقلقل كيزانى
وأطوى أديم الأرض نحوك راحلا ... نواجى المهارى فى صحاصح قيعان
يرنحها فرط الحنين الى الحما ... اذا غرد الحادى بهن وغنانى
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها ... خطا لى فى تلك البقاع وأوطان
وما ذا عسى يتنى عنانى وان لى ... بآلك جاهاً صهوة العز أمطانى
اذا ند عن زوارك البأس والغنا ... فجود ابنك المنصور أحمد أغنانى
عمادي الذى أوطا السماكين أخمصاً ... وأوفا على السبع الطباق فأدنانى
متوج أملاك الزمان وان سطا ... أحل السيوف فى معاقد تيجان
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلما ... اذا اضطرب الخطى من فوق جدران
هزبر اذا زار البلاد زئيره ... تضاءل فى أخياسها أسد خفان
وان أطلعت غيم القتام جيوشه ... وأرزم فى مركومه رعد نيسان
صببن على أرض العداة صواعقاً ... أسلن عليهم بحر خسف ورجفان
كتائب لو يعنون رضوا لصدعت ... صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
عديد الحصا من كل أروع معلم ... وكل كمى بالردينى طعان
اذا جن ليل الحرب عنهم طلا العدا ... هدتهم الى أوداجها شهب خرصان
من الـلاء جرعن العدا غصص الردا ... وعفرن فى عفر الثرا وجه بستان (57)
وفتحن أقطار البلاد فأصبحت ... تؤدى الخراج الجزل أملاك سودان
أمام البرايا من على نجاره ... ومن عترة سادوا الورا آل زيدان
دعائم ايمان وأركان سؤدد ... ذوو همم قد عرست فوق كيوان
هم العلويون الذين وجوههم ... بدور اذا ما احلكت شهب أزمان

---

57) يريد الملك سيبستيان ملك البرتغال الذى قتل فى وقعة وادى المخازن الشهيرة

وهـم آل بيت شـيـــد الله سمكـه ... عـلى هضبـة العليـاء ثابت أركـــان

وفيهم فشـا الذكر الحكيـم وصرحت ... بفضلهم آى الكتـاب وفـرقـــــان

فـروع ابن عم المصطفـــى ووصـيه ... فناهيك من فخريـن قربـا وقربـــان

ودوحـة مـجـد معشب الروض بالعلا ... يجود بأفـــواه الرســـالـــة ريـان

بمجـدهـم الأعـــلا الصريح تشرفت ... معـد على الـعربـاء عاد وقـحـطـــان

اولئك فخرى ان فخرت علـى الـورا ... ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان (58)

اذا اقتسم المـداح فضـل فخارهـــم ... فقسمى بالمنصور ظـاهـــر رجحان

امـام لـه فى جبهة الدهـر مـيـسم ... ومن عـزه فى مفرق الملك تـاجـــان

سما فوق هـامات النجوم بهـمـــة ... يـحـوم بهـا فوق السماوات نسران

وأطلع فى أفـق المعـالـى خلافـــة ... عليهـا وشاح من عـلاه وسمـطـــان

اذا ما احتبـا فوق الأسـرة وارتـدا ... عـلى كبريـاء الملك نخـوة سلطـان

تـوسـمــت لقمـان الحجـا وهـو نـاطق ... وشاهدت كسرا العدل فى صدر ايوان (59)

وان هـزه حـر الثنـاء تــدفـقـت ... أنـامله عـرفا تـدفـق خـلـجـــان

أيـا ناظر الاسـلام شـم بارق المنـا ... وبـاكر لروض فى ذرا المجـــد فينان

قضـا الله فى عليـاك أن تملك الـدنا ... وتفتحهـا ما بيـن سوس وســـودان

وانك تطـوي الأرض غـيـر مـدافـع ... فمن أرض ســودان الى أرض بغـدان

وتـمـلأهـا عـدلا يـرف لـــواؤه ... على الهـرميـن أو على رأس غـمـدان

فكـم هنـأت أرض العـراق بك العلا ... ووافت بك البشـرا لأطراف عـمـان

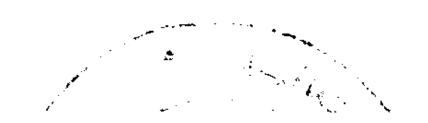
فلو شارفت شـرق البلاد سيوفكـــم ... أتـاك استلابـا تاج كسرا وخـاقـان

ولـو نشـر الأملاك دهرك أصبـحـت ... عيـالا على عليـاك أبنـاء مــــروان

---

58) يعنى لسان الملة ابن الخطيب صاحب التآليف فى الكتابة والتاريخ وغيرهما (مؤلف) .

59) أى والله . أى والله (مؤلف) .



وشايعك السفـاح يقتـاد طـائعـاً ... بـرايته السـوداء أهـل خـراسـان

فمـا المجـد الا ما رفعت سـمـاكـه ... على عمدى سمـر الطـوال ومـران

وهـاتيك أبكـار القوافـى جلوتـهـا ... تـغـار لهـن الحور فـى دار رضوان

أتتـك أميـر المومنيـن كـأنهـا ... لـطـائـم مسك أو خمائـل بستـان

تعـاظمن حسناً أن يقـال شبيهـهـا ... فـرائـد در أو قـلائـد عقيـان

ومنهـا ختـامـا :

فـلا زلت للدنيـا تحـوط جهاتهـا ... وللدين تحميـه بملك سـليـمـان

ولا زلت بـالنصـر الـعـزيز مؤزراً ... تقاد لك الأمـلاك فـى زى عـبـدان

وله أيضاً حفظه الله ورعـاه فى بعض الموالد الشريفة أيضاً مطلع قصيدة :

أدرهـا فقـد أودى بـهـن دلـوج ... ودكت ربـا أكتادهن حـدوج

ومنـهـا :

ظـعائـن خوص العهـن فـى فلوانها ... وفى فقرات ظهـرهـن دمـوج

اذا اطلعتهـا لـجـة الآل خلتـهـا ... سفائن خضن البحـر وهو مريـج

رمين النوا لما انبعثـن بـأسهـم ... يـرق لهـا عند المـروق خـروج

وأرزم أرزام الـرعـود هـديـرهـا ... فسد الفجـاج الفيـح منه ضجيـج

تحمل من آرام وجـرة للـحـمـا ... بـدوراً لهـا بيض القباب بـروج

اذا زمهـا نحـو الحجـاز حداتهـا ... أغـار بهن الشوق وهـو لـعـوج

هـوا هـن ما بيـن الحجـون مخيـم ... وبيـن أثيـلات الـعـقيـق دروج

تسلين عن كـل البقـاع فـلن تـرا ... على غيـر أكنـاف العقيـق تعـوج

ركـائب آلت أن تهـدم أو يـرى ... لـهـا بيـن هضب الأخشبين ولـوج

اذا عـم من تسنيم زمـزم شـربـهـا ... وأطفت لهيب الشـوق وهـو لجيج

ولاحت لها أعلام يثرب فارتمت … اليها تبارى الريح وهو نئيج

أنخن على ربع به موكب العلا … يموج وأملاك السماء تروج

وبحر الهدا من نبعه سال طافحاً … فطم على المعمور منه خليج

وصب عزالى الوحى فى عرصاته … ففاضت به أنهارها ومروج

ديار بها مسك النبوءة صائك … ونور الهدا الوهاج فيها وهيج

وأرض حوت من جوهر الكون جوهرا … تحلت به السمحاء وهو بهيج

تبوأها خير البرايا ومن له … الى أوج أفلاك السماء عروج

وليل بساق العرش وهو محجب … عليه رواق سابغ ووثيج

محمد خير العالمين ومن به … تقلص ليل الكفر وهو دجوج

نبى دحا أرض الرشاد فأصبحت … وسرب الهدا فى منكبيها يروج

ولاح لنا من نور آيات صدقه … سراج بمشكاة اليقين وهيج

تنضنض من برهانها كل لهذم … له فى صدور الملحدين ولوج

اذا رمت نظم القول فيه تهيبت … عجاف القوافى مدحه فتعوج

لمولده اهتز الوجود وأشرقت … قصور ببصرا أشرفت وبروج

وأفصح بالشكوا له الجذع صارخا … كما صرخت غب الحلاب ضجوج

وسالت بسلسال المعين بنانه … كما در ضرع حافل ونفوج

أيا خير من زم الركاب مطيهم … اليه وحتى اليعملات حجيج

عليك سلام الله ما افتن صادح … وما افتر ثغر البرق وهو بهيج

وما ضمخت صلع الربا راحة الصبا … فصيرها أو نمقتها ثلوج

ألهفى لأخدان ثنت عنك زورتى … وشدت عقال العزم وهو زعوج

عدتنى اذا شطت بك الدار سلوتى … فلم تختلج فالصدر منها ضلوج

ومنها :

أأسلو وبين المنحنى من جوانحى … فلم تختلج فالصدر منها ضلوج

ولولا (الامام المرتضا) سبطك الرضا — طوت بى اليك البيد أنضاء عوج
ولولاه ما أبطيت عن أجرع الحما — فدار بها الشوق اللعوج بهيج

ومنها :

بأفق به نور الخلافة ساطع — وأرض بها روض المعالى أريج
وربع به بحر السماحة زاخر — كأن البحار السبع منه خليج
لدى أوحد الدنيا الذى خضعت له — طواغيتها أروامها وزنوج
امام به غالبت كل مفاخر — وأسكت خصمى الدهر وهو لجوج
له فوق هام النجم مجد موطد — ومن عدله فى عالم الأرض زيج
مهيب رحيب الصدر ان دهم الورا — وصدر مجال السمر منها حريج
له عزمة تجلو الخطوب اذا وجت — ورأى بعقم المعلومات نتيج
عماد الورا المنصور والأوحد الذى — به غاض بحر الهول وهو مهيج
وأدركت الرى الخلافة بعدما — ذوا بريا المجد منها وشيج
وأنقذ بالسيف المهند تاجها — على حين كادت تقتنيه علوج
وجدل طاغوت العدا وجموعه — وللنمل فوق الأرض منهم دجيج
بيوم غدا ثغر الهدى فيه باسماً — وصدر القنا بالطعن فيه بهيج
وظل به الشيطان يندب حزبه — وقد خنقته عبرة ونشيج
فتوح أمير المومنين فواتح — لها فى جبين المجد منك بلوج
فهل راض رضوا الحلم قبلك جامحاً — وهل حملت ليث الهياج سروج
وهل زار أرض الزنج جيش عرمرم — تكنف أسد الغاب منه وشيج
بدهم سددن الجو وهى حنادس — وشهب كسا الأرضين منها ثلوج
عليهن من سرد الحديد ملابس — ومن ورق التبر السبيك نسيج
كتائب من صفين حامت حماته — بحرد نمتها فى العتاقة عوج

وهذه القصيدة طويلة تركت ما بقي منها لكوني لم أجده في الحال :

وقال أيضا أبقاه الله مطلع قصيدة ميلادية قام بها بين يدي أمير المومنين أيده الله سنة 993 :

يانسمة بكرت أباطح لعلع وسرت تجر ذيولها بالأجرع

شحرية نشأت تضمخ أربعاً تنتابها بعبيرها المتضوع

وهفت تشق جيوب كل خميلة وتفت مسكة كل روض ممرع

وهي طويلة أيضاً ، الى غير ذلك من ميلادياته حفظه الله وهي كثيرة ، وفيما ذكرنا منها كفاية :

ومما قاله حفظه الله رياسته في غرض هناء أمير المومنين نصره الله بمقدم فاتح السودان جؤذر باشا أحد فتيان الخليفة نصره الله بذي القعدة من عام 1007 :

علم انتصابك للعلا متمكن والفتح من حركاته متعين

والصعب طوعك فهو سهل كله والأشد عندك فهو أسلس ألين

فاذا تصمم كان عزمك ماضياً ما ان يرد سهام رأيك جوشن

هذي ممالك قادها لك عنوة وهي الشموس الشوس فتح بين

يسمو بها لك جؤذر بل ضيغم بدم الأعادي منه يدما البرثن

أرض غدت أم البلاد لأنها . . . . . . أجمع محصن

ملكت مقاد الأرض كفك باسمها فملوكها لك أعبد تتطامن

من لم يدن لك بالخضوع حرمته فيبوء مضطراً اليك ويذعن

ان العباد كفلتهم فكفالكم أرزاق هذا الخلق منها المعدن

وافتك منه هضاب تبر أوقرت ظهر المطى به سفائن تشحن

وتراكمت أثقال كل ذخيرة غص الفضاء بها وضاق المعطن

وتسايلت لكـــم الأبـــــاطح بالتــى — منها استعار قـــوامهن الأغصـــــن
من كل مسكية الأديــــم فجسمهــا — خلعت عليه سوادهـــن الأعيـــن
وصواهل يسمو الصهيل بها الـــى — نسل الوجيه وعتقهـــا المتبيـــن
يمرحن من تيه فمن أجـــم القنـــا — ومتونها لكل معقـــل متحصـــن
صقل الصبـــا أعرافهـــن ومسحـــت — منها المتون من البوارق السـن
هـــن الجياد قـــد اتعلت أجيادهـــا — صعداً لها ذات الـذوائـب أرســن
لم تدخـــر أرض الجنوب ذخيـــرة — عنكم ، وما كانت لغيرك تذعـــن
أهدت اليك غرائباً يقتـــادهــــــا — فــيـل يهــول وآلـــة تستحسن
واتتك أبنـــاء الملوك ممـــالكـــا — قامت ببابك وهـــى دجـــن أدكـــن
من كل حامى النجار ، وبعضهـــم — يسمو لتبع منه جـــد أمتـــن
سكنوا بعنوة عزمهـم فاستنزلـــوا — بالسيف سيفك ذى الفقار فأذعنـــوا
شغفت بملكك كل أرض فاغتـــدت — يهوى بها عـــدل اليك ومأمـــن
فكأن بمصر وأرضها لـك أهطعـــت — فيقودها سعـــد لكـــم وتيمـــن
فتح أتـــاك يقود حسنـاً بعـــده — فتـــح يؤمك بالتى هـــى أحســن
أو ما تراها بالصعيـــد تيممـــت — والى المثـــول بشـــط نيلك تركـــن
قـد طـالما استسقت ليسقـى محاها — سلسال عدلك فهـــو محـــل مـزمن
لتفوز بالملك العزيز وتغتـــدى — بظباك قاهـــرة المعـــز فتحصـــن
قـــل للملـــوك تأهبـــوا هذا الـذى — فتـــح البـــلاد لعهـــده متحيـــن

وقال أيضاً رفع الله مقداره ، وأدام تلبيته لداعى الأدب وابتداره ، لما صرف أمير المومنين نصره الله لولى عهده هدية عظيمة يمدحه بذلك :

اليـــك الفخـــر أجمعـــه تناهـــا — وقدرك هـــو قـــدر ما يضاهـــا
فكل الخلـــق نيط بكـــم منـــاه — وكل الأرض عندك مشتهـــاهـــا

وكل ذخيرة للملك أضحت ... الى حجرات دارك منتهاها

كنوز الأرض وهى لكم ملاك ... شموس فى قصورك مجتلاها

منوعة الفنون يروق منها ... بديع فى بديعك قد تناها

فمن طرف العراق وكل أرض ... عجائب راق أعيننا رؤاها

ومن كسب الملوك ومقتناها ... غرائب جلل الدنيا سناها

بيوم أصبح الايوان منها ... يجر ذيول بأو من بهاها

ملوك ملاكك ازدحمت عليها ... لتبصر ما سباها من سباها

يكبر معجباً فكأنما قد ... أطل على الفرادس من رآها

فمن بيض القباب مدبجات ... تلوح بها المجرة فى سماها

من الديباج راق بصفحتيه ... خمائل لحن باكرها نداها

حشين من التماثل كل حسن ... ومن صور سواحر من يراها

فمن طير شدون بكل غصن ... ومن غزلان رامة أو مهاها

نوافر من فوارس تدريها ... وآساد لهن فغرن فاها

وبسط كالرياض مفوفات ... وأنماط لعبقر منتهاها

وأصناف التخوت ملونات ... كما وشت يد الأنوار باها

وبيض كالأفاعى مطردات ... لها سلخ اليواقيت من غشاها

تمت لذى الفقار بكل حرب ... الى صفين تنسبها ظباها

لها نجر على الجد سام ... لأقيال شوامخ فى علاها

ومن طيب العبير حقاق . . . ... وأرخص كل غالية شذاها

وأحجار نفاس فاخرات ... لوامع كالبروق يشف ماها

وأجرام الصنادق موقرات ... بأموال صوامت ملء فاها

ذخائر ما القياصر أحرزوها ... ولا ملك الأكاسرة اقتناها

تأثل جمعها لك من فتوح ... قد أطعمها سيوفك فى قراها

دنا لك قطفها من بستيان … وطاب لديك من جنى جناها

وهادتك الملوك بها اتقاء … لتمنحها الأمان على حماها

فكم ذو التاج ضن بها سفاهاً … فأنفذتم لمهجته رداها

فجدت على ولى العهد منها … بوقر العير يجهدها سراها

بطيب من ضميرك عنه راض … ونفس من عدوك قد شفاها

عظيم أنت جاد على عظيم … كما اقتبس الأهلة من ذكاها

ودنيا قد وكلت بها كفيلا … وأسندتم لمولاها ولاها

خليفتك الذى أرضاك برا … وأرضا فى البرايا من براها

همام كل أصناف البرايا … عليه قلوبها جمعت هواها

لقد بلغ العباد بكم مناها … من الدنيا ، وفى الأخرى رضاها

وزان الله باسمكم زمانا … بفخركم على الأعصار تاها

وقال أيضاً يمدح أمير المومنين نصره الله ويستمنحه مالا :

امام الأرض منصور اللواء … وفتاح البلاد على الولاء

اليك رفعت بالتأميل صوتى … لكى تبنى على فتح ندائى

وأسندت الرجاء اليك كيما … أحدث فى السماحة عن عطاء

وأرويها مسلسلة أحاكى … بها النعمان عن ماء السماء

فمن طين الندا سواك ربى … وصاغ كريم وجهك من حياء

فلا تسخو طباعى فى سواكم … بوشى من مديح أو ثناء

ولا ألوى على أحد وأنوى … الا الله ثم لكم دعائى

فأنتم عند محل الأرض غيثى … وعند الفقر ان يلمم غنائى

ولائى بالكتابة لى شفيع … فدونكم عبيداً بالولاء

أصون مياه وجهى عن سواكم … تراق لو أنه بدر السماء

لأنى للعزيز له مضاف … وللملك العزيز بك اعتزائى

وقال أيضاً أبقاه الله فى تهنئة باعذار المولى عبد الله ابن ولى العهد الأمير الأسنا الأسما ، مولانا محمد المأمون أمنه الله تعالى :

طير الهنا لك بالمسرة صادح — وبمشتهاك الدهر غاد رائح
وبكل نوع من بديع صنيعكم — يشدو الزمان مغرداً ويطارح
فى كل يوم من زمانك للورا — عيد يبارك بالمنى ويراوح
أيام عصرك وهى بيض كلها — غرر تلوح وأنجم ومصابح
وأكفكم للخلق أنواء الندا — وهى لأرزاق العباد مفاتح
طلعت بهذا المهرجان بشائر — ماتت من الدنيا بهن جوائح
وأقمت للاعذار فيه معرسا — هو جامع ولكل صدر شارح
هبت له الأمراء تحضر يومه — لم ينأ دان منهم أو نازح
وسما لعبد الله نجل محمد — شأن باحراز العلاء يفاتح
ذاق الحديد فما علته كزازة — تعلو وجوه الصيد وهى كوالح
وعلاه بشر النور يشهد أنه — نور النبوءة فهو نور واضح
وغمائم نشأت حوامل بالندا — والند فهى طوافح ونوافح
تهفو الخوافز فوقه وتحفه — صيد الملوك خوادم وكوادح
فعليكم طير السرور حوائم — وعلى عدوكم تنوح نوائح
وببابكم تروى الفتوح صوارم — هى باسمكم للأرضين فوالح
نطيت بجيد الدين فهى تمائم — ولفتح مقفلة البلاد مفاتح
ان زان فخر معشراً فلأنتم — فى الخلق روح والأنام جوارح
أرضيتم حزب الاله ورضتم — جداً جياد الملك وهى جوامح
وورثتم عن هاشم البطحاء ما — قد وطدته أئمة وجحاجح
وعرفتم بسماتهم فوجوههم — بين الأنام تلوح وهى مصابح
أنى لأنشىء فى علاك بدائعا — بلسانهن لحاسديك تكافح

وقف عليكم ما تروى فكـــــرتـــى فيكم وما تلقـى عـلى قـــرائـــح
يفنـى مديـــح سواكم ، ومديحكـم يبقا ، وتلك الباقيـات صوالـــح

وقال أيضاً أسماه الله يهنىء أمير المومنين نصره الله بفتح أصيلة :

بكر الفتوح لكم تهلل بشرهـــا وافتر عن شنب المسرة ثغرهـا
وعقيلة الامصار وهى أصيلـــة أنت العزيز لذا أطاعك مصرهـا !
وافى بها الفتح المبين يزفهـا لكم وليس سوا قبولـك مهرمـا
شغفت ببدرك واستبـاك حنينهـا فتجمعت بكما حنين وبدرهـا
كـانت لـيـالى الكـفـر فيهـا دمـلا وبعصرك الأقـوا تبيـن فجرهـا
خضعت لكم بخضوعهـا الدنيـا وقد لباك من بطحـاء مكـة حجـرهـا
أوطىء جيوشك أرض أندلس فقـد نذرت تطيعك كى يوفـى نذرهـا
واحصد رءوس المشركين بهـا فقـد آن الحصاد لها وأرطب بسرهـا
واملك جميع الارض فهى وراثـة واليكم بالفتح يسند أمرهـا

وقال أيضاً أبقاه الله يجدد دارس الأدب والبراعة ، ويجرى فى ميادين الدولة المنصورية أعلاها الله كيف شاء يراعه ، فى بعض المبانى التى أنشأها أمير المومنين نصره الله بالحضرة المراكشية حماها الله :

معـانى الحسن تظهـر فـى المغـانى ظهور السحـر فى حدق الحسـان
مشابـه فـى صفات الحسن أضحت تـمـت بـهـا المغـانـى للغوانـى
بكل عمود صبح مـن لجيــن تكون فى استقـامة خوط بـــان
مفصلـة القـــدود مـثـلـثـــات مواصلة العناق مـن التـدانـى
تـردت سابـرى (60) الحسن يـزرى بـحسن السابـرى الـخسروانـى

(60) درع دقيقة النسج محكمة ، منسوبة الى سابور

وتعطو الخيزرانة مـن دمـاهـا | بسالفة القطيـع البرهمانـي
لمجدك تنتمـي لـكن نماهـا | الى صنعـاء ما صنع اليـدان
يدين لك ابن ذى يـزن ويعنـو | لها غمدان فـي أرض اليمـان
غدت حرمـاً ولكـن حل فيهـا | لوفدكـم الأمان مـع الأمـانـي
مبـان بالخـلافـة آهـلات | بها يتلـو الهـدا السبـع المثانـي
هي الدنيـا وساكنهـا أمـام | لأهـل الأرض مـن قـاص ودان
قصـور مالها في الأرض شبـه | ومـا فـي المجـد للمنصور ثـانـي

وقال أيضا أبقا الله رياسته :

ومما صدر عنى ليكتب فى المصرية (61) المطلة على الرياض المرتفعة على القبة الخضراء من بديع المنصور أمير المومنين أيده الله فى جمادى الأولى من عام 995 قـولـي :

باكر لدى من السرور كـؤوسـا | وارض النديـم أهـلة وشمـوسـا
واعـرج الى غرفـي المنيف سماؤهـا | تلـق الفراقـد فـي حماى جلـوسـا
واذا طلعت بأوجهـا قمـر العـلا | لا ترتضى غيـر النجـوم جليسـا
شرق القصور بريقهـا لمـا اجتلت | منى على بسط الريـاض عروسـا
واعتضت بالمنصور أحمد ضيغمـا | ورداً تخيـر من بديعـي خيسـا
ملك أرا كـل الملـوك ممالكـأ | لعلاه ، والدنيا عليـه حبيسـا
دامت وفود السعد وهـي عـواكف | تصل المقيل لدى والتعريسـا
وهناك يا شرف الخلافـة دولـة | تلقـي برايتهـا طلائـع عيسى !

---

61) منـزل صغير يبنى فوق دكاكـين الطريق أو فوق أى بناء سفلى ، ونسبتها الى مصر لأن هذا النوع من المبانـي اقتبس منها .

وقال أيضا أبقاه الله فى غرض يضاهى ما تقدم من قصيدة لم أجد أولهـا فلذلك كتبت منها ما وجدت فقط ، ولعلى أجد أولها ان شاء الله تعالى فألحقه بها :

سلبت تماثلهـا الحجـا لما اغتـدت ... تـزهـو بـحسن طـرازه تـذهيبا
ولقد تشامخ فى العلـو سماكهـا ... فجرا عـلى الفلـك المنيـر جنيبا
وسما الى الشهب الـزواهر فاغتـدا ... الاكليل منها تاجهـا المعصوبـا
هذا البديع يعـز شبـه بدائـع ... أبدعتهـن به فجاء غريبـا
اضنـى الغزالة حسنـه حسداً لـذا ... أبدا عليهـا للأصيـل شحـوبـا
وانقضت الزهـر المنيـرة اذ رأت ... نهر الريـاض به ينـور عجيبـا
شيدتهـن صنائعـاً ومصانعـاً ... أنجـزن وعدك للعـلا المرقـوبـا
وجريت فى كل الفخـار لغايـه ... أدركتهـا وما مسست لغـوبـا
فانعم بملكك فيه دام مـؤبـداً ... تجنى به فنن النعيـم رطيبـا
واليكها عـذرا بفكـرى فضضتهـا ... وجعلت مـدحـك مهرمـا الموهـوبـا
ونظمت من در البـلاغـة عقدهـا ... فغدا يروق بجيدهـا ترتيبـا
وزففتها لمقـامكم تمشـى عـلى اسـ ... ـتحيا فيزعجهـا الـولا تـرغيبـا
فأتت على شـره لكـم فتوقفـت ... لما رأت ذاك الجـلال مهيبـا
شفعت اليك بحب جـدك أحمـد ... لتنيلهـا منك الرضا المرغوبـا
دامت بك الدنيـا يـروق جمالهـا ... والى القيامـة أمركـم مرهـوباً
وكـلاكـم الله العظيـم كـلاءة ... يرعـا بهـا خلفـاً لكـم وعقيبـا

وقال أيضا أبقاه الله مما يكتب داخل القبة الخمسينية من البديع المذكور الذى اخترعه أمير المومنين نصره الله وأنجده :

جمـال بدائـعـى سحـر العيونا ... ورونـق منظـرى بهـر الجفونـا
وقـد حسنت نقوشى واستطـارت ... سنـا يعشـى عيون النـاظرينـا

وأطلع سمكى الأعلا نجوماً ثواقب لا تغور الدهر حينا
وجوى من دخان الند ألقى على أرضى الغياهب والدجونا
علوت دوائر الأفلاك سبعا لذاك الدهر ما ألفت سكونا
فصفت من الأهلة والحنايا أساور والخلاخل والبرينا
تكنفنى حياض مائجات أمامى والشمائل واليمينا
يقيد حسنها الطرف انفساحا ويجرى الفلك فيها والسفينا
تدافع نهرها نحوى فلما تلاقى البحر فى جرا دفينا
ترى شهب السماء بهن غرقى فتحسبها بها الدر المصونا
وقد نشر الحباب على سماها لئالىء تزدرى العقد الثمينا
فخرت وحق لى لما اجتبانى لمجلسه أمير المؤمنينا
هو المنصور حائز خصل سبق وبانى المجد بنياناً مكينا
وليث وغا اذا زأر امتعاضاً يروع زئيره هنداً وصينا
اذا أمت كتائبه الأعادى بعثن برعبه جيشاً كمينا
يدير عليهم من كل حرب تدقهم رحا أو منجنونا
امام بالمغارب لاح شمساً بها الشرق اكتسا نوراً مبينا
بقيت كذى القصور الغر بدراً تلوح بأفقهن مدا السنينا
تحف بكم عواكف عند بابى ملائكة كرام كاتبونا
لك البشرى أمير المومنين اد خلوها مع سلام امنينا

وله أيضا مما كتب ببهوها ، كتب بمرمر أسود فى مرمر أبيض :

لله بهو عز منه نظير لما زها كالروض وهو نضير
رصفت نقوش بناه رصف قلائد قد نضدتها فى النحور الحور
فكأنها والتبر سال خلالها وشى وفضة تربها كافور

وكأن أرض قراره ديباجة   قد زاد حسن طرازها تشجير

واذا تصعد قده نوءاً ففى   أنماطه نور به ممطور

شأو القصور قصورها عن وصفه   سيان فيه خورنق وسدير

فاذا أجلت اللحظ فى جنباته   يرتد وهو بحسنه محسور

وكأن موج البركتين أمامه   حركات سجف صافحته دبور

صفت بضفتها تماثل فضة   ملك النفوس بحسنها تصوير

فتدير من صفو الزلال معتقا   يسرى الى الأرواح منه سرور

ما بين آساد يهيج زئيرها   وأساود يسلى لهن صفير

ودحت من الأنهار أرض زجاجة   وأظلها فلك يضيىء منير

راقت فمن حصبائها وفواقع   يطفو عليها اللؤلؤ المنثور

يا حسنه من مصنع فبهاؤه   باها نجوم الأفق وهى تنور

وكأنما زهر الرياض بجنبه   حيث التفت كواكب وبدور

ولدسته الأسما تخير وصفه   خير الورا وامامها المنصور

ملك أناف على الفراقد رتبه   وأقله فوق السماك سرير

قطب الخلافة تاج مفرق دولة   رميت بجحفلها اللهام الكور

وجرا الى أقصا العراق لرعبها   جيش على جسر الفرات عبور

نجل النبى ابن الوصى سليل من   حقن الدماء وعف وهو قدير

بحر الندا لكنه متموج   سيف العلا لكنه مطرور

طود يخف لحلمه ووقاره   ولجيشه يوم النزال ثبير

دامت معاليه ودام ومجده   طوق على جيد العلا مزرور

وتعاهدته من الفتوح بشائر   يغدو عليه بها المسا وبكور

ما دام منزل سعده يرتاده   نصر يرف لواؤه المنشور

ومشت به مرحاً جياد مسرة   وأدار كأس الأنس فيه سمير

وقال أيضا ابقاه الله مما كتب خارجها :

سموت فخر البدر دونى وانـحـطـا ... وأصبح قـرص الشمس فى أذنى قرطا
وصغت من الاكليل تـاجـاً لمفـرقـى ... ونيطت بى الجـوزاء فى عنقى سمطا
ولاحت بأطواقى الثريـا كأنهـا ... نثير جمـان قـد تتبعتـه لقطـا
وعديت عن زهر النجـوم لأننـى ... جعلت عـلى كيوان رحـلى منحطـا
وأجريت من فيض السماحة والنـدا ... خليجـاً على نهر المجـرة قد غطـا
عـقـدت اليه الجسر للفخر فـارتمت ... اليه وفـود البحـر تغرق مـا انـطـا
تنضنض ما بين الغـروس كأنـه ... وقد رقرقت حصبـاؤه حيـة رقطـا
حواليه من دوح الريـاض خـرائـد ... وغيد تجـر من خمائلهـا مـرطـا
اذا أرسلت لـدن الفـروع وفتحـت ... جنا الزهـر لاح فى ذوائبهـا وخطـا
يرنحهـا مر النسيم اذا سـرا ... كما مال نشوان تشـرب اسفنطـا
يشق ريـاضاً جـادهـا الجود والندا ... سواء لديها الغيث أسكب أم أخطـا
وسالت بسلسال اللـجـين حياضهـا ... بحارا غـدا عرض البسيط لها شطـا
تطلـع منهـا وسـط وسطـاه دمية ... هى الشمس لا تخشا كسوفاً ولا غمطا
حكت وحباب الماء فى جنباتهـا ... سنا البدر حل من نجوم السما وسطا
اذا غازلتها الشمس ألقا شعاعهـا ... عـلى جسمهـا الفضى نهراً بها لـطـا
توسمت فيها من صفـاء أديمهـا ... نقوشاً كـأن المسك ينقطها نـقـطـا
اذا اتسقت بيض القبـاب قـلادة ... فأنى لها فى الحسن درتها الوسطـا
تكنفنى بيض الدما فكأنهـا ... عذارى نضت عنها الغلائـل والريطا
قدود ولكن زادها الحسن عريهـا ... وأجمل فى تنعيمهـا النحت والخرطا
نمت صعـداً تيجانهـا فتكـسـرت ... قوارير أفلاك السماء بهـا ضغطـا
فيا لـك شـاواً بالسعـادة اهـلا ... بأكنافـه رحـل العلا والهدى حـطـا
وكعبة مجد شادها العـز فانبـرت ... تطوف بمغناها أمانى الـورا شوطـا

ومسرح غـــزلان الصريـــم كناسهـــا ... حنايا القباب لا الكثيب ولا السقطـــا
يلكن به ما طاب لا الأثل والخمطـــا ... ووسدن فيه الوشـــى لا السدر والارطا
تـراه من المسـك الفتيت مـدبـــراً ... اذا ما زجته السحب عاد بهـا خلطـــا
وان بـاكـرتـه نسمــة لسـرا بهـا ... الى كل أنف عرف عنبـره قسطـــا
أقـرت لـه الزهــراء والخلد وانثنت ... أواوين كسرا الفـرس تغبطه غبطـــا
جناب رواق المجد فيه مطنـــــب ... عـلى خير من يعزا لخيـر الورا سبطا
امام يسير الدهـر تحت لـــوائـــه ... وتـرسى سفان للعـلا حيثما حـطـــا
وفتاح أقطـــار البلاد بفليـــــق ... يفلــق هامات العــدا بالظبا خبطـا
تـطـلـع من خرصانه الشهب فانثنت ... ذوائب أرض الزنج من ضوئـها شمطا
كتائب نصر ان جـــرت لملمــــة ... جـرت قبلها الأقدار تسبقها فـرطـا
اذا ما عقدن رايـــة علويـــــــة ... جعلن ضمان الفتـح فى عقدها شرطا
فما للسما تلك الأهلـــة انمـــــا ... سنابكها أبقت مثالا بهـا خطـــــا
يطاوع أيدى المعلوات عنـانهـــــا ... فيعتــاد من قبض الزمان بها بسـطـا
يد لأمير المومنين بكفهـــــــــا ... زمـــام يقـود الفرس والروم والقبطا
أدار جداراً للعـــلا وسرادقـــــا ... يحوط جهـــات الأرض من رعيه حوطا

وقال أيضا أبقاه الله مادحاً لولى عهد المنصور أمير المومنين أيدهم الله وقد وفد عليه بالحضرة الفاسية من الأبواب العلية الامامية أبواب أمير المومنين نصره الله ، أعلا الله أعتابها ، وأنشده اياها عند السلام بمحرم من عام سبعة وألف :

نضو تقسمه يـــد الأسـفـــــار ... يطوى اليـك مـلاءة الاسحـــار
كتمته فى أحشاشهـا بيداؤهـــا ... لمـــا دعـوه بكـاتم الأسـرار !
خـاض المهـامه أبحـراً بسفـائـن ... رسبت بقعـر الآل فـى تيـــار
يصل السـرا حتى أناخ على الـذى ... بالبدن من بـدر صـوامت قـــار

ملك الملوك محمد المأمون من ... تعنو الملوك لسيفه البتار

وتخوفته على النفوس فكلهم ... يرضا فداء النفس بالأقطار

وأجل من تحدو الحداة بذكره ... عظماً فمن فاس الى الأنبار

رحب الجناب فكلما لاقيته ... يلقاك بشر ساطع الأنوار

أسد هريت الشدق مرهوب الشبا ... شثر البراثن دامى الأظفار

لله فيكم سر غيب لم يزل ... متبلجاً فى الورد والاصدار

ان رام كيدك كائد متحير ... باء بصفقة شبه مازيار

لازلت وارث ملك أحمد باقيا ... ذخرا لأمة أحمد المختار

وقال أيضا فى ولى عهد المسلمين مولانا المامون أمنه الله :

الى الحرم المأمون تطوى الفلا طيا ... لتلثم كفاً جادها بالندا سقيا

وتشكو جفاة حاولوا هدم ما بنت ... يد للعلا لا هون فيها ولا وهيا

يد لو الى الأفلاك مدت لما عصت ... لها السبعة الأفلاك أمراً ولا نهيا

وكف لسحبان يجل تأنفا ... عن النقض ما يبنيه ديناً ولا دنيا

أحاكمهم للعدل فيك سجية ... وللحسب الوضاح شيمتك العليا

لتوسعهم زجرا يذود سوامهم ... فتحمى حماى أن تسوم به رعيا

وتفطمهم عن رشف ما كانت راضعا ... فحاشاكم أن ترضعوهم معى ثديا

فانى بكم ءال الوصى لفى حمى ... يعز على الشعرى تسنمه رقيا

وقال أيضا أبقاه الله فى ذلك الغرض ، مؤديا من حقوق ولى عهد المسلمين المفترض :

قف بالمطى على الحما المامون ... واعكف على حرم هناك أمين

وانشر لديه تحية أودعتها ... جيب النسيم بسرها المكنون

حملته منها لطائم مسكها ... يزرى بطيب المسك من دارين

يسري الى بلد عهدت بأرضها ءارامه تسطو بأسد عرين
ويظهر زاوية جئاذر أتلعت فوق الربا أجياد حور العين
هيف القدود جلبن من بان الحما علقت به الكثبان من يبرين
تروى الصبا عنى وهى بليلة شوقى لظبى كناسها وحنينى
ولعلها ان باكرت ربع العلا تنبىء عن أيك به وغصون
واذا تهب على الرياض عشية أخذت بمسراها لذات يمين
فتخوض عنى البحر يزخر موجه بالعرف عند محمد المامون
مولى اذا ذكر الملوك فحبه شرعى ومعتقدى الصحيح ودينى
مولى اذا نصب العوامل للعدا جاءت له بالفتح والتمكين
مولى اذا ما ابتعته بذل الرضا بنفيس نفسى ليس بالمغبون
يحكى عن المنصور فى عزماته وعن الوصى أبيه فى صفين
ان زار أرض عداه جيش واحد وافاهم الرعب بألف كمين
كالسيف ان لاقيته ألفيته للطف يدمج شدة فى اللين
فببابه عكف العفاة كأنهم وفد الحجيج بأبطح وحجون
يتجلو به الأعراض وهى مصونة عن بذلها والمال غير مصون
يثاب به لاذ الملوك فكلهم يخشا عواقب سيفه المسنون
تترا الى أعتاب مجدك رسلهم من وافد يسعى لها وقطين
متزاحمين على بساطك رغبة فى لمح غرتكم ولثم يمين
فمتى تشم برق الرجاء ببابه يلقاك نور البشر فوق جبين
عرض بذكر وسائلى تلقا به نعم الكفيل برعيها وضمين
يحدو الحداة بطيب ذكركم فمن فاس الى الفسطاط بل للصين

وقال أيضا أعزه الله يخاطب المولى الأمير الأجل الواثق بالله مولانا أبا فارس بن المنصور أمير المومنين أعلا الله كلمتهم وقد فعل :

أيـا واثـقـاً انـى بجـاهـك واثـق ... وان وداد العـبـد فيك لـصـادق

تمسكت من عليـاك بالعـروة الـتى ... هـى العـروة الوثقـا اذا عـن طارق

على جسـركـم يسمـو المؤمـل للذى ... يـؤمـل من دنيـا وديـن يسـاوق

وتنـجـح ءامـال تـؤم فنـاءكـم ... فتـرجـع غب المحـل وهـى غوادق

فـذكر بـى المنصـور تلق خليفـة ... لـديه على العهـد الوثيـق وثـائق

ومن هـو أوفـا بالذمام لمـن غـدا ... يمت الـى عليـاه منه سـوابـق

فمـا خـاب سعـى فى رضـاه لخادم ... ولا انقطعت للـواطبيـن عـلائـق

وانـى عبـد فـى رضـاه مصـرف ... شبـابى حتـى شـاب منـى المفارق

قال : ثم ذيلت الخطاب ببيتين من الكامل وهما :

مـا مال حسـن الـظـن منى فيكـم ... لاكنـهـا ذكـرى لمـن لـم يغفـل

مـولـى يفيض العرف قبل سؤالـه ... هـذى المغـارب والمشارق فـاسأل

قال ثم قلت :

رحمـاك من دهـر على بخيـلـه ... وبـرجـلـه من صـرفـه مستحـوذ

وأنـا الـذى فهمـى طغا شيطانـه ... فبغيـر مجـدك منـه لـم أتـعـوذ

فـامنـن علـى موصول سعيى بالرضا ... منكـم بعائـد بركـم فـأنـا الـذى

وقـع لعبـدك بالـنـوائـب انـنـى ... راض بهـن يكـون فيهـا مـأخـذى

ثـم قال أيضا أبقاه الله يهنيء المولى الواثـق بالله ، أبا فارس ، ابن أمـيـر المومنيـن بابـلال من مـرض :

فرج أدالك شـدة برخـاء ... وسطا بعاصفهـا هبـوب رخـاء

وبدا محيـا الدهر مصقـولا وقـد ... صـح المنـا واخضر عـود رجـاء

وحصلـت مـن نـقـه الالاه بمـأمـن ... لما وثقـت بواثـق الأمـراء

وعلــوت فى سندى لعالــى مجــده لما رويت لــه كــتاب شفــاء
وتباشــرت بحديثــه كــل الــورا فتنقلتــه تنــقــل الصهــبــاء
خرقت اليــه الشمس سجف سحابهـا شوقــاً لطلعــة وجهه الغــــراء
وأتــتــكــم الأفــلاك تخدم أمـركـم فتمنطقــت بكواكب الجــــوزاء
وجرت بجمعكم سعــــود ءاذنــت بتجدد النعمــــاء والســـراء
فقضــا قــران الأسعدين بنـضــرة وسـعــادة وسـلامـة وهـنــا
ولــك البشــائــر بالهنـــاء وفودهــا تــتــرا مـع الاصــبــاح والامسـاء
والــعــز دانيــة اليك قـطـوفـــه بــالمشتــهــا ومســرة غـضـــاء
وبكــل نــوع من بــديــع فـنــونــه يلقــاك مـلء جـوانب الـخضــراء

وقال أبقــاه الله مما يكتب على درقة مولانا الواثــق المذكور ابن أمير المومنين مولانا أبى العباس المنصور أيدهــم الله وخلد ملكهم :

بــظــل الظبــا جنــة عــالــيــه ومـنـــى لـكـم جـنـة واقـيــه
ومــا هــالــة البــدر فــى شكلهــا بــأحسن مــن دارتــى الســامــيــه
ومــن دون بــدرى بــدر الــدجــا ســمــواً علــى الأنــجـم الــزاهيــه
وصبــغ دمــاء الــعــداة بــــدت على صفحتــى منــه خــيــلانــيــه
فمن بيض يمنـــاه ســال الــنــضـــ ــار على أبـحـر فوق ظـهــرانــيه
تــمــلا المسـرة والــمشتــهــا قطوف الأمــانـــى لــكــم دانــيــه
فــكــل الســلاح الــى عــنـــــا وكــل الــورا طــوع سلطــانيــه
أبـــى فــارس سبــط خيــر الــورا وفــخــر قصــى وعــدنــانــيــه
ولــيــث تــوقــى أســود الشـــرا لــدا الحــرب أسيــافــه المــاضيه
شغفت الــبــلاد فــحنت الــيــك عــراقيــة الـنــجــر أو شــاميــه

وقــال أيضاً أبقاه الله مما يظهــر من الأبيات غرضــه .

وسـائـل الحب فيـك قربت أمـلـى … وشـاهـدالقـول فيك شـاهد العمل

وهـذه خدمـة مـوقـوفـة لا أر ا … عنكـم بـهـا أبـداً ما دمت من حـول

وان تغـاليت فـى حبـى لكـم فلقـد … تـقـاصـر الحب عن غـالى هباتك لى

تمثلت لـى فـى كـل الجهات فـفـى … حليـى وفـى حللى والخيل والخـول

وقـد ظمئت لسقيـاهـا الغزير فجد … ربعـى منها بسقيا جـودك الـهطـل

وجـد على عجـل مـولاى منك عـلـى … عبدٍ ، فقد خلـق الانسـان من عجـل

لا تخش غـرقـا على من تـلاطمـه … سبحـى طـويـل على أمواجه المـثل

واقـذف بعبـدك فى بحر نداك لكـى … (يدنو) الى ساحل من شاطىء خـضل

وقد تحصنت من دهـرى بكـم فلـذا … لست أحاميه من بيض ولا أسـل

ان يضـرب الشعراء فى النـدا مثـلا … بجـود أملاكـهـم فـأنتم مـثـلـى

وقال أيضا أدام الله علاءه ، وشكر عن معشر العلماء ءالاءه :

طعنت ركائبكم وقلـبـى طـائـر … والشوق فيك لـدى نـاه آمـر

ولئن غـدا جسمى مقيمـاً بـعـدكـم … فالقلب فى أولـى الطلائـع سـائـر

والعـبـد من فـرط الغـرام مسـائل … عنك الرفـاق وللنجـوم مسـامـر

أتناول الأنبـاء من ريـح الصـبـا … مهمـا يـهـب لـهـا نسيم عـاطـر

فلو استطعت ركبت نحوك متنهـا … لأرا بحـور نـداك وهـى زواخـر

والشـوق أعظـم ما يكـون اذا غـدا … بحمـاك يلـهـج وارد أو صـادر

ان الـديـار اذا ارتـحـلـت دوارس … واذا نـزلت بـهـن فـهـى عـوامـر

والـروح عاكفـة ببابك دائـمـا … تصل المسـاء وفى الصباح تـباكـر

بـاب بكعبـة جوده لـعـفـاتـه … أبـدا تقـام مناسك ومـشـاعـر

واذا الوفـود سمت لـه نحرت لـهـم … بـدر النـضـار البدن وهـى عشائر

يا خير من فـى المعلـومات جـرا لـه … مـثـل على عـرض البسيطـة سائـر

انى الى سقيا يمينك عاطش وسحابها فوق الخلائق ماطر
أومىء اليه يجود ربعه عارض منه فيصبح وهو زاه زاهر
ومر الزمان فانه لك طائع يزور عنى منه ناب كماشر
فلقد تجهم عابساً لكننى أرجو تدور بكم عليه دوائر

وقال أيضاً أبقاه الله فى بعض الفتوحات مادحاً أمير المومنين المنصور بالله أيد الله أمره ، وأطال لأهل الأقاليم السبع عمره

الفتح من حركات أحمد واجب كل العوامل فى العدا له طالب
يعنو الى المسنون من أسيافه قلب المعاند ، وهو قلب واجب
أتروم أحزاب الضلال سفاهة غلباً لحزب الله وهو الغالب
أودا بجمع مكسر جمع له تعنو الجموع أعاجم وأعارب
جمع له فى الحرب آى وقائع أضحت على الأعداء وهى نوائب
ملأت بأشلاء العداة نتائفاً أضحا الوهاد بهن وهى أهاضب
قد حلقت للنصر فوق سمائها من كل فتخاء البنود عصائب (62)

---

62) بقية القصيدة نقلا عن **مناهل الصفا** :

صبت على السودان منها صواعق فهمت على اسحق وهى مصائب
فهو الذى من جبره أو جلبه تلقاه اما جابر أو جالب
يروى عن المنصور فيه محمد ما أسندته الى الوصى مناسب
أسد هريت الشدق يفغر فكه نحو العدا فكأنه متثائب
يفرى الكتائب سيفه ولرعبه جند يغير على العدا وكتائب
سنف به جب السنام لخاسر فى صفقتيه وجب منه الغارب
نكس ا . . . . المناحس منزلا لفعته عيناه وقطب حاجب

ومن مقطعاته أسماه الله قوله وأنشدنيه لنفسه :

تبدت لنا دار الخلافة بكره — وقد جليت فى حلة الحسن والزين
بكرنا بها نرتاد للركب منزلا — فقالت لنا : أهلا على الرأس والعين

وأنشدنى لنفسه أيضاً فى غرض التورية :

ظبى تعلم يقرى العاشقين هوا — أردافه فاعجبوا للشادن القارى
يبرى سهام لحاظ العين يرشقها — يا قوم أشكو الهوا للصانع البارى

وأنشدنى أيضاً أبقاه الله مما قاله مقتبساً ومكتفيا من القسم الثانى من أقسام الاكتفاء بالتورية قوله :

زار الخيال برشف حلو رضابه — ثم انثنا فوجدته أحلاما
ورددت اذ فرطت فيه تعللا — برجوعه يا حسرتى على ما (فرطت)

وأنشدنى أيضا فى ذلك من القسم الأول من أقسام الاكتفاء بالتورية أيضا :

وبمهجتى رشأ لسيف لحاظه — حكم على الأرواح غير مخالف
ألف النفار فان دعانا للهوا — أتلو له من ريبتى : انا لفى
(شك مما تدعونا اليه مريب)

وقال أبقاه الله من القسم الرابع :

بمهجتى مليك حسن غدا — بالجند من ألحاظه يحرس
انسان عينى ان دنا نحوه — أغزاه بالبيض وجاء بسو (دان)

قال : ثم قلت مادحاً للجناب العالى من القسم الخامس :

ان كنت تبغى الجود كى تكتفى — والعدل فى الارض بحكم السوا

فاسم لمن يعنـو البيـاض لـه | للعـدل فـى احكـامه والسوا (د)

قال : وقلت من القسم السادس وهو أعلاها رتبة :

بمهجتـى بـدر لاحسـانـه | عرف أهـل الأرض فضـل السما (ح)
كالغصـن ان تسقيـه ممـزوجـة | رنـح اذ يسقـا بخمـر ومـا (ح)

وقال دام علاه : ناولنى محبوب سواكاً مطيباً من فيه فقلت بديهاً :

وافا بها المسـواك قـرقـف مبسم | مزجت بمسك من لمـاه فتيـق
فسكرت من خمر نعمـت بشـربهـا | بين العذيب وبـارق وعقيـق

قال : وقلت مجيباً لبعض الأصحاب عن لغز فى شبابة :

يا من اذا أجـرا جيـاد بيانـه | سبقـاً تقـاصر دونـه السبـاق
قد راق منك اللـغز فـى صفراء من | لون الأصيـل أديمهـا الـرقـراق
تصف العـراق بلحنهـا وترى الـى | مـاء السما تسمـو بهـا الأعـراق
واذا تشبب بالحجـاز تسيـل مـن | زفراتهـا الآمـاق والأحـداق

وقال أيضاً أبقاه الله يهنىء أمير المومنين بفتح السودان ، مطلـع قصيـدة بديعة.لم أقف الا على مطلعها وهو :

جيش الصبـاح على الدجا يتدفـق | فبياض ذا لسواد ذلـك يمحـق (63)

وقال أبقاه الله يخاطب نجله الفقيه المجيد الناظم الناثر حفظه الله :

دنـف صـح اعتلالـه | حـال عـن دونـك حـالـه
مـرعش الكفيـن سمقـاً | فلذا تخطـى نبـالـه

(63) أورد القصيدة كلها الفشتالى فى **مناهل الصفا** وانظرها أيضاً فى **نزهة الحادى** ص 87 **والاستقصا** 5 : 124

نسخ الشيب شبابـــا قلصت عنـــى ظـلالـــه
واعتـــرا العقـــل سنـــات صححـت هـــذا التبـــالـه
فرعـــا الله سليـــــــلا طلعت تتـــرا خـصـــالـــه
كـــم جـــلا معنـــى دقيقـــا غامضـاً يـكـــدى منـــالـه
وجـــــلا وجهـــاً جميـــلا أسبلت دونـــى حجـــالـه
دام للفـهـــم حسـامـــاً فيصـــلا يـــزهـا صقـــالـه

وخاطبه مع ذلك بنثر وهو :

أصلحكم الله ، ان لم يكن فى الأبيات الرافلة من مروط السقم فى أسمال ، الا ما فى الأول من البراعة التى استهل هلالها بالكمال ، ذو الطباق الجامع بين الصحة والاعتلال ، ومجانسة الحال للحال ، والتطريز الذى يزدهى به ازدهاء ربات الحجال بمفرق الدلال ، لكفى عند أهل الذوق والسلام .

وقال أيضاً أبقاه الله فى اسم فارس من طريق التعمية :

وأهيف مطـوى الحشـــا كلمـا سطا بقلب أعانتـــه عيـــون حـــوارس
وأعجب من كـل العجائـب أنهـــا تبـاشـــر قتـل الصب وهى نواعس

يعنى بقوله (أهيف مطوى الحشا) أن هذه اللفظة وهى (أهيف) اذا طويت حشاها وهو الياء وقبلت ما بقى صار : (فا) وقوله (حوارس) أى (حـوا) هـذا اللفظ الذى هو (رس) ، فأضفه الى (فا) يصير (فارس) ، والمعنى الآخر ظاهر .

وله أيضا أبقاه الله فى اسم سعيد :

ما زال مذ دب العـــذار بوجهـــه وسعـــا لوشى لجيـنـــه بنبـــالـه
يبغى الصدود وكيف ذاك وانمـــا يزداد بالتذبيـح عشق الـــوالـــه
سأعبد ما قد كان من أملـى بـــه دون العـذار منـوهـــاً بجمـــالـه

وله مما كتب فى كميات (64) المنصور أمير المومنين نصره الله وأدام وجوده :

فكم فخار وكم عـز ظفـرت بـــه   فصـرت من أجل ذا أعزا الى الكـــم
فاعجب لكف امـام جمعت أبـــدا   منى لهيب لظـا لمعظـم اليـــم

وقال أيضا أبقاه الله مجيبا الفقيه البارع السيد مبارك ابن السيد محمد بن موسى الآيسى رحمه الله عن قطعة أولها :

ومـليـــح يـتـثـنـــا   زار فـى ليـل الـذوائـب
بـقـولـــه :

أمـدام بـــاكـرتـنـــا   تبـرهـــافـى الكـأس ذائـب
أم عبير المسـك ينـــدا   ضمخـت منـــه التـرائـب
أم بـــرود طـرزتـهـــا   فـى الـربـا أيـدى السحائب
جـادهـا طبـــع كـريـــم   للحيـا والفـضـل سـاكـب

وله أيضا أدام الله سعادته قصيدة اخترعها لتكتب فى بعض ستور المنصور أمير المومنين أيدهم الله أو تنقش فى جدراته :

ما طراز الربا بأيدى الحســاب   واعتـلال النسيـم بين الهضـــاب
واحتفـال الـريـاض بالنور لمـــا   رفـع القطـر عنـه ثـوب السكـاب
وكعـاب تصمـى اذا لاح منـهـــا   بدر وجـه مستـر بنقـــاب
وحبـاب كالأنجـم الـزهـر يعلـــو   قـرقفـاً لونهـا كلـون الشهاب
خلـع المـزج ثـوب تبـر عليهـا   عندمـا قـد أبـان بـرد التهـــاب
بمثيـر الغـرام منلـى اذا مـــا   جـال طرف بسـاحتـى وجنـابى

(64) ح كمية : السكين يعلق بجانب الكم ، وتعرف أيضاً بالخنجر

ان تـأملت رونقـي وابتهاجــــي … تتعـرف حقيقتـي وانتســابـي

وارث المجـد مـن علي ومن قـــد … صير الكفـر للـردا والتبـــاب

مـا تغـالت نفـائس الحمـــد الا … رامهـا حتـى نـال شهـداً بصـاب

لوتصـورت سؤدداً نـاطقـاًقــــا … ل انسـابى لغيـرهـم كالسـراب

مـا مـديحـى وان تطـاول الا … قطـرة شـاركت غـزيـر الحسـاب

همـة المنصـور الامـام الـذى لا … ينثنـى عـزمـه لغيـر صـواب

همـة تجعـل الفراقـد نعـلا … وتريـك السهـا بوجـه التـراب

دام فـى مقعـد من العـز يـروى … من أمانيـه كل فصـل وبـاب

وأنشدنى أبقاه الله قطعة اخترعها لتكتب على قبر أمير المومنين المهدى بالله رضى الله عنه ، والد أمير المؤمنين المنصور بالله أيد الله أمره ، وأطال لأهل الخافقين عمره ، وقد رأيت هذه القطعة أيضا مكتوبة على الضريح المذكور وهى :

حى ضريحاً تغـمدتـه رحـمـات … وظللت لحـده منهـا غمـامـات

واستنشقـن نفحـة التقديس منه فقد … هبت من الخلد فيه منها نسمـات

لحد به كورت شمس الهـدا فكسـت … من أجلها السبعة الأرضين ظلمـات

يا مهجة غالها غول الردا قنصـــاً … وأثبتت سهمهـا فيهـا المنيـات

دكت لموتك أطواد العلا صعـقـاً … وارتج من نعيك السبـع السمـاوات

وشيعت نعشك المزجـا الى عـدن … من الملائك ألحـان وأصـوات

كان الثريا صعيداً تعتليـه وقـد … أصبحت تحت الثـرا تعلـوك ذرات

يا رحمة الله عاطيه سـلاف رضـا … تدور منها عليه الدهـر كأسـات

قضى فوافـق فى التاريخ منه جـلا … دار أمام الهدا المهـدى جنـات (65)

---

65) قال فى **نزهة الحادى** ص 41 : قوله قضى فوافق الخ فى هذا التاريخ نظر . وهو أن القاعدة أنه يعد ما بعد لفظ التاريخ أو ما يؤدى معناه . وهنا اذا حسبت ما بعد قوله التاريخ يخرج لك 1079 فتكون فيه 115 زائدة . واذا أهملت لفظة منه . بقى 84 فتكون فيه زيادة 20 فتأمله .

وقال أبقاه الله يخاطب الامام القاضى أبا مالك سيدى عبد الواحد الحميدى رحمه الله ولها حكاية (66)

أبحر علوم طمت زاخره — وشمس معارفها الباهره
لك الفضل عفواً فقد أصبحت — كتائب نظمكم ثائره
وهزت صوارم ابداعها — فصلت بها صولة قاهره
بقيت تشن بها غارة — لتنشر أمثالك السائره

فخذها أعزك الله على عجل ، تسعا لجلالك العالى على قدم الحياء والخجل ، وتقف فى مجال الاجادة دون طرف بلاغتك الأغر المخجل .

ونظم الكاتب المذكور أكثر من أن يأتى عليه انحصار ، واقتصرت على ما ذكر طلباً للاختصار ، وقد تقدم طرف منه فى ترجمة أمير المؤمنين المنصور بالله ، أيد الله أمره ، وبالجملة فهو من مفاخر الدولة النبوية الحسنية ، تخرج بها هو وجملة أعلام فبرز عليهم بمقاصده السنية ، أبقى الله وجوده يجلو على منصة الافتخار صورها ، ويتلو سورها ، آمين .

وأما نثره فالغاية التى لا تدرك ، والمحاسن التى لا تشرك ، ويكفى فى ذلك كونه صاحب القلم الأعلا بحضرة الامامة ، مع كثرة الأعلام بها فحاز قصب السبق واتخذه قسهم وسحبانهم فى غرض البلاغة امامه .

فمن ذلك ما كتب على مرمر بالذهب تجاه قبر أمير المؤمنين المهدى بالله رضى الله عنه ونصه :

---

66) انظر الحكاية فى ترجمة أبى الحسن على بن منصور الشيظمى مما يلى

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميد مجيد ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . هذا ضريح مولانا الامام ، كهف الانام ، ناصر الاسلام ، مذل عبدة الأصنام ، الضارب فـي ذات الله بالسنان والحسام ، أبي الأملاك ، وواسطة الاسلاك ، ونور الأحلاك ، وارث الخلافة وجذم الامامة ، ومهدى الأمة الواضح العلامة ، ذخيرة الوجود ، وسر النبأ المقصود ، مولانا الامام الأعظم ، وطود الهداية الأعصم ، أبي عبد الله محمد الشيخ الذى اختاره الله لارشاد الأمة واعتامه ، وارتضاه لتجديد شريعة جده عليه السلام فأقامه ، على حين ما انهدت أعلام الدين وأركانه ، وزلزل عرش الاسلام وايوانه ، والكفر قـد طغا طوفانه ، وبغى على حزب الله بحزبه شيطانه ، وسيف الشريعة مفلول ، وصارم الباطل على الحق مسلول ، وامام الحق عند الخلق مجهول ، وربوع الخلافة فى أقطار الأرضين بلاقع وطلول ، فقام رضى الله عنه وقد أرهف سيف اجتهاده ، واستوى على جودى جهاده ، فصدع بأمر الله الذى جعله لوقاية الاسلام عصاما ، ولشمل الأمة نظاما ، ولحماية السنة الى يوم الدين . . . .

وكابر رضى الله عنه الأهوال، واحتسب النفس الزكية فى تطهير الأرض من الضلال، وحسم داء الشرك العضال، فجاهد وغزا، واستأصل بسيف الحق من مرق من الدين وانتزا ، وانتمى الى غير الحنيفية البيضاء واعتزا ، حتى أزاح عن الدين العلة ، وأعاد كمالها الفائت على الملة ، وملأ الأرض عدلا ، وطهرها من أدناس الجور والآثام حزنا وسهلا ، وسارت الهداية فى الدنيا مسير الشمس ، واستقر الاسـلام عـلى قواعده الخمس ، ولما استنار به المسلك والجادة ، واستضاء بأنوار هدايته من قدرت له من الأمم السعادة ، تشوق الى لقاء ربه فاسترده اليه سبحانه من بـاب الشهادة ، وأعدله المغفرة والرحمة قراه وزاده ، وأباح له من صنعه الجميل بـدار النعيم الحسنى وزيادة ، وكان مولده رضى الله عنه فى عام ستة وتسعين وثمان

مائة ، وبويع البيعة العامة من بعد التئام كلمة الاسلام ، وتطهير الأرضين من أدران الجيف والآثام ، عام ستة وخمسين وتسعمائة ، بفاس المحروسة دار ملك المرينى ، ومجمع أولى الحل والعقد حينئذ بالقطر المغربى ، وقضى رضى الله عنه شهيداً بفسطاطه الكريم ، وملحده الأول بأكلكال لزوال يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذى حجة الحرام خاتم أربعة وستين ، ثم نقل من مدفنه المقدس الى لحده المكرم بالروضة المشرفة قبلة المسجد الجامع من قصبتهم المحروسة ، بالحضرة العلية يوم الخميس الحادى وعشرين من يوم استشهاده ، تاسع عشر المحرم الحرام فاتح خمسة وستين وتسعمائة . فسبحان المالك الحق المبين وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى .

قلت وقد زرت هذا الضريح الكريم ، ودعوت الله عنده بما أرجو قبوله ، وشاهدت عظمة هذه القبة التى أنشأها أمير المومنين المنصور بالله أيده الله ، وهى من جملة مئا̃ثره نصره الله ، وداخلها ذهب ساطع فى تلك النقوش الغريبة الصنعة ، وهذا النثر الذى ذكرنا فى مرمر مكتوب بالذهب أيضا ، وعليه باب تغلق مذهبة ، وتفتح يوم الجمعة ، ويزور الناس يومئذ الضريح المبارك ، وعليه قيم لا يفارقه ، ورأيت هناك كثيراً من أرباب الجرائم متشفعين بذلك الضريح الكريم . وبازاء ضريح أمير المومنين المهدى بالله ضريح ولده أمير المومنين الغالب بالله أبى محمد عبد الله رضى الله عنهم ، ونص ما كتب بالمرمر أيضا بالذهب على الصفة المذكورة من انشاء وزير القلم أبى فارس الفشتالى صاحب الترجمة حسبما أمره بذلك مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيد الله أمره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله ، هذا قبر السلطان، العظيم القدر والشأن ، جانى ثمرة العلا ءاونة بالجود والاحسان ، وءاونة بالمرهفات وذوابل المران ، ذى الحسب الذى لاحت من الشرف الفاطمى أنواره ، والكمال الذى سارت فى المشارق والمغارب أخباره، زين السروج والمجالس، بانى المساجد والمدارس، ذى الهمة السنية، والأيام الهنية، والصدر المشروح، والرفد الممنوح، والثبات والأناة،

والأغضاء عن العيوب والهنات ، والصفح عن الجناة ، والحزم المثقف القناة ، صاحب الصدقات والأوراد ، والعناية بالغزو والجهاد ، تارة بالجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام وتارة بالمطهمات الجياد ، أمير المومنين ، عبد الله ، ابن أمير المومنين الشهيد الشهير ، ذى العزائم الماضية ، والآثار الباقية ، أمام السجادة والمحراب . وليث الهياج والضراب ، ناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين ، أبى عبد الله محمد بن محمد الشريف الحسنى العلوى ، قبضه الله اليه فى العشر الأواخر من أكرم الشهور اليه ، شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، عشية يوم السبت التاسع والعشرين ، عام واحد وثمانين وتسعمائة ، بعد التزود بالصيام والقيام ، وشهود ليلة القدر المعلوم قدرها بين الليالى والايام ، وباثر سماع ما تضمنه صحيح البخارى من أحاديث خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأزكا السلام ، والتوسيع بمعهود الصدقات ، ونوافل الخيرات على الفقراء وذوى الفاقة والحاجات ، ودفن بهذه الروضة المباركة ، خلف قبر والده بعد صلاة الظهر ، ثانى يوم وفاته ، نور الله ضريحهما ، وقدس روحهما ، وكانت ولادته فى رمضان عام ثلاثة وثلاثين وتسعمائة ، بويع له بالخلافة فى محرم عام خمس وستين وتسعمائة بعد وفاة أبيه ، رحم الله السلف ، وبارك فى الخلف ، انتهى .

وأما النظم المكتوب على قبر هذا السلطان فليس هو من كلام الكاتب الفشتالى المذكور ، بل من نظم بعض كتاب المولى عبد الله أمير المومنين ، وهو حسبما قرأته مكتوب فيه

أيا زائرى هب لى الدعاء ترحما	فانى الى فضل الدعاء فقير
وقد كان أمر المسلمين وملكهم	الى وصيتى فى البلاد شهير
فها أنا ذا صرت ملقى بحفرة	ولم يغن عنى قائد ووزير
تزودت حسن الظن بالله راحمى	وزادى بحسن الظن فيه كثير

ومن كان مثلي عالماً بحنانه فهو لنيل العفو منه جدير
وقد جاء أن الله قال تفضلا : الى ما يظن العبد بي سيصير

ومن نثر الكاتب المذكور ما كتب أيضا في مرمر عند قبرها ؟ على الصفة المتقدمة ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وأزواجه وذرينه وصحبه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي ، وكل بني انثى فان عصبيته بأبيه ما خلا ولد فاطمة فاني أنا أبوه وعصبيته ، هذا ضريح الحجاب العالي ، والحسب المتلالي، المربية على السماكين ، الفائزة وهي المسعودة بما أتيح لها من خير الدارين ، كريمة السببين ، وشريفة المنتما بصالح القول والعمل الى الأحمدين ، الطاهرة القانتة ، الناسكة الصالحة ، الغادية في سبيل الخيرات الرائحة ، الصوامة القوامة، والعابدة التي لها من أسباغ الوضوء الحجل والغرر التي لأهل الجنة علامة ، الأوابة الى الله بقلب خاشع ، وعمل في سبيل البر والزلفى شائع ، والمتقربة اليه بحسن الآثار التي منها الجسران والمسجد الجامع ، أم الحسنات ، وكاشفة الكروب والأزمات ، ثمال اليتاما ، وملاذ الأرامل والأياما ، كافلة البنات والبنين ، ووالدة امام الأمة مولانا الامام المنصور بالله أمير المومنين ، مولاتنا المسعودة ، بنت الشيخ الجليل، الكبير الأصيل ، عين أعيان قبائل وزكيتة ، الذين لهم في المغرب الذكر المشهور ، والصيت المذكور ، الشيخ أحمد بن عبد الله بن الحسن الوزكيتي الأغربي الوززتي، توفيت قدس الله نفسها ، وطيب بأنفاس المغفرة والرحمة نفسها ، سحر ليله الثلاثاء ، السابع والعشرين من محرم ، فاتح عام ألف للهجرة الكريمة النبوية ، ودفنت بهذا البهو المقدس بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور ، فسبحان الملك الحق المبين ، وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، وصلى الله أولا وآخراً على سيدنا ومولانا محمد وءاله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً كثيرا الى يوم الدين .

ومن انشاء الكاتب المذكور أبقاه الله ، رسالة كتب بها عن أمير المومنين نصره الله الى أهل سوس يخبرهم بفتح السودان (67) حسبما تقدم الالمام به ، وأنا أثبت هذه الرسالة وان كانت بالنسبة الى غيرها من كلام الكاتب المذكور دون رتبته وهي :

الحمد لله — وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله ، الامام المنصور بالله ، أمير المومنين ، ابن أمير المومنين ، ابن أمير المومنين ، الشريف الحسني ، خلد الله أيامه ، ونصر ألويته المظفرة وأعلامه ، وأحيا به بهجة الدين والدنيا ، وأعلا بنصره وتاييده كلمته العليا ، وزاد له بسطة في ملكه ، وجعل البلاد والعباد تحت ملكه ، وعم بالبركة أوانه ، وعمر بالسعد زمانه ، الى الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان من أهل حضرة سوس ، أسمعكم الله من البشائر ما يملا صدوركم ارتياحا ، ويغمر قلوبكم انشراحا ، ويوسع أرجاءكم وأكنافكم في ظل الأمنة انبساطا وانفساحا ، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى شرف ملة الاسلام على الملل ، والدول القرشية على سائر الدول ، خصوصاً الدولة الشريفة ، المقدسة المنيفة ، التى جعل الله بيض سيوفها الهاشمية ، قاهرة لأعاديها الصفرة وعبيدها السودانية ، وصدع بأنوار خلافتها النبوية دجنة سوداء طالما نعق غرابها منذ حام ، ووصل بدعوتها الشريفة وشائج الأرحام بين سام وحام ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى خفقت أعلام هدايته على الربا والآكام ، وكاثر بثناياته الباهرة كنهور السحاب ومنفجر الغمام ، والرضا عن آله خير ءال ، سادات الأقيال ، وءاساد الأغيال ، خلفاء

67) أورد الفشتالي هذه الرسالة في **مناهل الصفا** مع زيادات واختلاف يسير في الألفاظ ، وقد عمدنا للتوفيق بين النصين واستخرجنا النص الكامل فيما يلي .

الاسلام ، ووراث الأرض بالعدل وشرف الخلال ، وأيمة الخلق الذين ذيلوا معلم النصر بالاكمال ، وفتحوا الأقطار على التوال ، وعن أصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده بالسيوف والنصال ، وواصلوا في اعزاز ملته ونصرة دينه البكر والآصال ، ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلي ، الامامي النبوي ، المنصور الاحمدي ، بنصر يشفع فتح السودان بفتح السد ، وينظم الأقطار في سلك الانقياد انتظام العقد ، فانا كتبناه اليكم كتب الله لكم من البشائر أسراها الى النفوس امتزاجا ، وأهداها الى الأرواح مسرة وابتهاجا ، وأقطعها الى الآفاق سبلا فجاجا ، وأرقاها الى السبع الطباق سمواً ومعراجا ، من حضرتنا العلية ، مراكش حاطها الله ، وبركة هذه الامة الكريمة تستمد الأقطار من مقباسها ، وتروى رواة الافادة والابادة عن ضحاكها وعباسها ، والفتوحات الربانية تحتفل الملائكة لولائهما وأعراسها ، فله الحمد على نعمه التي لا يحيط الوصف بأنواعها وأجناسها ، وعنايتها التي تضرب بعصاها الصخرة الصماء ممن عصاها فتبادر بانفلاقها وانبجاسها . لله المنة !

هذا وقد علمتم فسح الله أملكم ، وواصل أسباب الخيرات قبلكم ، ما كان من تجهيز عساكرنا المظفرة بالله الى بلاد السودان ، لافتتاح القاصي من ممالكها بحول الله والدان ، وما كان من عظيم احتفالنا لذلك بما لم يعهد مثله ، ولا سلف لأولي الحزم من الملوك بعضه فكيف كله ، من انتقاء العساكر والأجناد ، وأسود الحرب الذين ذربوا على الطعن والجلاد ، ومعانقة السيوف والصعاد ، من كل أبناء حرب شرف في أنساب الوقائع جدهم ، ويرد الجموع الصحيحة الى التكسير فردهم ، وامدادهم بما لا يحصى عدداً وكثرة ، وبما لا مزيد فوقه بسطاً وقدره، من قوة الظهر، ومواعن الحرب التي تفرق لها صروف الدهر ، وغير ذلك من كل ما يقتضيه الحزم ويبعث عليه العزم .

ولما تكامل بحمد الله هذا الاحتفال والاستعداد ، وأخذت أهبتها العساكر والأجناد ، أقلعوا فى الألوية ، وساروا على التعبية ، ونصر الله تعالى يظلهم غمامه ، وتتراءى لهم على ثنية الاقبال أعلامه ، وتخفق عن يمينهم وعن شمالهم راياته ، وتبدو لهم فى كل حركة وسكون آياته ، (هذا وما كان يخفاكم ما سلف هنا بالمغرب من الدول العظام ، وممالك الاسلام ، ومع هذا فما كان أحد منهم ليروم فتح هذه البلاد بسيف ، أو تتطاول هممهم الى اغزائها ببعث ولا زحف ، أو تسمو أنفسهم بالمقدرة عليها ، وعلى الصمود بجنودهم اليها ، والحالة انها أضخم ملكاً وأعمالا ، وأفسح خطة ومجالا ، وأوفر نفعاً وأوسع أموالا ، مما كان يشقهم ، وينفقون فيه أنفسهم وأموالهم ، ويستغرقون معاناته طول أيامهم بكرهم وآصالهم ، وما ذاك الا بعجزهم عن مقاومتها ، وعلمهم من أنفسهم عدم القدرة على مصادمتها ، وانها عند جميعهم عيل لا يزحم ، وعريسة لا تقحم ، وحسناء أبية لا تنقاد . وعنقاء تكبر أن تصاد (68) لأن البلاد كما علمتم قد توغلت فى الجنوب الى أبعد الأقاليم من المعمور ، واعترضت دونها من القفر وسرابه المتموج بحور ، وصحارى تضل القطا فى مهامهها الفيح ، وتكل فى جوف عرضها بل بعضها سوافى الريح ، كم اغتالت من أمم غولها ، وتردت من حر الأوام وعولها ، وكم أفنت من خلق جيلا فجيلا ، وألقت عن الرحال وأهلها كثيباً مهيلا ، تغلى من رمضائها الرؤوس ، وتذوب من حميمها النفوس ، وتنزل شمسها على الهام حتى تكاد تلمس باليد ، ويشتبه على الخريت فيها اليوم بالغد ، لا ماء ولا شجر ، ولا ورد ولا صدر ، الا سراباً يعشى العيون ، ويقرب المنون ، وأجاج يغلى فى البطون كغلى الحميم ، وهواجر يصلى الناس من حرها نار الجحيم ، حتى ظن بذلك أهل السودان أن سربهم من أجل البعد والمفازة المعترضة دونهم لا يراع ، وليلهم الدجوجى لا يرجا لفجره انصداع ، وحماهم من هذه المشاق

---

(68) الفقرة بين قوسين ساقطة من **روضة الآس** مثبتة فى **مناهل الصفا** .

لا يطرق ولا يحام ، وبلدهم حتى بالوهم لا يرام ، فاستخرنا الله الذى لا يخيب من توكل عليه ، ولجأ فى عظائم الأمور اليه ، واحتفلنا لذلك بما يليق به من الأهبة والاستعداد ، وبنينا الأمر من الثقة بالله على أوثق عماد ، فجهزنا من جنود الله تلقاءهم عساكر تحمل الأسل والنار ، وأسوداً تأنف الدنية والعار ، فخاضوا بحار الآل ، وصابروا فى قطع الشقة البعيدة عظائم الأهوال .

ولما شارفوا بلادهم على ما كانوا عليه بحمد الله من شد الحزام ، وسل الحسام ، لم تضعف لهم والحمد لله شدة ، ولا نقص منهم ما كابدوه من المشاق عدداً ولا عدة ، زحف الشقى بكافة جموع السودان وحشودها ، وطلعوا فى الجو حنادس ، وأقبلوا اقبال الليل الدابس ، فالتقا الجمعان على ثلاثة مراحل من جاغو (69) . فأحدق بعساكرنا المؤيدة بالله منهم سواد لا يحصيه الا محصى الخطرات والأنفاس ، ومن أحاط علمه بالأنواع والأجناس ، (فدارت رحا الحرب ووقفت على ساق ، وأرعدت رعود نارنا فرجت من صعقتها الآفاق ، فثبت الاشقياء لزلزالها ثبات الجبال الراسية ، وأقدموا من الشدة والصبر على الموت اقدام الأسود الضارية ، لا تثنيهم صوارم ولا أسل ، ولا يعرفون ما الخوف والوجل ، يتهافتون على النار من كل جانب تهافت الفراش على الذبال ، ويتسابقون للسيوف والصعاد تسابق الجياد فى المجال ، مع كثرتهم التى كثرت بالحشر الثانى حشرها الأول ، ومغالبتهم كانت لذلك من قبيل المحال لولا الثقة بالله سبحانه وعونه الذى كان عليه المعول ، فلم يكن الا أن هبت ريح النصر والظفر ،وجاء نصر الله الذى هو لراياتنا حليف فى الورد والصدر) (70) وصممت نحوهم جنود الله بعزمات تفل الصخر، ورايات لا تفارق بحول الله النصر، فانكشف الشقى وجموعه وولوا الأدبار.

---

(69) GAO مدينة بجمهورية مالى واقعة على الضفة اليسرى لنهر النجير ، ترتفع 264 متراً فوق سطح البحر ، وبينها وبين باماكو عاصمة مالى 1250 كلم ، كانت فيما مضى عاصمة مملكة أسكيا

(70) الفقرة بين قوسين ساقطة من **روضة الآس** مثبتة فى **مناهل الصفا**

وركبتهم الاسنة والشفار ، وفضتهم جنود الله فضاً يهز الجبال زلزاله ، وتشيب النواصى أهواله ، واستحر القتل فى الأشقياء ، وتركتهم سيوفنا الهاشمية حصيداً بالعراء ، ونفل الله عساكرنا ذلك السواد ، وكمل الفتح بحمد الله بالاستيلاء على البلاد ، وانتظام ممالكها فى سلك الطاعة والانقياد ، والعاقبة للمتقين ، والحمد لله حمد الشاكرين .

ولما استوى القدم بعساكرنا وفرهم الله فى البلاد ، أصبحوا فى دنيا لا تفى العبارة لها بكنه ، ولا تعارض من بلاد الله بشبه ، ولا نظير لها فى الأرضين بوجه ، ما شئت من ممالك متعددة الأقطار ، متنوعة الأوطان والأوطار ، جمة المرافق والفوائد ، ومالف الوافد والرائد ، لا تحد بغاية ، ولا تدرك له نهاية ، محشر الأمم وبستان العالم ، ومدرج الذر من بنى آدم ، وملك ضخم لا تصل اليه الهمم لولا عناية الله التى لا تقاوم ، وناهيك بممالك يخترقها بحر النيل (71) نهر الجنة ، ومدفع مياه الرحمة ، تسقيهم النهل والعلل لججه ، ويجبى اليهم الثمرات والخيرات ثبجه ، الى أسواق تزخر بالنعم ، واتصال عمران كالعقد المنظم ، وبالجملة فاشتمال الفتح على هذه الممالك غريبة لا تثبت الا فى الحلم ، وموهبة لا يفى بشكرها لسان ولا يحيط بوصفها قلم ، وما عسى أن تبلغ العبارة ، فالأمر أضخم ، والحال أجل وأعظم ، ولقد اجتمعت اليوم بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الاسلام ، وارتفا الامر بحول الله الى الكمال الذى دل منه حسن الابتداء على حسن الاختتام ، ولم يبق بحول الله الا صرف العزائم الى جهاد العدو الكافر ، وأن تدور عليه من وسطى الاسلام بحول الله الدوائر ، حتى نغزوه بجنود الله فى عقر داره ، ومحل قراره ، ويعلو حزب الهدا على حزب الشيطان وأنصاره ، بيمن الله وتأييده .

---

(71) بل نهر النجير ، وقد كان الرحالون والمؤرخون المغاربة القدامى يحسبونه أصل نهر النيل

ولما طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلائع البشرى ، والمسرة الكبرى ، بادرنا تعريفكم بصنع الله فيه السنى القريب ، وأعلامكم بحديثه الحسن الغريب ، لتقدروا صنع الله حق قدره ، وتعلنوا بحمده سبحانه على هذا المن الجسيم وشكره ، فانه فتح لم تلد مثله الايام ، ولا عهد فيما سلف من دول الاسلام ، ولا علم نظيره فيما تقادم من الأعصار ، ومضا من الاعمار ، بما جمع من هذه الممالك العظيمة التى لم يشتمل عليها ملك ، ولا نظمها سلك ، وان خبيئته فى طى الاعصار السالفة الى هذه المدة الكريمة ، والدولة الجليلة العظيمة ، لدليل على عناية الله بشأنها ، بما أظهر على يدها من خوارق العادة ، وجمع على عهدها الكريم من هذه الممالك المنتظمة فى سلك الانقياد انتظام القلادة ، فاشكروا الله على هذه المفاخر التى ادخرها لعصركم ، وأظهر بها آيات انجادكم على الأعادى ونصركم ، واغتبطوا من هذه البشرى والمسرة الكبرى أتم اغتباط ، وخذوا بحظكم فيها من السرور والانبساط ، واتخذوا يومها الأغر المحجل عيدا ومهرجانا ، وأقيموا لها سوقا من البسط نافقة سرا واعلاناً ، واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم فهو بكل خير شامل ان شاء الله كفيل ، وعلى ما وراءه بحول الله من الفتوح المتوالية عنوان ودليل ، وقيدوا نعم الله لديكم بالشكر فالشكر للنعم قيد وعقال ، وعصمة بحول الله تؤمن من الزوال ، والله يكلأ جميعكم ، فلا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، والسلام .

وكتب فى ليلة الجمعة سابعة شعبان المعظم ، عام تسعة وتسعين وتسعمئة .

قلت وان تتبعت نثر الكاتب المذكور خرجت عن الغرض الذى عولت عليه من الايجاز !

تواليفه : لهذا الكاتب أسماه الله جملة تآليف كلها مرفوعة للخزانة المنصورية عمرها الله منها : **(مناهل الصفا ، فى مآثر موالينا الشرفا)** (69) المشتمل

---

(69) ظل هذا الكتاب الجليل مفقوداً الى ان عثرت على نسختين تامتين من جزئه الأخير المتعلق بحياة المنصور الذهبى بالخزانة السلطانية بفاس فى السنة الماضية ، وهما اليوم محفوظتان بخزانة القصر الملكى بالرباط

على عدة أسفار ، أجاد فيها غاية الاجادة ، وذكر ما اشتملت عليه الدولة الأحمدية من الأعلام ، وكذا ما يسر الله لها من الفتوحات التي لم يوجد مثلها فى ملوك الاسلام، أخبرنى أنه ذكر فى فتح السودان فقط ما تحمله سفر ضخم ، فما ظنك بغيره ، ومنها كتاب **(تقديم الامام)** ضمنه فن التورية ، وهو غريب فى بابه ، يبدأ بما قال أمير المؤمنين نصره الله فى فن التورية على اختلاف أنواعها ثم يتبعه بما قال أهل عصره فى ذلك ، ثم بكلام غيرهم ، عهدى به فى المحلة المنصورية عام عشرة وألف قد كتب جله ، ومنها تكميله جيش التوشيح للامام ، لسان الملة ، ذى الوزارتين ، أبى عبد الله محمد بن الخطيب السلمانى (70) الغرناطى وسماه **(مدد الجيش)** ، أخبرنى أبقاه الله أنه ذكر فيه من موشحات أهل العصر فى مدح مولانا نصره الله ما ينيف على الثلاثمئة ، وذكر فيه جملة من موشحات أمير المومنين نصره الله ، وذكر ذلك مع جملة ما أغفله الامام ابن الخطيب .

وأخبرنى أيضا أبقاه الله أن نص حمدلته : حمداً لمن مد جيش محمد بعترته ، ولا يخفى عليك ما اشتملت عليه هذه الجملة من التورية .

ومنها أيضاً **(ترتيب ديوان أبى الطيب)** أحمد بن الحسين الكندى الشهير بالمتنبى ، رتبه على حروف المعجم ، وجعل له خطبة أمره بذلك أمير المومنين نصره الله ، الى غير ذلك من تآليفه حفظه الله وأدام رياسته .

أشياخه : الامام العلم أبو العباس احمد بن على المنجور ، والقاضى الجليل أبو مالك عبد الواحد الحميدى ، والفقيه الاستاذ النحوى أبو العباس أحمد الزمورى رحم الله جميعهم ، وقرأ على غيرهم ممن يطول تعداده .

---

70) **محمد بن عبد الله** بن سعيد السلمانى الغرناطى الأديب الاندلسى الكبير الشهير بلسان الدين بن **الخطيب** ، ولد بغرناطة فى 25 رجب عام 713 وتوفى قتيلا بفاس أوائل عام 776 وقبره بها شهير يوجد عن يمين الذاهب من باب المحروق الى قصبة الشراردة .

وله حفظه الله يد طولى فى علم المنطق خصوصاً مع المشاركة التامة فى غيره ، وقد جمع الله له بين فصاحتى القلم وفصاحة اللسان ، وقل أن يجتمعا ، وقد طلبت منه حفظه الله أن يجيزنى جميع نظمه ونثره اللذين بذ فيهما الجهابذة ، ولم يدرك الصاحب والبديع فيهما مآخذه ، فأجازنى جميع ذلك بلفظه من غير كتابة ، لأن المقام ضاق حينئذ عن ذلك ، لكونى أزمعت السفر ، وقد فرطت فى ذلك قبل ، ولعل الله أن ييسر علينا لقاءه ولقاء سائر الأعلام فى هذه الرحبة، انه على ذلك قدير .

وهذا الكاتب حفظه الله واسع الايثار، عالى الهمة ، متين الجاه، وخلاله معلومة، فأغنانا ذلك عن الاكثار ، مولده سنة ست وخمسين وتسعمئة (71) ، فهذا بعض ما أمكن الالمام به فى هذه العجالة من أحوال الكاتب المذكور ، والا فذلك يستدعى البسط ، وقد ذكر كثيراً من صدور تآليفه وجملة من نثره ونظمه شيخنا شهاب الدين القاضى أبو العباس أحمد بن أبى العافية فى كتابه **(المنتقى المقصور)** فأغنانا ذلك عن ذكره ، وفيما ألمعنا به كفاية ، وله حفظه الله سبط نجيب ضاهاه فى خلاله، وبرع فى الكتابة والنظم ، وتأدب بآداب أبيه ، وسيأتى ذكره ان شاء الله ، وذكر جملة من نظمه ، وقد أسقطت كثيراً من مقطعات الكاتب المذكور فى الغزل وغيره بعد أن عزمت على ذكرها ، ثم تركتها خوف الاطالة ، وبالله تعالى التوفيق ، لا رب غيره ، نسأله سبحانه أن يوفقنا لما فيه رضاه ، وأن يعيننا على قراءة العلم النافع والعمل بمقتضاه ، بمنه وكرمه ، انه على ذلك قدير ، وبالاجابة جدير .

6 ـ الحسن المسفيوى

الكاتب الناثر الناظم البليغ المجيد ، الباقعة ، المشارك المتفنن الذى لم يدرك ابن نباتة فى النظم مواقعه ، السالك من العلوم السنن السوى ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن الحسن بن يعقوب بن محمد المسفيوى ، من أهل مراكش ،

71) وتوفى عام 1031

لقيته بها وشاهدت كثيراً من أحواله ، وقيدت من ألفاظه وأقواله ، له قدم راسخ في علم الطب مع المشاركة التامة في غيره من العلوم ، وهو متولى قراءة كتاب أوقليدس بين يدى أمير المومنين نصره الله .

وها أنا أذكر في هذه العجالة نبذة من نظمه فمن ذلك قوله في بعض الموالد الشريفة :

أتت طيفاً سرى بعد المطال ... وجادت بالخيال على الخيال

ينم بها شذاها في سراها ... فتدمج لى وصالا في انفصال

جلت بدراً عليه الليل داج ... على دعص على غصن مهال

رمت عن مقلة حوراء قلباً ... شوت سوداءه بعد المحال

كأن بخصرها وجدى عليها ... كلانا في سقام واعتلال

لقد أبلا اشتياقي فيك جسمي ... الى أن دق عن ضرب المثال

أسى لا تستقل به ضلوعي ... وفيض سح من دمعي المدال

فان أسعى فبالارقال أطوى ... تنائف لا يضيق بها احتمالي

بعيس تحت جنح الليل تبدو ... كوخط الشيب في جنب القذال

ضوامر كالقداح تجد وخدأ ... الى معنا المعالى والجلال

معاهد طالما جادت ثراها ... غوادى الوحى هامية العزال

ستنتشق الحياة اذا انتشقت ... أريج النشر من تلك التلال

وتنتعل الوجوه بهن لما ... ثواها الصادق الزاكى المقال

رسول الله صفوة من براه ... ومن جلا به جنح الضلال

أتا والخلق في عمياء جهل ... ودين الدين في أسر المطال

فأسس للهدا ركناً شديدا ... وآل الكفر منه للزوال

ببدر طوق الأشراك خزيا ... على حكم الصوارم والعوالى

ولم تال الكتائب عن عراق ... ولا شام ولا أقصا الشمال

فوالى الله تسليماً عليه ... وجدده عليه على اتصال

ولا زال الهدا فينا مقيماً ... بدولة سبطه فخر المعالى

همام دون منعته اعتلاء ... مراقى الشهب أو مجرا الهلال

وهذا المجد أقعس من معد ... تخر لعزه شم الجبال

فأنت الفذ فى العلياء فرداً ... فما لسواك فيها من مقال

فأى الخلق وازا فى سباق ... مقامك فى نوال أو قتال

وأى مآزق الهيجاء تلقا ... ولست بضارب تلك الرعال

وأى كتائب جالدت الا ... تركت كماتها جزر النصال

وما محلت مراعا فيك لا ... شفت أمحاله بدر النوال

لقد قطعت بنا الآمال حتى ... كرعنا من معينك فى زلال

فدمت للمكام تبتنيها ... وتنشر ما طوت منها الليالى

أشدتم للمواسم طيب ذكر ... طوا ما كان فى الأمم الخوالى

فما للدين غيرك من عماد ... وما للدهر غيرك من جمال

وقال أيضا أحيا الله به دوارس الصناعة ، وأقام به منار البلاغة والبراعة ، يذكر فتح تيجوراين (72) ويمدح المنصور :

تبدا هلال السعد من مطلع النصر ... ولاحت بروق المجد من علم الفخر (73)

فمن همم أضحا الثريا لها ثرا ... ومن عسكر يقتاده رائد النصر

مقام ملوك الأرض من سطواته ... مقام بغاث الطير من مخلب الصقر

فهم شاخصو الأبصار نحو جلاله ... يخرون للأذقان تحت يد القهر

---

72) انظر التعليق عدد 22 فى الصفحة 31 من هذا الكتاب

73) مطلع القصيدة فى **مناهل الصفا** كالآتى :

تجلى بسعد الجد مقتبل النصر ... كذا غاية العليا [illegible] العخر

فمن لم ينله فيلق من كماته … أحل به من قبله فيلق الذعر

فما دون أن يعطوا الانابة (74) منزل … لهم غير بطن الوحش أو حوصل الطير

وتركهم صرعا بكل تنوفة … سكارا بكأسات المنية لا الخمر

فكم فل غرب الروم سيف انتقامه … وطاف عليهم طائف القتل والأسر

وكم سربل الأبطال فى حومة الوغا … مجاسد من نسج المثقفة السمر

فناحت عليهم كل غيداء طفلة … تفيض عليهم واكف الأدمع الحمر

فهل خاب سعى السود أوفال رأيها … وهل قاومت فى زعمها عاصف القسر

رعوا حقبة رعى الهدون وأغفلوا … عواقب ما يأتى به طارق الدهر

فما راعهم الا طلائع عسكر … تزجا بأسد الغاب دامية الظفر

عليهم قتام يشهد الليل أنه … هو الليل والخرصان فيه سنا الزهر

وجرد كأسراب القطا ضمر الحشا … ينلن المدا لو أنه قنة النسر

تشد بزغب مسبلات كأنها … مسودة الأرجاء من نقط القطر

فكم راية قد ظللتها كأنها … قدامى عقات قد ثنتها الى الكسر

يسددها المنصور فهى سحائب … تجود العدا بالحتف من وبلها الغمر

فلا وزر من بأسه غير حلمه … فناهيك منه قابل التوب والعذر

وناهيك من طلق الجبين كأنما … أسرته منها استعير سنا البدر

الى خلق لو كان للطيب نشرها … لما انتسبت الطيب الذكى الى الشحر

كذا خلق مهدية علوية … توارثها الغر الكرام عن الغر

يقر بك المهدى عيناً وقبله … الوصى بما أعقبت من طيب الذكر

بمن لو رما صفين يوم جلاده … لحلت بجيش الشام فاقرة الظهر

---

74) هى الضريبة المعروفة بالنائبة وأول من أحدثها فى المغرب أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى لما صفا له ملك المغرب ، فرضها على قبائل المغرب ولم يعف منها شريفا ولا مشروفا ، وكانت تعطى لبيت المال من الماشية والمنتوجات الفلاحية . ولما جاء المنصور السعدى قومها بسعر الوقت فصارت تدفع دراهم . انظر ص 8 وص 30 من الجزء الخامس من **الاستقصا**

ليهنئه ملك الارض موطودة له سينتظم السوس القصى الى النهر
فما دون درب الشام الا التفاتة وما دون بغداد العراق سوى فتر
فان حاول الأعداء منها اعتصامها ببعد فقد راموا المحال من الأمر
فلو أنهم حلوا السماكين منزلا لبات الردا من خلفهم دائباً يسرى
ولو نازل البحر المحيط بعزمة لعادت يباباً بعدها لجج البحر
نجازك خير العالمين ورثته فناهيك من ارث وناهيك من نجر
فلا زلت منصور اللواء مظفرا . ودامت بك الأيام واضحة البشر
فلا نعمة الا ومنك منالها ولا عرف الا من ندا كفكم يجرى

* * * *

وقال أبقاه الله يخاطب أمير المومنين أيده الله من قطعة يطلب توقيعاً شريفاً :

فكم علقت من أمل بدرج تخط به سواداً فى بياض
فخطك فيه أبهى من سواد يروق الطرف من حدق مراض

وقال أدام الله علاءه ، وبلغه ءاماله وأجمل ارتقاءه ، من مرثية فى بعض أولاد أمير المومنين نصره الله وأنشدنيه :

هلال خر من أوج لترب فأغمد فيه اغماد النصول
تناول شلوه رضوان كى ما يؤديه الى مهدى البتول

وقال أبقاه الله فى شادن :

خط الجمال صفحتى خده ودبج الصدغين والغره
كأنما أغفل بعض الذى يخط فاستلحقه طره

وقال أيضاً وقد اقترح عليه فيمن طار على وجهه نقط الزين :

وأهيف زانه شكل وقد فؤاد الصب موقوف عليه
تظن الشين ما أبصرت منه وليس الحسن الا ما لديه

سحـــاب الحســـــن أمطـر مستهلا　　بقطـــر المســك فـــوق وجنتيـــه

ونسب بعضهم له قطعة قيلت فى دار تبناها وزير القلم الأعلا ، أبو فارس عبد العزيز الفشتالى أعلاه الله المتقدم الذكر ، وهى :

أجـــل المعـــلا مــن قـــداح سرور　　وأدر كؤوس الأنس فهـــو سميـــرى

خلعت عـلى عطـف البهـــاء محاسنى　　فكست بـه الآفـــاق ثـوب حبـــور

وتناســق الوشـــى المفـوف حلتـــى　　نســق الشذور عـلى نحـــور الحور

شاو القصور قصورها عن رتبتـــــى　　فأنا التى برزت فعـــز نظيـــــرى

فى المبتنـــى المراكشـــــى وأفقـــه　　أزرا عـــلى الـزوراء والخـــابـــور

أعـــلا مقامـــى البـــارع الأسما الذى　　قـــد حـــاز سبـــق النظـــم والمنثور

فـــاذا أقـــل بنــــانه أقـــلامــــــه　　نفـــثت عقـــود السحـــر بيـــن سطور

. . . .　　الخليفة أم صهر المنصور ؟ . . . الله :

وفتـــى لـــه أدب تقـــــــــد　　م من تقـــادم وهـــو ءاخـــــــر

عجبـــاً لـــه جهـــل العـــــــرو　　ض وطـــــالمـــا فـــك الدوائـــــر

وله يمدح القائد الكاتب الرئيس الأسما أبا العباس أحمد بن يحيى الهوراى رحمه الله :

كفـــى ملامـك لات حيـــن تصبـر　　باد هيامى فاعذلى أو فـــاعـــــذرى

جلب الغـرام على الحشا فرط الأسا　　فأنا الشجى وعاذلى لـــم يشعــــر

يا شادناً خلـــع السقـــام على مـــن　　طرف وشب بى الشجـون بمحـجـر

ان تحمك السمـــر الظمـــاء فاننـــى　　من لوعتى أهـــوى عناق الأسمـــر

وهى طويلة .

وقال أبقاه الله يذكر فتح السودان ، ويمدح أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيد الله أوامره العلية :

فتح كمنبلج الصباح المسفر ... تجنيه من وقع القنا المتأطر

هذا محيا السعد باه مشرف ... يرنو اليك بطلعة المستبشر

أيقاوم الأعداء صولة بأسه ... هل للغمام يد بعاصف صرصر

أهديتهن كتائباً نظمت على ... ظهر البسيطة كانتظام الأسطر

من كل دمر طالما خاض الوغا ... صال بنيران الحروب مسعر

ريعت بها أمم الجنوب كأنها ... نقد سوائم أجفلت من قسور

شرقت نسور ظباك منهم بعدما ... نهلت وعلت من نجيع أحمر

تعسوا ونالهم الشقا ، وكذاك من ... ناوا جلالك فهو أتعس معشر

لم يبق حام من بني حام ولم ... توروده من خزى صوارم بتر

قد أقفرت منها الغمود فطالما ... طرحت لفى عنها ولما تعمر

بيض مضاربهن ان يعثر بها ... فى ضنك حرب خطو عمر يقصر

وصواهل وصواعق وحواصب ... وكفت كمنهل السحاب الممطر

فملكت أقطار الجنوب وما سمت ... لمنال ذلك همة الاسكندر

وتنال أندلساً يجود ربوعها ... برد المنية من غمام العثير

فقد الجياد الى الضلال تسومها ... حكم الردا وتدوس معطس قيصر

أدرك بها الثأر المنيم فطالما ... ألوى به للدين رهط الأصفر

فكأن بمصر اعتاض من بعد المدا ... من جوهر(75) بحسام بأسك جؤذر(76)

فلسوف يطوى مغرباً ومشارقاً ... ويزور دجلة والفرات بعسكر

وتحل بالحرمين ربعاً زاكياً ... مأوى لجدك ذى السجايا الطهر

لابد من انجاز ما فى الغيب من ... ابراز موعود به ومدخر

فمناك أقرب مطلب لو أنه ... لمس الكواكب ليس بالمعتذر

فمتى طلبت منال أبعد غاية ... ألقا مقاد مطاوع متيسر

فلأنت للعلياء كفء ماجد ... متخير من عنصر متخير

---

75) جوهر بن عبد الله الرومى ، مولى المعز لدين الله الفاطمى ، وقائد الجيوش المغربية التى فتحت مصر سنة 358 . وهو بانى القاهرة المعزية والجامع الأزهر ، كان قائداً عظيما ، وشجاعاً كريما ، توفى بالقاهرة عام 381

76) هو الباشا جؤذر قائد جيش السلطان احمد المنصور السعدى الذى فتح به الصحراء والسودان

تجنـــى ثمـــار العـــز من غصن القنا ... وترا قـدود الغيـد قامة أسمــــر
وترى العـلا ما شاده مـن صـــارم ... أو نلته تحت العجــاج الأغبــــر
زاكي العروق ، مقدس الأحساب هـا ... مي الجود ، سامي العز نامي المفخر
أبقى المآثـر فهي ما امتد المــــدا ... غرر تخلد في محيا الأعــــــصر
لا تقتنــى الا جميـــل محـــامــــد ... وكذا اقتنـــاء الحمد أربـح متجـــر
تهـدى الرفـــاق حديث مجدك عنبراً ... وتشرفت بثناك ذروة منبــــــر
لازال ينتـاب العـدا لك عسكــــر ... يسرى ، وتتبعــه عوافـــي الأنسر
وتنال ما أملت تملـــك كـــل مـــا ... دارت بـه فـي الأرض سبعـــة أبحر

* * * *

وقصائد هذا الكاتب حفظه الله كثيرة جداً ، ولم نقف له الا على ما ذكرنـا ، وقد كنت يوم خروجي من مراكش المحروسة بالله سألته أن يناولنى نظمه فأجابنى لذلك ، ثم انى خرجت لفوات الرفقة قبل أن آخذها منه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وله موشحات كثيرة فى أمير المومنين أيد الله أمره ، وله — فى القصائد التى كتبت فى البديع وغيره من مصانع أمير المومنين نصره الله — اليد الطولى .

ومن مقطعاته حفظه الله قوله وأنشدنيه لنفسه :

مقذف فى الهوى مهجتى مسقمـــــى ... خط مسك عـــلى درر المبســــــم
قده ينتمـى لبنـى صـعـــــدة ... وذوائبـه لبنـــى أرقــــــــم

* * * *

وقال حفظه الله هذا البيت فى التورية بالعروض ولـم أقـف عـلى ما قبله أو بـعـده :

فنفس الحـــر فى ذا الدهـــر قبـض   وعـرض الحـــر من ضرب المـــذال

وله حفظه الله حسبما وجدته بخطه .

أحمل أنفاس النسيـم صبابتـــــى   معطـرة تهـدى غـرامـــى اليكـــم

وأولى رسول فى الهـــوا نفس الصبا   وأولى تحياتـى سـلام عليكـــــــم

* * * *

وبخطه أيضاً حفظه الله وأنشدنيه لنفسه :

ساق يدير بمقلتيـــه عــــــلى   نديمـه مـا يديــر بالكــــــاس

فكيف صحـوى من سكرتيـــن بــه   أم كيف وصـلى وقلبــــه قــاس

وقد تقدمت له قطعة فى ترجمة أمير المومنين أيد الله أعلامه .

وقال أيضا أعلا الله مقامه ، وأعانه على ما فيه أقامه :

يا أيها الرشـأ الأغـــن الأهيـــف   هـل للمتيم مـن صدودك منصف ؟

فأبح لنا ذاك المحيـــا انــــــه   بـدر سيلحقـه المحـاق ويكسـف

من قبل عسكر عارض يمحو الهــــوا   فتظل من نكـر لشعـرك تنتـــف

* * * *

وقال أبقاه الله وله حكاية ، وذلك أن بعض أكابر الفقهاء القضاة لم يكن يحسن قول الشعر وفن العروض ، فلما كان بعض الموالد النبوية تكلف قصيدة من بحر الرجز فقصرت جداً عن نظم الأعلام الذين بحضرة أمير المومنين نصره الله ، فقال فى ذلك مفتى الحضرة الامامية الامام العلم ، أبو مالك ، سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمه الله :

قد صك سمعى ما أجرا الجفون دمـــاً   وألبس الصبـح من غمـائـه غممـــا

ضجت قوافى القريض فى مصارعهـــا   منه ، وركن علاهـا اليوم قـد ثلمـــا

وأصبح الشعر قد قصت قوادمه ... فلا مطار له خلفاً ولا أمما

فذيل صاحب الترجمة الكاتب أبو محمد الحسن المذكور هذه الأبيات بقوله :

حق البراعة أن تلقا أزمتها ... ولا تقل طروس بعده قلما

كان القريض عقود الدر رائقة ... فعاد سلكاً من الحصباء منتظما

يا قاضي العصر ما أبقت قصائدكم ... لكل نابغة فضلا ولا حكما

ثم ذيل ذلك أيضا الفقيه العلامة ، أعجوبة زمانه في معرفة كلام الأوائل ، أبو عبد الله الهوزالي أبقاه الله :

فلو رأى الملك الضليل ما فعلت ... بعسكر الشعر لم يرفع له علما

ولو رأى في قيود العز راسفة ... سوق البدائع لم يفغر لهن فما

ولو رأى ما دها ربع البيان لما ... أجرى بسقط اللوا دمعاً ولا سجما

وفي هذا المقدار من نظم الكاتب المذكور كفاية لمن أنصف .

وأما تواليفه فمنها **جمع كلام الششتري** (77) رضي الله عنه ، جمعه في سفرين ، أمره بذلك أمير المومنين أيده الله ، ومنها تعريبه لبعض الكتب الطبية ، وغير ذلك من تآليفه في التاريخ ، والأدب ، مما لم يحضرني الآن تسميته ، وله مشاركة حسنة في أنواع العلوم ، لاسيما علم الطب فله فيه اليد الطولا ، قرأه على سيدنا الامام الماهر العلم أبي القاسم بن محمد الوزير الغساني أبقاه الله ، ومن أشياخه القاضي الحميدي ، والاستاذ الزموري ، والامام المنجور ، ومفتي حضرة الامامة أبو مالك الحسني رحمة الله تعالى ورضوانه على جميعهم ، وشيخنا الامام أبو العباس بن أبي العافية الشهير بابن القاضي ، قرأ عليه المنطق والحساب

---

77) أبو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري اللوشي الاندلسي الفقيه الصوفي الشهير ، ولد عام 610 وتوفي بمصر عام 668 ودفن بدمياط ، وقد طبع ديوانه بالاسكندرية سنة 1960

والهندسة وغيرها ، ومن أشياخه أيضاً بلديه الامام المتفنن ، مفتي الحضرة المراكشيه لهذا العهد ، أبو عبد الله محمد المريني الشريف حفظه الله ، حضر مجلسه في ابن الحاجب والمنطق وأصول الدين وغير ذلك .

وبالجملة فهذا الكاتب حفظه الله ممن يحصل الفخر بلقائه ، وقد استفدت منه فوائد جمة لاسيما في علم التاريخ ، فانه كان حافظاً له جداً ضابطاً له محققاً فيه ، والله تعالى ينجده في أغراضه الحسنة ، ويعينه على القيام بحقوق أمير المومنيس نصره الله الواجبة والمستحسنة، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليماً .

7 ـ علي بن منصور الشيظمي

الفقيه الأديب المتفنن ، القائد الرئيس ، الكاتب البليغ المشارك ، أبو الحسن علي بن منصور ابن المرابط الشيظمي ، من أهل مراكش .

لقيته بمراكش المحمية ، وشاهدت جملة من أحواله السنية ، وهو متول قيادة ألف عنان ، جامع بين رياستي القلم والسنان ، وقد رأيته في مجلس البخاري يورد كثيراً من الأسئلة الدالة على رسوخ قدمه في الفنون، ويجيب عن الأسئلة ولم لا وقد حصل له من عناية أمير المومنين أيده الله أجر غير ممنون ، وله يد طولا في المنظوم والمنثور ، وقد تقدم من كلام أمير المومنين نصره الله ما يشهد له بذلك فحسبه فخراً شهادة المنصور ، وقد تقدمت له قصيدة عجيبة عند ذكر زيارة أمير المومنين نصره الله أغمات فراجعها ان شئت ، وله أيضا ميلاديات كثيرة جداً ، فمن بعضها قوله :

أيسلو فؤادي عن سليمى وعندما ... جرى ذكرها سالت دموعي عندما
تريك بها ماء العقيق محاجر ... اذا استسقيت ءاماقها أمطرت دما

على عهدها أوقفت عقيانهـــا الـــذى ... منضده من ذوب قلبـــى تجسمـــا
سقت لى خدى من فؤادى وهكـــذا ... دموع المحب الصب ان هـــو أجرما
وقفت بها أشكـو البعـــاد غديـــة ... وأنشد قلباً ظـل فى الحب مغـرما
وأسأل عن ركب الحما هـل تحملوا ؟ ... وعن حى سلما أين سار ويممـــا ؟
وهل نزلت أظعانها الخيـــف من منا ... وحطوا على حجـر الحطيم وزمـزما ؟

وهى طويلة تتبعها يخل بالاختصار المقصود فى هذه العجالة .

وقال أبقا الله رئاسته ، وأعلا مقامه ، وسدد سياسته ، مذيلا بيتى أميـر المومنين نصره الله اللذين مدح بهما طول الليل وقد تقدما وهى :

لما نأى المحبوب رق لى الـدجــــا ... كى ما يعللنى بزهر كواكبـــــــه
أولى غـراب البيـــن ودك ياحشـــا ... البربرنى الصبـــاح كواك بـــــه

قال صاحب الترجمة بعدهما ما نصه :

وأغـار اذ حث الظـــلام جناحـــه ... ليكن من ألف اللقـــا بغيـاهبـــــه
فانقض من أفق القطيعـــــة وانثنـــا ... ومشا غـراب الدجـن بين مخالبـــه
وغدا به شمل الوصال مصرمـــــاً ... وعدا عـــلى قلب المشـوق فطار بــه
وكذاك ما حمد اللقـــاء متيـــــم ... أرخا عليه الليـل ستر غيـاهبـــه
الا وقد كشر الظـــلام لوجهـــه ... وأبـان عن أنيابـــه ونوائبــــــه
لا يحمد الصب الصبـــــاح لأنـــه ... كالشيب يفتضـح الصبـــا بمناقبـه
فالليل لون شبابـــه وســــــواده ... منه يويد القلب فاقـض لـذاك بـــه

* * * *

وله حفظه الله فى بديع أمير المومنين نصره الله ما كتب فى باب من المرمر من أبواب البديع المذكور وفيه تاريخه ونصه :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه ياما أمليح مرءاه وأسناه
فهو البديع الذى راقت بدائعه وطابق اسم له فيها مسماه
صرح أقيمت على التقوا دعائمه ودل منه على التاريخ مغناه
ولاح أيضاً وعين الحفظ تكلؤه تاريخه من تمام قل هو الله

وله أبقاه الله من آخر قصيدة كتبت بقبة الزجاج من البديع المذكور .

ان شئت تاريخ اكمال البديع فقل ايوان أحمد ايوان السعادات

* * * *

وله حفظه الله فى تاريخه أيضا :

باب أتى كبراعة استهلال وكأنما القصر القصيد التالى
ولذلك سمى بالبديع وجاء بالتجنيس والاغراق والايغال
وأتى التمام فقلت فى تاريخه بيتا بلا عقد ولا اشكال
صرحى على تقوى من الله انبنا فى طالع للسعد والاقبال

وله حفظه الله فى مستراح القبة الخمسينية من بديع أمير المومنين نصره الله:

اكتنف الحسن محلى ولاح تاريخه من لفظ هو المستراح

* * * *

ومن نظمه حفظه الله وله حكاية رأيت أن أذكرها هنا ، وان كان فيها طول ودعابة لما اشتملت عليه من تحلية بعض الأعلام الذين ذكروا فى هذه العجالة ، ولتعلم فى ميادين البلاغة شأو كل من ذكر فيها ومجاله ، فنقول : وجدت بخط الامام العلم ، مفتى الحضرة الأمامية المراكشية حماها الله ، سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمه الله ورضى عنه ما نصه :

الحمد لله

فـائـدة : لما تقرر فى الفطن السليمة ، والسنة القويمة ، ما يجب للعلماء من التعظيم ، وعرف اطراد ذلك بين الناس فى الحديث والقديم ، أهدا الفقيه الأجل ، سلالة الصالحين ، ونجل العلماء العاملين ، أحد كتاب ديوان الخلافة ، ومن له فى السكون والوقار المزية والانافة ، أبو زيد عبد الرحمن ابن الامام علم الأعلام ، سيدى أبى محمد عبد الله العنابى رضى الله عنه ونحن بمحلة مولانا المنصور — عسلا وكبشاً لسيدنا قاضى الحضرة الفاسية ، العالم الامام العلامة ، واحد الفئة ، وصدر صدور هذه المئة ، ذى الأخلاق الحميدة ، والمذاهب السديدة ، أبى محمد عبد الواحد الحميدى استجلابا لمودته وصالح دعائه ، فكتب سيدنا القاضى المذكور الى الفقيه أبى زيد المذكور أبياتا فتح بها الى المباسطة والمداعبة بابا على عادة الافاضل أمثاله فقال :

أيا كاتب السر يا من بدت	محاسنه فى الورا باهره
هديت الى الشفا وصلة	فأكرم بها منحة ظاهره
وكبشاً سميناً له كلوة	تفوق الكلا نعمة زاهره
فلا زلت تثبت كتب الامام	سيوفاً لأعدائه قاهره

وطار صيت هذه الأبيات بين من بالمحلة المنصورة من الأدباء والكتاب ، وتلقوها بالبر والترحاب ، فلهج بها الشادى والبادى ، وغرد بها فى اثر الركائب الحادى ، ففوقوا الى مداعبة الامام ناظمها سهام القوافى ،وطاروا لمباسطته بالقوادم والخوافى ، فأوجفوا على أبياته بخيل البديهة والارتجال ، وقاموا لذلك على قدم الاستعجال ، فقال أقصرهم فى ذلك باعاً ، وأقلهم بهذا الفن اضطلاعا ، عبد الواحد ابن أحمد الحسنى :

أشيخ الجماعة يا قطبها ... ومن في العلا مركز الدائره
شننت بأبياتكم غارة ... فأحييت لي همة غابره
وذكرتني مربعاً لم تزل ... قديماً به مقلتي ساهره
وحركت فكري بعلم غدت ... بصدري مراسمه دائره
فهذا جواب لأبياتكم ... الى ابن بدور العلا السافره
سليل الأفاضل حقاً ومن ... محاسنه في الورا ظاهره

* * * *

وقال صاحب القريحة الوقادة ، والمحاسن المالوفة منه والمعتادة ، صاحب القلم الذي تزرى شباته بشبا السنان ، وتوقظ فقره من السنة الوسنان ، المثقف بثقاف الآداب المنصورية أبو فارس عبد العزيز :

أبحر علوم طمت زاخره ... وشمس معارفها الباهره
لك الفضل عفواً فقد أصبحت ... كتائب نظمكم ثائره
وهزت صوارم ابداعها ... فصلت بها صولة قاهره
بقيت تشن بها غارة ... لتنشر أمثالك السائره

وأردفها بفقرات من النثر فقال : فخذها أعزك الله على عجل ، تسعى لجلالك العالي على قدم الحياء والخجل ، وتقف في مجال الاجادة دون طرف بلاغتك الأغر المحجل . والسلام .

* * * *

وقال الفقيه المتفنن المشارك الأديب ، متلقى راية الأدب باليمين ، والمتآلي ألا يشارك في نيلها باليمين ، من قصرت عن مجاراته من أرباب البيان الخطا ، وتسنم غارب الاجادة دونهم وامتطا ، قيد اللواحظ ببيانه وبنائه ، ومستوقف الطرف بلسانه وسنانه ، مجرى أنفاس المحابر على صفحات المهارق ، ونجيع

الكماة على صفاح الصوارم فى المآزق ، أبو الحسن على بن منصور (77) الشيظمى أبقاه الله على طول المدا ، محفوظا مما يتقا كلما راح واغتدا :

أيا عالم العلم يا ناشره ... وحامل رايته الظافره
وقاضى القضاة الذى فاخرت ... به الشرق مغربنا الظاهره
وناظم عقد المعانى التى ... جرت دونها المثل السائره
وأزرت بفعل الطلا بالنهى ... كذا بشذا الروضة الزاهره
وظلت تردد حسن الثنا ... ء ترويه عن نفسك الطاهره
وأخلاقك الغر لما قصدت ... عن النزر بالدرر الفاخره
وأيقظت عمداً عيون البيان ... من كل فتانة ساحره
تشير بمعنى لطيف الى ... محاسن أخلاقك الباهره
وتثبت سحر البلاغة فى ... مهارق ظلت لكم شاكره
رويدك نبهت سرب المعا ... نى بعيد الكرا فاهتدت حاضره
وأغريت كم من بليغ بها ... حديد الذكا نافذ الباصره
يطبق منها المفاصل غيـ ... ـر هيابة ذى قوى قاهره
تصرف أقلامه بالكلا ... م كالريح بالمزنة الماطره
ولولا المضاء بلا نبوة ... لشبهتها بالظبا الباتره
فلله درك من ماجد ... محاسنه جمة وافره
ومن سيد جامع للذكا ... ء حلو الشمائل والنادره

ووصله من نثره بقوله :

اليك أيها السيد الذى اهتدى بمصباحه ، وأعشو الى غرره وأوضاحه ، بنيات أفكار ، تمد الى كفالتكم يد الافتقار ، ملتمسة منكم نيل القبول والاغضا ، والنظر اليها بعين التجاوز والرضا ، فمثلكم من كفل ، وصفح عن العى والخلل ، واستقرض

77) فى **مناهل الصفا** : ابن سليمان

فأرضا ، وسامح فى الاقتضا ، أبقاك الله للأدب تحوك حلله ، وتجمع تفاصيله وجمله، وللقريـض تقطف زهره ، وتجتلى غرره ،ماذر شارق ، ولاح سنا بارق ، والسلام .

* * * *

وقال الفقيه الأديب الكاتب الذى ارتفع صيته فى دماثة الأخلاق وسما ، وغدا بين النظراء فى عذوبة الشمائل علماً ، وحصل من الأدب على حظ وافر ونصيب ، ورما الى غرض الاجادة فى منازعه بالسهم المصيب ، وتدرع من حسن الخلق جنة لا تفلها سهام الانزعاج والغضب ، ونسلت القلوب الى محبته من كل حدب ، أبو عبد الله سيدى محمد ابن عمر (ابن أبى القاسم الشاوى 78) ، أبقاه الله تضرب به فى لين العريكة الأمثال ، وتتهاداه لفضائله وفواضله أندية الملوك والأقيال :

أمحيـى رسـوم القضـا الداثـره ... وانسـان مقلتـه السـاهـره
ومطلـع شمـس المعـارف مـن ... مغاربنـا حكمـة ظـاهـره
وبحـر العلـوم التـى أوجبـت ... لـه الفخـر والعـز فى الآخـره
وقاضى عساكـر ملـك غـدت ... لأخمصـه السبـع كالسـاهـره
ودانت له الأرض طـولا وعـرضـا ... فأرسـال أملاكهـا سائـره
الى بابـه تبتـغـى وصلـة ... وأمنـاً لسطـوتـه القـاهـره
كفـاك افتخـاراً أبا مـالـك ... حضورك أيـامـه الـزاهـره

أتتك أيها السيد الذى يقتدا بعلومه ، ويهتدا الى معرفة الصناعة الأدبيـة بمنثوره ومنظومه ، باسطة اليك يد الاحتقار ، ومسفرة لجلالك عن وجه القصور والاعتذار ، وأنتم أعزكم الله محل التجاوز والاغضا ، والنظر اليها بعين القبول والرضا ، متع الله بطول بقائكم عامة المسلمين ، ونفع بعلومكم مولانا أمير المومنين ، أيد الله سلطانه . ومهد بمنه أوطانه .

78) ما بين القوسين من **مناهل الصفا**

وقال الفقيه الكاتب المجيد ، والأديب الذى يبدىء فى المحاسن ويعيد ، صاحب القلم الذى يصيب من الأغراض كلاها ومفاصلها ، وتعترف له بقوة المضاء من الصوارم مناصلها ، والفقر التى رفعت للبلاغة لواء ، وارتدت من المحاسن رداء ، وضرب بها المثل فى العذوبة ، ولقلوب الادباء خلوبة ، أبو عبد الله محمد بن على (بن عبد الرحمان الفشتالى (79) ، أبقا الله رتبته :

نسجت أبــا مـالــك حـلــــة	بصنعـــاء أفكــارك الحـــاضره
وأجريت مــاء البديــع الـــى	ريـــاض فكـاهتـك الســاحـره
وأخفقت بنـد المعـانـى عـــلى	مواكب أغــراضـك الظـافــره
عيـون البيـــان ولكنهـــا	لغيـــر اللـهـــى لـم تكـــن ناظره
فخذهـــا بديهـــة مـن قـد غــدت	وجـــوه فهاهتـــه ســافـــره

فدونكم أعزكم الله هذه القطعة وقد ظاهرت بين ثوبى عى وقصور ، وسترت وجه عوارها ببرقع العجلة التى هى محل اغضاء فحول المنظوم والمنثور ، ولا غــرو وأنتم أرباب النظام ، وأمراء الكلام ، ان استنتجتم عقيما ، واستقرضتم فى هــدا الفن مزجى البضاعة عديما ، بقيتم تقيمون للعلم رسومــاً ، وتثبتــون للمعـالــى حدوداً ورسوماً ، والسلام .

* * * *

وقال الفقيه المتفنن ذو الفهم القويم ، والادراك المستقيم ، قائد المسائل العويصة بنواصيها ، ومستنزل عصم القوافى من صياصيها ، شعلة الذكا ، والنير الذى يزرى سناه بذكا ، سيدى أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى حفظ الله مكانته وحرس مجادته :

أيــا تحفــة الــدهـــر يا ناظـــره	وطرفــة أيامـــه النـــــادره
وبـدر العلـــوم الذى قـــد نـضت	دجا الجهـــل أنـــوارها البـاهــره
ومن كرعــت فـــى حيـــاض المعانى	لــه همـــم بالذكـــا ساخـــره

---

(79) ما بين قوسين من **مناهل الصفا**

أنظمك أم قرقف بابلي ؟ ولفظك أم نفثة الساحره ؟

تعلل أرواحنا مذ غشانا بأرواح روضاتك الزاهره

أمن دارن قد سرا موهناً أم ارتاد أخلاقك العاطره ؟

فككتم به عن أسارا القوافي قيوداً بأرجلها دائره

فلا زلت يا شيخنا يهتبدا بنورك في الليلة الساهره

لا غرو أعزك الله ان جاءت لحضرة جلالك تمشي على استحياء ، فقد راعها ما راقها بمحلك السامي من سنا وسناء ، يا له من علاء لو سابقت بديهة أبي العلاء في ميدانه ، لكبا في أثناء الثناء عليه جواد بيانه ، ونبا عن المضا في وصفه ماضي لسانه ، وشباة سنانه ، لا زلت في أفق الجلالة بدراً يلوح للهداة التياحا ، وبحرا للفضل ترده الآمال فتتمايل انشراحا ، وتثمل ارتياحا ، والسلام .

انتهى ما وجدت بخط المفتي المذكور (80)

---

80) نقل الحكاية الوزير الأديب عبد العزيز الفشتالي في **مناهل الصفا** مع مخالفة في الترتيب ، وختمها بالزيادة التالية :

وقال الفقيه الجليل المقدار ، والكاتب الذى طار صيته في حسن التوقيع وسلامة الصدر كل مطار ، الفاضل الذى لا ينسج الا على منواله في السكون والوقار ، والأخلاق التي لا يستفزها العقار ، صاحب التوقيعات المنصورية الكفيلة برد المظالم ، والآخذ بشبا قلمه بثأر المظلوم من الظالم ، مقيد الأوابد الأدبية بعقال ، والمعمّل في نيلها الوخد والارقال ، حتى لاح بدراً في سمائها وائتلق ، وحاز عمن سابقه في مضمارها قصب السبق ، ذو المناقب الفاضلة والمزايا ، ومحط رحال الشكايا ، أبو محمد الحسن بن عبد الكريم بن عبد العزيز بن علي ، أبقاه الله — وأزمات الملهوفين لا تنكشف الا من يراع بنانه ، ولا يقتدى في كشف كربهم الا ببيانه :

أشيخ العلوم التي قد سرت بدائع أبياته السائره

طلعت وكنت كنجم الصباح وسدت بأخلاقك الفاطره

اذا ما نويتم طلاب العلا فكل المعالي لكم سافره

أتتني بالأمس أبياتكم رياض المعاني بها زاهره

محا شعركم ذكر عبد المجيد وأضحت فصاحته دائره

فلو مد في عمر البحتري لأعجب من فطنة باهره

علوت وفقت قضاة الورا فدم هكذا مركز الدائره

أطال الله بقاء سيدى ، وأجل ذخائرى وعددى ، انى علمت هذه الأبيات والأشغال تكتنفني ، والخواطر باسباب شتى تقتسمني ووراء ذلك كلال الذهن وجمود الطباع ، ونقصان الخواطر عنون الابداع ؟ ، واستمرار البلادة ، التي هي من لوازمنا عادة ، من لي بمساجلة من لا يدرك مضماره ؟ ولا يشق في ميدان البلاغة غباره .

فلا غرو ان قصرت دون مبرز شآ الناس قبلي سعيه وشآني

قلت وانما ذكرت هذه الحكاية بكمالها ، وان كان ما يتعلق بصاحب الترجمة منها قليلا لأجل شهادة شيخ الجماعة سيدى عبد الواحد رحمه الله لهؤلاء الأعلام بالسبق ، وتحليته لهم بما لا يمترا فيه من الحق ، ولأنها مزاح في باطنه جد كما رأيت . انما يعرف الفضل لأهله ذووه ، ولنرجع الى ما كنا بسبيله فنقول :

نظم صاحب الترجمة كثير جدا ، وفيما ذكرناه كفاية .

واما تآليفه فمنها **جمعه للمشكلات التي أوردها أمير المومنين أيده الله على الكشاف** ، ومنها جمعه فوائد حديثية للمخدوم أيضا ، ومنها شرحه لبيتي أمير المومنين أيده الله الذين تقدما ، وهما : **اشتياقي للحبيب . . . الخ** وقد تقدم الالمام بذلك . وغير ذلك من تآليفه حفظه الله . ونظمه كما علمت في غاية السلاسة والسهولة . وأغراضه فيه مقبولة . وله قيام على مختصر الشيخ خليل بن اسحاق المالكي ، ومشاركة في النحو والعروض والاصلين وغير ذلك ، أخذ عن الامام المنجور وغيره من أهل طبقته ، وكتب له بالاجازة الامام الولي أبو المكارم محمد البكري المصري رحمه الله ورضي عنه حسبما وقفت على ذلك بخطه .

مولده عام واحد وخمسين وتسعمئة حفظه الله وأدام وجوده . وهو أيضا من حسنات الدولة المنصورية أبقاها الله على مر الأيام وأعلا كلمتها على سائر الدول وقد فعل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

8 ـ أحمد بن الغرديس التغلبى

الكاتب الرئيس الماجد السرى الناظم الناثر كاتب سر ولى عهد أمير المومنين نصرهم الله ، أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضى محمد بن الغرديس التغلبى من أهـل فـاس .

لقيته بها واسع الحرمة متين الجاه . قضا لى حفظه الله جملة لبانات من ولى عهد المسلمين أمنه الله ، وهو نادرة أهل زمانه ، وواحد وقته وأوانه ، بيتهم بفاس بيت ثروة وأصالة ، لهم بفاس أكثر من خمسمئة عام على ما أخبرت به .

فمن نظم الكاتب المذكور ميلادية قالها فى مدح النبى صلى الله عليه وسلـم ومدح ولى عهد المسلمين مولانا أبى عبد الله المأمون أمنه الله وهى :

أهـدا النسيـم تحيـة المشتاق ... وأذاع ذكـر الشـوق فـى الآفاق

فى طيب مسراه وليـن هبوبـه ... سر يشـب لـواعـج الأشـواق

لمـا سرت للـروح منـه رويحة ... حيت فأبلـت مبتـلا بفـراق

جاءت تخبـر عـن أهيـل بالحمـا ... رحلـوا فلم يطمع لهـم بلحـاق

حملت قبابهم القلـوب ويممـوا ... جـوب الفـلا بالوخـد والاعقـاق

مـروا وما قـد خلفـوه من الجـوا ... والشجو ما بين الجوانـح بـاق

حكمـوا باتـلاف النفـوس فلن ترا ... مـن منقـذ لقتيلهـم أو راق

لـولا التصـدع بالفـراق وبالفلا ... لم يدر وصف مصـارع العشـاق

لا تعـذلـوا الصب المشـوق فانـه ... فى حبهـم راض بمـا هـو لاق

عنفتـم نشـوان مـن راح الهـوا ... لا يستفيـق الدهـر قـدر فـواق

لى بالهـوا علم ، فلمنـى أو فـدع ... لـم يستحـل عـن عهدهـم ميثـاقى

جمعت عـلى من الغـرام غـرائب ... خلفـن قلبـى فى اسار وثـاق

وقضا الهوا قهراً تملك مهجتى ... فاخترت طوعا ذاك دون عتاق

هم حملوا قلبى الهوان فلذ لى ... من غير تعنيف ولا ارهاق

لا أشتكى شجو الفراق ولم يضق ... عن حمل أعباء الهيام نطاقى

يا جيرة جاروا وعدل جورهم ... فتمنعوا أن يسمحوا بتلاق

هل من سبيل للقاء فتشتفى ... من لحظ حسن جمالكم أحداقى ؟

أم هل سبيل للورود لطيبة ؟ ... فهناك منية قلبى التواق

أهوا الوصول الى الرسول فتجتلى ... أنوار حسن ضريحه آماقى

وأعفر الخد الخون بتربه ... وأجيل دمع الواله المشتاق

المصطفا والمنتقا المختار من ... فاق الورا طرا على الاطلاق

وهدا الى الدين القويم بعزمة ... قد أيدت بمكارم الأخلاق

والمجتبا المبعوث أكرم مرسل ... عمت رسالته قصى الآفاق

معلى منار الرشد حقا والهدا ... ومبوىء الدين المحل الراقى

ومبيد أسواق الضلالة بعد ان ... أربت جهالتها على الانفاق

والمستجار بجاهه يوما يكو ... ن الناس فى دهش وفى أطراق

وازا سراة الأنبياء وبذهم ... تقريبه من فوق سبع طباق

منه الشفاعة ترتجا وبحبه ... ترد الظما فى الحوض فضل الساقى

آياته ظهرت لتظهر صدقه ... فتتابعت صدقا بحسن سياق

كم معجز أبدا حلاه تحدياً ... فأتا على قدر بصدق وفاق

يكفيك بالوحى المنزل أنه ... ما لم يكن فى مبلغ الاطواق

من ذا يظن مديحه من مرسل ... جاءت مدائحه من الخلاق

قام امتعاضا دونه خير اسرة ... تركوا الدنا مبتوته بطلاق

واستقبلوا نصر النبى بهمة ... وبشدة فى العدل والاطلاق

كم خلفوا فى نصره من ظالم ... متجرعا جرع الدم المهراق

هم أتبعوا بالسيف كل معاند ... ضرباً على الأذقان والأعناق
هم ألحموا الكفار كل وقيعة ... فسقوهم بالطعن كاس دهاق
فعلا على الأديان دين نبينا ... من بعد شرك ثابت ونفاق
واحتل من بعد الذوى بفضله ... روضاً أريضا يانع الأوراق
سعد الأنام بليلة سطعت بها ... شمس النبوءة تامة الاشراق
وافتر ثغر الصبح عن ميلاد خيـ ... ـر العالمين الطيب الأعراق
أكرم بها وبيومها من ليلة ... منها انتشار الحق فى الآفاق
وفا الامام المرتضا المأمون مـ ... ـن مقدارها بالبذل والانفاق
وأفاض اجلالا وتعظيماً لها ... أصناف نعما جوده الدفاق
ملك أناف على الملوك بقدره ... واستوجب العليا بالاستحقاق
ملك يخيله العيان اذا بدا ... ملكاً لحسن السمت والأخلاق
حاز الكمال سجية ووراثة ... وحثا الثرا فى أوجه السباق
وقضت بعزته السعادة فانبرت ... طوعاً لطاعته يد الاصفاق
ابن الخلائف والأولى ساد والورا ... فتمى ترقوا للعلا لا راق
ان الخلافة فى ذؤابة هاشم ... لا تعدها للغير قول وفاق
لهم الأحق ومن عداهم معتد ... فلهم وراثتها بالاستحقاق
أصل رسا فى المكرمات ونسبة ... علوية فى منتهى الاعراق
مغنا الرسالة والنبوءة والهدا ... والفخر والمجد القديم الباقى
من ينتمى للمصطفا ببنوة ... ولمجده الشرف الرفيع الرافى
فيكل عن علياه كل مطاول ... ومقصر عن شأوه المتراقى
يبدو ونور المجد فى قسماته ... أجلا من الاصباح فى اشراق
زهت الامامة والخلافة باسمه ... والملك أعطى طوع الاسترقاق
وتمهدت منه الدنا بمعزز ... بلواء عز نصره الخفاق

فالديـن عـال كعبـه بمقـامـه ... والكفـر فى ذل وفـى ارهـاق
لا زلت فى عـز ونصر ضافيـاً ... حـلل الهنـا مـرقـومة الأطـواق
وجديد سعـدك أيها الملك الرضـا ... يقضى بنيـل نفـائس الأعـلاق
وعلى النبى وءالـه مـع صحبـه ... تسليـم مضنـا دائـم الأشـواق
أذكـا من المسك الفتيـق تضوعـاً ... وأتـم من نـور الضحـا الرقـراق

وقال أيضاً أبقاه الله فى بعض الموالد الشريفة النبوية :

تبدت فأبدا الثغـر من لؤلؤ سمطـا ... وفوقت الألحـاظ سهماً فما أخطـا
وجطت عـلى ورد الخـدود سوالفـاً ... أجادت بخيلان لنونتهـا النقطـا
وحطت قناع الحسن بعـد تمنـع ... فمن أجله درع التجلـد قـد حطـا
وصدت حيـاء عند ذا وتبسمـت ... وألقت على الخديـن أنلمها السبطـا
وصالت بدل وامتناع وعـزة ... ونخـوة تيه جاوز القـدر والفرطـا

ومنـهـا :

تميل بردف يؤلـم الخصر خصبـه ... فذا يشتكى النعما وذا يشتكى القحطا
تدير رضاباً من لماهـا وظلمهـا ... ومن سحر عينيهـا سلافا واسفنطـا

ومنهـا تخلصاً :

بمولده السامى العوالـم بشـرب ... وشبت وقد كانت ذوائبهـا شمطـا
وسرت بـه الفردوس ثـم تزينـت ... وأظهـرت الرسـل الكـرام به غبطا
وأضحا به الاسلام والدين ظـاهـراً ... ووافـا ديـار النـصر والعز . . . ـطا
بموسمه المـولى اعتنا فأقـاه ـه ... ووافـاه اجـلالا وأعظمـه قسطـا
امام الهدا مامـون ءال محمـد ... مليك أقـام العـدل واجتنب القسطا
له همة تعلـو النـريـا نـزاهـة ... وفخـر على متن السماكين قـد حطـا

وعزمة حـــزم فى الحوادث ان مضت ... تعـود وقد قطت رقـاب العـدا قطـا
وهمة عـز فى وقـــار سكينــــــة ... وفطرة حلـم تنكر الجهل والسخطـا
ففـى حالتى حـرب الزمـان وسلمه ... تريك بـوادى حاله القبـض والبسطا

ومنهـا ختـامـا :

فدام ودام النصر يعضـــــد أمـــره ... وكان سنـام العز من بعض ما أمطـا
وتوج تاجـاً من سنا ومهـابـــــــة ... وطوق من فخـر الثنـا درراً سمطـا

* * * *

وقد تقدمت القطعة التى قالها لتكتب فى القبة التى بصحن القرويين فأغنا ذلك عن اعادتها ، وله حفظه الله نظم رائق غير ما ذكرنا ، وله خط جيد وفصاحة ، وفسيح جناب للوافدين وساحة ، نفقت بوجوده للأفاضل أسواق ، وأشرقت بامداده للأفاضل آفاق ، وله ولوع باقتناء الكتب . وخزانتهم بفاس مشهورة ، وبها انتفـع الامام الكبير الشهير أبو العباس سيدى أحمد بن يحيى الونشريسى (81) ومنها ألف كتابه **المعيار** (82) .

قـرأ الكاتب المذكور على الامام أبى راشد يعقوب اليدرى كتـاب الحـوفى وفهمه من أول مرة ، وقرأ على جماعة غيره من أعلام فاس ، مولده حفظه الله سنـة سبع وأربعين وتسعمئة (83) ولم نقف له على تأليف ، والله أعلم ، وصلى الله عـلى سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

---

81) أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد الونشريسى التلمسانى كبير موثقى الفقه المالكى بأرض المغرب ، ولد بتلمسان ونشأ ودرس على كبار شيوخ بلده كالعقبانى وابن العباس والجلاب وابن مرزوق الكفيف والغرابلى والمرى ، وحصلت له كائنة من جهة السلطان فى أول محرم عام 874 وانتهبت داره ففر الى فاس واستوطنها وأكب على تدريس الفقه بجامع القرويين وانتفع بخزائنها وألف كتبـه وكانت وفاته بها يوم الثلاثاء 20 صفر عام 914 .

82) الاسم الكامل للكتاب : **المعيـار المغرب ، والجـامع المعرب ، عن فتاوى علمـاء افريقيـة والأندلس والمغرب** .

83) فى طرة الكتاب : وتوفى سنة 1021 وانظر ترجمته فى **نشر المثانى** 1 : 113

9 — ادريس بن راشد الحسنى

ابو العلا ادريس بن على بن ابراهيم ابن راشد الشريف الحسنى .

لسلفه رياسة ببلاد شفشاون ، نشأ هذا المولى حفظه الله بحضرة الامامة ذا أخلاق حميدة وسراوة نفس وايثار وبذل ، وله نظم رائق ، وجملة ميلاديات يمدح بها أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيد الله أوامره ، ومن جملة مقطعاته فى الاستخدام قوله :

سحت السحب من سماء جفونى   لحبيب قد جد فى السير عنى
وغدا قاصداً لسفح عقيق   قد رأيناه للبعاد بعين

* * * *

وله فيه أيضاً :

قد قلت اذ أبدا التعنف عاذلى   والجفن من جرى الدموع قريح
أهواه أسمر فى الورا ولو أن قلـ   ـبى فى رضاه بطعنه مجروح

* * * *

وله منه أيضاً :

أبكيت اذ عاينت نرجس لحظه   فى روض حسن قد تبدا ذابلا
ورجوت سهما وافراً من غصنه   ولو أنه فى القلب أضحا عاملا

وله فى التورية :

جاورت بالدمع القريح ديارهم   فلعلنى أحظا بقرب الدار
وطلبتهم رفقاً لسائل جريه   فالله قد أوصا بحفظ الجار

* * * *

وله أيضـــاً :

أجريت دمعى طائعــاً لجفائـــــه فأجاب سائلــه بنهــر عــاصى
ورنا فقــال تلطفــاً يا دانيــــا خــذ سهـم وصلـك من حبيب قاصى

* * * *

وله مضمنـــاً :

قد قـــال لى نور عينى صف لنا زهراَ على بساط من الخابــور منتصـــب
فـقلـت ثغرك مع لونـى لفقـدك أو حصبــاء در عـلى أرض مـن الـذهب

لقيته بمراكش متين الجاه ، لأنه يمت الى أمير المومنين أيده الله بقرابـة ، وأخبرت الآن أنه تغير حاله لأمر ارتكبه ، ولد بعد الستين وتسعمئة والله أعلم .

10 ـ أحمد بن محمد الآيسى

أبـو العباس أحمد بن محمد بن موسى الآيسى الفقيه الحافظ المشارك الباذل الواسع الايثار .

لقيته بمراكش ، وبدارهم ألممت يوم دخولى الحضرة العلية ، ولو أنى أتعبت اليراعة فى بعض مآثرهم الجليلة ما أطقتها ، ولو علمت أن أطيار المدائح المحبوسة فى قفص الفكر اذا صدحت فوق أفنان الشكر تؤدى بعض حقهم لأطلقتها . لهـذا الماجد حفظه الله ملكة فى العلوم ومشاركة فيها على اختلاف أنواعها ، وبيتهم بيت رياسة من لدن مبدأ الدولة الهاشمية النبوية الى الآن ، يتولى هذا الماجد أمانة بيت مال أمير المومنين نصره الله ، وأما أخوه القائد الأسما المعظم الأجل الرئيس السرى الألمعى أبو اسحاق ابراهيم فقد تقدم الالمام به عند ذكر مآثر أمير المومنين نصره الله ، وانما لم أفرده بترجمة لأنى لم أقف له على نظم . والا فله مشاركة حسنة فى العلوم ، يستظهر مختصر خليل ويقوم عليه أحسن قيام ، ويشارك فـى المنطـق

والبيان والنحو والأصلين وغير ذلك ، وأما صاحب الترجمة أبو العباس وهـو أصغر سناً من أخيه القائد ابراهيم المذكور ، فله نظم ، فمن ذلك ما أنشدنيه لنفسه يسلي بعض اخوته في نكبتهم وقد كان ذلك الأخ عزم على الاستشفاع بأحد الرؤساء فقال صاحب الترجمة مخاطباً له :

توسل أخي بالمرسلين وأحمـــد لأحمد يأتيـك الـذى أنت سائلـه
ولا تسأل الناس الذيـن هـم أذى وخيم عـلى من لا تخيب وسائلـه

* * * *

وأخبرني صاحبنا الأديب النحرير ، أبو عبد الله محمد الغجاف قال : تذاكرت مع صاحب الترجمة قول القائل :

أقبـل من أبصرتـه راكبـا من جانب البطحـا عـلى أشهـب
فقلت سبحـانك يا ذا العـلا طلعـت الشمس مـن المغـرب

قال : فقلت له لو كانت القافية في البيت الأول على أحمر ما كان يقال فـي البيت الثاني ؟ قال : فقال بديهاً :

فقلت سبحـانـك يـا ذا العـلا لاح لنا من وجهه المشتـرى

وأخبرني أنه دخل عليهم في نكبتهم هـذه الفقيه الشاعر المفلق ، ابراهيـم الهوزالي رحمه الله وهم بجماعتهم مثقفون في مسجد المشور العلي من حضرة الامامة، فلما رآهم على تلك الحال أنشد لنفسه ارتجالا :

وعهـدى بالجـوزاء عقـد منظـم بجنب السها أضـاء في جنب مشترى
فسل عالـم التنجيـم ذا خبرة بـه متى انتشـرت في ركن جامـع مشور ؟

قلت وخلصوا والحمد لله من هذه النكبة خلوص الذهب بعد السبك ، واطلـع أمير المومنين نصره الله على عدم صحة ما نسب اليهم من الكذب والافك ، ولله يبقيهم

نجوم اهتداء بسماء حضرة الامامة ، يقصر عن شأوهم حاتم وكعب بن مامة ، وفي مدحهم أقول لما نزلت بهم :

من مبلغ أهلي وكل أحبتي أني نزلت بمعشر فوق السها
شرفاً فهم عند السماحة حاتم ولدا البلاغة كعبها أو قسها

ومآثرهم أسماهم الله كثيرة تضيق عنها هذه العجالة ، ويقصر عن ادراك بعضها من أعمل فيها بديهته وارتجاله ، جزاهم الله عنا أفضل جزائه ، فلهم ينسب الكرم في اعتزائه ، وهب لي صاحب الترجمة عدة كتب علمية ، وبالجملة فقد استرقتني مآثرهم التي يعجز عن عدها أرباب البلاغة ناظمهم وناثرهم ، وأخبرت هذه الايام أن صاحب الترجمة عاد لخطته ، فنسأل الله أن يكون خبر صدق لأني لم أقف على أنبائهم منذ سافرت من الحضرة العلية سنة عشر في ربيع الثاني ، الى هذا التاريخ وهو أول شوال من عام أحد عشر وألف .

11 ـ الحسن بن عبد الكريم المراكشي

أبو محمد ، الحسن بن عبد الكريم الكاتب الأسنا الأسما ، من أهل مراكش ، أحد كتاب الانشاء بحضرة الامامة ، ويتولا كتابة المظالم بها ، له نظم رائق ونثر ، لقيته بمراكش ، فمن نظمه قصيدة مدح بها الأمير الأجل ، العماد الأحمد ، الواثق بالله ، مولانا أبو فارس بن أمير المومنين نصرهم الله مطلعها :

سروا وظلام الليل في فوده وخط وحثوا المطايا فاستقل بها الشحط

وهي طويلة .

وله مما كتب به للرئيس الكاتب أبي فارس الفشتالي المتقدم معزياً :

اذا جل قدر المرء جل مصاب وكل جليل بالجليل يصاب
يروح الفتى في غفلة من مآله ويشغله عنه هوا وشباب

ولـم يتفكـر أن من عـــاش ميـــت وأن الذى فـوق التـــراب تـــراب

أبا فـــارس دنيانا أضغـــات نـــائـــم وسلسالهـــا للأذكيـــاء ســـــراب

وله غير ذلك من النظم ، وله مشاركة فى النحو والأدب وغيرهما ، أعانــه الله وسدده بمنه وكرمة وطوله .

12 ـ محمد بن عبد الواحد الحسنى

الفقيه النحرير البليغ المجيد . أبو عبد الله محمد ابن شيخ الجماعة ، ومفتى الحضرة ، سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى صب الله عليهم شآبيب رحماه

لقيته بمراكش حماها الله ، فشاهدت منه أديبا برع فى فنه ، وجمع العلوم على حداثة سنه ، طلع هو وأخوه الآتى بعده بأفق الحضرة بدرى هاله ، وكل منهما قد انتما له الفهم الثاقب وانتها له ، ولم لا وقد درت عليهمـــا الدولـــة الأحمديـــة المنصورية المولوية أيدها الله من أخلافها ، ومن قبل على أبيهما شيخ الجماعة الامام المفتى فلا غرو ان كانت الفروع تابعة لأصولها وأسلافها ، أخذ صاحب الترجمة عن أبيه شيخ الجماعة ، وعن شيخنا أبى العباس ابن القاضى أدامه الله ، وعن الشيخ سيدى أحمد الشهير باب من أهل السودان . وعن قاضى الجماعة أبى عبد الله محمد بن أبى عبد الله الرجراجى ، وعن القاضيين الامامين ، أبى القاسم بن أبى النعيـــم الغسانى ، وأبى الحسن على بن عمران السلاسى ، وغير هؤلاء ، الا أنه عاجله الحمام، وكسف بدره قبل التمام ، فتوفى هو وأخوه فى شهر واحد بالطاعون فى ذى القعدة عام تسعة وألف ، وكنت اذ ذاك بالمحلة المنصورة أيدها الله فبلغنى خبـــر مـــوت صاحب الترجمة ، فدخلت الحضرة وعزيت به أخاه ، ثم رجعت الى المحلة المنصورة أعلا الله كلمتها ، فبلغتنى وفاته أيضاً بعده بنحو العشرة أيام ، فسبحان الباقى بعد فناء بريته ، لا الاه الا هو .

ولصاحب الترجمة نظم جيد ، فمنه ما أنشده بين يدى مولانا أمير المومنين نصره الله في مولد عام تسعة وألف وهو :

أمذاب تبر راق أم صهباء ؟ ... تسعى بها غانية حوراء
فتانة من فرعها وجبينها ... يبدو الصباح وتنشأ الظلماء
من قدها المياس مع لحظاتها ... خجلت غصون ميس وظباء
يحكي وميض البرق ليلا ثغرها ... وحكت شهاب تنفها الحوراء
لا عيب فيها غير سقم لواحظ ... تنسى الظباء وأنها هيفاء
اني شغفت بها كأني عروة (84) ... في حبها وكأنها عفراء (84)
ما أبصرت عيني عجيباً مثلها ... غصناً من البان علاه ذكاء
من للبدور بحسنها وبهائها ... ولقد علاها من سناه بهاء
هي الدواء لما أعاني من ضنا ... أبداً ، ومنها كان ذاك الداء
سكنت فؤادى فلست أنسا ذكرها ... ما هز غصناً شمال وصباء (85)
الا بمدح صفوة الأرسال من ... من نوره تتكون الأضواء
المصطفا المختار نخبة هاشم ... من بشرت قدماً به الأنباء
من خصه الرحمان من بين الورا ... بمواهب ما ان لها احصاء
أعلا الأنام همة ، أوفاهم ... ذمماً ومن شرفت به البطحاء
ذو المعجزات اللائي ينمو عدها ... وتكل عن احصائها الفصحاء
ما شئت من شكوا البعير حقيقة ... ويد بها للسرى يهمي الماء
والجذع بعد فراقه حن ، وقد ... رد له بعد المغيب ذكاء
أرسله رب العباد وقد عفا ... نهج الرشاد وعمت الظلماء

---

84) عروة بن حزام بن مهاجر الضنى ، من بنى عذرة ، أحد شعراء العرب المتيمين ، كان يحب ابنة عم له اسمها عفراء نشأ معها في بيت واحد . فلما كبر خطبها فطلبت أمها مهراً لا قبل له به ، فرحل الى عم له باليمن وعاد ، فاذا هي قد زوجت بأموى من أهل البلقاء بالشام ، فلحق بها فأكرمه زوجها وأقام أياماً ثم انصرف فأضناه حبها ومات بالطريق قبل بلوغ حبه ، ودفن بوادى القرى قرب المدينة حوالى عام 30 هجرية وعند البغدادى في خزانة الأدب انه مات في أيام معاوية ، وتولى دفنه النعمان بن بشير

85) أى ريح الشمال وريح الصبا ، وقد همزت الأولى ومدت الثانية ليستقيم الوزن

فأبان نهج الحق وهو دارس ... وجلا ظلام الشرك منه ضياء

ومحت سطور الشرك بيض سيوفه ... فغدت ربوع الكفر وهى خلاء

هو الشفيع اذا المعاد تفاقمت ... أهواله وتبرأ الشفعاء

هو العتاد اذا المقابر بعثرت ... ودنا حساب هائل وجزاء

هو الملاذ لكل عاص مذنب ... والمرتجا مهما ألم بلاء

يا خاتم الرسل الكرام ومن له ... فى موقف الحشر سنا وسناء

يا خير مبعوث به هدى الورا ... وانزاح عن وجه الرشاد غطاء

أرجوك يا خير الأنام لدفع ما ... يخشا وفيك لا يخيب رجاء

ومنها :

صلى عليك الله ما هب الصبا ... وشدت على أغصانها الورقاء

صلى عليك الله ما هطل الحيا ... وكسا خدود الغانيات حياء

يا تاج رسل الله يا قطب الهدا ... كادت تذوب لبينك الأعضاء

لاكن دنو سبطك المنصور قد ... زال العناء به وزال الداء

ملك اذا سالت جداول كفه ... خجل الحيا واستحيت الأنواء

ليث الكتائب من يرفرف فوقه ... فى الحرب للنصر العزيز لواء

والقائد الجيش العرمرم والذى ... فى ظلمة النقع له لألاء

ان أومضت يوماً بروق سيوفه ... سح على الأعداء منه فناء

كم أورد البيض الرقاق طلا العدا ... وسقا الدماء السمر وهى ظماء

يأتى الوغا متبسماً فكأنما ... قانى النجيع عنده صهباء

ومنها :

ما جدلت خرصانه أعداءه ... الا ليكمل للنسور رجاء

كل الملوك سواءه (86) يخشا الوغا ... والحرب ، وهو تخافه الهيجاء

---

(86) أى سواه ، ومدت لضرورة الوزن

فلو أنه فى كربلاء (87) شاهد ... ما عم فيه المسلمين بلاء

ذلت لسطوته الملوك وكيف لا ... وله النبى وحيدر (88) آباء

هذا مذل الروم فى أوطانها ... هذا الذى تعنو له الأمراء

هذا الذى للكفر من سطواته ... فى كل وقت رنة وبكاء

هذا الذى بسنانه وحسامه ... نصر الهدا وأقيمت السمحاء

هذا الذى فى كفه للمعتدى ... داء ، وفيه للعفاة دواء

هذا الذى للبدر والشمس الى ... تقبيل أسفل نعله ايماء

هذا سليل المصطفا وسميه ... هذا الأغر الأزهر الوضاء

هذا الكريم ابن الكرام والذى ... صينت به أموالنا ودماء

هذا الذى جسمى ربى نواله ... قد أنطقتنى بمدحه الآلاء

ومنها :

يا أيها الملك الذى من كفه ... عمت جميع العالم النعماء

دلت طباعك أنك ابن محمد ... فأقر بالفضل لك الأعداء

علم وحلم فى عظيم قدرة ... جود ومجد عفة ووفاء

وفصاحة وبلاغة وسماحة ... وشجاعة ومهابة وحياء

قد حزت كل الفخر يابن المصطفا ... فافخر فمالك فى الورا أكفاء

قد أصبحت حمراء مراكش بكم ... من بعد ما طال عليها عفاء

تعنو لها البيضاء والسوداء والـ ... ـشهباء والخضراء والزوراء (89)

مولاى كيف يفى القريض بمدحكم ... أم كيف تحصى فخرك الشعراء

وفخاركم يا فخر ءال محمد ... عن بعضه قد ضاقت الدهماء

87) مدينة بالعراق قرب الكوفة ، والبلاء الذى عم المسلمين بها هو قتل الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه عام 61 هـ

88) من ألقاب الخليفة على بن أبى طالب كرم الله وجهه

89) يومي الشاعر الى عظمة مدينة مراكش وتفوقها فى عهد المنصور السعدى على كبريات الحواضر الاسلامية ، والبيضاء لقب دار الملك فاس ، والشهباء لقب حلب ، والخضراء لقب تونس ، والزوراء لقب بغداد ، أما السوداء فلست ادرى على أى مدينة تطلق ، وربما كانت تطلق على احدى حواضر السودان العظيمة

فـأدام رب العالميـــن بقـــاءكـــم ... حتـــى يعـــم العـــالميـــن فنـــاء
وبقيت فى نصر وعــز دائمـــا ... يمدحـك يا محيـــى النـدا الآبـــاء
فاذا انقضت أعمـــارهـم وتصرمـت ... قـامت بنظـم مديحـك الأبنـــاء

* * * *

وقال رضوان الله عليه يتغزل :

بعثت الى مـع الصبـــاح رســـولا ... اذ لـم تجـد غيـــر الصبا مرسـولا
فرجوتـــه يشفـــى الفـؤاد جهالـة ... هيهـات لا يشفـــى العليـل عليـلا
بيضـاء يخجـــل وحش وجرة لحظها ... حسنـــاً وتنســى الجـــؤذر المكحولا
ما قابلت بدر الدجـــا الا غـــــدا ... عجـلا يـــروم من الحيـــاء أفـــولا
لمـا غدت محجوبـة عـــن نـاظـرى ... أسبلت دمـــع المقلتيـــــن همـولا
ياليت شعـــرى هـل أفـوز بوصلها ... أم هـل أنـــال من اللقـــا المـأمولا
لم أرض ذلا فـى الحيـاة واننـــــى ... صرت عـلى حكـم الغرام ذليـــــلا
لا غرو ان مت هـوا ، ان الهـــــوا ... قدمـاً أمـات عـروة وجميـــلا (90)
ان أنس لا أنسى لبيلـــة وصلهــــا ... والليـل قـد أرخـا علينـــا سدولا
والبـرق يحكـــى وصلهـا متألقـــا ... أو صارمـاً من عسجـــد مسلــــولا
والسعـــد ساعدنا بأنعـم ليلــــة ... أمسا بهـا عنا الزمـــان غفـــولا
بتنـــا نديـــر بهـا مـــروق قهـوة ... ذهبيـــة تشفـــى جـوا وغليـــلا
حتى اذا أخـذ المـدام بـــثـــأره ... منـــا وغـادرنا لقـــى وقتيـــلا
قبلت مبسمهـــا البـــرود رضابـه ... ورشفت منه قـرقفـاً وشمــــولا
وهصرت غصن البـــان منهـا ودهت ... شفتـاى وردة خدهـــا تقبيــــلا
أحبب بهـا من ليلـــة بـات بهـــا ... بينـى وبينهـا العفـاف دخيــــلا
حتى اذا نشر الصبـــاح لـــواءه ... قامت تجـر من الـدلال ذيــــولا

---

(90) جميل بن عبد الله بن معمر العذرى القضاعى . من شعراء العرب وعشاقهم . افتتن ببثينة من فتيات قومه . فتناقل الناس أخبارهما . أكثر شعره فى الغزل والنسيب . وهو يـذوب عذوبـة ورقـة . توفى عـام 82 هـ

وقال رحمه الله ملغزاً في اسم سونة :

اسم التي قد عذبت مهجتي ... ان اسمها للحظها وصف
وهو اذا فارقه بعضه ... فبعضه لما بقي نصف
فان يزد فسنة عشقها ... بل واجب ما ان بذا خلف
تصحيف قلبها يرا قلبها ... يا ليت لي من لعسها رشف

وأجابه عن هذا اللغز شيخنا شهاب الدين ابن القاضي أبقاه الله حسبما ذكر في ترجمته ، وألغز له ءاخر الجواب في ورد ، وأجابه صاحب الترجمة بقوله :

قد جاءني لغزكم سيدي ... يعبق من أثنائه الورد
وردت منه مورداً صافيا ... يروى الظما ما مثله ورد

وخرجنا ذات يوم بحضرة الامامة حماها الله لزيارة قبر الامام ابن البنا (91) بباب أغمات ، وبدت لنا قبب البديع الأحمدي أسماه الله تلوح وقد وسمت بأحسن السمات ، فقال رحمه الله :

انظر الى قبب البديع عشية ... فبحسنها تتمتع الأبصار
فكأنها قد شيدت بزبرجد ... وكأنما شمس الاصيل نضار

وقال رحمه الله في اسم خيزران :

علقتها ذات محيا حكى ... شمس الضحا ومقلة كالسنان
لا تعجبوا اذا أمال الصبا ... قوامها فانه خيزران

وقال رحمه الله :

ما شأنه الجذري بل زانه ... وهل يشين الطل نور الشقيق
كأنه في صفحتي وجهه ... نثير در في صحاف العقيق

---

91) احمد بن محمد بن عثمان الازدي العدوي المراكشي ، أبو العباس المعروف بابن البناء ، العالم الرياضي الكبير ، صاحب التآليف العديدة في علوم الدين والعربية والرياضة والطبيعة ولد بمراكش عام 654 وتوفي بها عام 721 انظر ترجمته في **الاعلام** ، **بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** 1 : 375

وقال رحمه الله :

يا حسن ذاك الخد لما بدا وقد علاه لؤلؤ من عرق
كأنه ندا على وردة أو أنجم قد ظهرت فى الشفق

* * * *

وقال رحمه الله :

رأى فى خد من أهوى سواداً أخو جهل فقال رأيت خالا
ولم يحسب محياه مرآة ورئت عينه فيها خيالا

* * * *

وقال أيضاً رحمه الله :

رما بسهم لحظه مهجتى رشأ حكا غصن النقا قده
اذا بدا أخال شمس الضحا قد وهبت شعاعها خده
يحكى سواد الخال فى خده نقطة عنبر على ورده

* * * *

وقال رحمه الله :

يا قمراً بالصد والهجر لم يبق من الصب سوى قلبه
« يعنى رمق »
رفقاً بمشغوف كليم الحشا أججت نار الشوق فى قلبه

* * * *

وقال أيضا فى ذلك رحمه الله :

يا رشا يبسم عن قلبه ارفق بصب أنت فى قلبه
« يعنى اشر »

غرقت فى بحر هواك فان   مت به فذاك من قلبه

« أى ربح »

وقال رحمه الله ورضى عنه :

سألت عن داء الهوا ما شفاه   فقيل لى شفاه رشف الشفاه

فقلت لا أشفى لأنى قد   أصبحت مشغوفاً بمن لا أراه

ومنها :

رشا حكت مقلته صارماً   مهنداً وقده كالقناه

عن لحظه السحار حقاً روا   هاروت السحر الذى قد رواه

بالله هل أبصرت من قبله   رشا يغير منه ظبى الفلاه

وهل رأيت قبله شادناً   ألحاظه تصيد أسد الشراه

فى لحظه الموت ولكنه   فى فمه والله ماء الحياه

* * * *

وقال أيضا رحمه الله :

لله ما يلقاه قلبى من   هموم ذا الدهر وأحزانه

أمسى وأصبح أنوح كما   ينوح قمرى بأغصانه

ناح وقلبه من الشوق قد   خلا وقلبى حلف أشجانه

يا نفس هم الدهر عنك اصرفى   بطاسة الراح وكيسانه

وباعتناق كل غيداء من   ظباء دهرك وغزلانه

وارج الاه العرش يمح الذى   جنيته بفيض احسانه

فأنه أعظم من ذنبنا   عظيم عفوه وغفرانه

* * * *

وقال رحمه الله يسأل أحد الأعيان اعارة الجلال المحلى (92) رضى الله عنه .

يا سيداً قد تحلا ... بالعلم أى تحلى

ابعث الى وقيت ... مكر الزمان « المحلى »

وقال أيضا :

يا فاعلا بلحاظه ... ما ليس تفعله السيوف

اكفف لحاظك انها ... أهدت الى النفس الحتوف

فقت الغزالة فى الضحا ... وعلى الغزال لك الشفوف

وقال أيضا :

أبنفسج فى صفحتى سوسان ... أم عنبر سال على العقيان

أم ذا عذار فى محيا قد حكا ... سمش الأصيل بحسنه الفتان

يحكى اذا ما لاح فوق قوامه ... قمراً بدا من فوق غصن البان

ألحاظه بوجوب سقمى قد قضت ... وقضت بسلب النوم عن أجفانى

أنى يشبه بالغصون وانه ... منه استعير اللين للأغصان

يا سائلى عن حالتى فى عشقه ... كلى وبعضى فى الهوا سيان

لما تسور حبه قلبى غدا ... مهمل وبل الدمع كالطوفان

أوغلت قلبى فى هواه ، وانه ... قد ذيل الاعراض بالهجران

مهما يقابلى بصد رصعت ... عيناى صحن الخد بالمرجان

قالت بموجب ما لقيت من الضنا ... بالهجر سحب مدامعى ولسانى

(92) محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الشهير بجلال الدين المحلى ، مفسر أصولى شهير ، ولد بالقاهرة عام 791 وتوفى بها عام 864 والمحلى الذى يطلب الشاعر اعارته هو شرح جمع الجوامع فى أصول الفقه لجلال الدين المحلى المذكور

وقال رحمه الله موطئا :

يا قمراً أعرض عني ولم ... أجن سوى حبه من ذنب
هبك تجافيت فأبعدتني ... تقدر أن تخرج من قلبي ؟

* * * *

وقال رحمه الله :

قالوا الهلال ما بدا ... في يومنا ولا ظهر
قلت السحاب حائل ... ومعه لا يبدو القمر

* * * *

وقال على هذا الروى والمعنى اخوه رحمه الله والفقيه محمد بن الكاتب الفشتالى حسب ما ذكر في ترجمتيهما

وقال رحمه الله :

يا أيها الغيم الذى قد غدا ... يحجب عن عيني هلال الصباح
حجبته عن مقلتي باطلا ... سلط مولانا عليك الرياح

* * * *

وقال عليهما من ذكر أيضاً

وقال رحمه الله :

طلبتم البدر صباحاً ومن ... يبغى الهلال بكرة قد أسا
كيف ترام رؤية بكرة ... والبدر لا يشرق الا مسا

* * * *

وقال مضمناً بيت الشريف العقيلي وقد ذكرنا حكايته في ترجمة شهاب الدين شيخنا أسماه الله

يا من غدا قلبي أسير جماله   تفديك نفسي كن لعبدك محسنا
خلص بجاه الحب قلب متيم   غمز الصدود عليه أعوان الضنا

* * * *

وقال أيضاً رحمه الله في ذلك :

يا شادنا ألحاظه وقوامه   فعلت بنا فعل الصوارم والقنا
أحرقت قلباً أنت فيه ساكن   عجباً أتحرق ما حللته مسكنا ؟
بالله يا قمرا تملك مهجتي   رحمي الأماني من وصالك والمنى
خلص بجاه الحب قلب متيم   غمز الصدود عليه أعوان الضنا

* * * *

وانشاداته رحمه الله أكثر من هذا ، ولنقتصر عليه ففيه كفاية ، لأن مبنا هذه العجالة على الاختصار ، نسأل الله سبحانه أن يصب عليه شآبيب رحمته ، ويسكنه في الفردوس أوسط وأعلا جنته ، بمنه وكرمه .

13 ـ أحمد بن عبد الواحد الحسني

الفقيه الناظم الناثر ، البارع المكاثر ، أبو العباس أحمد ابن شيخ الجماعة ومفتي الحضرة سيدي عبد الواحد الشريف أخو المتقدم الذكر رحمهم الله ذو ذهن ثاقب ، شارك أخاه المتقدم الذكر في شيوخه ، وبرع في الأدب ، وتوفي رحمه الله بعد أخيه بأيام كما تقدم الالمام به (93) لقيته بمراكش وأنشدني كثيراً من نظمه ، فمن ذلك قوله :

(93) انظر صفحة 192

من منقذى من شادن فاتن يؤثره البدر على نفسه
اذا انتضا من لحظه صارماً ما أقرب الانسان من رمسه

* * * *

وقال رحمه الله مساجلا أخاه فى أبياته المتقدمة فى ترجمته :

بوأتنى رمس الضنا والجفا اذ تاه قدك على قلبه (سمر)
فالنار فى قلبى وقلبى لها ينشأ منه ما على قلبه (ران)

* * * *

وقال رحمه الله :

قلت له اذ ساءنى معرضاً وحسنه يهزأ بالسرب
هبك تجافيت فأبعدتنى تقدر أن تخرج من قلبى ؟ (95)

* * * *

وقال رحمه الله :

حين اختفا عنى أتت عينى بدمع ينتشر
لا تعجبوا من سحبه فالودق من دون القمر

* * * *

وقال رحمه الله :

كانت لعينى به نزهة فى روضة من نرجس وأقاح
فاحتجبت عن ناظرى مدنف قد أثخنت أحشاؤه بالجراح

وهذه الأبيات كلها عارض أخاه بها حسبما ذكرنا الابيات المعارضة فى ترجمة أخيه .

---

95) انظر ص 201 من هذا الكتاب

وقال رحمه الله موريا ً :

قلت لها اذ ودعت وانثنت تحكى غصون البان اذ تنعطف
مهلا أيا من لا نظير لها والعادم النظير لا ينصرف

وله أمداح فى أمير المومنين نصره الله ، ولم أقف من كلامه على غير ما ذكرت رحمه الله ورضى عنه

14 ـ محمد بن عبد العزيز الفشتالى

الفقيه العلم النحرير ، أبو عبد الله محمد بن الامام الوزير الكاتب ، أبى فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالى أسماهما الله

لما برز أبوه مجلياً فى ميدان الاجادة والاصابة ، كان مصلياً له وتلاه فى مآثره فأحرز من العلوم العقلية والنقلية نصابه ، وغزت كتائب فكره معاقل المعانى الغريبة فألقت اليه القياد ولم تحصن ذويها منها دروع . فاستلب خرائدها كما فعل ذلك أبوه والأصل تتبعه الفروع ، تأدب هذا النبيه بالامام أبيه وضاهاه فى مآثره ومفاخره ، وسلك بحر براعته بمواخره ، لقيته بحضرة الامامة حاطها الله ، وله نظم رائق ، ونثر فائق ، فمن نظمه قوله فى بعض الميلاديات التى مدح بها أمير المومنين أيده الله :

ان أوقدوا فمن الفؤاد ضرامهم أو أوردوا فمن العيون الماء
قوم اذا سمعوا بخير بريئة هز الركاب تشوق وبكاء

وهى طويلة جيدة لم أقف منها الا على ما ذكرت .

ومن ذلك قوله يعارض ابن زيدون فى نونيته الشهيرة :

ما كان أغنا الزمان عن تنائينا ولم يكن ببغيض الصد يؤذينا
تولعت حسداً أيدى الزمان بنا لذلك الوصل طبعاً اذ يواتينا

ومـنـهـا :

يا ظاعنيـن وقلب الصب منزلهـم   وتاركين رسـوم الربـع تبكينـا

ومـنـهـا ختامـاً :

أمست ربـوع العلـوم الغـر عاطلـة   وصار طالب علـم فيك مغبـونـا

وقال رعاه الله :

ظبى الفلا ما لوجدى فيك غايـات   ولا لبـدء الصبـا منـى نهـايـات

يا طلعـة البـدر جفنـى بالبكا غرق   والقلب قـد لعبت بـه الصبـابـات

يبدى التبالـه من هنـدى نـاظـره   فى كـل عضـو من العشاق رشقات

واوات صدغيه لا بالعطـف تسعدنى   ولا بنيل المنـا منهـا اشـارات

عجبت منه كسيـر الجفـن من سقم   له على نصبه للرشق رفعـات

فللصبـاح استعـارات أخيلهـا   من ثغـره ولـه منه امـارات

أضحت غصون رياض الغرس خاضعة   تميل للأرض منهـن الـذؤابـات

ايه فابسط مديد الوصـل منشرحـاً   يا غصن بان فللأيـام غفـلات

فلى بتقبيـل ذاك الـورد منفعـة   ولى برشف لثـات منـك رغبـات

وقال رعاه الله (94)

من منقـذى من شـادن فـاتـن   قـد راق نقش المسـك فـى طرسه

يحكـى اعتـدال الغصـن فـى هياة   يـؤثـره البـدر عـلى نفسـه

اذا انتضـا مـن لحظـه مـرهـفـاً   ألفيتـه كالليـث فـى خيسـه

أوان غـدا يختـال فـى حسنـه   مـا أقـرب الانسـان مـن رمسه

وقال أسماه الله :

بسط العـذار أنـاملا من غاليـه   فاقتـض محمـر الخـدود الغاليه

وحمـا لئـالىء ثـغـره فأتيتـه   بجـواهـر نظمت بعيـن جاريـه

---

(94) مشطراً بيتى الأديب أحمد بن عبد الواحد الحسنى المذكورين فى صفحة 203 قبله

وقـــال :

مـــولاى قـــد أتحفتنـــى بالجفـــا ... تـــزرى بما أبديت مـــن قلـــب

هبـــك تجـــافيت فـأبعـدتنـــى ... تقـــدر أن تخـــرج من قلبـــى ؟ (95)

وقـــال (96) :

حـــال السحـــاب دونـــه ... ومـــا بـــدا منـه القمـــر

وليـس لـــى ذنـب ســـوى ... أن جـــاءنـــى ســـوء القـــدر

وقال حفظه الله :

أغـزالـة أم بـــاقة مـــن نـرجس ؟ ... أم شمسة مـــن عسجـد فـــى أطلس ؟

أمصابح لعبت بهـــا أيدى الصبـــا ؟ ... أم قهـوة طلعت بأفـق المجلـــس ؟

أبنفســـج يســرى بصحن وردة ؟ ... ألآلىء تبـــدو لثـغـــر مشمـس ؟

أم شادن يغـــزو القلـــوب بحسنه ؟ ... صبـغ الشقـائـق من لمـاه الألعس

أمجـرة جـرت عـلى بـــدر الدجـــا ... ذيـل الفخـار فى حـلا من سندس ؟

أعقيلـة برزت بخـدر بـــلاغـــة ... خلصت الى مـــع العبيـــر الأنفس ؟

أجـاآذر شـاب الوليـــد بحبهـــا ؟ ... أم غـــادة كلفت بـــأخـذ الأنفس ؟

وقال حفظه الله مضمنا (97) :

نـاديته مستنكفـــاً مـــن وصلـــه ... شنب العـذيب وبـــارق وهو المنا

خلـص بجـــاه الحب قلب متيـــم ... غمـز الصـدود عليه أعـــوان الضنا

وقال حفظه الله مودعاً أباه لما انصرف الى تادلة أعنى السبط أواخر رمضان عام تسعة وألف :

صبـراً فكـأس الحادثـات تـــدور ... والشمـــل مـن منظومهـــا منثـور

لمـا انتضا الدهـــر الظلـوم سيوفه ... أضنـــا الفـؤاد وليـس لى تحـذيـر

---

95) ساجل بهما الأخوين الأديبين محمد واحمد ابنى المفتى سيدى عبد الواحد الحسنى ، وقد تقدم بيتا كل واحد منهما فى ترجمته

96) ساجل بهما بيتى الأديب محمد بن عبد الواحد الحسنى المتقدمين

97) أبيات الشريف العقيلى وقد تقدمت وتقدمت تضمينات مشابهة

والوصل حيث تجهمت أيامه ... وأفاق من ممدوده المقصور

ولقد جنيت مسرة من وصلكم ... لا يعترى تعريفها تنكير

واليوم أعقبنى الزمان ببأسه ... ومضا لمشكل أمره تفسير

ولئن غدا جسمى رحيلا عنكم ... فالقلب من تذكاركم معمور

لا زال جمع جميعكم بسلامة ... ما دام وجدى فيكم مشهور

وقال :

اسعد فديتك بالزمان المسعد ... وانظر لحلة يومنا من عسجد

واغفر له لما أتا متشفعاً ... بجآذر ترعا بروض المسجد

وقال :

شغفت بوشى عذاره العشاق ... وتسايلت من حبه الآماق

يحكى النضار عشية تبدو بها ... فكأنها أديمه الرقاق

* * * *

وقصائده ومقطعاته أكثر مما ذكرنا ، أخذ حفظه الله عن أبيه ، وعن الشيخ المعقولى الفقيه أبى عبد الله محمد المرى التلمسانى (98) مفتى حضرة الامامة لهذا العهد ، وأخذ أيضاً عن شيخنا الامام شهاب الدين أحمد بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى أعزه الله ، وأجازه جميع ما يجوز له وعنه روايته ، ولا أدرى هل كتب له خطه بذلك أم لا ، ولازمه مدة كونه بمراكش حماها الله ، وحضر هذا السبط البخارى بين يدى أمير المومنين نصره الله ، وشاهدته قد أورد أسئلة أنبأت عن قوة عارضته ، ولا غرو ، اذ أبوه أبو فارس المذكور فيما تقدم قد حاز قصب السبق نثراً ونظماً حتى صار يضرب به المثل ، فهو أشهر من نار على علم ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، وقد تقدم فى ترجمة أبى فارس المذكور أسماء الله ما خاطب به سبطه صاحب الترجمة فأغنا ذلك عن اعادته ، نسأل الله سبحانه أن

---

98) محمد المدعو الحاج ابن أحمد بن محمد المرى الادريسى التلمسانى ، ولد بتلمسان ونشأ ، ثم رحل لفاس سنة 1012 بقصد قراءة العلم ومنها انتقل لمراكش فدرس بها وذاع صيته حتى ولاه السلطان الافتاء بحضرته ، ذكر أبو العلا ادريس الفضيلى فى **الدر البهية** 2 : 156 أنه أول قادم من تلمسان الى فاس من أولاد المرى الأدارسة ، وضبط المرى بفتح الميم وتخفيف الراء ، انظر ترجمته فى **الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام**

يجمعنا بهؤلاء الأعلام بحضرة الامامة محفوفين بالسلامة عاجلا ، انه قادر على ذلك ، كما نسأله أن يطيل مدة مولانا أمير المومنين نصره الله اذ بسببه اهتدى هؤلاء الاعلام فى أوعار الانظار لهذه المسالك بمنه .

15 ـ على المروانى المطاعى

الفقيه العدل البارع أبو الحسن على بن عبد الله بن عمر المروانى المطاعى من أهل مراكش حماها الله .

لقيته بها ، وأنشدنى جملة من نظمه ، أخذ عن قاضى الجماعة أبى عبد الله الرجراجى ، وعن الفقيه الامام شيخ الجماعة سيدى عبد الواحد الحسنى رحمه الله، وعن المفتى الامام الحافظ أبى عبد الله الترغى المسارى رحمه الله ، وعن الفقيه القاضى العلم أبى الحسن بن عمران ، وعن القاضى الأجل البيانى أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى ، وغيرهم ، وعن الشيخ أبى العباس أحمد باب التنبكتى ، وانتظم مدة فى عدول حضرة الامامة حاطها الله ، ولم يزل كذلك الى الآن ، فمما كتب لى من نظمه بعض قصيدة ميلادية مدح بها مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله مطلعها :

ركائب سعد زانها منهم البشر — ويممها يمن وساعدها الدهر
اذا ذكروا أوطانهم وتنسموا — وغادرهم الف الصيانة والصبر
وعن لهم من وامض البرق عارض — وحركهم ريح الخزامة والنشر
غدا بهم الشوق المبرح فانحدت — ركائبهم وائتمها الفدفد القفر
تروم مناها بالبقيع وطيبة — ففى طيبة المغنا وفى الساكن الفخر
ديار رسول الله صفوة خلقه — وخير ديار أمها البيض والسمر

وهى طويلة :

وقال حفظه الله من أخرى يمدح بها الواثق بن أمير المومنين أيدهم الله ، وكتب لى بها :

قفوا واسألوا ربعاً تبدت رسومه ... به سالمت سلمى وكم واصلت هند

ومنها :

هم عذبوا القلب القريح وأضرموا ... بجسمى لهيب الهجر قد شبه الصد

ومنها :

حفظت لهم عهد الصبا غير أننى ... شغفت بهم حباً وما انصرم العهد

نعمت بهم دهرا كما نعم الورا ... بسيرة من فى طبعه الحلم والزهد

امام به رب العباد أغاثنا ... فطابت به الدنيا وظن بها الخلد

ومنها :

أبو فارس رب الفوارس والقنا ... به فاح رياها وقام بها الوجد

امام ونجل الأكرمين ومن به ... غدت ملة الاسلام حل لها الرشد

ومنها :

وناظم عقد الدين بعد انتشاره ... فيالك من نظم به حسن العقد

مبدد شمل الجاحدين وجامع ... لأشتات دين الله فهو له غمد

بسجد له لاذ الورا بجميعهم ... فيالك من جد به ظهر الجد

فسوس به قد حاز كل فضيلة ... وما كان قبل اليوم يتلا به الورد

تبدت به للرائدين نضارة ... وأخصب مرعاه وفاح به الورد

وأربت على التعداد نعماؤه ولو ... تبوأته داراً لما حصل العد

به فاح نشر الطيب بعد سكونه ... وصار عبيق المسك دهراً به ينـدو

وماذاك الا من تنسم ريحكم ... فأعظم بها ريحاً بها عذب الورد

وما تربت أيدى العفـــاة ببـابكـــم فكـم رجعت ملأى ، وفـاض لها النهر

أمولاى يا كهف الملـوك وذخـــرهـم اليك شكا الملهوف مـا فعل الـوخد

فكم قد طوا البيداء فـــوق نجيبـــة أتت تشتكى عجفـــاً أضر بهـا البعد

لبحر نداكـــم يممت تبتغـــى المنـا بكـم تم مغنـاها وتم لها القصـــــد

فحقق لها مأمولهـا ورجـــــــاءها فقـد تم مسعاهـا وتم لهـا الرفـــد

وزفت لكـم عـــذراء يـاخير مالـــك ويا سبط خير الخلق مدحى لكم شهد

وتلثـم أطـراف البسـاط مهـــابـة عليكم غدت تثنـــى ومنها لكم حمـــد

وتقصر أوصـاف القريـض عليكـم وليست كمن أصبـــاه عمرو ولا زيد

وأبدت من الثغـر العجيب تحيـــة ختامه مسك ، والمديح به يبـــدو

قال : ومما خاطبت به الفقيه الأريب أبا عبد الله محمد بن شيخ الجماعة سيدى عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمهم الله لما رأيت نظماً له أعجبنى واستقبحت مـا قلتـه :

تنـح ودع عنك القريض لأهـلـــــه وخـل بحـور الشعر تجرى لها أهـل

وسلم لفـــرسان المعانى عنـــايـة وحسبك منهـا أن تكون لهـــم خـل

قال : فأجابنى رحمة الله عليه بقـوله :

ألارب يـــوم قـــد نظمت قصيـــدة وخلت فمى قـد حـاد من نطقـه قول

فلما رآها النـــاس قال جميعهـــم أسافلهـــم أخف ومنهـم فضــــل ؟

(تنح ودع عنـك القريـض لأهلـــه وخل بحـور الشعـر تجرى لها أهل)

(وسلم لفرسان المعـانى عنايـــة وحسبك منها أن تكون لهم خـــــل)

فمالك منها غير طـــل وانمـــــا على لــه طل القصائـد والوبـــل

امام المعانـى فارس الأدب الـــذى شبيهـه لا يحويـه حـزن ولا سهـل

ورب القوافى الغـر فـى كل محفـــل ومن علمـه والله ما شابه جهـــل

اذا قبضت قصب اليـــراع بنانـــه　　تذل له البيض الصفـائـح والأســل
ومحيـــى علوم الشعـر طراً بعيد ما　　عفا البعض من آثارها ، بل عفـا الكل

وقال صاحب الترجمة حفظه الله يخاطب صاحب المظالم بالباب العلى المولوى أعلا الله أعتابه ، وهو الفقيه الأجل العلامة ، أبو العباس أحمد بن الشيخ الحجـة القدوة ، أبى الحسن على بن سليمان التاملى أدامه الله :

جدوال دمعـــك لـــم تقطـــــع　　وبـــارق وعـدك لـــم يلمـــــع
ومـرت سليمـى مراراً ولـــــم　　تــف بالعهـــود ولـــم ترجـــع
وسرت سميـــــر الليـــالى فمـــا　　تنـــام العيـــون ولـم تهجـــــع
وقـد كنت قبـــل بهـــا مغـرمـــاً　　وفى وصلها اليـــوم لـــم تطمـــع
فما تنقضى غمـــراتـــى ومـــا　　تجـف العيـــون مـــن الأدمـــع
وذاب الفـــؤاد وحـــق لــــه　　يـــذوب من الألـــم المـــوجـــع
فيا لهـف نفسى عـــلى زمـــــن　　قضـــا بالمســاواة للـــوضــــع
ويا لهـــف نفســـى عـــلى قسمـة　　يفـــوز بأوفرهـــا المـدعـــى
وفـــى مثلهـا (99) قال من قـد مضا　　لاظهار شكـــواه فـــى المجمـــع :
وقـد كنت فـــى الحـــرب ذا تـدرا　　فلـم أعـط شيـئا ولـــم امنـــع

* * * *

قال : فأجابنى المذكور بقوله :

ادمـــع جفونـك بالمحفـــــــل　　تفيـض وخلـــك فـــى المنـــزل
وسلـم لسلمـــى بمـا قـد أتـــا　　بـــه الـحـــكـــم فى أزل الأزل
وان هى قـــد أعـرضت عنكـــم　　فـــلا بـد من وصلهـــا المقبـــل

(99) فى طرة الكتاب : يعنى فى زعمه لاعتبار الظاهر ؟

وعـز الفـؤاد بصبـر جميـل ... وكن ذا رجـاء ولا تعجـل
أليس الحسـام لـه نبـوة ؟ ... لـذا الضرب يومـاً فلـم يفعـل
كفـا المـرء نبـلا كمـا قيل أن ... يعـد بعيـب فلـم يكمـل

قال : وهي طويلة لم يحضرني منها الا ما ذكرت .

وقال صاحب الترجمة حفظه الله في الكبائر وقانا الله منها بمنه :

يا سائـلا عن الكبـائـر التـي ... زلت بهـا الأقـدام أي زلـة
فمنها الاشـراك وقتـل النفـس ... من بعـد ذلك بغيـر لبـس
وأكـل أمـوال اليتامـا ظلمـا ... والسحـر فافهمـه ودعـه جرما
وقـذف محصنـات أيضـاً عـدوا ... ثـم فـرار الزحـف تـم العـد
وآكـل الربـا فدعـه تسلـم ... كـذا روا البخـاري وهو الأعلـم

* * * *

قلت : ولقيني ذات يوم بحضرة الامامة فتبسمت فأنشدني بديهاً :

مالي أراك أخذن الفضـل مبتسماً ؟ ... أتزدري مـن سـروري حيـن ألقاك ؟

وبقي بيت بعد هذا نسيته !

16 ـ أحمد المريد المراكشي

الفقيه الكاتب القوي الادراك نابغة زمانه ، أبو العباس ، أحمد بن عبد الحميد بن الناصر بن عبد الرحمن الشهير بالمريد المراكشي

لقيته بها ، ولم أتذاكر معه شيئا ، أخذ عن أعلام عصره ، كالشيخ المفتي أبي مالك سيدي عبد الواحد الشريف ، والحافظ الترغي ، وغيرهم ، وله استحضار لأسئلة يعسر الجواب عنها ، ذو لسان قل أن يسلم منه ، كثير الهجاء لأهل عصره

لا يبالى بأحد ، فمن نظمه قوله يخاطب مولانا أمير المؤمنين نصره الله لما منعه الحاجب من الدخول :

تفديك نفسى أدام الله مجدكم ... سامى الذرا يامليكاً زانه الكرم
فان حاجبكم مولاى يمنعنى ... من الدخول مع الأقران دونهم
فمره مولاى ان جئت يقدمنى ... أقبل الأرض اجلالا لقدركم

* * * *

وقال مفتخرا من قصيدة :

أصك بسيف الهجو سمع لئام ... وأرميهم عن قوسه بسهام
لأحمى بها عرضى المصون حماية ... أذود بها من رامنى بخصام

ومنها :

ألم تر أن الشعر عبد ملكته ... وان مقامى فيه أى مقام
ألم تدر أنى قد مسكت زمامه ... وأفراسه ملجومة بلجام
ألم تدر أن الشعر عندى سليقة ... وأن مقالى اليوم قول حزام (100)

وقال يهجو :

أتانى فريض القرد نظماً مهلهلا ... يدل على تركيب جهل جهول
هو الجهل وابن الجهل والجهل خلقه ... وليس له عن جهله من سبيل

---

100) فى الطرة بجانب هذه الأبيات تعليق ، نصه :
تذكرت هنا ما أنشدنى صاحبنا العلامة القاضى سيدى عمر (مكرر) بن المرحوم القاضى الشيخ عبد الله الدنوشرى الشافعى رحمه الله :

بالله ما طبعى الهجاء وانما ... ألبسته أهليه باستحقاق
وجعلته سيفا أجز به العدا ... وسللته للضرب فى الأعناق
فتخافه أهل الرذالة والأذى ... ويصد هم عن سيىء الأخلاق

وقال فى ذلك :

لئن سبنى بعض اللئام بمقول ... فذاك على فضلى القديم دليل

وما ضرنى أن قال لست بشاعر ... ولا متقن نظم القريض جهول

وقال فى فتى وسيم سجن ثم سرح عن قريب حسبما يظهر من الأبيات :

على كل جفن أن يفيض شؤونا ... وكل فؤاد أن يكون حزينا

وكل يد أن يلطم الخد كفها ... لتقضى من حق الضياء ديونا

فتى غارت الأيام من حسن وجهه ... فدامت به بعد الظهور كمونا

فشقت جيوب الصبر كف تأسفى ... وفاضت جفونى بالدماء عيونا

ولولا بدو البدر قرب مغيبه ... لكنت بأثواب السقام دفينا

وقال يهجو من قصيدة فى بعض الناس :

لقد سمعت ضجيج الأرض صارخة ... تبكى وتبكى عيون العلم والدين

وتشتكى جور دهر فى معاملة ... بها الورا بين مأسوف ومحزون

وتستغيث ولات حين منتصر ... حماية الدين يا أهل المواسين

حماية الدين اما بالسيوف وان ... لم تقدروا فبقول الحق يكفينى

فبالمنابر ما بالخد من أسف ... من لبس عوف له فى سالف الحين

وعج محرابها مثل المطارف من ... لبس جزام فأبكيها وتبكينى

ونادت الأرض يا للمسلمين فهل ... حمية لبيوت الله تحمينى ؟

أين النفوس التى لله ناهضة ... وأين أنصار هذا الدين يحمونى

فانهوا الشكاية للمنصور ان له ... عناية ببيوت الله تحمينى

واستنهضوا ابن سليمان الزكى عسى ... يذود عنه خبيثا لا يواتينى

يا آل بيت نبى الله فانتصروا ... فطالما كانت الآباء تأوينى

وألبستنى لباس العز ضافيه ... واليوم ألبس ثوب الذل والهون

ومنها :

ألا تريحون ممن لا يحيط بما فيه من النقص احصاء الدواوين

وهي طويلة تركتها لما اشتملت عليه من الخنا

17 ــ عبد الله بن عجال المزورى

الاديب عبد الله بن عجال المزورى ، له نظم الا أنه ليس من أهل العلم ، وربما تولا قراءة الأمداح الميلادية بين يدى أمير المومنين نصره الله ، فمن نظمه مطلع قصيدة يهنىء مولانا المنصور بالله أيده الله بفتح السودان :

أتا البشير لمن جلت مواهبه مستصحب النصر مذ تسرى ركائبه

وهي طويلة ، ومن ذلك قوله يمدح الواثق بالله ، المولى أبا فارس ابن مولانا المنصور بالله أيد الله أوامرهم ، وأجمل مواردهم ومصادرهم :

بشراك فالبشر قد حيا على طرق والنصر لبا بمجموع ومفترق

وألسن اليمن والاقبال قائلة أنعم بمسك الدجا وزهرة الفلق

أماترا قبة الابريز قد برزت تختال من خلع الأنوار في سرق

تبرقعت حللا خضرا مجددة وصب فيها غدير التبر من ودق

تخال من سندس خضر غلالتها بغيد روض من الفردوس مسترق

مفوف الآس والنسرين في شرف مفيأ الظل عن برد وعن عرق

أصولها فوق برج الحمل راسخة بطالع السعد والأضداد في محق

ومنها :

قد كحلت نرجس الأحداق من حبر زرق تباهي العيون الكحل بالزرق

وقلدت عقد قلب الملك واثقها ونقبة فوق ورد الحسن بالسرق

ومنها :

لعنبر الشجر نفحات بمفرقها فيها لمنتشق ری بلا شرق
نارنجها ولجاج الماء من عجب بحر بلا غرق جمر بلا حرق
حسناء قد أصبحت يسليك منظرها والطيب حياك منه كل ذی عبق
تبديك ما شئته من عاطر ارج أو طائر هزج أو زاهر أنق
بالواثق المقتفى المنصور ناطقة أنا المصونة عن فقر وعن فرق

ومنها :

اذ كل صنع أتا الملك الامام به بالقصر ثانی بديع القصر فی غسق
حسن تواتر ميراثاً تؤيده آثار سابقة تتلا بملتحق
عجائب من بديع النصر أحكمها تقدير من خلق الانسان من علق
من كل رائقة رقت محاسنها فی حسنها كرقيق الطل فی الورق
لله منها عروس أقبلت فجلت خد الصباح بدا فی طرة الغسق
تزفها لك أيام الهناء التی قصر المسرة عن عزم وعن قلق
لم يكفه أن جنا ورد الخدود بها حتى أضاف اليها نرجس الحدق
زهر لمقتطف زهر لمعتسف ثغر لمرتشف مسك لمنتشق
تفرد الواثق الملك الشريف بها فی زمن لم يدع شأواً لمستبق
فمن يجاريك فی مضمارها أبداً والفضل يحرز خصل السبق بالعنق
أيقنت أنك سباق لغايتها لما رقيت العلا فی أول الطلق
للعقد فی كل حال رونق عجب ولا كرونقه فی صفحة العنق
يا واثق الملك قد حسنت لی صفة لو رمت شكرك طول الدهر لم أطق
نبا لسانی عما فيك من كرم كما نبا السيف عن مسرودة الحلق
نظمت آخر علياكم بأولها فصرت تجمع منها كل مفترق

وله مما هجا به الخصاصيين :

بنـى خصاصــة لـم يجهـر لكم نسب أى والـذى خص بالقــرآن ءاسينـا
لا دين لا رأى لا فضــل يســـاد بـه بعـد أبـى الفضل يدعا صادكم شيبا

وله نظم كثير ، ومقاصده لا بأس بها . الا انه لا يعرف العروض ولا اللغــة ، ومع ذلك فكلامه كما ترا ، وهو الآن بقيد الحياة .

18 ـ أبو القاسم الوزير الغسانى

العلم الجليل علما وقدراً، العلامة المتفنن الأدرا ، بديع زمانه ورضيه، وعميده وسريه ، ذو التآليف المفيدة والعلم الغزير ، الفقيه أبو القاسم بن محمد الوزير .

من أهل فاس ، لقيته بها ، فاذا هو لعين المجد انسان ، ولأمطـار الجـود نيسان ، ولم لا وقد لاح نسبه كالشمس فى غسان ؟ وسيقت له جياد المحاسن فى أرسان . تفرد حفظه الله بعلم الطب بالحضرتين وشارك فى سائر العلوم ، أخذ حفظه الله علم الطب عن أبيه ، وأخذ سائر العلوم عن الامام المنجور ولازمه كثيراً ، وأخـذ أيضاً عن القاضى الحميدى ، وعن الاستاذ ابى مجبر ، وغيرهم من أعلام ذلك العصر ، وله جملة تآليف رفعها الى المقام الامامى الأحمدى المنصورى العلوى أعلا الله أعتابه ، منها **حديقة الأزهار ، فى الأعشاب والعقار** كتاب عجيب فى بابه لم يؤلف مثله ، يذكر سائر الأعشاب والعقاقير بما سميت به فى الكتب ، ثم يذكر اسمها بلسان عامة الوقت ، ثم يذكر خواصها على وجه عجيب . وأسلوب غريب ، ومنها **الروض المكنون ، فى شرح أرجوزة ابن عزرون** التى جعلها ابن عزرون كالمكملة لأرجوزة ابن سينا ، ومنها **مغنى الطبيب ، عن كتب أعداء الحبيب** . وذلك لأنه قدم على مقام أمير المؤمنين نصره الله بعض أكابر الروم . فأتحفه بهذا الكتاب مكتوبا بالقلم الاعجمى ، فعربه الشيخ صاحب الترجمة أبقاه الله ، وجعل له خطبة ، وزاد

فيه زيادات وأسماه بما ذكر ، أخبرني أنه كتاب عجيب ، وفيه يقول حفظه الله مخاطباً أمير المؤمنين نصره الله . ووافق ذلك الزمان، قدوم البشير بفتح السودان :

هنيئاً لك المنصور دانت لك الدنا ... وذلت لك الأملاك ذل النرهب
فضضت ختاماً لم يفض لسابق ... بفتح الزنوج والكتاب المعرب

ومن نظمه أبقاه الله في السد الذي تقدم ذكره في مآثر مولانا المنصور بالله أيد الله أمره وأطال لأهل الخافقين عمره :

سد بفاس أبو العباس سدده ... مولى الملوك ونجل خاتم الرسل
الفاطمي الرضا المنصور ذو أثر ... الطاهر المرتضا في القول والعمل
فصار مستوثق الأرجاء في رصف ... قد خلته صدفاً أو شاهق الجبل
جزيت خيرا أيا أندا الملوك يداً ... وواضع الخير في حاف ومنتعل
في عام تسع وألف تم سائره ... في مدة نزرت قريبة الأجل

* * * *

ومن نثر صاحب الترجمة حفظه الله صدر رسالة خاطب بها أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله . ونصه : المقام الذي دانت لملكه ملوك الارض ، فظلت أعناقهم له خاضعين فما يفرقون بين النفل والفرض ، مخافة اجراء العوامل عليهم فتنقلهم من رفع الى جزم ونصب وخفض ، فتطاولت الأعناق الى جلاله وجماله ، وعظمته وكماله ، من كل الجهات الطول والعرض ، فخر الملوك وواسطة العقود والسلوك ، مولانا الامام ، الشهم الهمام ، نجل الرسول عليه الصلاة والسلام . مولانا ابو العباس احمد المنصور ابن مولانا الخليفة الامام ، مولانا السلطان المعظم الكبير الشهير الخطير المهدى مولاى محمد الشيخ الشريف الحسني ابن موالينا الخلفاء الرشدين ، الهداة المهتدين ، أهل بيت سيد الأولين والآخرين ، ظفر الله أعلامه ، ووصل بالسرور والبشائر لياليه وايامه ، هذا والباعث به الى المولى أسماه

الله ونصره تجديد العهود ، وأداء ما انطوت عليه السرائر والضمائر من المحبة والخدمة وصفاء الود والاقرار بالرقيه والمحبة فى هذه الدولة الشريفة الهاشمية الاحمدية زادها الله شرفا . وبنا لها فوق الغرف غرفا الخ .

* * * *

وقال حفظه الله مضمناً بيت الشريف العقيلى :

يا عاذلى رفقاً لقد طال العنـا   والحب صيرنى رقيقاً مزرنا
خلص بجاه الحب قلب متيم   غمز الصدود عليه أعوان الضنا

* * * *

وقال أسماه الله يخاطب المولى الواثق بالله ، مولانا أبا فارس ابن مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيدهم الله وأنجدهم :

عهدت نوالا من كريم وماجد   مليك تحلا بالعلا والمحامد
أبا فارس مولى الملوك وصدرهم   حنانيك لا تحفل بقطع العوائد
وصلنى بما عودتنى منك دائماً   فما صلة الا بتكميل عائد

وله حفظه الله فى مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله موشحات كثيرة أنشدنى صاحب الترجمة جملة منها ، فمن ذلك قوله :

نار الغرام   يحمى حما   قلب بحما   غب

ضرامه يزداد   فى القلب شعلا
يا كوكبا وقاد   لماك أحلا
بقدك المياد   على مهلا

راقــى الهيـــام المدنــف الصــب مــن غيــر عتــب

يا بــدر يا جـــؤذر عـــلى عـطـفـــا

كعطفـــة المنصـور يومــاً رأى الــزحفـا

الهاشمـــى المبرور الفــاطمـــى عرفــا

حــامــى الأنـــام يوم الــوغــا الصعب من غيــر تــعــب

عـــالم يقظـــان ذو الفهـــم والدرس

فــامــع الطغيـــان ذو الفضــل والبــأس

فــذاك يــا سلطـــان أجـــلا مــن الشمس

مــــاضى الحســـام ذو الصارم العضــب مــن غــير عيـــب

بحـــر بــلا ساحــل ليس لـــه حـــد

وجـــودك الواصــل لكــل مــن يبـــدو

صدقت يــا قــائـــل ليس لـــه نـــد

ســامـــى المـــرام ذى المورد العـــذب مــن غيــر ريـــب

وقال أيضا أبقاه الله :

سقنيهـــا مسكيـــة النشـــــر فاقعيــة اللـــون كالتبـــــر

* * *

مــن كيـــوس رحيقهـــا مختـــوم بشمـــام طــرازهـــا مــرقـــوم

تحت عقـــد حبـابـه منـظـــوم وغـــزال جمالـه معلـــوم

* * *

مائــد القـــد نـــاحــل الخــصر ساحــر الطــرف بارق الثغـــر

* * *

مـن عذيرى فـى هـوا أخشـف ومجيـرى مـن رنـا طـرف
بسهـام قصـدت حتـف وعـذار حـدة السيـف

* * *

لى مجيـر بمنعـة الصبـر كامتنـاع المنصـور بالنصـر

* * *

وحدثنا صاحب الترجمة رعاه الله أنه اجتمع ذات يوم بعمر بن عبد العزيز الخطاب فأراد اختباره فى النحو ، فسأله هل يقال هلم أو هلموا ، وان قلت هلموا فلم تحملت الضمير وهى من أسماء الأفعال ؟ فلم يجد الخطاب المذكور جواباً فى الحال ، فانطق ونظر فى مظانها ونظم حكمها فى أبيات وأتا بها اليه وهى هذه :

أيـا سائـلا أضحـا يعمى على الورا فدونك ما فيه الشفـا لسقيـم
هلم لدى أهل الحجـاز منوبـة عن الفعـل وهى عنـد آل تميـم
من الفعـل حقـاً فالضمائر تعتـرى أواخره ، فالحظ بطرف سليـم
وليس يـرا ذا سابق الذكـر أولا فديتك من خـل لنـا وحميـم

فأجابه صاحب الترجمة الفقيه أبو القاسم المذكور حفظه الله بقوله :

لقد فقت أرباب العقول أمن غـدا مشاراً لـه فى عصرنـا بفهيـم
شفيت غليـلا فى هلم ولم تـدع مقـالا لذى علـم بها وعليـم
فلا زلت تسمو يا أخى وتـرتقـى وحظك موفـور بكـل علـوم
فلله من فرع بدا وأصـولـه مـوطـدة مـن سيـد وكريـم

* * *

ولصاحب الترجمة حفظه الله نظم رائق لم أقف منه الا على ما ذكر .

مولده حفظه الله على ما أخبرنا به سنة خمس وخمسين وتسعمئة ، وكان لـه حفظه الله سبط برع فى العلوم ، وفاق أرباب المنثور والمنظوم ، رحل الى المشرق ففقد هنالك ولم يدر له خبر ، وقرأ على جمله أعلام من أهل المشرق كزين العابدين البكرى ، والقاضى بدر الدين القرافى . وشيخ المالكية الامام سالم السنهورى ، وقاضى الشافعية بالصالحية الشيخ الدنوشرى وغيرهم ، وكتب الى صاحب الترجمة الشيخ القاضى الشافعى المعروف بالدنوشرى فى شأن سبطه المذكور رسالة بليغة وقفت عليها بخطه وبدأها بأبيات على حفظى الآن منها قوله :

على ذى المكرومات الشيخ قاسم   سلام ما ترنمت الحمائم

الى ذاك الوزير تتوق نفسى   يحاكى فى العطاء الوفر حاتم

متى تسخو برؤيته الليالى   . . . . . . وتقريب ملائم

* * *

وأثنا كثيراً فى هذه الرسالة على السبط المذكور ، وذكر ملاقاته مع أعلام مصر وأبحاثه معهم وشدة اعتنائه بتحصيل العلم ، وذكر هذا القاضى المذكور فى الكتاب بعينه أمداحا فى مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله، وقال للمكتوب اليه : أبلغ مولانا أمير المومنين نصره الله أنى بعثت اليه هدية ومكتوباً ، فعهدى بصاحب الترجمة قد بعث بالكتاب الى مولانا أمير المومنين نصره الله ، ومن نظم السبط المذكور قوله :

خليل لو رآه سيبويه   يقطع قال ذا هو الخليل

عجبت له يقطع كل قلب   ولا سبب خفيف أو ثقيل

* * *

وقد أجابه عن هذين البيتين صاحبنا الكاتب أبو عبد الله محمد بـن عـلى الوجدى حسبما ذكر ذلك فى ترجمته .

ومن نظم سبط سيدى أبى القاسم الوزير المذكور قوله :

استخـرج الوسيـط والوسيما — من الطويـل سـل بـه عليما
متئـد مطـرد ومنسـرد — تخرجهـا من السريـع ان تـرد
وخبب من متقـارب صـدر — معتمد عـن وافر قد انحـدر
وخـارج عن نظمهـم فريـد — وهكـذا قـل لهـم العميـد

* * *

وانما ذكرت هذا السبط وان لم ألفه لهذه الفائدة ، ولتعلم أن الآصل تتبعه الـفـروع .

19 ـ عبد الوهاب الحميدى

الفقيه القاضى السرى العلم ، المعيد فى الفضائل والمبدى ، قاضى البيضاء أبو محمد عبد الوهاب ابن القاضى أبى مالك عبد الواحد الحميدى .

من أهل فاس . لقيته بها ، فما شئت من همة انتعلت السماك وأنافت عـلى عطارد ، وجود اتبع الفرع فيه الأصل حسب ما اعترف بذلك الصادر والوارد ، وقريحة وقادة قيدت من العلوم الأوابد الشوارد ، وسماء عدل رجمت شهبها كل شيطان من الانس مارد ، أخذ حفظه الله أنواع العلوم عن أبيه القاضى الكبير الشهير البعيد الشأو الطائر الصيت بالخافقين أبى مالك سيدى عبد الواحد رحمه الله ورضى عنه ، وأخذ أيضاً عن الشيخ القصار ، والقاضى ابن عمران ، والقاضى أبى القاسـم بن أبى النعيم ، وشيخ الجماعة المفتى أبى زكرياء السراج ، وغيرهم من تلك الحلبة،

وبرع في العلوم بعد موت أبيه . وهو الآن حفظه الله قاضي البلد الجديد حماه الله ومتولي تدريس المدرسة العنانية ، وله فهم جيد ، وقوة ادراك ، ولما دخلت فاس حماها الله كان أول مبادر الى اكرامي ، وقضاء مآربي ومرامي ، فلا غرو ان شدوت بذكر محاسنه في النوادي حالي نقضي وابرامي ، لأن شكر المنعم واجب ، ليس دون شمسه حاجب ، ناولني صاحب الترجمة أسماه الله قصيدة فريدة مدح بها ولي عهد المسلمين مولانا المأمون أنجده الله مطلعها :

هنيئاً فأعلام السعود بوادي ... وفجر التهاني بالأماني مباد

خوافق بالبشرا نواطق بالهنا ... طوارق أنباء بنيل مراد

تزف لك الآمال وهي خرائد ... حوال بأنوار الجلال حواد

تسر بابلاغ المعاهد اذ سرت ... مواد بتسآد البعاد خواد

تعادى التواني اذ تعادى السرا ... أتهدو وقد أمت لأشرف هاد

نبي هدا أربا على الخلق فضله ... فكلهم منه بخير رفاد

رسول براه الله من صفو نوره ... وألبسه برداً من النور باد

امام الورا قطب الخليقة كلها ... تزكا بغايات له ومباد

يوافي الندا منه الورا غب ما سرا ... عوائد من أفضاله وغواد

ويمحو ظلام الجو ساطع نوره ... فيهدى به السارون والليل عاد

ووافق اذ فاق النبيئين كلهم ... بأخبار ماض أو بذكر معاد

وأفضل خلق الله طراً وخير من ... غدا حاضراً في العالمين وباد

وأوفاهم حلماً وأزكا خلائقا ... وأطيبهم خيماً وأكرم ناد

سما مولد فيه بدا نوره الذى ... بطلعته تبدو والنجوم هواد

بمولده تزهو الموالد رفعة ... لها السعد حاد بالعلاء وشاد

أهم ولم أملك أطير لو أنني ... جعلت ثرا تلك المعاهد زادى

له الحل ان اذ يتنيه حميده ... على طول تسئاد وطول سهاد

وما ان وها قصد عرته يد النوا ونجل رسول الله خير عماد
هو الملك الفتاك للمال والعدا على أنه أولى الورا برشاد
بحور الندا من راحتيه طوافح هوام بتسكاب السماح نواد
يحاكى نداه الجم اذ عم بالجدا سحائب قد أمت بسح عهاد
عناصر لم تسلك سوا مسلك الهدا ولم تنتظم الا بسلك سداد
يؤمن منه الحلم كل مروع ويرعب منه العزم كل مصاد
فللحلم ما أسدا نداه وما انتحا سناه وما أبدا بباد وناد
وللعزم ما أروا ظباه وما اقتنا قناه وما أردا بحضر وباد
مؤزر عضد الدين باللجب الذى تساما به فوق الروادى مرادى
يعب بأمواج جلت عن هزابر عواد لاحماء الوطيس غواد
أسود هياج فى وشيج من القنا عوال لها مات الكماة عواد
سيوف اذا شبت بهن لظا الوغا صوال على أنهالهن صواد
سمت لك أعلام السعادة فارتق مطاها فما فوق البسيط مضاد

وله حفظه الله غيرها من النظم البديع الأسلوب، أبقاه الله ملجأ للوارد والصادر والطالب والمطلوب ، بمنه .

* * *

20 ـ قاسم ابن القاضى

شيخ النحاة بالحضرة الفاسية وثمالهم ، وكعبتهم التى يطوفون بها فتنجح فى العربية ءامالهم ، الفقيه قاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن على بن أبى العافية ، الشهير بيتهم ببنى القاضى .

لقيته سدده الله واسماه بفاس مشارا اليه بالأنامل مقرا بتبريزه ، لا يدرك شأوه ، ولديه من فنون العربية كل غريبة من نضار الفن وابريزه ، مولده حفظه الله سنة تسع وخمسين وتسعمئة .

تـآليفه منها شرح مفيد على الألفية لابن مالك أجاد فيه ومنها شـرحـه عـلى الجرومية ، ومنها حاشية عظيمة على المرادى ، وأخرى على شرح الشريف ابن يعـلى عـلى الجـروميـة .

أخـذ حفـظـه الله عـلى الأستـاذ الشهيـر أبـى عبد الله بـن مجبـر ، وعلى نحوى وقته أبـى العباس القـدومى ، وعن المفتى أبى زكريـاء السـراج (102) وغيرهم من أهل تلك الطبقة ، لم آخذ عنه شيئاً لضيق الـوقت ، ولعل الله ييسـر علينا لقـاءه فى جملة الأعـلام الذين لم ألقهم أولا بمنه وكرمه ، وهو ابن عم شيخنا أبى العباس بن أبى العافية الامام الشهير أدامهما الله بمنه .

21 ــ سعيد الماغوسى

الشيخ الرحلة الراوية المكثر المتفنن بديع العرب بل الدنيا ، وحـائز قصب السبق فى العلم والتأليف بلاثنيا ، الشيخ سعيد بن مسعود الماغوسى الصنهاجى ، الشهير بالحاج أبو جمعة ، من أهـل مراكش .

لقيته بمراكش بحضرة الامامة حاطها الله ، فشاهدت اماماً حاز قصب السبق فى العلوم عقليها ونقليها ، ألبست بنات أفكاره المحاسن حللها وقلدتها بحليهـا ، وأمطرت بساتينه العلوم العقلية بوسيمها ووليهـا ، ان جرا جواد فكره فى ميـادين التصنيف كان مجلياً ، وان قاتل بجيش فهمه المعضـلات لم ير الى أن يفتح عليـه موليا ، وناهيك من علم سحب عليه المقام الأحمدى المولوى أسماه الله أذيال اعتنائه فغدا هذا الفاضل مستضيئاً بسناه مستظلا بدوحة سنـائه ، وحبس ما يصدر عنه من نظـم ونثر على عتبة هذا الامام المنصور أيده الله وفنائـه ، وولد حفظه الله فـى غالب الظن بعد خمسين وتسعمئة ، وأخذ حفظه الله عن أعـلام المغـرب والمشرق مصر والحجاز والشام والقسطنطينية العظمى وغيرها ، فمن أهل الشرق الـذين

---

102) أبو زكرياء يحيى بن محمد بن محمد السراج النفزى الأندلسى الحميرى . الامام العلامة ، مفتى فاس وخطيب جامعيها الأعظمين ، وناظر أحباس الضعفاء والمساكين فى عهد السلطن أحمد المنصور الـذهبـى . ولد بفاس عام 921 وتوفى بها يوم الجمعـة 18 جمادى الأولى عام 1007 انـظر تـرجمتـه فـى **نشر المثـانـى** 1 : 50 .

أخذ عنهم الشيخ على بن غانم المقدسى شيخ الحنفية ، وناصر الدين محمد بن محمد الطبلاوى ، والقاضى بدر الدين القرافى ، وكلهم أجاز له . وكذا أجازه وكتب له الشيخ عبد الله بن أبى القاسم القمرى الراوى عن السيد عمرو المقرى وعمر البرحى، ودخل حفظه الله تونس قبل أن يدخلها العدو ، فأخذ عن سالم الهروى ، وأبى الفتح البرشكى ، والسليطين ، وبقسطنطينة عن الوزان ، وعن الشيخ محمد العطار ، والفقيه محمد الغربى القاضى ، وقرأ على الشيخ عبد الكريم بن يحيى الفكونى مختصر السعد ، ومختصر ابن الحاجب الأصلى ، وأجاز له ، وهو يروى عن الوزان أيضاً ، وعن أخيه أبى القاسم ابن يحيى ، وسمع حفظه الله على الامام الطبلاوى بمصر بعض المغنى ، والنسفية ، والايضاح للقزوينى ، والشفا بكماله ،وسمع الألفية على أحمد بن قاسم ، والمقاصد للتفتازانى ، وأجاره فى جملة الحاضرين ، وكذا الشيخ يوسف النحوى ، وسمع على الشيخ محمد المنشى قاضى المدينة المشرفة البستى ، كان ارتحاله للمشرق وللمرة الأولى عام أربعة وسبعين وتسعمئة ، وءاب الى المغرب سنة ثلاثة وثمانين ، ووصل حضرة الامامة حاطها الله فى جمادى الأخيرة منها ، ثم ارتحل المرة الثانية عام سبعة وثمانين ، وانفصل عن مراكش حماها الله فى رجب منها ، ولقى أعلاماً أيضاً فى هذه الثانية ، وبقى بالقسطنطينية العظمى دار ملوك التركمان مدة ، فأخذ عن الأعلام الذين هنالك ، وهو الآن حفظه الله بحضرة الامامة مراكش حماها الله مقضى المئارب ، معروف القدر ، متين العلم .

تئاليفه كثيرة كلها فى غاية الاجادة ، منها **نظم الفرائد الغرر ، فى سلك فصول الدرر ،** شرح به **درر السمط ، فى مناقب السبط** لابن الأبار رضى الله عنه ، وأجازه مولانا أمير المومنين نصره الله عن هذا الكتاب لما رفعه الى خزانته العلية عمرها الله بألف أوقية ، دون ما له لن المرتب والكسا الفاخرة ءاخر كل سنة ، ومنها **شرح مقصورة الامام النحوى الشهير أبى زيد عبد الرحمن المكودى** ، ومنها **شرح التصريف** لبعض مؤلفات أحد العجم الذين بلغوا النهاية فى ذلك الفن ، ومنها

ايضاح المبهم ، من لامية العجم غاية في بابه ، ومنها **اتحاف ذوى الأرب ، بمقاصد لامية العرب** وقد وقفت على هذين التأليفين أعنى شرحى اللاميتين ، وها أنا أذكر خطبتيهما معا تتميما للفائدة ، وليكونا كالعوض عن نظم صاحب الترجمة اذ لم أقف عليه .

فخطبة شرحه لامية العرب نصها بعد البسملة :

نحمدك يا من ألهمنا حقائق الفنون العربية ، وأفهمنا دقائق الفنون الأدبية ، فسهل بصحاح جواهرها حصول الفوائد ، ومهد بمحكم أساسها أصول المقاصد ، ونصلى على رسولك محمد المؤيد من أسرار البلاغة بدلائل الاعجاز ، المورد من مناهل الفصاحة موارد الايجاز ، ففتح بمفتاح بيانها مقفلات المعانى ، وأوضح بتلخيص تبيانها معضلات المبانى ، وعلى ءاله وصحبه ذوى المفاخر والمناقب ، المعربين عما له من المعجزات الثواقب ، الرافعين لمن جزم بتصديقها الى أعلا المراتب ، الخافضين لمن انتصب لتكذيبها بعوامل السمر القواضب ، صلاة وسلاما دائمين ما دامت الحنيفة السمحاء محمية الجوانب ، مرعية السرح فى أقطار المشارق والمغارب ، وسلم كثيرا ، وبعد فلما كان الشعر ديوان العرب ، والترجمان المفصح عما لهم من الأدب ، والصوان الحافظ لمئاثرهم ، والسلك الجامع لمفاخرهم ، اذ به ترفع المطالب ، وتدفع المثالب ، وتنال الرغائب ، وتملا الحقائب ، وكان الفحص عن غرر حقائقه ، والغوص عن درر دقائقه ، مطمحا لأعين الفضلاء ، ومسرحا لأفهم الأذكياء ، لا سيما شعر العرب العرباء ، المأثور عن الجاهلية الجهلاء ، اذ هو الوساطة فى اثبات القواعد العربية ، والمرقاة المنصوبة الى ابراز فوائدها السنية ، ولذلك عدوا رواته درجة عالية ، ودرايته منقبة سامية ، اذ بهما يخلص الخبث من الابريز ، ويميز الناكص من ذوى التبريز ، وأردت أن أضرب فى ميسره بسهم ، وأغل على شربه متطفلا على بنى فهم ، فاخترت من بين قصائدهم لامية العرب ، وتتبعت أبياتها بشرح يبلغ منها أقصا الارب ، لأن ألفاظها أصبحت من الهجران فى

غداة قرة ، ومعانيها باتت من عدم الاعتناء بايلة جرة ، والذى دعانى الى ذلك غرضان سيان ، أحدهما ما روى عن عمر رضى الله عنه أنه حض على تعليمها وتحصيلها ، ونص على تقديمها وتفضيلها ، وكفا به دليلا على أنها جارية مجرا الغرة من قصائدهم ، الثانى : أن أسعفت طالبيها بقواعد تصريفية فى فصول لغوية أمهدها ، وأتحف قاصديها بفوائد نحوية فى عوائد معنوية أسردها ، لتكون لهم منارا ينتحونه ، ومثالا عند التأمل يحتذونه ، يأخذ بهم فى مجهل التوجيه الى الوجه المستنير ، ويعزلهن عن الآجن المطروق الى العذب النمير ، لعلمى أن فهم كلام الله لا يتيسر على الوجه الأحكم ، ولا يتبين معناه على الطريق الأقوم ، الا بمعرفة دقائق اللغة والاعراب ، والاحاطة بما يوجد من النكت فى كلام الأعراب ، ولأمر ما كانت دواوين الشعراء ، مضمارا لاستباق أفهام العلماء ، تنسل اليه السبق من كل أوب ، وتتجارا فى أرجاء معانيه فتأتى كل صوب ، فمن مجل بعد الشأو ، واسع الخطو ، تتخلف الحلبة وراءه ، وتعترف له بالسبق تلقاءه ، ومن سكيت مطرح خلف الأدبار ، ملطوع عن شق الغبار ، ومن ءاخذ فى القصد قد انحرف عن الرجلين ، وجال بين القطرين ، فليس بالسابق المفرط ، ولا اللاحق المفرط ، وكانوا يتفاخرون بما يبدونه من أسراره ، ويستطيبون بما يستنشقونه من عرف أزهاره ، والأيام قد درت عليهم من أخلافها ، ولم تطاهم نوائبها باخفافها ، فلم يزل ذلك دينهم فى المساء والصباح ، ومطمح نظرهم فى الغدو والرواح ، الى أن فرغ من مديد الأدب فناؤه ، وصفا من دره اناؤه ، فولت حماة حقائقه الادبار ، وأسلمتها الى أسد الفاقة الأعوان والانصار ، فركدت صباه وهبت دبوره ، وقامت قيامته وبعثرت قبوره ، فلم يزل يتردد بين النكبة والعثرة، وكلما قرع بأزمة يردف الزفرة بالزفرة، وأيامه تبز ثيابه، ومنتظروه لا يرجون ايابه ، الى أن بعث الله من فروع الدولة الحسنية ، وغصون النبعة العلوية ، صدر الخلافة القرشية وانسان عينها ، وعضد الدولة الهاشمية وابن ركنها ، قطب دائرة المجد ومركز السيادة ، وكوكب الفخر الطالع فى برج السعادة ،

فأشرقت على أنواع الخلائق أنوار معدلته ، وطمست مآثر الخلائف مآثر دولته ، حتى أن الآذان لا تسمع الا مفاخره ، والعيون لا تبصر الا مآثره ، فسقط من عين الاعتبار كل من عداه ، وكأن القائل ما عنا بقوله الا اياه :

أتته الخلافة منقادة — اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له — ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره — لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلوب — لما قبل الله أعمالها

ظل الله على بريئته ، وخليفته على خليقته ، الخليفة الامام أبو العباس أحمد المنصور بالله ، ابن مولانا الخليفة الامام ، أبى عبد الله محمد المهدى لدين الله ، ابن مولانا الخليفة الامام ، أبى عبد الله محمد القائم بأمر الله ، ملك عاد به الدهر كله ربيعاً ،وعاد على الأرامل والأيتام غيثاً مريعاً ، فاقتعد بساط الأمن والأمان ، وامتثل (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) ، وانتطق نطاق العز فى جميع منازعه ، وانطلق عنان العزم يتردد بين أجازعه ، فتهلل وجه الدهر بعد عبوسه ، وانتشا جد العلم بعد بوسه ، فسقا ما أمحل بسحائب جوده ، وأحيا ما اندرس من رسومه وحدوده ، قد أعم أهله بالأيادى ، وأحلهم فى أخصب من جوار الأيادى (103)، فأقام سوقهم بعد الكساد ، وتلافى ذماءهم قبل الفساد ، فأمطرت أنواؤهم بعد أن خوت طوالعها ، وأزهرت نجومهم بعد أن دجت مطالعها ، فتوفرت دواعيهم لاقتناء فنونه ، وتوجهت مساعيهم نحو اقتناص عيونه، فاعتاموا من بحر الطلب كل فريدة، واجتلبوا من رحب الدأب كل خريدة :

الى امام تغاديهم فواضله — خليفة الله يستسقا به المطر
الفائض النيل والميمون طائره — أظفره الله فليهنأ له الظفر

---

(103) كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الايادى ، كريم جاهلى ، يضرب به المثل فى حسن الجوار ، وقصصه فى البذل والايثار مسهورة .

ناهيك من امام شيد مبانى الفضائل وأعلا منارها ، وجدد مغانى الفواضل واحيا آثارها ، فأصبحت معارفها بواديه متلوة السور ، وعوارفها بناديه مجلوة الصور ، شموسها طالعة مشرقة الأنوار ، وغصونها مخضرة الأفنان ناضرة الأزهار .

مناقبه تربو عن العد كثرة   فآراؤه نور وأقواله هدى

جلت فضائله عن أن يحيط بها نطاق العد ، وعلت فواضله عن أن يحصرها مكان الحد ، من شاهد أحواله الامامية المولوية ، وعاين أخلاقه الهاشمية العلوية ، أيقن أنه الحبر الذى لا تمكن مباراته ، ولا تستطاع مجاراته ، والبحر الذى لا تنقضى غرائبه ، ولا تنتهى رغائبه ، والطود الذى لا تحركه الرياح العواصف ، ولا تزدهيه الرعود القواصف ، ولما سلمت هذه المقدمة لهذه البراهين الساطعة ، واستلزمت المطلوب بهذه الدلائل القاطعة ، أنتجت أنه الواقف على نهاية اقدام الفضلاء ، والعالم بتفاوت درجات العلماء ، فتحققت صدق من قال : اذا اراد الله بأمة خيراً جعل العلم فى ملوكها والملك فى علمائها :

وقلت لنفسى قد وصلت لكل ما   تمنيت من جاه وعيش منعم
ونلت الغنا والعزاذ صرت فى حما   مليك مطاع فى البرايا معظم
فيا طالباً للعلم يممه تعلمس   ويا طالباً للمال يممه تغنم
فلا زال للاسلام يعلى مناره   ويحمى ذمار الدين عن كل مجرم

ولما وقفت بعون الله تعالى لاتمامه ، وفضضت عن مسائله ختام اختتامه ، ونجز ما تعلق به الغرض من تهذيب معانيه ، وتبيين ما عسا أن يستعصى على الفهم من معانيه ، ورد كل فرع منه الى أصله ، ووصل كل معنى بما يناسبه من فصله ، حتى جاء بحمد الله سلكاً مملوءاً من جواهر الفوائد ، وعقداً مفصلا بنفائس الفرائد ، محتوياً من أمهات مسائل العربية على جل المقاصد ، متكفلا لمنتجعيه بالصلات والعوائد ، سميته **اتحاف ذوى الأرب ، بمقاصد لا مية العرب** وجعلته هدية لحضرته

العلية ، وخدمة مقربة من سدته السنية ، لا زالت كعبته تحجها أعلام الفضائل من كل فج ، وتلوى اليها أعناق الآمال من كل بلد سحيق ، وقبلة تؤمها أماثل الأنام وحصنا للاسلام ، وملجأ لأهله من حوادث الأيام ، بالنبى وءاله عليه وعليهم الصلاة السلام .

ومن خطبة **شرح لامية العجم**

نحمد الله الذى عرف الحقائق بمحكم الموضوعات اللغوية ، وألهم أسرار دقائقها بايضاح القواعد المعنوية ، وعصم من تحريف مفرداتها وجملها بتسهيل الفوائد النحوية ، فيسر ببديع لطفه تحصيل المقاصد الدنيوية والأخروية ، ونصلى على رسوله محمد البشير النذير ، الداعى الى سبيله بالكتاب العربى المنير ، المشتمل على أسرار البلاغة ومعالم الايجاز ، السالك من شعبها طرقا هى غاية الاعجاز ، وعلى ءاله وصحبه الجازمين بسيوف التوحيد منصوبات الأديان العليلة ، الرافعين للمنخفض لهم بابتداء المواهب الجزيلة ، وسلم كثيرا ، وبعد فان القصيدة اللامية المنسوبة الى مؤيد الدين فخر الكتاب الطغرائى أبى اسماعيل الحسين بن على بن محمد الاصبهانى سقى الله ثراه شئابيب رحمته ، وأسكنه من غرف الفردوس دار كرامته ، اشتمل عقدها من نفيس المعانى على درر مكنونة ، وانتظم فى سلكها جواهر من عيون اللطائف كانت عن أيدى الابتذال مصونة ، مع الجزالة والحلاوة فى اللفظ والمعنا ، ورقة انسجام تزيل كربه عن المعنى ، تبدى لمبصرها من وجهها قمرا ، وتسقيه من رحيق مقاصدها سكرا ، ترقص ذا اللب طربا من لذيذ مذاقها ، وتذهله عجبا من لطف مساقها :

ففى كل لفظ منه روض من المنى وفى كل بيت منه عقد من الدرر

ما شئت من حكم هن بمنزلة اللباب ، ونسيب يسحر ذوى الألباب ، ومثل يدرك باحتذائها المجد المؤمل ، ويتسلى بها كل من غصبه الدهر حقه وما أكثر

من يتمثل ، يشهد كل فاضل بتفضيلها على سائر القصائد ، ويعترف بتقديمها لما اشتملت عليه من الفوائد ، ولعمرى لقد جمعت أشتات الفضائل ، واستوجبت لأن يتمثل فى وصفها بقول القائل :

لها من طراز الحسن وشى منمق ومن صنعة الاحسان تاج مرصع

بيد أن شارحيها لم يشفوا غليل المتأمل ، فمن مقصر مخل ، ومن مطول ممل ، فأشار من تتعين على طاعته ، ولا يسعنى مع الأدب مخالفته ، عند قراءتها عليه ، وتصحيح ألفاظها لديه ، بأن أضع عليها شرحاً يكشف القناع عن وجوه محاسنها ، ويبرز أسرارها المحتجبة فى مساكنها ، فلبيت دعوته بقدر الاستطاعة وان كنت فيما يحتاج اليه مزجى البضاعة ، وأمليت عليها املاء يشيد مبانيها ، ويوضح بعون الله ما انبهم من معانيها ، موثرا لما يلائم طبع المتأمل من المعانى اللطيفة ، متجنبا لما يعده المنتقد من المباحث السخيفة ، ولم آل جهدا فى ايثار طرق الاختصار ، وحذف ما يؤول عند التأمل الصادق الى محض التكرار ، وأسأل من تامله ان ينظره بعين الانصاف ، ويجتنب فى نقده مذهب البغى والاعتساف ، وأن يصلح بعد التأمل ما عثر عليه من الخلل ، ولا يتتبع مواقع العثرات والزلل ، فقد جمعته وأنا متشتت البال ، أتجرع من غصص الدهر كؤوس البلبال ، لكن المفزع الى الله فى دفع حوادثه العظام ، وأن ييسر بعظيم لطفه ما تجرى به المقادير فى ضمن الليالى والأيام ، لأن اعتمادى كله عليه ، وانتظارى مصروف الى ما لديه .

وما لى على شىء سواه معول اذا دهمتنى المعضلات الشدائد

فهو حسبى ونعم الوكيل ، لااله الا هو الملك الجليل ، ثم أسفرت من مسودته غرة صباح التمام ، وجعلت مسائله تزرى على الزهر فى الأكمام ، سميته **ايضاح المبهم من لامية العجم** وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الأعظم ، المحيى ما

اندرس من آثار السماحة والكرم ، المقيم لميزان العدل بما أوتى من العلوم والحكم ، الممتثل لأمر الله فى رعيته فسلك بهم الطريق الأمم :

ملك اذا لثم الملوك يمينه نالوا بذل الحال عز مثال
وهم اذا خلعوا النعال له ترا هام العلا يطؤونها بنعال

قد نظرته الخلافة بعين الجلال والكمال ، فئاوت اليه ايواء ذوات الحجال ، الى سراة الرجال ، فحلت من سماء علاه أعلا محل وأبهاه ، وطلع شمسها منه فى برج الحمل فأبت أن تتعداه ، فطالما انتظرت أيامه التى أزرت بالأعياد والمواسم ، وركبت مهامه الطلب لتحصيلها على مطايا العزم الرواسم ، ولم تزل تقتحم موارد المشقة ، ولا يصدها عن مقصودها بعد الشقة ، الى أن امتطت ذروة شرف أخطت القرقدين من الغاية القصوى ، فألقت عصاها واستقر بها النوى ، مولانا السلطان الأعظم ، أبى العباس أحمد المنصور بالله ، ابن مولانا الملك الأشرف ، أبى عبد الله محمد المهدى لدين الله ، الشريف الحسنى ، لا زالت الأنام تنقاد لهواه ، والأقدار تسعده من نيل المطالب بكل ما يتمناه ، فهو الذى أعاد سوق العلم بعد كساده الى النفاق ، وخلص من أيدى العوائق من ذادته عن موارده والتفت الساق بالساق ، وما هو الا شمس فضل أنقذت ذويه من ظلمات الخمول ، وربيع أينعت غصون المعارف به بعد أن كسيت غبرة الذبول ، هذا وانا متيقن بأنى به كجالب التمر الى هجر ، والمفتخر بالسها على القمر ، لأن جواهر الفوائد من بحار علومه تقتنا ، وأزهاره من رياضه الناضرة تجتنا ، لكن شمائل كرمه المولوية تشفع لى بالسماحة والقبول ، وتوردنى من رضوانه مورداً عذباً من صفو الاغضاء وبلوغ المأمول ، والى الله أتضرع أن يمده بجيوش النصر والتأييد ، ويشد أطناب دولته بأوتاد العز والتأبيد :

وهذا دعاء لا يرد لأنه صلاح لأصناف البرية شامل

وها أنا أفيض فى المقصود ، معتصماً بحبل التوفيق من واجب الرجود .

انتهت **الخطبة** .

قلت : ورأيت مدحاً لهذا التأليف الذى شرح به لامية العجم صاحب الترجمة للشيخين الامامين ناصر الدين الطبلاوى الشافعى ، والقاضى بدر الدين القرافى المالكى ، كتباه على أول ورقة منه ، ونقلته ممن نقله من محله .

نص ما كتب البدر القرافى رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب وفقنى فلا أعدل عن سنن الساعين فى خير سنن ، حمداً لك يا من اليه قواصى المطالب ، ونواصى المآرب ، والى مجدك الأنفس وجانبك الأقدس نيلُ الرغائب ، ولك أتم الشكر فى المشارق والمغارب ، صلاة وسلاماً على أكمل كامل بجليل المناقب وعلى المراتب ، وعلى آله وصحبه قضاة الحق ، وهداة الخلق ، فى الغرب والشرق ، بنظر العدل الصائب ، والفكر القويم الثاقب ، صلاة وسلاماً دائمين ما عبد الله مخلص وبذل نفسه فى مرضاته فأعزه ورفع له الجانب ، ءامين ، وبعد فان سوق الفضائل لسوق الجبهابذة الأماثل لمظهر علو شأنها ، ومؤذن بعزة مكانها لامكانها ، وهى الحقيقة بأن تحفظ دعائم أركانها ، وتكلأ جوانبها المشيد محكم بنيانها وهم ذووها وحماة نظامها وحافظوها الذين انتصبوا لهذا الشأن فكانوا على ذلك أقواماً قواماً ، وأعلاما رفع لهم فى ميدان البلاغة أعلاماً وان ممن منحه الله فى ذلك مقاماًعلياً ، وأناله فضلا باهراً جليا ، ووهبه من فضلهم مقاماً سنياً سديداً ، فكان سديداً سعيدا ، العلم الفاضل والهمام البارع الفاضل ، صاحب العقل الفريد ، ساحب أذيال الفضل بكماله السعيد ، سعيد أبى جمعة ابن مسعود الصنهاجى ثم المراكشى ، لا زال علم فضله منشوراً ، ولا برح باهر فضله مشكوراً ، ملحوظاً بعناية الله ورعايته ، محفوظاً بمعقبات عظمته وشامخ عزته ، قد تمتع فكرى وخاطرى ، وأحاط سمعى وناظرى ، بما أبدعه وأبداه فى شرح لا مية العجم، وكشف به من مغلقاتها ما انعجم ، فكان لراقم بردها المؤيد الطغرائى به الجد الأتم ،

والفخر الأشم ، لما اشتمل عليه من جواهر وفرائد ، وزواهر غرر وفوائد ، قد أبدع فيه وأعرب ، وأجاد فيما بين تراكيــبه وأغــرب ، وأبدا فيه من العــجائب ما أنشــا وأطرب ، وأشرق فى هذا القطر المصرى ما به أقرب ، وأشاد بنيان ما ألف ، وجمع القلوب على ذلك وألف ، وذكر بهذا الصنع الجليل ما كان به للصلاح خليلا ، وأشرق أنوار بدائعه بحيث كان له بمنزلة المنير مفيلا ، ولو شاهده ابــن أقبرس لقال ليت كان لى فى هذه الحديقة أوفر غرس ، وقد قلت مادحاً لمؤيد الدين الحسين براعــة بقصيدة زانت لــدا التسديــد .

ولــهــا مــن البدر المنير مــكــانـــة　　　جــلــت وقــد حلت بــأحســن جيــد

ولكشف اســرار حــــوت ألفاظــهــا　　　قــر الصـــلاح لــهــا بحــســن سعيد

ولابد أن يدخر الله لبعض المتأخرين ، ما عز على كثير من المتقدمين ، فلله در هذا المنشى لهذا التحبير المنيع ، والمنمق لوشى هذا التحرير المتيع ، الذى لو شاهد اعرابه سيبويه ، لأقر بوصول الفضل لديه ، ولو لاحظ بديــع بيانه الزمخشرى ، لقال انه بسر البلاغة لحرى ، ولو رآه القاضى الفاضل أو البديع ، لشهد بما شاهد لــه من الترفيع ، ولو لمحه الحريرى لكان فى منال نسجه البارع الوسيع ، عــلى أن طريف هذه اللمعة ، وكم طنت على الآذان فكان لها مزيد السمعة ، بــدرة أبــداهــا للنظر ، ولمحة تحقق بها الخبر الخبر ، والا فنظره وراء هذا المرما ، وفضله الباهــر فى سماء السمو أسنا وأسما ، على أن الله سبحانه لم يزل يولى هذا الولاء المصرى أنظار نجباء الزمان ، ويجرى فى ميدان فضلائه السبق من أولى الشان ، اذاعة لفاخر شأو هذا الكامل وقدره ، واشاعة لجليل شانه وفخره ، فليعجب الزمان بأنباء هذا الفضل الواسع ، وليفاخر بكماله الآخذ بالقلوب والمجامع ، فالله تعالى يبقيه رافــلا فى حلل العرفان ، راقيا فى رتب أولى الشان ، مع جميل وجليل الذكر من الله الرحمن ، مىلوة آيات كماله على صفحات الأيام ، وألسنة الأنام ، وأسنه الأقلام ، ماسح الغمام ،

والله سبحانــه ولى المكافاة والقادر عــلى المكافئات ، قــال ذلك وكتبه العبد الفقير ، الراجى عفو الله الكبير، محمد بدر الدين القرافى المالكى ، سبط العارف بالله ووليه ، عبد الله بن أبى جمرة ، أنالنا الله ومحبينا بركته ، وصلى الله على أكمل الخلق الحبيب المصطفى وسلــم كثيراً .

ونص ما كتب به الشيخ ناصر الدين محمد بن محمد بن سالم بن على الطبلاوى الشافعى رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وأشرف الصلاة وأشرق السلام على سيدنا محمــد وآله وصحبه مع التكريم ، بك الاعتضاد ، وعليك الاعتماد ، وبيدك الخير والرشاد ، ولك الحمد الدائم مع ازدياد ، على مزيد أنعامك الوافر الأكرم ، ومديد نوالك الوافى بايضاح المبهم ، وبسيف افضالك بزوال الغم والهم ، ولك الشهادة النافعة اليانعة ، ولخليلك الكلمة الجامعة ، يتبعها صافى الصلاة والتسليم ، وضافى صلاة وتعظيم ، له ولاخوانه وآله وصحبه بلا انصرام ، فى العاجلة والآجلة دار السلام ، أما بعــــد ، فان أنفس الذخائر وأسناها وأحلى العلائق وأسماها ، عمرك الذى لا يعتاض عن فائت أيسره بعوض ، ولا يقوم أدنا جوهره بشىء من العرض ، فأحرا ألا يصرف ألا فيمــا تسمو به الأنفس الانسانية عن حضيض الأنفس الحيوانية ، وتعرج به فى معــارج الجــد الى مــراتب الأرواح الملكيــة ، وكان ممن فاز بالنصيب العالى ، الــحبــيب اللبيب الغالى، العلامة الفهامة الامام ، والحبر البحر الهمام، الجامع بين العلم والعمل، المشمر عــن ساعــد الجد والاجتهاد بــلا كسل ، العمدة الشيخ سعيد بــن مسعود الصنهاجى ثم المراكشى ، لا زالت أوقاتــه بالخير معمورة ، وأقواتــه بالهنا والخير مغمورة ، ولا برحت أحواله ظاهرة ، والعيون بها قريرة وأخلاقه طاهرة ، فى العلانية والسريرة ، وما انفكت فضائله فى صحائف الدوام مسطورة ، ومــا فتئت فواضله منظومة وعلى الانام منثورة ، آمين ، وحق أن يقــال فى مثلهم نفس بحر القصيــد ، البحر البسيط النضيد .

رأى لـه صـانـه رأسـاً عـن الكسل　　وعلـمه زانـه أسـاً مـع الـعمـل
وذوقـه زاده فـخـراً بـلا ريـب　　أضحـى على رتب تسمـو على الحمـل
ولطـفه قـد نما خيـراً تـراه بـه　　فى الطرف فـرداً عديم الشبـهوالمثل
حبـاه ربـى فضلا زاهـراً عطـراً　　باليسر والبشر مقرونـاً بـلا أفـل

هذا أوفر أدل دليل ، وأوضح سبيل ، على انصاف المذكور اعلاه ، ديم خيـره وعلاه ، بتلك الكمالات العظيمة ، والكمالات الجسيمة ، ما فتح الله تعـالى به علـيه ، وأسداه من كرمه اليه ، من وضع تأليف ظريف ، على منهج لطيف ، سـام شريف ، مشتمل على المعارف والعوارف ، فحصى وريف وقرينة السجع تقول الوارف ، حـل من الانسان محل الروح من الجسد ، ومثل حقيق بأن يصان عن ذى الحسد ، وأن يكتب بما ألفى على انسان العين ، سماه بما أنعم به المولى وألهم ، بـ **(ايضاح المبهم مـن لامية العجم)**وما هو الا آية بينة ، غنية عن البينة ، تقضى بكرامـة باهرة ، وتشـهد بحالة ظاهرة طاهرة ، كيف لا ولمثله تشرح الصدور ، ويتضاعف السرور ، وتكثر الخيور (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ، قد اشتمل على بدائع الصنائـع ، وصنائع البدائع ، وأعاجيب الأساليب ، وأساليب الأعاجيب ، وعـادات السادات وسادات العادات ، وحق فى مثله أن يقال بين أهل الكمال :

انظر الى بحـر حـوا دررأوقـد　　غـاصت بنـات الفكر فـى أعماقـه
فصعـدن باطنـه بـكـل يتيـمـة　　خـوفـاً على مـن خـاض فـى أعراقه

وأن يـقـال :

ففى كـل لـفـظ منه روض من المنـا　　وفـى كـل سطـر منه عقد مـن الدر

هـذا وحق على كل واقف عليه ، أن يميل بالكلية اليه ، وأن يستوقف مطاياه لديه ، وأن يقابل مرصعه ومرصفه ، ومهذبه ومؤلفه ، ومنقحـه ومصنفه ، بغـايـة الاحسان ، والجود والعطف والحنان ، على أن بذل الجوهر فيه حقير ، ودفع النقـد

فى مقابلته يسير ، والله تعالى أسأل ، واليه أتوسل ، أن يديم النفع به ويجعل على مثله المعول ، وان يجعله من الخير فى زيادة ، ويدخله فى دائرة الذين أحسنوا الحسنا وزيادة .

ءامين ءامين لا أرضا بواحدة   حتى تبلغ ألفى ألف ءامينا

هذا وقد أجزته أن يروى عني جميع ما يجوز لى روايته ودرايته من العلوم الشرعية والآلية ، بشرطه عند أهله ، والمأمول من احسانه أن لا ينساني ووالدى وأولاده والمسلمين من صالح دعواته ، فى خلواته وجلواته ، فى جميع أوقاته وساعاته ، وأن يكون للحلم والتقوا فى القول والعمل مديماً على الاشغال والاشتغال بالعلم وذلك هو غاية الأمل ، فله بذلك لسان البيان ، ورحمته يراعة البنان من أفقر الخلق وأحوجهم الى عفو الحق الغنى المغنى : محمد بن محمد ابن سالم بن على الطبلاوى الشافعى مصليا ومسلما محولقا محسبلا معظماً لا اله الا الله فى جميع الحالات ما دامت الذات مع الصفات . انتهى .

22 ـ أحمد ابن القاضى

الشيخ الفقيه القاضى ، أمام أهل الفرائض والحساب ، ذو الأدب المنساب ، الذى قضته غرماء العلوم ديونها حق التقاضى ، أبو العباس أحمد بن محمد ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى الملقب بشهاب الدين .

من أهل فاس ، لا يجارى فى علم الفرائض والحساب والهندسة ، ان بنا جداراً من ذلك لم يقدر أحد أن يهدم ما أسسه ، الى ما انضاف الى ذلك من الفقه والنحو والأصلين والعروض والأدب ، وله تآليف عجيبة يأتي ذكرها أدت من حقوق المنصور أمير المومنين أيده الله المسنون والمفروض ، ولم لا ؟ وقد اخرجه نصره الله من ربقة الأسر ، واستقر بحضرته العلية قرير العين منشرح الصدر ، وقد تقدم كيفية فدائه

واخراجه بما ينيف على العشرين ألفاً وركوبه نصره الله فى ذلك مجلى المجد بعد الجامه بعلو الهمة واسراجه ، وتقدم أيضاً ما كتب به اليه فأغنا عن اعادته(104) .

وصاحب الترجمة أسماه الله من ذرية علماء أعلام مشهورين بالمغرب ، وكان لاسلافه الاول . . . . . ة فى الملك ، لقيته حفظه الله بفاس ، واستفدت من علومه ، واختبرت منه خير رجل ، وله حفظه الله فى الكرم والتواضع ولين الجانب محل مشهور ، ومولده حفظه الله سنة ستين وتسعمئة أبقا الله وجوده ، رحل المرة الأولى الى البلاد المشرقية فحج وجاور وأكثر من لقاء الأعلام ، ثم آب الى بلاده بعد سنين ، ثم رجع الى المشرق للمرة الثانية فأسره العدو الكافر قصمه الله ، وفكه على يدى أمير المومنين مولانا المنصور بالله ابن أمير المومنين الشريف الحسنى أيدهم الله .

وها أنا اذكر جملة من نظمه فى مدحه نصره الله وغير ذلك مما شهد بتبريزه موجب قبول شهادته (105) .

أخبرنى حفظه الله أنه بلغ حضرة الامام حاطها الله يوم الاثنين الثامن من شعبان من عام خمسة وسبعين ، قال : فقمت بين يديه نصره الله بقصيدة نونية وهى :

هن العقيق عقيق العين هتان	سل عنه سلعاً فما يغنيك نعمان
كأنه عندم أوعن دم قد جرا	ماء المحاجر اذ تجريه أجفان
أظل والحزن كاس كاسر عسر	والقلب منيته الوعسا وعسفان
والجسم فى تلف والقلب فى كلف	والنفس فى سرف والقلب حيران
لم يولم الطرف ان سحت سحائبه	ولا الفؤاد اذا حلته أحزان
من وجد نجد وحزوا والقد يد ومن	تهامة والى اللحى جيران

(104) انظر صفحة 67 من هذا الكتاب .

(105) فى طرة الكتاب أمام هذه الفقرة ما نصه :

اللائق أن نكتب أولا أسماءه واجازاته وتآليفه وغير ذلك من أحواله ، ثم بعد ذلك يذكر النظم ، وهكذا افعل ان شاء الله تعالى بعد اخراجه من هذه المسودة . قاله مؤلفه أحمد وفقه الله .

من لى بظبى عزيـز الجـار ذى كرم | غـزيـر حسن لـه بالمسك خـيـلان

مهفهف أدعـج ألما نـضـير فـلا | نـظـير يشبهـه فى الحسن كـيـوان

مـا زلت يا أملى جسراً الى ألمـى | مـا همت أو رنحت فـى البان قـيـان

ففتك لحظك لـى باسم ابن ذى يـزن | وكيف لا وهـو للنسـرين صنوان

ان طـال وجـدى فئامالى بـه قصرت | وان نـأى مطلب فـالصبـر أوطـان

شـربت راح الهوا من كـأس مبسمـه | فهـا أنـا من رحيـق النقـر سـكران

ريـق وخـال وخـد والعذار بـه | خمـر ومسك وكـافور وريـحـان

فاعذب وعذب وجر وارض وصد وصل | واهجر وته أنت للبدريـن خرتـان

مـل أيـن شئت فلا قصدى سواك ولا | أسلـو هـواك ولا للـقلب سلـوان

وعـاذل رام بالاحسـان يخدعنى | فطـال ما خدع الانسـان احسـان

عـدمت نصحك لـى ان بالصلاح أتـا | فكيـف لـى وهو فى التحقيق خسران

فـرطت يا نفس أطلعت العـدو عـلى | سـرى أما لك للأسـرار كتمان ؟

أعـانت النفس أعـدائـى على تـلـفى | فـهـاهـم لصروف الدهر أعـوان

يا عجباً قدمـى عمداً أراق دمى (106) | وليس لى لـعـهـود الالف خفـران

محضتنى النصـح اشفاقـاً على بـدنى | ياليت لوكان دون النصح فـقـدان

فـأنت عندى كالأسرار فى خلـدى | أخص كـل الـورا فى النصـح يقظان

من أشـرف النـاس لم تغـل نفوسهم | وهـم أسـود لحمـل الضيم هصران

حسبـى بذكـرك بين الناس منقصـة | فـذكر مثلك فى الاشراف نقصـان

لـوكـان حقك نصحـاً ما انفعلت لـه | وهبـه حـقـاً فما للقلب اذعـان

قالـوا صبرت على الأحباب قلـت لهم | صبـرت للوجـد أيـام وحـقـبـان

قالوا اسلهم ، قلت قلبـى لا يفارقهم | قالوا اصطبر ، قلت صبرى فيه روغان

وأنـنـى سـوف أسلوهـم اذا ولجت | سـم الخيـاط مـلاقيـح وبـزلان

وكيف أسـلـو عن السكان فى خلدى | وهـم بصبح وواد النقـع سـكـان

---

106) اخذه من قول الشاعر :

الـى حتفـى سعـى قدمـى | أرى قـدمـى أراق دمـى

وهان دمـى فهـا ندمـى

من لي بهم وبباب الرقمتين وهل ... يبدو الحجون وشعب الغور والبان
وزمزم والصفا والحجر ملتزم ... والبيت والركن والمسعا وعسفان
وهل أرا طيبة يوما ومسجدها ... وهل أمر بربع فيه ألفان
وهل أنوح على باب السلام اذا ... ما جئته بوقار الحمل عصيان
أعفر الوجه اجلالا وتكرمة ... في تربة لجنود الوحي ميدان
وهل أرا الكوكب الدرى الذى خضعت ... له الكواكب والأملاك أسدان
وهل أحيى الى المختار من مضر ... وصاحبيه بقول فيه اعلان
اقول يا سيد الكونين يا أملى ... ومن به للحصا والجذع ايمان
اشفع لعان أسير طالما جمحت ... به خيول الصبا طورا وأرفان
أنت الرسول الأمين السيف بدر هدا ... هاد له من جنود الله أعوان
هو البشير الذى من نوره ظهرت ... عوالم الله ألوان وأكوان
هو النذير السراج النور من شهدت ... له بصدق وبالبرهان رهبان
محمد المجتبا من خلق خالقه ... محمد المصطفا للناس أمان
محمد المرتضا في الحشر ان حشرت ... صحف ، وعلق للتحقيق ميزان
محمد خير من فاه اللسان به ... محمد خير من أنماه عدنان
صلى عليه الاه العرش ما طلعت ... شمس وما ماس في البستان أفنان
لا تترك الصب غاو في غوايته ... وفي عماه اذا ماضل عميان
لأن لي شغفا بالنور من مضر ... ولي بآل رسول الله اعلان
لا سيما سبطه المنصور من شهدت ... له المنابر والتأييد ايوان
هو الامام الهمام العضب بحر ندا ... ذو لبدة من أسود الحرب يقظان
هو الحسام عن العلياء صيقله ... أيامه بنواصي الدهر تيجان
امام حلم له الأدسات قد خلقت ... لعدله دار دارين وبغدان
كمسك دارين قد طابت شجيته ... أو عنبر الشحر ان عمته أعكان

سـهـل اذا يمم العـافـون سـاحتـه — صعب هـزبـر عـلى الكفـار غضبان

ليـث عـدا أنه من نسـل فاطمـة — غيث عـدا أنـه بالتبـر هـتـان

سيـل بـه راق وجه الأرض وابتسمت — وجيـدهـا فيه ياقـوت ومرجـان

فـكـم بيمنته الخيـرات قـد ضحكت — وكـم بكا الرمـح والهيجـاء نيـران

هـو النجـاح لنسـر النصر ان وقفت — عـن ساقـهـا الحرب والمقدام طعـان

ان رام عسكـره أرضـاً وحـل بـهـا — شـد النواحـى ولـلاسـلام بنيـان

أبـطـالـه وسـجـايـاه ومـنـتـه — وحلمـه للـورا رفـق ورضـوان

فبحـر جـودك لـن يخزا ملجـه — وخـائـض البحر قد يـأتيه خـزيان

أنـقـذتنـى من وثـاق الأسر يا أمـلى — ومن همـوم لـهـا فى الصـدر بنـيان

لا زلت ترفـل فى العلياء فـى حـلـل — بـهـا من النصـر والتـأييد ألـوان

مـا دام ثـغـرك للعـافيـن مبتسمـاً — ومـا همـا من جـزيـل البـذل هتان

* * *

قال حفظه الله : وانما ذكرتها مع ركاكة معانيها ، وسوء ألفاظها ومبانيهـا ، لقيامى بها بين يديه يوم وصول للحضـرة العلية حين خـروجي من الأسـر ، لأن المقصو ذكر مـآثـره ومفاخره التـى تكفلت باخراجـى من ربقة الأسر ، لكن قـد يتجاوز عنها لانشائهـا حالة العنا ، وللمقصود الذى ذكرنا ، والله الموفق .

* * *

وقال أسماه الله : وقد ذكرت بنية لـى يوماً حالة الأسر فقلت :

يا أم عـز حـان بينـى عنكـم — فتـقـاطـرت لفراقكـم أجـفـانـى

أجـرت دمـوعـاً بـل دمـاً بـل مهجة — حللتهـا فتـراكـمـت أحـزانـى

أجرى دموعك للفـراق وأسعـدى — فمصيبتـى فـى الأهـل والأوطـان

وله ميلادية قام بها بين يدى أمير المومنين مولانا المنصور بالله عام الثلج ، وهو سبعة وتسعون وتسعمئة نصها :

هل بارق من حبكم يتألق ... أم وجه ليلى فى الغياهب مشرق
ان الغريمة قد تكامل حسنها ... وزها على الأقطار منها المشرق
سلسلت مطلق عبرتى شوقا لها ... انى أسير حيث دمعى مطلق
جسمى حوا ضدين من كلفى بها ... طرف غريق أى وقلب محرق
فاخال لمس الفرقدين ميسرا ... ووصالها مع قربه لا يلحق
لكن وان بعدت دياركم فقد ... يدنيكم زور الأمان فأقلق
ياجنة الفردوس يا نيل المنا ... ما حيلتى من عبرة تترقرق ؟
ان كان يرضيكم هلاكى فى الهوا ... فلحالتى رق العدو الأزرق
تيهى دلالا فى جمالك وارفلى ... ان عمك الحسن فخالك يعبق
فبخالك المسكى والركنين لا ... تقصى محباً من فراقك يشفق
انى أمنى النفس زورة حجركم ... وحطيمكم حيث الرضا يتدفق
هذا الذى أبقا لنا رمقاً به ... أنفاسنا بين الجوانح تخفق
ياهل ترا أسعا ولو عن مقتلى ... لضريح من بالمعجزات مصدق

ومنها :

يامن لواء الحمد معقود له ... أنت الرسول الهاشمى المعرق
قد لذ لى ذلى لعز جماله ... وغرامه بين الجوانح محرق

ومنها :

صلى عليك الله ما طلعت ذكا ... وأميل فى البستان غضن مورق

ومنها تخلصاً :

يا من له ذنب عظيم مثقل ... أنزل به المختار فهو الدريق
أو فاعلقن ببنيه تظفر بالمنا ... لا خير فى شخص بهم لا يعلق

لا تقنطــي يا نفس مما قــد مضـــا ... انــي علقت بهـــم وانــي معتـــق
اذ لــذت بالمنصــور نجــل المصطفا ... طــود الــى شمس المكارم مشـــرق
هــل حمده المنســوق الا جوهـــر ... بــل مدحه المنشــوق زهــر يعبــق

ومــنــهـا :

أبــطــأت حلمــاً أن تــؤاخــذ من هفا ... لكن الــى الصفــح الجميــل تسبــق

ومــنــهـا :

كـم أضحك الخيرات وسط يمينـــه ... وأسال عبــرة كل سيف يخفـــق
ليث الشـــرا غيث الورا لكــن لـــه ... جــد كــريـم هاشمــي مـعـــرق
أخصبت ربعـــاً للمكـــارم ماحـــلا ... وبنيت ركـنـــاً للعــلاء مـنـمـــق
وافتــر ثغر الدهـــر اذ سست الدنا ... ان العـــراق لعدلكـــم يتـشـــوف
أبــديت في الآفــاق عــدلا ضــافيـــاً ... تـقـفـوكـم الأمــلاك فيه وتـعلــق
سحبت بــه غــر الليالــى حـلـــة ... كالغانيـــات سحبــن بــرداً يـألــق
يهنيكــم الميــلاد من بين الـــورا ... للقــائــكـم دون البريــة يقلـــق
ضـخـم من الأيـــام أكـــرم وردء ... ضخـم من الأمــلاك غيث مــغــدق
قصــدا بــه تعظيـــم مولــد جـده ... مــن حسنــه منــه الأزاهــر تنـشق
لا زال فــي عيــن العــلا حــوراً وفــي ... أنف الــهــدا شمســاً وعدلــك يشرق
ما أعطفت عطف القضيب يــد الصبــا ... والطيــر ترقص والمـيــاه تصفـــق

وقــال أبقــاه الله مخاطباً لبعض موالينا أولاد مولانا أمير المومنين أيد الله أوامره العلية ، ونشر بنواسم التمكين ألويته العلوية :

يــا مالكــاً حاز المفاخــر والثـــنـــا ... يــادرة فــي غـــرة الأيـــــــام
يــا نجل منصــور تملكــت الــعـــلا ... فافخــر بمــا أوتيت مـــن انعـــام
ما أبصــرت عيناى جــوداً كــالــذى ... أضحــا لكــم من جملــة الــخــــدام

كـم بين من أضحـا لجودك مـالكـاً — أو بيــن من فى الجـود فى تـهيـــام
عنــد الأنـام جوادهــم من جـــوده — فــى طبعــه يحصــى مـن الاكـــرام
قـد حـزتم أسنـا المحامد والعـــلا — وخصصتـم بالمدح والاعـظـــــام
فـالبس من الحمـد المعطـر حلـــة — تـبــقـا محاسنهـا مع الأيــــام
ان الثيـاب جديـدهـا يـبـــلا ولا — يبــلا الـثـنـا من ألسـن الأقـــلام

* * *

وقال يخاطب أمير المومنين مولانا المنصور أيده الله ونصره لما أخلا النصارى مدينة أصيلة (107) :

يـا أيـهـا المنصور ابشـر بـالعـلا — الله بلـغ فـى العـدا المـأمـــولا
أنـضـاكـم سيـفـاً لحتف عـداتـه — وبـكـم غـدا سيف الردا مفلـــولا
وهـزمتم الشرك المتين بـعـزمكــم — مــن غـيـرما سيف يـرا مسلـــولا
وأذبتـم كـبـد الخبيـث مهـابــة — وفتحـتـم آرامـه آصـيـــــــلا
وغـدت من النـاقـوس صفراً بلـقعاً — يـتـلا بـهـا فرقـاننـا تـرتـيـــلا
أبـشـر لـواء الفتـح معقـود لـكـم — فـاشكر الاهـك بكـرة وأصيـــلا
أكـرم بـه من مالك بـل صـالــح — أضـحـا لنيـران العـداة خليـــلا
لازال فـــى أنف الهـدا شمسـاً وفى — عـيــن العـلاء يشـاكـل التكحيـلا

قال : وسبب قولى (لنيران العداة خليلا) أن النصارا لما أرادوا الخروج منها عملوا مكيدة للمسلمين من جعلهم البارود تحت قصبتها ، وجعلوا فتيلة نار تبلـغ البارود عند دخول المسلمين اليها ، فعصمهم الله من مكيدتهم وأرشدهم ـ أعنـى المسلمين ـ للخديعة نصرانى هرب للمسلمين .

---

107) كانت أصيلة وقعت من جديد بيد البرتغاليين فى عهد السلطان عبد الملك السعدى لما نزع ابن تودة قائد الفحص وبلاد الهبط السهم ، واستنصر بهم ، ولما توفى السلطان المذكور جعل خلفه السلطان احمد المنصور استرجاعها من يد النصارى شغله الشاغل ، ولم يزل يضيق عليهم حتى أخلوها سنة 997 فى 2 ذى القعدة منه على ما فى **الاستقصا** او فى 20 ذى القعدة على ما فى **مناهل الصفا** . وفى هذا الفتح أنشد أيضا الوزير الكاتب عبد العزيز الفشتالى قصيدته التى أولها :

بكر الفتوح لكم تهلـل بشرهـــا — وافتر عن شنب المسـرة ثغـرهـا

وقد تقدمت فى صفحة 133 من هذا الكتاب

وقال أبقاه الله خاطبنى صاحبنا الفقيه المدرس الأديب أبو الحسن بن محمد السملالى بأبيات ملغزاً فى مسألة من كلام الخليل فى باب الشهادات ونص الخطاب :

أيا من لـه فى العلـم فضـل محبـة ... وهمتـه تسمـو لأرفـع رتبـة
ومختصـراً يقرى ويوضـح لفظه ... فيحـظـا بقرب من خليـل وخـلـة
فـفـى أى بـاب جـاء فى العبـد أنـه ... جـديـر بـأن يعطـا لـه أجر خدمـة
فيبقيه دائمـاً وان شاء جاد بـه ... ولا نـزع يتقـا ولأى بـضـربـة
وان مـات هـذا العبد والمـال وافـر ... فليـس لسيـد بـه مـن وراثـة
ويورث بالتعصيـب فـاعجب لحـاله ... وهـذا غريب يقتضـى أن لحكمـة
فـلا زلت سيـدى تـزيح غيـاهبـاً ... وتـدنـى الشريـد للفـهـوم بفطنـة

قال فأجبته بقولى :

أسحر حـلال راق أم نـفـث حكمـة ... تـدل على قـدر عظيـم ورفـعـة
تنبـىء أن العلـم لا شـك آهـل ... مصـون بـأهل الفضل فى كل لحظة
على أنـنى لمـا سعدت بـقـربكـم ... وقـد نالـنـى من فضلكـم رشف قطرة
تـحـققتـه من علمكم فى شهـادة ... اذا ادخـلا حـرابـهـا وسـط ربقـة
فـلا زلت تهـدى للمعمـا بفطنـة ... وتكشف عـن فكـر غياهب ظلمـة

قال وقلت فى كتاب لبعض المدنيين خمسة أبيات نصها :

بـالله بلـغ سـلام المـذنب الـعانى ... الى النبـى الـذى من آل عـدنـان
الـى النبـى الذى ترجـا شفـاعتـه ... للناس طـراً وأحـرا المذنب الجـانى
الـى النبـى الذى ترجا كرامتـه ... وجـاء تعظيمـهـا فـى آى قـرءان
الـى النبـى الذى ترجـا كـرامته ... للعالميـن من الانسـان والجـان
صلى عليه الاه العـرش مـا طلـعـت ... شمس ، وما غـردت ورق بـأفنـان

* * *

وقال يمدح أمير المومنين نصره الله ويعارض الامام ابن حجر فـى قصيدنه الشهيرة فى المستعين العباسى :

الملك أصبح ثابت الآساس ... بابن النبى الطاهر الأنفاس

المالك المنصور منصور اللوا ... من ساد فى الأنواع والأجناس

الطاهر ابن الطاهر ابن الطاهر ... ابن الطاهر المولى أبو العباس

ابن الامام محمد مهدى الورا ... ابن الامام القائم الآساس

يروى أحاديث العلا عن مرسل ... طهرت خلائقه من الأدناس

صلى عليه الله ما طلعت ذكا ... وجرت بأفلاك لنفع الناس

فرع نما فى دوحة علوية ... فزكا شذا من عودها المياس

وألانه ريح النبوة فانثنا ... يهتز من شرف على الأفراس

من معشر ردوا الخطوب اذا طمت ... وبهم ليالى البؤس كالأعراس

الخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى فقيرهم غدا ذا باس

ماذا عليك اذا نزلت بحيهم ... أمنت من فقر ومن افلاس

ومنها :

نهضوا بأعباء الخلافة وارتقت ... همم لهم فوق الأشم الراسى

فتبارك الله المعز لدينه ... بعصابة عيذت من الوسواس

كفيت عيون الحاسدين وخلدت ... أمداحهم تجرى على القرطاس

تروى المكارم عن عطاء يمينه ... ومجاهد عنها لأهل شماس

أكرم براحته الكريمة انها ... جمعت لنا بين الندا والباس

ومنها :

لولاه للتدبير فى أمر الورا ... ما تم حال الملك بين الناس

ومنها :

وكذاك دم لاقامة الميلاد فى ... عز وملك فى دنا الأخياس

ومنها :

مولاى عبدك راجيا من فضلكم ... مننا زكت تجرى على الأنقاس

فتدارك العبد الضعيف برحمة · علوية تقصيه عن افلاس

أنكون من بعض العبيد ونشتكى · للدهر ما لاقيت من ابلاس

مالى سواك لأننى بين الورا · لكنها تجرى على القسطاس

خذها أتت شبه العقيلة تنثنى · بنضارة وحيا بفرط مياس

وتقبل الأطراف من بسط العلا · تولى السلام لخيرة الجلاس

فبعثتها تختال فى نسماتها · تسعا على العينين قبل الراس

دم فى علا والنصر يخدم سعدكم · ما أطرب النسمات للأغراس

* * *

وقال أبقاه الله ولى نظم سميته **(الدرر المنيفة فى الآباء الشريفة)** نظمته عام أربعة وألف بفاس المحروسة بالله حاطها الله :

ياسائلا عن نسب المختار · من هاشم بحبوحة الأخيار

فهاكه فى قطعة مفيده · تغنيك عن قصائد عديده

سميتها بـ **(الدرر المنيفه)** · لمبتغى أنسابه الشريفه

هو محمد بن عبد الله · صلى عليه الله من أواه

واعلم أبوه نجل عبد المطلب · سليل هاشم وذا ابن المنتخب

عبد مناف بن قصى بن كلاب · ولد مرة بن كعب بن المهاب

لؤى بن غالب بن فهر · ابن العظيم مالك بن النضر

ابن كنانة وذا أبوه · خزيمة بن مدركة (أخوه (108)

طابخة) بن الياس بن مضر · ابن نزار بن معد المعتمر

أبوه عدنان بن أد بن مقوم · أبوه ناحور بن تيرح غشوم

أعنى به ابن يعرب بن يشجب · ابن ثابت ابن الطاهر المنتخب

أعنى به اسماعيل الكريما · نجل خليل الله ابراهيما

ابن تارخ بن ناحور بن سارع · بن راغ نجل فالغ المتابع

---

108) لعل الناظم يقصد أن مدركة بن الياس له أخ يسمى طابخة ، وقد أقحم اسم هذا الأخ وان لم يتعلق به غرض ليستقيم له وزن هذه المنظومة الركيكة .

أبـــوه غـــانـد بـــن شالـــــخ وذا	أبـــوه أرفخشـــد فخـذ مجتهـــــدا
أبوه سام بن نـــوح بن لمـــــــك	ابن متوشلخ فخـــذه يرو عنـــــك
ابـــن خنــــوخ ابـن بـود ثـــم ذا	أبـــوه مهلائـــل فـعرف تجتـــدا
أبـــوه فنان فهكـذا حـكـــــــوا	ابـن أنـوش ابن شئث قـــد رووا
أبـــوه آدم أبـــو الأنـــــــــام	عليـه منـــى أفضـــل الســـــلام
ثـم عـلى المختـــار خيـــر المرسلين	أزكـــا بنيـــه الطيبـــن الطـاهرين

* * *

قلت : أثبت هذه القصيدة وان كانت فيها أبيات غير موافقة للوزن ، لكوني لم أصححها على مؤلفها أبقاه الله لما اشتملت عليه من ذكر آباء مولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، فنسأل الله به صلى الله عليه وسلم وبجميع الأنبياء أن يختم لنا بالحسنا ، وأن ينيلنا مما نروم المقصد الأسنا ، وأن يديم وجود مولانا أمير المومنين المنصور بالله ، فبوجوده أشرقت شموس العلوم على اختلاف أنواعها وأجناسها ، وفى زمانه طهرت البلاد بمياه عدله من أدناسها ، وهذا دعاء للبرية شامل » (100)

ولنرجع الى ما كنا بصدده من ذكر نظم شيخنا شهاب الدين أبقاه الله ، قـال أسماه الله من قطعة :

فان القـــوم ان منعـوك رفـــــــدا	وأرخو دون مالهـم حجـــابـــا
أتـــاك النصـــر من رب كريـــــم	جـواد ليس مـن يرجـــوه خـابـا
اذا سدت عـن الأرزاق طـــــــاق	فقـد فتـح الكريـم لـذاك بـابـا
فثق بالله فى الأرزاق واهنـــــــا	فليس الـرزق نعجـــزه طـــلابـا

(100) عجز بيت صدره : بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

وقال في ذلك أيضا :

رزقـــى عـــلى الله كـل حـــــين ليس عـــلى الكــد واليميـــــن
ان أطلب الــرزق باكتســـــاب خيبت فـــى السعـــى باليقيـــن

وقال أيضاً :

يهــدى اليــك المنا ياعبد فــى فاس فراقب الله واخـش الله فــى النـاس
واعلـــم بأن العـــلا تأتيـك طائعـــة رغماً عـــلى الأنف أو سعيـا على الراس
فاشكــر الهك اذ ولاك أنعمـــــه تولى الزيـــادة ما فى الفضل من باس
ولا تخف نقص ما أوليت مـــن مننن اذا شكرت الاهـــاً مذهب البـــاس

* * *

وقال مضمنا :

لـم أكـرم الشيب عـلى أنــــــه ينـزجـر المـرء من الشـــيـب
ومــن أتـــا الفحـش عـــلى كبـرة فانــــه مـــن أعظـم العيـــب
يا خجلتـــى يـوم وقوفـــى غــدا؟ مفتضحـا مـن عـالـم الـغـيـب
يــا رب مــا قدمت مـن صـــالـح أرجـــوه الا الفضـل مـن سيـب

وقال أيضاً :

ولمـــا رأتنـــى طويـت الحشـــا وءاليـت لا أســأل النـاس شيـــا
فقــالت ثكلتـــك مـن مـمـلـــق فقلت وأطـرقت رأســى مليـــا
فــان اراقـــة مـــاء الحيـــاة لـدون اراقـــة مــــاء المحيـــا

وقال أيضاً :

أننـــى عبـــد مســـىء مجـــرم مسرف ممـــا بـــه جف القلـــم
لا تعـــاملنـــى بقـــدرى فى الورا بـل فعـاملنـــى بفضـــل وكـــرم
يا الاه العـرش ياذا الطـــول جـد بمثـــاب لحقيـــر فـــى الأمـــم

انت جـــواد وغفـــار لمــــــــن   جـــــاء يرجـو العفو والفضل بكـم

وقال ايضا رفعه الله :

اذا ما رماك الدهـر يومـــاً بأحمـو   فكـــن مثلـــه تدعـــا مـــن النبلاء
ومهمـــا جفـــاك اصبـر له لاذايـة   وكن عـــاقلا فى جملـــة العقـــلاء

قلت : ولما حللت الحضرة الفاسية كلأها الله فى أول رحلتى ، وذلك فـى شهر صفر من عام تسعة وألف ، وجدت شيخنا المذكور غائباً بثغر سلا المحروسة لكونه حينئذ يتولا خطة القضاء بها ، فلما قدم الحضرة فى تلك الأيام وعلم بى كتب الى يستدعينى الى حضور طعام قد أعده لملاقاتى جزاه الله أفضل الجزاء :

يا سيـــداً ان زرت عبـــداً يومـــه   فى داره فالأمـــر غيـــر بعيـــــد
شرفتـه بحضوركـــم لا منقـــص   بحضـــور سادات بـــدار عبيـــد
ان زرتـــه ونقلـــت أقدام العـــلا   لمحلـــه كانت لـــه كالعيــــــد

فأجبته بقولى :

القلب منـــى فـــى جـوا والتهـاب   والجســم أضحـا عرضـة لانتهـــاب
وليـــل فكـــرى مدلهـــم ومـــا   أنـــاره الاضيـــاء الشهـــــــاب

وانما أجبته ببحر مخالف لأبياته التى هى من الكامل اشارة أنى لاجابة دعائه سريع ، وأنه كامل ، حاز أشتات المحاسن ، ومرح من البلاغة فـى روضهـا غـب الغيث المريـع .

ولما أنشده بمراكش صاحبنا الفقيه الدراكة أبو عبد الله محمد بن شيـخ الجماعة ومفتى الحضرة أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمهما الله قولـه ملغزاً فى اسم سونة (110) :

110) انظر صفحة 197 من هذا الكتاب

اسم التي قد عذبت مهجتي ... ان اسمها للحظها وصف

وسيأتي تمامه في ترجمته (III) أجابه شيخنا المذكور بقوله :

ألؤلؤ ليس له وصف ؟ ... أم عنبر الشحر الذي يصفو ؟
أم مسك دارين علا نشره ... فأفعم الجو له عرف
لا بل حلال السحر من فاضل ... من آل بيت من له نقفو
من حبهم فرض ومن بغضهم ... كفر أتا ما ان بذا خلف
لغزتم فيما بدا صدره ... كطرة في غرة تصفو
فان ضممت الصدر للعجز قل ... ست كرام ما لهم وصف
وان ضممت الصدر مع ثالث ... سن الهدا ما ان به ضعف
لهفي على ما حل في قلبها ... كأنه من حجر صنف
فما ثلاثي له أحرف ... من فوق سبع ما به حيف
وفاؤه ان كان فاء يرا ... وصف الاه للورا كهف
وان ضممت الفاء مع لامه ... فما لكم في مضمري وقف
أو عينه فعل أو اسم فما ... في قلبه دن به لطف
وعينه ان كان عيناً حلا ... للقلب من خل اذا يجفو
ووصف عبد ان بغين أتا ... والفاء باء ما به الحتف
قد ورد اللغز لكم طالبة ... من ذهنكم لطفاً له عرف
أوردته متضحاً بينة ... ذا بهجة فوق العلا يطفو
لا زلت بالألغاز ذا فطنة ... ما نم عن زهر الربا عرف

ولغزه هذا في ورد ، وقد أجابه عنه الشريف المذكور بما يأتي في ترجمته ان شاء الله (III) .

III) تقدمت الأبيات وتقدمت الترجمة أيضاً في صفحة 192 و 197 من هذا الكتاب

قال أسماه الله : وقلت مضمناً :

أتــانــى بمــاء يخجـــل البدر حسنه وقد لاح لى فى الكأس أوهمنى الغيرا
فقال هو الماء القـــراح وانمــــا تجــلا لــــه خدى فأوهمـــك الخمرا

وقـــال :

لــو سلـــم الظبــى لمــا أن مررت به ما ذا يروقك مــن بدر لـــه شنب ؟
أساقــه الممتــلى أم ورد وجنتــــه فقلت مــن أربى أنيلــــه وأبو (س)

وقال أبقاه الله :

ولما رأيت الغــانيــات تركننـــــى وقــد كــان فــى وجهــى لهن نصيب
نطقت فما ذنبـــى لكن فقلــن لـــى شبابك فضــل والمشيب ذنـــوب

وقال أيضا :

ما فى النساء مليـــح يستلــذ بــه الا التمتــع بالحسنـــاء فى الحـــال
قبحــن ما ان لعهـــد عندهـــن لمن يزعمــن ودا لــه فــى عصره الخالــى

قال حفظه الله : وقلت موريا ببنى العنبر :

لما رأيت الخـــال والخصر مـــن ألمـــى بهـــى الـثـغــر كالجوهر
قلت أمن طــى ؟ فقـــال نعــــم لكــن خـــالى من بنــى العنبــــر

وقال أيضا :

قـــد ذبت وجـــدا مــن هـــوا أهيف من لينــه يجــرح بالــوهــــم
لمــا غـــدا من طيــىء خصـــره ولحظـــه ينمـــا الى سهـــــم

وقال أيضا :

ساق كسا جسمى الضنا لما سقــا من خمـــر ريـــق يالـــه من ساق
ابدا لنــا ساقـــا تكــامـل حسنــه يا لهــف نفســى يوم كشف الساق

وقال أيضاً :

رأيت الدهــــر غض الطرف عنــــى وأخـــرنى وحظـــى فى الصـــدور
وقـــدم معشراً لهـــم حظـــوظ عظـام فى السخـافة والفجـــور
فأظهـــرت التجلـــد عنـــد هـــذا وآثـرت الخمـــول عـــلى الظهـور
وغالطت الزمـــان بكـــل وجـــه وتهت كتيـــه ربـــات الخـــدور
مخافـــة أن يـــرى منـــى لينـــا ولـــو أخنـــا بقاصمـــة الظهـــور

وقال أيضاً :

دار تنكبتهـــا والنفس راضيـــة فلا أبـــالى بمن بعـــدى بها نـزلا
فقـــد يحـــل بها من ليس يعرفهـا ولم يجـد لخلـــو الكف مـن بخـلا
لو كانت الدار رضـوا أهلها مسكت ولا ابتغا اهلـهـا عن أرضـهـا بـدلا

وقال أيضاً :

مـا أبصرت عينـــاى من منـظـــر كـتـادلا فـــى زيـهـا الأعـــجب
ومـا رأت أهـــلا كسلطانهـــا الصدر فـى الشـرق وفـى المغرب
نـصـره الله ومـــلـكـــه ملكـا عـظـيمـا فـاخـر المنصب
كـــى ينظـم الأقـطار فـــى سلكه مـن سـوس الأقـصـا الـى يـثرب

وقال حفظه الله فى اسم قمر :

غـرنـى بـدر بـدا لـى عند مـــا تهت فـــى بيـــداء حبـه استتـــر
يـــالـه كـم غـرنى من غـرتـــى كـيف لا يـغـرنـــى وهو قـــمـر

وقال أسماه الله :

ولمـا أن رأيت الـعيـس زمـت وقـربت الـنـجائب للـرحـيـــل
تيقنت الفـراق فـسـابقتنـــى دمـــوع كالسحائب فـــى النـزول
وصـــار القلب يضطـرب التهـابـا ويـذكر حـــاله حيـــن الذميـــل

ومخضوب الأنـامـل سـائـرات	عـلى أكتـاد ربـات الـديـول
فبـان الصبـر عنـى واعترتنـى	همـوم قـد تجلت عـن مـثيـل
فـصبـراً يا قـريـح القلب مـنـى	تعـز فى عـزائك بالجميـل
ولا تـجـزع وياطرفـى فـاكـفف	عـن العبـرات فاضحة الـقتيـل

وقال معارضاً قول مانى لما لقى أبا تمام حبيب ابن أوس وهو قوله :

خمـش المـاء جلـده الرطب حتـى	خلتـه لابسـاً غـلالـة جـمـر

فقال شيخنا حفظه الله :

جـهـل الحال كان بالوهـم يـدمـا	أيـن مـاء دهـاق من وهـم فـكـر

وقال أسماه الله :

أتيـه بالفقـر على ذى غـنـا	كتيهـه جهـلا بـذى فقـر
كـأنـنـى فى عينـه مـلـك	فـى يـوم عقـد التـاج للكفـر
لا أسـأل المعروف الا لـمـن	بـأمـره حكـم القـضـا يـجـرى

قال : وقلت بجبل أركان :

يـا شادنـاً ملك القلوب وحـازها	سفـكـت لـواحظـه دم العشـاق
رفقـا بمكلوم الـفـؤاد فـانـه	أنـفـاسـه تجـرى مـع الآمـاق

قال : ومعنى انفاسه دماؤه ، من باب ماله نفس سائلة أى دم جار

وقال أيضا أسماه الله مجيباً عن لغز صاحبنا الفقيه الأجل أبى زيد عبد الرحمن بن ابراهيم الدكالى المشترائى الذى أوله :

أحـاجـى فـاضـلا حبـراً نجيبـاً	ليـعـرب عن ضمـائـر مـا بفـهـم

وسيأتى فى ترجمته

فقال شهاب الدين أبقاه الله :

مصال الشهد أم سحر حلال / أم الدر المبدد دون نظم
أم الياقوت والمرجان كلا / لقين جاءنا من بحر علم
فالاثنان اللذان قد استطالا / هما قد أبليا لحمي وعظمي
فبعضهما مصحفه بهار / ذكي نشره في كل فهم
وراهب قلبه ان صحفوه / تبدا للذكي بكل وهم
وبعض فالوصال به لذيد / والا فهو ضاهى ألف يوم
وخل زارع بذر التصافي / هو الخل الذي بالبذل يهمي
وأما من أتا من غير أرض / فود بعضه من دون لوم
فلوم بعضه في القلب شاة / مصحفه يرا في صدر ام
فهنيتم به من ضيف علم / وبوركتم به للفضل ينمي
فلا زلتم ولا زالت حلاكم / بسهم الزهر للاتقان تومي
فما شيء له سلطان قهر / على الأملاك من عرب وعجم
ووصف الفضل بين الناس طراً / وألفيناه في قيس ولخم
فان عددت أحرفه ثلاث / كعلمك آخر في حال عزم
وأولاها كمثلك في كرام / اذا ما لحتم من فوق نجم
وثلثا الشيء عش دهراً طويلا / تباهي بين أعيان بفهم

ولغزه حفظه الله في عشق حسبما يظهر من كلامه لمن تأمله ، والله أعلم

وقال أيضا مجيباً صاحبنا الكاتب أبا عبد الله الوجدي أسماه الله عن لغره الذي أوله

اسم التي تيمني حبها / تصحيفه تربية للهوا

حسبما ذكرناه في ترجمته (112) :

112) انظر صفحة 89

ونص جواب شيخنا الشهاب المذكور :

باريت قساً يا فصيحاً نـوا — مكارم الأخلاق لما انطووا
شنفت سمعى بالحلال الذى — ينسى لذيذ الشعر من قد روا
ألغزت فيمن قد غدا كعبة — للحسن محبوباً لأهل الهوا
فبعضه بر لأهل الهدا — وبعضه اسم حاصل من نوا
لا زلت ما بين الورا سيداً — ما غردت مفجوعة بالنوا

قلت : ومن الغرائب أنه كتب لى بهذا اللغز الكاتب أبو عبد الله الوجدى المذكور وأنا حينئذ بتلمسان لم أعمل الرحلة الى حضرة الامامة ، فأجبته بجواب ذكرته فى ترجمته ،فوافق قول الشهاب (فبعضه) البيت حذو النعل بالنعل، انتهى

* * *

وأخبرنى شيخنا شهاب الدين صاحب الترجمة أبقاه الله قال : كنت فى عام أربعة وألف بحضرة الامامة مراكش حماها الله ، قال فبينما نحن ذات يوم جالسون فى مشور مولانا أمير المومنين المنصور أيده الله واذا بالبشير أتاه بقتل الناصر ابن أخيه أمير المومنين أبى محمد عبد الله رضى الله عنه وكان قد ثار ببعض النواحى، قال فأنشدت أمير المومنين نصره الله مهنئاً ارتجالا :

هنيئاً فى الصباح وفى المساء — بنصر جاء يوم الأربعاء
ببشرا أفعمت قلبى سرورا — وان ذاب الفؤاد من العناء
فدم ملكاً وصل بالله والبس — ثياب العز يا عين السناء
وعز الله جاءك فى جيوش — من الأملاك من أفق السماء

ومنها :

فلا زال السرور لكم رفيقاً — ولا زالت سعودك فى ارتقاء

قال : وأنشد فى ذلك اليوم بعينه الكاتب أبو عبد الله بن عمر الجرارى :

بشراك جاء الهنا والنصر والظفر — وساعدت قصدك الأيام والقدر

وخاب سعى الذى رام الوصول الى ملك له العالم العلوى ينتصر
وكيف يطمع فى الملك الذى رضيت به الملائك والأحجار والشجر
من استظل بظل الكفر وانتصرت له الشياطين فاغترت به الحمر
تعساً له من غوى خاب مقصده وخانه الثقتان : السمع والبصر
بقيت تحمى ذماراً للحنفية ما تعاقب النيران : الشمس والقمر

وقال سيدنا الشهاب أيضاً فى نور تيكجفة ، ومن خطه نقلت :

انظر الى (تيكجفة) فكأنها أغصان تبر فى قضيب زبرجد
بل هى رمح زمرد وسنانه قد موهت أطرافه بالعسجد

وقال أبقاه الله :

ساق من الترك جاف من تجافيه وكيف لا وهو قاسى القلب ذو تيه
كسانى السقم من ساق كلؤلؤة يا حسرتى ذبت شوقاً من تجنيه

وأخبرنى أنه أنشده لنفسه الأديب محمد بن يعقوب مستجيزاً قوله :

يا راضعاً خمر الكؤوس ففتنتى فى خمرتى من ريق ذاك الساقى

قال فقلت مجيزاً :

أبدا لنا ساقاً تكامل حسنه يالهف نفسى يوم كشف الساق

ثم قال :

جنب الهوا خيل الصبا فجرت بنا

فقلت :

مرحاً بميدان من الأشواق

وقال شيخنا ابن أبى العافية أيضاً أسماه الله متغزلا :

تكامل الحسن فى ظبى فتنت به فخال حاجبه نقط على النون
ما حل خال حبيبى تحت طرنه الا ليعجم نوناً غير مكنون

وقال أيضاً فى ذلك :

فطرفه مثل سهم وخده كالشقيق

ولؤلؤ الثغر منه منضد فى العقيق

وريقه فى مذاق تظنه كالرحيق

وقال أيضاً متغزلا :

ظبى من الترك حما ثغره يا ليلته عن ذا التجنى يجور

لا تنكروا اذا حما ثغره كذلك الأتراك تحمى الثغور

وقال أيضا :

شادن كالبدر مبسمه وجهه كالبدر فى الغسق

ألبس الحمر غلائله فغدا كالشمس فى الشفق

قمر كالغصن منعطف عجباً يختال فى الطرق

سرقت منه ظباء الفلا جيده والردف منه بقى

وقال حفظه الله فى سقى الخيل على اختلاف أنواعها ، ومن خطه نقلت :

يا سائلا سقى الجياد الضمر ان الغداة معدة للأحمر

والشهب تسقى مطلقاً مما جرا من شبه دمعى من عيون الأنهر

من راكد عند الأصائل شربها وكذا الحديد بنصف ليل أزهر

بختامهم يسقى لديهم أشعل فافهم سقاك الله ماء الكوثر

ولقيته يوماً بالمحلة المنصورة أعلا الله كلمتها ، وذلك بظاهر مراكش حماها الله ، وكان اذ ذاك الوباء ، فتذاكرنا أوطاننا وأهالينا ، وأيامنا بفاس ولياليناء فقال يخاطبنى :

يا شهاب الدين هلا

فقــلت :

زرت أخـــوانـــا وأهـــلا

فقــال :

بعـــدت عنـــا ديـــــار جمعـت بالقـــوم شمـــلا

فقــلت :

ليت شعرى هــل نراهــم ؟ فيعـــود الحـــزن سـهــلا

وأنشد أسماه الله عام عشرة وألف ونحن بحضرة أمير المومنين أيده الله ميلاديــة مطلعهــا :

يا كعبــة الحسن لــولا سر معنـــاك لمـــا سرا فـــى الدجا ركب لمغنـــاك
نعم ، وما أبصرت عينان من قمــــر مزمــل فـــى بجـــاد الحســـن الاك
لولاك ما رنحت ريـــح الصبا سحـرا أفنان بان اللـــوا والسفـــح لـــولاك
لولا محاسنك الغـــر التـى عظمـت ما حن من أشعث يـــوما للقيــــاك
تــرفــقــى بمحـب طالمـــا جمحت بــه خيـــول الهـوا واللهـو أفــاك
تــرفقــى طالما أسهـــرت ناظـــره شوقـــا الى مسك خــــال من محياك
لو تسألينه اتيانـــا لحضرتكـــــم سعيـــاً على الوجـه مختاراً للبـــاك
يا ربة الحلة الســوداء مـــن هيـف تيهـى دلالا فكــل الكـون يهـــواك
ميسى اختيالا فما فى الأرض من مثل لـــه كزمزمـك المـــروى ومسعاك
ولا كملتــزم والمــذنبـــون بـــه لاذوا قيامـــاً ، فمن داع ومن بـــاك
ولا كركنيــك للعافيـــن مستلـــم بـــه تساقــط مـــن أوزار نســــاك
ولا كمثل مقـام ءامـــن عطـــــر لله ذاك المقــــام الطــاهر الزاكـى
كلفتـــه دنفـــاً مما أكــابـــد مــــن شوق الى الحــرم السامـى بعليـاك
أو شوق طيبة دار الوحـى كم تليت ءاى الكتـــاب بها ردعـــاً لا شــراك

دار بها خيم الـروح الأمـــين عـلى ... خـير الكريميـن أرسـال وأمـلاك
محمد المجتبا المختار أفضـل مـن ... أسـرا به الله فـوق السبـع أفلاك
فالبـدر قـد شـق تصديقـاً لمعجزه ... والجذع حن حنين المدنـف الشاكى
والمـاء منسجـم تجرى أصابعـه ... منـه ، أيا فئة الاســلام أرواك
ومن جمـاد غـدا بالنطـق متصفـاً ... لولاك ما كان موصوفاً بـادراك
كـم معجـز أعجـز الحساب فى عدد ... ما ذا عسى من حلاكم يذكر الحاكـى
صلى عليك اله العـرش مـا طلعـت ... شمس ومـا لاح بـدر بين أحـلاك

ومنها فى مدح أمير المومنين المنصور أيده الله :

كهف ملوك الورا المنصور طود عـلا ... تـاج الملوك وفخر المعدن الزاكـى
ان رام أرض العـدا ذلت لسطـوتـه ... عصائب الكفـر من شهـم وفتـاك

ومـنـهـا :

يا رتبة الملك حزت الفخر أجمعـه ... لك الهنـاء من المنصـور منشـاك
ويا حما الملك قد دامت مسرتكـم ... ويا خلافـة ديـن الله بشـراك
اذ ساسك الملك المولى الذى عظمت ... خصاله وسنام المجد أوطـاك
ولاك ملكـاً عظيماً ليس يشبهـه ... ملـك ، وعـزاً عـلى العليـاء أولاك
وفى الخلافـة حقـاً ما له مثـل ... والعـز يا عصبة الأفلاك وفـاك

ومـنـهـا :

لولاك يا ملـك الاســلام ما نظمت ... لئالئى الملـك فى جيد بأسـلاك

ومـنـهـا :

يا مالك الدهر يا أندا الملوك يـداً ... دم فى العلا راقياً من فـوق أفـلاك
واخلد اماماً فان الملـك خلـده ... فيكـم اله الـورا من دون أشـراك

ولا تــــزل فــى ذرا العليــــا مرتقياً ما نال نــور الهــدا من نــار اشراك
ودم لميــلاد خيــــر الخلــق تكرمـه فــأنت أولى به يا أيهــا الــزاكـــى

ومن موشحاته حفظه الله قوله :

لاهتزاز البــــان وقــت السحــــر هــامــت الأرواح
وقيــــان الطيـــر فــــوق الشجــر تــجلــب الأفــراح

* * *

يا شقيـــق الــروح هــات القدحـا مــن دنــان الخــان
قهـــوة تــكسب قلبــى الفــرحـا تــطــرب النشــوان
كــل مــن دارت عليـــه شطـحـا مــن يــدى وسنــان

* * *

أوطــف الجفنيـــن بــادى الخفـــر عــاطــر الأرواح
صوتــــه يــــزرى بنقــــر الوتر يخــجــل الاصبــاح

* * *

يــا لــــه مــن شــادن تيمنـــــى خــصــره الطيــى
طــرفــه السهمــى قــــد صيــرنى لــعبــة الحـــى
مــن اذا اشكـــو لـــه مــا صادنــى لـــج فـــى الغــى

* * *

لحظـه يسطـــو بسيــف الحــور سطـــوة السفــاح
مــا لملهـــوف بـــه مــــن وطـــر بالهــوا قــد بـــاح

* * *

لا تلــــم يــا عاذلــى فى حب مــــن فـــاق بــدر الــداج
حبــــه وســـط الفـــؤاد قــد كمن مــن سنــــا وهــــاج
مــا بصـــــدرى من هـــواه مؤتمــن صاحب المــعـــراج

* * *

دوحــة المجــد سمت مــن مضر ‏ ‏ ‏ ‏ عــرفـه فـــواح

مصطفــا من قــد دعــا للحجـر ‏ ‏ ‏ ‏ فغــدا صيـــاح

* * *

يا رســول الله غــوث ومــدد ‏ ‏ ‏ ‏ يــا منيــع الجــار

أنت والله الكريــم المعتمــد ‏ ‏ ‏ ‏ لنــزيـح الــدار

كن شفيعـى يا نبيــاً لا يــرد ‏ ‏ ‏ ‏ انــك المختــار

* * *

بابنك « المنصور » فـرج غيــرى ‏ ‏ ‏ ‏ ذى السنا الوضــاح

طــاهر الأحســاب بــاب الظفـر ‏ ‏ ‏ ‏ للغنــا مفتــاح

* * *

قلت : ولما كتبت من تلمسان الى الحضرة العلية الفاسية لغزاً خاطبت بـه صاحبنا الكاتب البارع أبا عبد الله محمد بن على الوجدى وهو :

أيا ماجدا حــاز أسنــا المراتــب ‏ ‏ ‏ ‏ ويا خيــر منش وأفضــل كـاتب

أجبنى عن اسم اذا صحـفــوه ‏ ‏ ‏ ‏ فمــر بقــوم أتــا بعجــائــب

يدلهــم ان أضلــوا سبيـــلا ‏ ‏ ‏ ‏ ولكنــه قــد يغــر المصاحــب

ويسرق أيضـا وليــس تـقــا ‏ ‏ ‏ ‏ م عليـه الحـدود بمـا هو جــالب

ويعــدل نـصف القـــران اذا ‏ ‏ ‏ ‏ انــا بنت قلت جميــع المــآرب ؟

يـرا فعــل أمــر اذا زال صــدر ‏ ‏ ‏ ‏ ومن قــال ماض فليــس بكــاذب

من القـرء عدتــه اثنـــان ان ‏ ‏ ‏ ‏ أزلت حشــا منـه يـا خيـر صاحب

فـلا زلت نورا وشانيـك يـرمـــا ‏ ‏ ‏ ‏ ويقذف بالشهـب مــن كـل جانب

ودم سالما ءامنــاً فــى ســرور ‏ ‏ ‏ ‏ وعــز ونيــل لما أنت طـنــالب

أجابنى صاحب الترجمة شيخنا شهاب الدين أسماه الله بقوله :

أبـدر تلألأ بيـن الكـواكـب   فأخجـل من حسنـه كل كاتـب
أمسك تضـوع مـن نشـره   فأفعـم من عرفـه كل جـانـب
أم العقـد نظـم مـن لـؤلـؤ   فـأصبـح طـوقـاً بجيـد المغارب
نعـم لغـز جـاء من فـاضـل   نبيـه نزيـه كريـم المناسب
هو المقـرى سمـا فى قريش (113)   وقد حـاز فـى العلـم أسنا المراتب
فأشبـه فى الفضـل أصـلا ومـس   يشـابه أبـاه فليـس بغـاصب
فـلا شـك بيت العـلا بيتهـم   وبيت الجـلال وأعـلا المنـاصب
لغـزت بسحـرك مـا صـدره   كما أنت فـى العلـم بيـن الأقارب
وان زال فالصـاب طعـم لـه   وطـى الحشـا للشتـاء منـاسب
وان زال ءاخـره قـم بـمـا   تيسـر مـن مستحـب وواجـب
فلغـزك يـا قمـر العلمـا   تبيـن بالقلـب يـا خيـر صاحب
الـى كـل ذهـن لـه رمـق   يـذوق بـه من صفـى المشـارب
فمـا اسم كأنت لـه أحـرف   ثـلاث وثلثـاه جـم الغرائـب
وان ضـم صـدر الـى ءاخـر   تجـد قلـب من بالحـروب مذارب
مساويـه يكثـران صحفـوه   مـع الأقـربـاء وبـين الأجانب
وقلبـى كتـرس لـه كلمـا   تفكـرت فـى مسبـلات الذوائب
وطيـك للحشـو نـم فـى أمـان   فمـا ثـم واش يشـى للكثـائب
فـدم مثلـه للـورا هـاديـاً   كمـا يهتـدا بضيـاء الكـواكب

---

113) تنتمى أسرة المقرى الى قبيلة قريش أشرف القبائل العربية ، وممن أثبت لها هذه النسبة أديب الأندلس العظيم لسان الدين بن الخطيب فى ترجمة القاضى أبى عبد الله المقرى جد المؤلف من كتابه **الاحاطة** ، وقد ذكر المؤلف فى كتابه **نفح الطيب** 7 : 129 ان بعض المغاربة كتب على هامش الفقرة التى نسب فيها ابن الخطيب القاضى المذكور الى قريش : القرشى وهم ! فكتب تحتها العلامة أبو الفضل ابن الامام التلمسانى ما نصه : بل صحيح ، نطقت به الألسن والمكاتبات والاجازات ، وأعربت عنه الخلال الكريمة ، الا أن البلدية يا سيدى أبا عبد الله والمنافسة تجعل القرشية فى امام المغـرب أبى عبد الله المقرى وهماً ، والحمد لله . هـ وعقب مؤلفنا أبو العباس المقرى على فقرة ابن الامام هذه بقوله : وممن صرح بالقرشية فى حق الجد المذكور ابن خلدون فى تاريخه ، وابن الاحمر فى **نثير الجمان** ، وفى **شرح البردة** عند قوله : (لعل رحمة ربى حين ينشرها) والشيخ ابن غازى ، والولى الصالح سيدى أحمد زروق ، والشيخ علامة زمانه سيدى أحمد الونشريسى ، وغير واحد ، وكفـى بلسان الديـن شاهـداً مـزكـى !

ولا زلت للمشكــلات امــامـة   تحلـل مـا اعتـاص مـن كل جانب
ولا زلت يـا أحمـد كعبـة   تطـوف بهـا للعلـوم نجـائـب

واللغز الأول فى قمر ، ولغزه حفظه الله فى نجم .

واجتمعنا ذات يوم مع جملة أعلام بالحضرة الفاسية ، فأخرج لنـا بعض أصحابنا شرح لامية العجم للامام صلاح الدين الصفدى رحمه الله ، فرأينا فيه بيتاً فردا منسوباً للشرف العقيلى وهو :

خلص بجاه الحب قلب متيـم   غمـز الصدود عليه أعـوان الضنا

فسأل بعضهم تضمينه فضمنه الحاضرون وغيرهم حسبما ذكرت تضمين كل واحد فى ترجمته ، فقال صاحب الترجمة فى ذلك :

أمعذبى رفـقـاً عـلى جسمى الـذى   حكمت فيه ظبـا القواضب والقنـا
يا قاسياً ما آن للرحمـى مـدا (114)   كـم هكذا جسمى وقلبى فـى عنـا
« خلص بجـاه الحب قلـب متيـم   غمـز الصدود عليه أعوان الضنـا »

قلت وضمنته ارتجالا – وهم حاضرون – بقولى :

ولقـد أقـول لمن برانى حبـه   والقلب من أسر المحبـة فى عنـا
« خلص بجـاه الحب قلـب متيـم   غمـز الصدود عليه أعوان الضنـا »

* * *

وكتب الى مولاى العم المفتى الامام أبى عثمان سعيد بن أحمد المقرى أدام الله وجوده يستدعيه اجازة ، ونص الخطاب :

الحمد لله الذى نزل أحسن الحديث ، ورفع أهله العالمين فى القديم والحديث، وقيض له نقاداً جهابذة يذبون عن حوزته تحريف الجاهلين ويميزون بنقدهـم الصحيح والحسن والضعيف والطيب من الخبيث ، وبان لهم بذلك المرفوع مـن

(114) أى أما آن وقت ترحم فيه ؟

الموضوع ، والمتصل من المقطوع ، وقامت بهم ملكة يتحققون بها النبوءة فعلت بذلك درجات حملة السنة ورواة الحديث ، فلولاهم لامحت منه الرسوم ، والتحق الموجودة بالمفقود والمعلوم بالمعدوم ، وادلهمت وجوهه المشرقة ولا ميزت العروة الوثقا من السبب الواهى الرثيث ، والصلاة والسلام على من ارتدا بالمجد وانتعل بالفضل الأثيل الأثيث ، وعلى ءاله وأصحابه الطيبين الطاهرين الذين ورثوا عنه العلم فشرفوا بذلك التوريث ، وبعد فيطلب العبد الضعيف الوجل من ذنبه المختشى ، من السيد الكامل أبى عثمان سعيد بن أحمد المقرى القرشى ، الذى ملك أزمة العلوم ، وحاز قصب السبق فى المنثور والمنظوم ، أن يتفضل عليه بالاجازة العامة ، الجامعة التامة ، فيما لسيدنا من مروى ومقروء ومجاز ومسموع. وأن يتفضل بذكر مشيخته الأعلام من حماة الدين لأهل الاسلام ، وأن يبتدىء بالمسلسل بالاولية حديث الرحمة ليكون آول مروى العبد عنه وله الفضل العميم، والثواب الجسيم :

ولما نأيتم ولم أستطع ... أسير لحضرتكم بالقدم

سعيت اليكم برجل الرسون ... وخاطبتكم بلسان القلم

فأزكا سلام لخير امام ... أخص به « المقرى » العلم

سعيد بن أحمد نجم العلا ... سراج الهدا فى دياجى الظلم

فانى استجزتك من أرض فاس ... لتسعف يا بحر علم فكم

لما صح عنكم وجاز لكم ... رواية كل بشرط متم

فلا تحرم العبد من فضلكم ... ومن فيضكم راح رشفاً بفم

فدمتم ودام العلا تالياً ... لكم والأمانى كبعض الخدم

وسلم بفضلك يا سيدى ... على كل من حاز فضل القلم

كذا عن بنيك الكرام الأولى ... تحلوا حلاء العلا والكرم

ولا تنس عبدك من دعوة ... يفوز بها من دواهى النقم

ومن كل هول ومن كل شر ... ومن كل كرب بيوم الندم
وكاتبه أحمد راجيا ... شفاعته يوم زل (115) القدم
سليل محمد نجل الذى ... بعافية فى الورا متسم
بتاريخ تسع وألف مضت ... لهجرة خير الورا والأمم
عليه صلاة وأزكا سلام ... من الله ربى بارى النسم

وسلام كريم يعتمد سيادتكم العلمية ، من كاتبه أحمد بن محمد بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى كان الله له بمنه

ووقع من صنو أبينا المفتى سيدى سعيد أسماه الله الجواب بنظم اخترعه العدل الفقيه أبو عبد الله الحباك رحمه الله ، أمره بذلك مولانا العم المذكور فقال

الا مرحباً مثلما المسك نم ... وأهلا وسهلا كقطر الديم
وبشرا كنيل الغنا للعديم ... وكالبرء بعد الضنا والسقم
وكالوصل من بعد طول الصدود ... وكالنوم فى عين من لم ينم
بمن قد أتانا برجل الرسول ... وخاطبنا بلسان القلم
سليل ابن عافية أحمد ... رئيس العلوم ومبدى الحكم
وقطب الثناء وشمس السماح ... وغيث النوال وبحر الكرم
سلام كآساس علياكم ... كريم مديد نميم يعم
يروقكم حبره مقلة ... وقرطاسه مبسماً يتسم
يخصكم ثم أحبابكم ... وكل الذى حاز فضل القلم
ومن بعد ذا اننى قاصر ... مقر بجهلى بين الأمم
ولست بأهل لما قد طلبتم ... وما قد ظننتم بنا من همم

115) مصدر زل ، أى يوم تزل القدم

وطلب الاجازة من مثلنا ... أدل دليل وأقوا علم

على أن أهل العلوم مضوا ... ولم يبق منهم على الأرض فم

ولكن أجزتكم مكرهاً ... ولا بطل بل لأمر مهم

بما صح عنا وجاز لنا ... رواية كل بشرط متم

فسوف يجيئك رسم بذاك ... الى أرض فاس وقيت الألم

وعشت سعيداً ومت شهيداً ... وساعدك السعد بين الأمم

ويطلب منكم سعيد دعاء ... بحسن خواتمنا يختتم

كتبت بتاريخ تسع وألف ... مضت بعد هجرة مجلي الظلم

عليه من الله أعلا صلاة ... وأزكا سلام وأنما كرم

* * *

وكتب لمولانا العم المفتي أدامه الله مع هذا الاستدعاء نظماً آخر في شأني ، وهو مما يدل على عظيم قدر صاحب الترجمة أبقاه الله ، والا فاني دون ما يظن بمراحل ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ونص ما كتب :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً

ينهى لعلامة الأعلام ، وحجة الاسلام ، السيد الصالح المجيد ، أبو عثمان القرشي سيدى سعيد ، أبقا الله بمنه وجوده ، وأدام سعوده .

سعدت بغرة وجهك الأيام ... يا سيداً دانت له الأعلام

يا بحر علم ان طمت أمواجه ... قذفت ببدر شاده الاسلام

خطبته من حور العلاء عقيلة ... عرفته مذ حليت به الأيام

فتبارك الله المعز لدينه ... بعصابة شرفت بها الأقلام

من ذا يساجل في العلاء حلاهم ... هيهات ما البدر المنير يرام

أرسلت للغـــرب القصى بــــــدرة ... قـــد أبهـــرت وغلت لهـــا الأســـوام

جمـــع العلوم عـلى حداثـــة سنـــه ... قـــد بــارك الله بـــه العــــــلام

أكــرم بـــه من عــــالم علامــــــة ... جمـع العـــلا وزكت بـــه الأحـــلام

بيت بـــه طــاق العلـــوم وأسرجت ... لهدايـــة بمنــــاره الأفهـــــــام

فجزيت خيـــراً يـــا سعيد عن الورا ... بابن الأخ العـــلامـــة الصمصــــام

أدبتـــه هذبتـــه علمتـــــــــه ... ما ان يقـــاس بعلمـــه بهـــرام (116)

ضاءت بكـــم يا مقرى سما العــــلا ... وعلت بكـــم بين الـــورا أقــــوام

دامت كرامتكم ودام المجـــد فـــي ... أكنافكـــم ما جلـــت الأقــــــلام

وكريم السلام ، يعتمد سيادة الصالح الامام ، واولاده الأعـلام ، فـرسان المنابر والأقلام ، من أحمد بن محمد ابن أبى العافية الشهير بابن القاضى ، خـار الله له بمنه وكرمه .

ولما استجازه نائبه بمحروسة سلا الفقيه الأديب حسين بن أبى القاسم الملولى الدرعى مروياته بقوله :

أراوية العلـم الـــذى زانـــه العمل ... وكعبة أفضال يطـوف بهـا الأمـــل

ويا دوحـــة الفضـــل الذى طاب محتداً ... وطاب نجاراً وارتـدا الجـد واشتمل

عبيدك بالنعمـا حسين بن قاســـم ... وقـــاه الـــه العرش من وقفـة الخجل

ببــاب الهدا يبغـى اجازة سيـــد ... به يرتجـــى من ربـــه نيل ما ســأل

ليشرف اذ يدعوك شيخـاً وينتمـــى ... لجانبك الرحب السليم من الدغـــل

وينظـم فى سلك الذين تحملـــوا ... تفاريع هـــذا العلـم عنك بـــلا خلـــل

---

(116) أبو البقاء ابراهيم بن عبد الله الدميرى ، تاج الدين قاضى القضاة بمصر ، وأحد كبار فقهاء المذهب المالكى ، وهو أجل من تكلم على مختصر خليل ، توفى عام 805

أجابـه بقولـه :

أجزت لكم ما قد رويت اجـــازة ... معممة فى كـل ما العبد قـد حمـل
وما صح عنه من نظام وما لــــه ... من النثر والتأليف مع كل ما نقـل
وفى كل مقروء تثبت عنـدكـم ... وفى كل مسمـوع بدا ما به خلـل
وكل مجـاز ثـم كل منـــاول ... فدونك فارو العلـم واقرنه بالعمـل
وكاتب هـذا أحمـد بـن محمـد ... ويعرف بابن العافية مكثـر الزلـل
بتاريـخ ألف بعـد هجـرة مرسل ... عليه صلاة الله ما النجـم قـد أفـل

وخاطبه ببيتين وهما :

بشعلـة مـن شهـاب ... أحـرق كـل حسـود
فهـو المـلاذ المنيـع ... أحـرق كـل حسـود

قال الشهاب حفظه الله : فأجبته ، وكنت ألقبه حسام الدين ، على عـادة المشارقة فى اسم الحسين .

قلدت للمجـد سيفـاً ... صلت بـه فـى الأنـام
ولا غـريـب لأنـى ... محـصـن بالحسـام

قال الشهاب حفظه الله : وكتبت له من التورية فى اسم داود سنة ثمـان وتسعين وتسعمئة :

ومعشوق كلفت بـه زمـانـاً ... بديـع الشكـل ذى عقـل ولـب
فـان تخبـر شمائلـه تجـده ... عـزيـز النفس ذا ود وحـب

وقال شيخنا شهاب الدين أيضاً حفظه الله من المعمى فى اسم عمرو :

العين شاعت فـى الـورا ... فى ذا الزمان الفـاسـد
مـر حبيبـى مـدنـفـاً ... مـن بعـد عيـن الحاسـد

وقـــال مضمنـــاً :

وأهيف قـد بابلـي لواحـــظ ... جنونى بـه فـى العـاشقـين فنـون
تبـدى بصبح الجيد فاشتقت قربه ... « ألـذ الكـرا عند الصباح يكـون »

وقال مضمناً أيضاً :

وقائلـة لمـا رأتنـى مملقـا ... أتنفـق جـوداً بعـد عسر وتبـذل
فقلت لها كفى الملامـة فى النـدا ... « هى النفـس ما حملتهـا تتحمـل »

وقال أسماه الله ملغزاً فى دينار :

فما اسم له حرف خمسـة ... ولكنمـا حرفـه واحـد
اذا زال ءاخـره شرعـة ... لمـن ربـه عـالم قاصـد
وان ضـم قلب لأولـه ... فطيب يطيب بـه الـزاهـد
وقلبك منه وعـاء لمـا ... تـألـم من فعلـه العـابد
وان ضم أولـه للـذى ... بـآخـره جوهـر مـاجـد
وان زال قلب فجمـع لمـا ... تفقـده الغـائب الرائـد
وان زال قلب ومـا قبلـه ... فمفـرد ذا الجمـع يا واحد
وان زال قلب وما بعـده ... فشيخ النصارى به قاعـد
وان زال صدر وما بعـده ... فذو لهب جـاءه المـارد
فان نار فى مقـولى بعضـه ... كما نار دين بـه شاهـد
فلا عجب اذ كلفـت بـه ... فمنه المفـاصل والساعـد
فحلوا اللغيـز فلا غيركـم ... يجود به أيهـا الماجـد
فلا زلتـم تمتطون العـلا ... مدا الدهر ما أمكم قاصـد

وقال حفظه الله لما أطلعنى صاحبنا الأديب محمد بن يعقوب على معمى له فى اسم عـامر :

فديتك من وجدى وقلبـــى طـائـــر أبيت وجفـــن العيـن منـى سامـــر
وليت الذى أهواه رق لـــذى الهـوا وأضحا لعينى واصلا وهو آمر (117)

قلت فى الاسم نفسه :

رمـا قلبـى بسهـم اثر عين أصابتنى مليـح الوجنتـين
فلا تعذل على جـزعى فانـى مصـاب اللب ذو هجرولب

قال وقلت فى اسم على :

سبانـى بابلى النغمـــة بديـع الحسن ذو لمـــه
فـان تخبـره تلفـــه عـلى القـدر والهمـــه

وقـال أسمـاه الله ممـا خـاطبت بـه صدر الأفاضل الأديب ابن يعقوب المتقدم الذكـر :

وفتا تقدم من تقـادم فـى العـلا أكرم به من عمـدة وحميـــم
حاز المفاخر كلهـا متقدمـــاً والصدر محمـول عـلى التقديـم

قال : فأجابنى بقوله :

أوريت زند قريحـة وقـــادة ولهيب عقلـك بالذكـا مشبـوب
أبدا الشهـاب لنا العجاب بنظمـه وكذا الشهاب على الدوام مصيـب

وقال أسماه الله لما خاطبنى صاحبنا بديع الزمان أبو عبد الله محمد بـن ابراهيم الفاسى رحمه الله بقوله :

اذا رمت أن تحظا بكـل فضيلـة ويرفع عنك سترهـا وحجـابهـا
فواف شهاب الدين وانـزل بأرضـه تجدها سماء والشهاب شهابهـا

117) فى الطرة أمام هذا الشطر : لم يثبت فى الأصل وأضحى ، وانما هو بياض

أجبته بقولى فيه :

أبدا من السحر الحلال عجائبـــا حسبى علاه فى الأنـــام أذيــع
لا تعجبوا مما بدا من فضل مـــن بهر الأنـــام فانه لبديـــع

وقال أسماه الله : لما استدعا منى بديع الزمان المذكور ما تأخر من نظمى سنة تسع وتسعين وتسعمئة كتبت له هذه الأبيات :

حسبى من الحب ما أضمرته وكفــا ومن دموعى ما بالخد قد وكفــا
وقد رضيت بما أبقيت من رمقـــى وان على القلب جيش السقم قد وكفا
بالله رفقاً على قلب حللت بــــه وارحم خضوعــى يامن ملنى وجفــا
واعلم بأنى رضيت الحب منـــزلة وفى مغانيه لذ العيش لى وصفــا
تبــارك الله لاحــى يمــاثلكـــم ما ان يصفكم على الأطـلاق من وصفا
لله درك ما أحلاك فـــى خلـــدى يا سيدا فى مغانى الحسن قــد وقفا
يا كعبة الفضــل يا بيتاً أطوف بــه ما ذا الجمال الذى قدامكم وقفــا
وقفت فى عرفات العرف أسالـــه وصلا فأنقذنى من هجـــره وعفــا
ياما أمليح بعد الهجـــر وصلهـــم ان أقفر الدهـــر من هجرانهم وعفـا

وقال أسماه الله متغـزلا :

يا شاذنا لفـؤاد الصب قد قطعـــا رفقا بمضنا شتات الحب قد جمعــا
لا تهجــرن كئيبــاً ذاب من كمـــد يا وقفة البان صنو البــدر اذ طلعــا
بعقرب الصدغ بالقد الرطيب جنــى بأرقم الشعر اذ للقلب قـــد لسعــا
بما حوا الجيد من خال ومن هيـــف بما حوا الخصر من لين اذا ارتفعــا
جد لى بوصل ولو فى النوم يا أمـــلى هذا التجنى فؤاد الصب قد نزعــا
فاعذب وعذب وصل واهجروصد وصل كن كيف شئت ففيك الحسن قد جمعا
لا تتلفن فؤاداً أنت ساكنــــه يا ثمرة القلب ان القلب قد قطعــا

وقال أسماه الله وأطال وجوده :

غريرة ان نأت لسعت فـــــؤادى　　　وان وصلت فدريـــاق السليم (118)

تبشر بالصـــلاح بكــل وقـــت　　　وان زارتـك فى الليـــل البهيـــم

تـكلمنـى بلحـــظ أو بلفــــط　　　وتوجب فى الهـــوا مطـــل الغريـم

كأن المسك ان فـاحت شذاهـــا　　　نسيـــم من نسيـــم من نسيـــم

وقال أيضا حفظه الله :

الحسن فى القلب والاحشــاء أسراك　　　فامنن علـى فانـى بعـض أســـراكا

لا تجف صباً تجافـــا عنــه مضجعه　　　وبات بالسقم مختـاراً للقيـــاكـــا

بالله رفقـاً على قلب حللت بـــــه　　　لا تنصبــن حبــال التيـه أشراكـــا

وقال أسماه الله من قصيدة يمدح بها أمير المومنين المنصور بالله أيده الله ويهنئه بفتح السودان ، وهى من غر قصائده ، مطلعها :

بشراك بالفتـح المتيـــن المتـــاح　　　قطفته بين القنا والصفــــاح (119)

ومـــــهـــا :

قد فتـح السودان من حــــزمــــه　　　شهم الملوك الصيد طـود السمـاح

الطاهر المنصور من هـــاشــــم　　　بحــــر الندا منى أراش الجنــــاح

---

118) الدرياق لغة فى الترياق : دواء تدفع به السموم ، والسليم : اللديغ أو الجريح المشرف على الهلاك ، سموه به تفاؤلا

119) أورد عبد العزيز الفشتالى فى **مناهل الصفا** الأبيات التالية من هذه القصيدة :

قـد دوخ الأرض وأقطـارهـــا　　　وعم بالصيت بسـط البطـــاح

فليهنك النصر الذى حزتــــه　　　دون الملوك فى مغانى الكفـاح

واسعد فقد دانت ملوك الـورا　　　لما رأت فى الانقياد النجـــاح

أحمد المنصـور طـود العـــلا　　　واسطة العقد وبحـر السمـاح

رجت بلاد السود مـن جنـده　　　فافتتحت بالسيف أى افتـاح

فتـــح متيـــن هـــو تاريـخــــــه فابشر بفتـح للنواحـى افتتاح (120)
لا زالت الأقطـــار تعنـــــو لكـــم من سعدكم طـــول المـــدا تستباح

وقال حفظه الله وأسماه :

ويدخــــل الجنـــة عـــشر ذكـروا كبـــش الذبيـــح أمـــره مـقـــرر
ناقــــة صالــــح وحـــوت يـونــس هدهد بلقيس فخـذه وائتـــــس
وعجــــــل ابراهيـم ثـم البقـــــره وناقــة المختــار فاعـرف خبـــره
وكلب أهــــل الكهـف ثــــم النملة ثــم حمـــــار لعزيـر مثبــــت
وجاء عن مقــاتل ما قد ذكــــــر فدونك العلـــم وحقـــق ما سطـــر

وقـــال :

يا مالكى رفقاً على جسمى الـــــذى أضنيته بجمالــك الفتـــــــان
واستوص بى خيراً فانــــى مدنـف أبداً أجـــود بدمعـــى الهتـــــان
فبخالك المسكـــى الذى عاينتـــه فى جبهـــة لمعاقـــد التيجـــــان
لا تحرمن شفتى من لثـــــم لــــه ولوجنـــــة حمـــــراء كالعقيـــــان

وقال أسماه الله ملغزاً فى اسم زينب :

اسم التى نفت عن الطـرف الوســن اذا تصحفـــه فقلبـــــــه حســـن
ونصفـه زى التقـــا معظـــــــم عند ذوى الفضــل ومن يدعـــا أسن
وان أزلت صـــدره فما بقـــــى ينب عــن المحذوف يا نعـم السكن
وآخـر ان زال زيـــــن للفتـــــا علم به يدعـــى من أربـــاب الفطـن
رتبت تصحيفـــاً لــــه فى مقــولى وهو رشاً أسكـــن فى القلب الحـزن
تالله قـــد أبديـــت ما أخفيتـــــه من لغـز أحلا من الشهـــد الحســـن

120) رواية هذا البيت فى **مناهل الصفا** :

فتح مبين هـــو تاريـخـــــه ينمو على الأرض مديد الجناح

وقد أجابه عنه صاحبنا الفقيه الكاتب الأديب أبو عبد الله محمد بن على الوجدى حفظه الله حسبما ذكر فى ترجمته (121) :

وقال أسماه الله فى نظم ابتداء بنيان مراكش حاطها الله ، وأتا بتاريخ ذلك على طريق المشارقة فى ذلك ، وله فى ذلك اليد الطولا ، وانما يحسن ذلك اذا اشتمل على تورية ، وهو حفظه الله يحافظ على ذلك كثيراً ولم يقع له الا بتورية :

يا فاضلا مؤرخاً   بالفضل والتاريخ ساد
مراكش تاريخه   البلد الحسن جاد

وقال أيضاً فى ذلك ، من المتدارك المخبون :

بلد قد شاده لمتونة   باستقام فياحسنه وطن
مراكش فاعلم وأبن تا   ريخه جاد البلد الحسن

وقال حفظه الله مما كتب فى مقص المولى الواثق بالله أعزه الله بالذهب :

عانقته كيلا أذوق فراقه   كالسعد عانق واثق المنصور
فاذا توسط حاسد ما بيننا   نفريه فرى لواحظ اليعفور

وقال أسماه الله :

يا سائلا طبعه للعلم منحرف   وقلبه باصطلاح الناس مشغوف
الكم كلية جزئية ذكروا   والكيف بالسلب والايجاب موصوف

وقال أسماه الله فى الأشياء التى يقبل فيها قول المدعى مع يمينه الا القاضى فى الوجهين وهى مسطورة فى كتاب **(التنبيه والأعلام)** لليفرنى رحمه الله :

---

121) انظر صفحة 129

فحائـز العشر ومـودع وقـاض ومن غصب ثـم المـدمى لا اعتراض

والـزوج فى اللعـان واللـص اذا أتـا بشيء وادعـا الغير العـدا

كـذاك سمسار وسـارق ومـن يختـطـف السرة حشوهـا الثمـن

ونهبـاء الدور والمغتصبـه قبل قولهـم فهـاك المرتبـه

مـع يميـن الكـل الا القاضى قط يقبل فى الحاليـن من غير شطـط

وقال أيضاً :

لـولا ولومـا ثـم هـلا وألا ألا اذا وليـت المستقبـلا

فهـى للتحضيـض أو ان وليـت مـاض فللتـوبيـخ حقـاً رويت

وقال فى مستحقى الحضانة :

الأم والجـدة مـن بعـدهـا بعدهمـا الخـالة والجـدة

أعنـى التـى للأب ثـم ابنهـا والأخت للمحضـون والعمـة

ثمت بنت الأخ يتلـو لهـا عصابـة قـد تمت العـدة

وقال فى الرسوم التى لا تنسخ :

ديـن كتـابة وصيـة فـلا ينقـل صكهـا كـدم نقـلا

وقال أسماه الله فى أسماء الأطعمة :

عقيقة (122) مأدبة (123) عتيره (124) خرص 125 نقيعة 126 كذا الوكيره 127

كذاك اعذار (128) وليمة (129) جرت للعـرس بعـد الـزف يوماً شهـرت

122) شعر كل مولود . والشاة التى تذبح عن المولود يوم اسباعه عند حلق شعره

123) طعام يصنع لعرس أو مطلق دعوة

124) شاة كان العرب يذبحونها لآلهتهم فى شهر رجب

125) طعام النفساء ، وهو بالتاء أيضاً

126) طعام يصنع للقادم من السفر

127) طعام يعمل عند الفراغ من البناء

128) طعام يتخذ لسرور حادث ، وخصصوه بطعام الختان

129) طعام يتخذ لجمع أو دعوة

وقال حفظه الله فى الأشياء التى يكتفا فيها بالعدل الواحد على خلاف فى جلها :

ما يكتفا فيه بعدل واحد — والخلف فى الأكثر صف للماجد
وهى مزكى السر والمجرح — محلف وقائس من يجرح
وترجمان قائف وقاسم — محوز ثم طبيب عالم
وبيطر وناظر العيوب — وكاتب القاضى الزكى الأريب
موجه منه الى الاعذار — واللوث والقتل من الكفار
وخارص معرف النساء — وناظر الشهر بلا امتراء
لأجل تاريخ وزد مستنكهاً — وعارفاً بقبلة منتهباً
وبالنصاب للزكاة زد لذا — الخريت والموقت المفتى بدا
راو ورافع على الخطوط — وشاهد الغيلة بالتقسيط
وشاهد الشتم ونحوه فقط — وغيرها عدلان فيه يشترط
مقوم السلع والعيوب — فرجلان الشرط كالمنهوب
وفى جزاء الصيد والمشاجره — فى الزوج مع زوجته المعاشره

وقال حفظه الله فيما تنعكس اليه الموجهات بمصرية الكتاب من الحضرة العلية الامامية حماها الله ، ارتجالا :

ممكنتين اعكس الى ممكنه — وموجبات الغير للمطلقه
أما السوالب فان عمت معا — بحسب الأفراد والأزمنه
كنفسها العكس والا لم ترا — معكوسة أصلا سوا ما ذكرا
من خاصة جزئية فانها — كنفسها تعكس فاحفظ كيفها

وقال حفظه الله فيما يناقض الموجهات :

وصفية عمت فحين نقضها — والوقت يطلقه بوقت ممكن
والنشر مطلقه دوام نقضه — بمقابل غير فلذ بالمتقن

ونقيضى الجـزءيـن ممـا ركبـــت ردد ســـوى جــزئية فاستحســن
شرطــوا لهــا تقييـــد موضوع بما قــد كان للمحمـــول حكماً فاجتـــن
علماً وذا الموضوع من ثانيـــــه ومــن الأولى المحمـــول فاعلم واعتن

وقال أيضاً فى الزيادات التى ذكرها أهل التصريف :

زيادة فى الفعـــل سبـــع تعـــرف فعدهــا خذه كما قــد وصفـــــوا
تزاد للمعنـــا وللالحـــــــــاق والمـــــد والتعويـــض باتفـــاق
كذاك للتنكيـــــر والبيـــــــان وزد لهــا زيـــادة الامكـــــــان

وقال فى اسم الفاعل المقصود به الجمع :

فســـافـــر وبـــــاقر وجامـــن وحـاضر للجمـــــع كـل حــاصل

وقال أيضاً أسماه الله فيما له صدر الكلام :

ومـــا لـــه صدر كالاستفهــــام والشرط والشــأن عـلى التمـــــام
ومــا التعجبيـــة المشهــــــوره كـــم خبريـــة فخـذ تقريـــره

وقال فى أسماء ظن :

علـــم للعلـــم رءا وجـــــــد درا وهب تعلـــم غيرهـــا ظناً يـــرا
أصار صيـــر ورد اتخـــــــذا تخـــذ جعـــل وهب لتصيير بــرا

وقال فى نظم المسائل التى يرجع فيها بقيمة البناء والغرس مقلوعين :

فقيمـــة البنـــاء مقلوعـــاً أتـــت فى سبعــة معـــدودة قــد ثبتـــت
فى الغصب والثنيـا وفى العـــوارى وفى الكـرا وغرس أرض الجـــار
كذاك فـــى أرض لمــــوروث وفـــى أرض الشريـــك حصلنه تقتفـــى
بـاذن أو بغيـــره قـــد نقـــلا عن ابن قـــاسم امـام النبـــــلا

وقال أيضاً فى مسائل التأديب ، حددها بعض الفقهاء القضاة رحمهم الله .

ومن نضا سيفه يوماً على أحد فالأربعون له ان للقتال نضا
والسيف يروى لبيت المال مرجعه وقيل يقتل والحكم بذاك مضا
ومن قضاه على وجه المزاح فقد جفا ويضرب عشراً حكمه فرضا
والأربعون اذا ما دعوة كسرت لقاض أو حاكم للمسلمين قضا
من قبل امرأة يوماً وأكرهها يزاد عشراً كما ان كان منها رضا

وقال أيضاً :

ومن يقل لمسلم يا شارب يا خائن يا فاجر فواجب
محتم تعزيره كقوله يا ءاكل الربا وزد من مثله
يا فاسقاً ويا حمار هكذا للعتقى لا شهب الحد بذا
فى يا حمار اذ به قد شبهه فى كونه يركب فافهم ما اشتبه
وكل من لمسلم أذاه بقوله أدب ولا تخشاه
أدبه يروا على قدرهما كشاتم لمجلس الحكم انتما
عشر من الأسواط زجراً تلزمه كرافع صوتاً على من يخصمه
ومن لشخص ناك بين الفخدين ثم المساحقة شدد زجر ذين
وضارب المسلم جاز فعله بمثله ومن تعادى قوله
فى مالك عوقب والسجن يرا كالشهر ، فالحكم بهذا سطرا

وجمع بعض الأئمة الحالات التى تجوز فيها الغيبة فى بيت من الشعر فصدره المترجم أسماه الله فيما يلى :

ألا ان اغتياب الناس ظلم عظيم الوصف من أردا المناكر
تجنب غيبة الا حروفاً ببيت جاء عن بعض الأكابر
(تظلم واستغث ، واستفت ، حذر ، وعرف بدعة ، فسق المجاهر)

وقال أسماه الله في حصر الموجهات :

يا سائلا عن الموجهات فسبعة من الضروريات
مطلقة وهي التي ما قيدت الا بموضوع فهكذا ثبت
مشروطة ان قيدت بالوصف أعني لموضوع بغير خلف
وبالعموم ان حذفت قيد لا وبالخصوص ان يكن لها تلا
وقتية مطلقة ان وقتت به معيناً وقيد لا نفت
وان تلت للا فقل وقتيه دواتم ثلاثة سنية ؟
دائمة مطلقة وهي كذا ما قيدت الا بموضوع بدا
كان بوصفه وقيد لا نفي عرفية عمت ومعه فاكتف
بأنها عرفية مخصوصه والممكنات خمسة منصوصه
ممكنة العموم والخصوص والوقت ان عين بالتنصيص
وبالدوام ان به قد قيدت حينية اذا بحين رويت
والمطلقات أربع فمطلقه نسبتها فعلية محققه
وان تعرضت بنفي للدوام فهي الوجودية خذها بالتمام
لا دائمة وان تعرضت الى نسبتها بلا ضرورة تلا
فهي الوجودية لا ضروره ان قيدت بالحين فالمشهوره
حينية مطلقة في المنطق فحقق العلم تفز وترتق

وقال أسماه الله فيما بين الحقيقية والخارجية من النسب ، وعنى بالشريف الايجاب الكلي وبضده السلب الجزئي :

أعز الحقيقي الشريف وضده للوجه ان للخارجي كما جرا
والموجب الجزئي عمم مطلقا مع موجب للوجه مع سلب عرا
واخصص بسالبة مع السلبي معا ما باينت للموجبين كما ترا

وقال في عكس الموجهات :

الممكن اعكسه لموجب ممكس والغير موجبه الى الا طلاق
وسوالب الست اعكسن كنفسها ان كان كلياً لدا الحذاق
ان لم يكن لم ينعكس أصلا سوى جزئيتين تخصصاً للراقى
اعكسهما كالنفس تظفر بالمنا بالمستوى لا زلت ذا اعلاق
عكس النقيض فحكم ايجاب به كالمستوى في السلب بالاطلاق
والسلب في النقض كايجاب بدا فاعلم تكن من أفضل السباق

وقال أسماه الله :

لا تصحبن فاسقاً ولا بخيلا موثقا
كذالك الكذوب والأحمق المغلوب
وقاطع للرحم وفقت للتعلم

وقال أسماه الله في أول موروث في الاسلام :

أول من ورث في الاسلام عدى بن نوفل الهمام
وفي ابنتي قيس ابن ثابت نزل (يوصيكم الله) على النبي الأجل
وقيل في ابنتي سعد بن الربيع وهو الصحيح حققنه يا رفيع

وقال أسماه الله :

فعين قيس بن عباد ضمها وخفف الباء التي تؤمها
وقد أتا أيضاً بعين تكسر ربيعة نجل عباد يذكر
وكل من بقي عباد شهر عند البخاري فحقق ما سطر

وقال حفظه الله في المواضع التي يجوز فيها الغرر :

أجز غررا في الصلح والرهن ثم زد لذاهبة والخلع تظفر بما عهد

وقال حفظه الله في أسباب الحجر :

صبا جنون ورق والمدبـــــــر زد	مفلســـاً ومريضـــاً والنكاح يـــرا
في زوجة فهي أسبـــاب المحجر خا	أنواعه وادع بالرحمـــي لمن حصرا

وقال حفظه الله في الوداع :

كأس من السم يوم البين أعـذب من	مد السواعـــد والتوديـــع للقبـــل
قد كنت من غـــرتي بالدهر أحقـره	حتى بكيت دمـــاً يومـــاً من المقل
ان الفـــراق عن الأحباب تيمنـــي	كيف التصبـــر عنهـم وهـم أمـــلي

وقال حفظه الله وقد مات حافده هذا البيت الفرد لنختم به نظمه :

فلا تبتئس بالـــرزء في الأهـــل والولد	فلله ما أعطـــا ولله ما أخـــــــذ

ولنقتصر على هذا القدر من نظم الشيخ المذكور ، فانا ان تتبعناه أدى ذلك الى الطول الممل ، وفيما ذكر كفاية ، والله تعالى يديمه علماً يهتدا به ، وسرياً عمادا فاضلا بديعاً يقتدا بعلومه وءادابه بمنه وكرمه .

أنشدني صاحب الترجمة قال : أنشدني أبو راشد يعقوب اليدري قـال : أنشدني شيخنا أبو الحسن علي بن هارون قال : أنشدني ابن غازي قال : أنشدني الاستاذ الكبير الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن جماعة الأوربي النيجي الشهير بالصغير ، قال : أنشدني أبو عبد الله العكرمي ، قـال العكـرمي المذكور أنشدني شيخ الشيوخ أبو عبد الله محمد بن عرفة لنفسه :

صلاة وصوم ثـم حـج وعمـــــرة	طـــواف عكـوف فالتمـــام تحتمـــا
وفي غيرها كالوقـف والطهر خيرن	فمن شاء فليقطـع ومن شاء تممـــــا

وبه عنه متمثلا :

يقولون هـذا ليس بالأمــر عندنــا ومن أنتـم حتى يكون لكـم عنـد

وبه عنه متمثلا :

حسبت الهوا سهلا وما كنت داريـاً ومن يجهـل الأشياء يستسهل الصعبا

أشياخه (130) : أخذ عن جلة أعلام من أهل المغرب والمشرق، فمن أهل المغرب الشيخ فرضي وقته ، أبو يوسف يعقوب اليدرى رحمه الله (131) أخذ عنه الحوفية وغيرها ، وختم عليه الحوفية عدة مرات ، وأجازه كل ما تجوز له وعنه روايتـه ، وأخذ اليدرى المذكور عن الامام أبى الحسن على بن هارون وغيره من طبقته ، وكل مولد اليدرى المذكور سنة (ثمانية اوعشرة ومئة)

ومنهم الشيخ القدوة المحقق ، خاتمة الشيوخ ، أبو العباس أحمد بن على المنجور رحمه الله ، لازمه شيخنا سنين كثيرة ، وانتفع به ، وأجازه جميـع مـا اشتملت عليه فهرسته وجميع تآليفه التى منها **الحاشيتان على الكبرى ، ومراقى المجد فى شرح ءاى السعد ، والفهرستان الكبرى والصغرى ، وشرح المنتخب ، وشرح علاقات المجاز لابن الصباغ** وغير ذلك من تآليفه .

وأخذ المنجور المذكور عن الامام سقين العاصمى (132) الشهير الاستاذ بالمغرب، وعن الامام أبى الحسن بن هارون ، وعن العلامة أبى عبد الله اليستثنـى وعـن

130) فى الأصل أمام كلمة اشياخه ما يلى :
اللائق ان يذكر هذا قبل سرد نظمه ، وسأفعل ذلك عند اخراجه من هذه المبيضة ان شاء الله ، قاله مؤلفـه

131) يعقوب بن يحيا اليدرى الفاسى ، فقيه فرائضى حيسوبى يستحضر النوازل ، أخذ عن ابن هارون ، وعبد الواحد الونشريسى ، توفى سنة 909 انظر ترجمته فى **نيل الابتهاج** ص 349

132) أبو زيد عبد الرحمان بن على سقين (مصغر مشدد القاف كما فى **المنح البادية**) السفيانى العاصمى الفاسى الفقيه المحدث ، الرحلة الراوية ، ولد عام 873 وتوفى بفاس عام 956 انظر ترجمته فى **الفكر السامى** 4 : 102

الونشريسي سيدى عبد الواحد المحقق العلامة ، وعن الزقاق ، وغيرهم ممن يطول ذكرهم رحمة الله على جميعهم .

ومن أشياخه المغاربة الامام مفتى الحضرة المراكشية ، أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحسنى رحمه الله ، أخذ عنه جميع ما اشتملت عليه فهرستـه المسماة بـ **(الالمام ببعض من لقيته من علماء الاسلام)** .

أخذ المفتى الشريف المذكور عن سقين ، وولى الله رضوان ، وعن جملة أعلام من أهل سوس ، وعن الشيخ الجرارى ، وشيخ الشيوخ أبى مهدى وغيرهم، وممن ذكر فى فهرسته المذكورة الشيخ المنجور ، وابن مجبر ، وأجازه من أهل المشرق ابن فهد وأبو عمران موسى النشائى ، وأبو عبد الله محمد بـن ابراهيم المقدسى ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان العلقمى وغير هؤلاء كالامام أبـى عبد الله محمد بن أحمد الفـ . . المالكى وغيره رضوان الله تعالى على جميعهم .

وأخذ المفتى المذكور عن شيخنا صاحب الترجمة جملة أحاديث له فيها سند عال رواها عن المشارقة فتديج (133) معه بسبب ذلك .

ومن أشياخه المغاربة أيضا المفتى الفقيه أبو زكرياء يحيا السراج رحمه الله ، وأخذ السراج المذكور عن ابن هارون ، والزقاق ، وأبى مالك عبد الواحـد الونشريسى ، واليستثنى ، وغيرهم ، وكان للسراج رحمه الله يد طولى فى معرفة مختصر خليل ، والمغنى لابن هشام .

(133) تدبج فلان مع فلان ربه . اى قرأ معه على استاذ واحد ، وهذا المعنى عرفى مغربى

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضاً الفقيه الامام بلدينا أبو عبد الله محمد بن جـلال (134) رحمه الله ، وقد أخذ ابن جلال عن أعلام تلمسان كالامام سيدى محمد بن موسى ، والشيخ سيدى سعيد المنوى وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

ومن جملة أشياخ صاحب الترجمة الفقيه المفتى الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف الترغى المسارى رحمه الله ، وأخذ الترغى عن الاستاذ أبى القاسم بن ابراهيم ، وغيره من أعلام وقته ، وأجازه الترغى جملة ما اشتملت عليه فهرسة المنتورى ، وهو يرويها عن أبى القاسم بن ابراهيم المشترائى ، وأبو القاسـم يرويها عن الدقون ، والدقون يرويها عن المواق عن مؤلفها الامام المنتورى رضوان الله على جميعهم .

ومن أشياخ صاحب الترجمة شيخنا المفتى الناسك المحدث أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار أبقاه الله ، روا عنه البخارى وغيره ، وأجازه كل ما يحمله عن أشياخه ، وأخذ القصار عن ولى الله سيدى رضوان ، عن الامام أبى زيد سقين العاصمى ، عن زكرياء والقلقشندى كلاهما عن شيخ الاسلام ابن حجر حسبما ذكر ذلك فى ترجمة الشيخ القصار المذكور .

ولشيخنا صاحب الترجمة أشياخ من المغاربة غير من ذكر يطول ذكرهم ، وقد اشتملت على جميع ذلك فهرسته حفظه الله ، وستأتى قريباً تسميتهـا فـى جملـة مصنفـاته .

وأما شيوخه المشارقة الذين لقيهم فى رحلته فكثيرون ، منهم الامام الحافظ الشيخ أبو سالم ابراهيم بن عبد الرحمان بن على بن أبى بكر العلقمى ، أخذ عنه صحيح البخارى سماعاً الى أبواب الوتر ، وأجازة لباقيه ، والعلقمـى المذكـور

---

(134) عاصر ابن القاضى المترجم (960 ـ 1025) شخصين من أسرة ابن جـلال المغراوى التلمسانية . أولهما الشيخ الفقيه الخطيب المدرس المفتى محمد بن عبد الرحمان بن جـلال التلمسانى المولود بتلمسان عام 908 والمتوفى بفاس فى رمضان عام 981 وهو الذى قدم من تلمسان الى فاس فى عهد السلطان ابى عبد الله محمد الشيخ السعدى حيث تولى التدريس والخطابة بجامع الأندلس ثم بجامع القرويين . وثانيهما ولده الفقيه محمد المتوفى عام 1008 ولم يترجح لدى حتى كتابة هذه السطور عن أيهما أخذ ابن القاضى . انظر ترجمة الأول فى **نشر المثانـى** I : 51 وترجمة الثانى فى **دوحة الناشر** : 90

يروى عن الشيخ عبد الحق السنباطى ، عن الامام شيخ الاسلام أبى الفضل بن حجر العسقلانى صاحب التآليف التى منها **فتح البارى فى شرح البخارى** ، وأسانيد ابن حجر مذكورة فى فهرسته . ويروى العلقمى المذكور أيضاً عن أخيه شارح **الجامع** للجلال الاسيوطى ، وللعلقمى المذكور شيوخ ءاخرون .

وأخذ شيخنا صاحب الترجمة عن أبى عبد الله محمد بن أحمد الرملى عن القاضى زكرياء الأنصارى عن ابن حجر أيضاً .

وأخذ شيخنا صاحب الترجمة أيضاً عن الشيخ على بن أبى بكر الملقب نور الدين القرافى ، عن الامام الاسيوطى ، وأسانيد الاسيوطى وتآليفه معروفة ، قرأ عليه صدراً من البخارى ، وشيئاً من **الموطأ** وفاتحة الكتاب بسندها ، وأجاز له كل ما يجوز له وعنه .

وأخذ صاحب الترجمة شيخنا شهاب الدين حفظه الله عن مفتى مصر أبى الحسن على بن غانم المقدسى الحنفى ورواياته مشهورة .

وأخذ شيخنا أيضاً عن الامام أبى عبد الله البهنسى ، وتآليفه مشهورة .

وأخذ أيضاً شيخنا المذكور عن الشيخ الامام ، حامل لواء الفقه المالكى ، سالم السنهورى رحمه الله ، والشيخ سالم يروى عن نجم الدين الغيطى ، وعن الولى العالم الشيخ البنوفرى وغيرهما من أعلام عصره ، أخذ شيخنا صاحب الترجمة عن الشيخ سالم المذكور **الشفا** للامام أبى الفضل عياض ، **والفية العراقى** وصدراً من البخارى .

ومن أشياخ صاحب الترجمة حفظه الله الشيخ منصور المنوفى ، أخذ عنه **الفية العراقى** وقرأ عليه قليلا من البخارى وسمع عليه من سير ابن اسحاق وشيئاً

من تصريف العزى ، والشيخ منصور المذكور يروى عن نجم الدين الغيطى وشاركه في القاضى زكرياء الأنصارى رحمهم الله .

وأخذ شيخنا صاحب الترجمة أيضاً عن الشيخ أحمد بن الامام عبد الحق السنباطى ، وأجازه كتابه المنظوم الذى جمع سبعة عشر علماً وشرحه أيضاً ، عارض به نقاية السيوطى وزاد عليه ، ويروى الشيخ المذكور عن نجم الدين الغيطى وغيره .

وأخذ صاحب الترجمة أيضاً شيخنا شهاب الدين حفظه الله عن الامام عبد الرحمان بن فهد العمرى المكى محدثها ، قرأ عليه البخارى بتمامه ، **ومشكاة المصابيح** للتبريزى ، **والمقدمة** لابن حجر **لفتح البارى** ، وألفية العراقى بكمالها ، والبيضاوى فى التفسير بكماله ، وابن فهد المذكور يروى عن عمه عبد العزيز بسنده المشهور .

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضاً الامام الشهير أبو زكرياء يحيا بن محمد الحطاب التاجورى الأصل المكى الدار ، قرأ عليه بعض مختصر خليل ، وبعض الموطأ رواية يحيا بن يحيا الليثى ، والخزرجية بشرحه لها المسمى بعيون الغامز ومناسك خليل بشرح والده بكمالها ، وأجازهالحديث والفقه وشرح والده لمختصر خليل الذى أخرجه هو أعنى الشيخ يحيا من مبيضته ، الى غير ذلك من شيوخه المذكورين فى فهرسته .

قلت وقد أجازنى شيخنا شهاب الدين بن أبى العافية صاحب الترجمة أسماه الله جميع ما يجوز له وعنه روايته ، وما أخذ عن هؤلاء الأعلام المذكورين هنا وغيرهم ، وكتب لى بذلك بخطه ثلاث مرار ، مرة بفاس المحروسة ، ومرتين بحضرة الامامة مراكش حاطها الله ، وكان تاريخ ذلك يوم عرفة المعظم من عام تسعة وألف بالمحلة المنصورية أعلا الله كلمتها ظاهر مراكش حماها الله ، وأما تاريخ اجازة فاس فبعد ذلك بأشهر .

فمن جملة ما أجازنيه بعد أن قرأته عليه كتاب أبي القاسم الحوفي الشهير في الفرائض أجازنيه عن شيخه أبي راشد يعقوب اليدري ، عن ابن غازي ، عن أبي العباس أحمد المزكلدي ، عن أبي حفص عمر الركراكي بسنده ، ح وأجازنيه أيضا عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي ، عن أبي القاسم بن ابراهيم المشترائي ، عن أبي العباس أحمد الدقون ، عن محمد بن يوسف المواق ، عن المنتوري صاحب الفهرسة ، عن ابن جزي ، عن أبي عبد الله بن ربيع ، عن الاستاذ أبي علي الشلوبين ، عن مؤلفه القاضي الورع الزاهد أبي القاسم أحمد بن محمد بن خلف بن عبد العزيز الكلاعي الاشبيلي الشهير بالحوفي رحمه الله تعالى ، وحين بلغنا في قراءة الكتاب الى الخلاف بين البصريين والكوفيين في مسألة الانكسار على ثلاث فرق ، أنشدني شيخنا ابن أبي العافية المذكور لنفسه حفظه الله :

الوفق للكوفي والوقف للبصري
فحققن هذا تظفر بالوفي

وأجازني شيخنا المذكور تلخيص ابن البناء بعد قراءته عليه عن أبي راشد يعقوب اليدري عن أبي الحسن بن هارون ، عن ابن غازي ، عن أبي العباس المزكلدي عن أبي حفص عمر الرجراجي ، عن أبي زيد عبد الرحمان بن سليمان اللجائي ، عن مؤلفه ابن البناء الأزدي المراكشي رحمه الله . ح وأجازنيه أيضا عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الترغي ، عن أبي القاسم بن ابراهيم المشترائي ، عن أبي العباس الدقون ، عن أبي عبد الله المواق ، عن المنتوري ، عن ابن السراج ، عن محمد بن سعيد الرعيني ، عن مؤلفه أبي لعباس بن البناء رحمه الله ، وأجازني جميع تآليف ابن البناء بهذين السندين (135)

(135) في الطرة امام هذه الفقرة ما نصه :

هذا يكتب بعد قولي : قلت ، لأنه المقدم في الاجازات ، وسنكتبه هناك ان شاء الله عند اخراجه من هذه المسودة

وأجازني شيخنا المذكور حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعته منه ، عن الشيخ المسن سيدى ابراهيم بن عبد الرحمان بن أبى بكر العلقمى الشافعى حافظ أهل زمانه ، المنفرد بعلم الحديث واتقانه بالديار المصرية ، قال وهو أول حديث سمعته منه وأملاه على بلفظه ، ولفظه عن شيخ الاسلام عبد الحق السنباطى ، وهو أول حديث سمعه منه ، عن شيخ الاسلام أبى الفضل شهاب الدين أحمد بن على العسقلانى الشهير بابن حجر شارح البخارى وهو أول حديث سمعه منه ، عن الزين أبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى، وهو أول حديث سمعه منه ، عن الصدر أبى الفتح محمد بن محمد بن ابراهيم الميدومى ، وهو أول حديث سمعه منه ، عن الشيخ أبى الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى ، وهو أول حديث سمعه منه ، عن أبى الفرج عبد الرحمان بن على بن محمد بن الجوزى، وهو أول حديث سمعه منه، قال حدثنا أبو سعد اسماعيل بن أبى صالح أحمد بن عبد الملك النيسابورى ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا والدى أبو صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثنا أبوطاهر محمد بن محمد بن عبش الزيادى وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيا بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثنا عبد الرحمان بن بشر بن الحكم النيسابورى ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا سفيان بن عيينة ، وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو بن دينار ، عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاصى ، عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الراحمون يرحمهم الرحمان ، تبارك وتعالى، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء .

هذا حديث حسن أخرجه الامام وكذا الحميدى فى مسنديهما عن سفيان ابن عيينة ، والبخارى فى بعض تصانيفه عن عبد الرحمان بن بشر ، وأبو داود فى سننه عن مسدد ، وقال فيه الترمذى انه حسن صحيح .

ويروى شيخنا المذكور الحديث المذكور أيضا عن الشيخ عبد الرحمان بن فهد المكى العمرى ، عن عمه عبد العزيز عن ابن حجر وعن جماعة ، ويرويه أيضا عن الامام أبى عبد الله محمد بن أحمد الرملى الأنصارى الشافعى ، عن القاضى زكرياء الأنصارى عن ابن حجر به .

ويرويه أيضا عن الشيخ الامام الحافظ الحجة أبى الحسن على بن محمد بن على الشهير بابن غانم المقدسى الخزرجى الحنفى ، عن جماعة من أصحاب ابن حجر به ، وأجازنى حفظه الله الحديث المذكور من هذه الطرق كلها .

وأجازنى أبقاه الله الفاتحة بعد أن قرأتها عليه بمد مالك(136) ، بحق روايته لها كذلك عن الشيخ أبى الحسن على بن أحمد بن على الأنصارى القرافى الشافعى ، بقراءته لها على قاضى القضاة المالكية بمصر أبى عبد الله محمد بن ابراهيم التتائى شارح خليل والارشاد وغيرهما ، بقراءته اياها على برهان الدين اللقانى ، بقراءته أياها على علم الدين سليمان معلم أولاد الجان ، بقراءته أياها على شمهروش قاضى الجان ، بقراءته أياها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأجازنى شيخنا المذكور أبقاه الله موطأ امامنا مالك بن أنس رضى الله عنه رواية يحيا بن يحيا الليثى . عن الشيخ أبى راشد يعقوب بن يحيا اليدرى ، عن الشيخ أبى الحسن على بن موسى بن هارون المطغرى ، عن الشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن غازى العثمانى ، قال أخبرنى به الامام أبو عبد الله محمد بن الحسين النيجى الشهير بالصغير ، قال أخبرنى به الامام أبو عبد الله السلوى ، عن أبى شامل الشمنى ، قال أخبرنى عبد الوهاب الأسكندرى بقراءتى عليه بها ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد الدمامينى سماعا ، قال أخبرنا الخطيب أبو الحسن يحيا بن محمد بن الحسين بن عبد السلام التميمى ، قال أخبرنى أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى ، قال أخبرنى أبو محمد عبد الله بن

(136) من آية ملك يوم الدين

محمد بن علي الحجرى ، أخبرنا أبو القاسم أحمد بن محمد بن أحمد بن مخلد بن بقى (137) وأبو جعفر أحمد بن عبد الرحمان بن محمد البطروجي ، وأبو الحسن يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، أخبرنا أبو عيسى يحيا بن عبد الله ، أخبرني عم أبي عبيد الله بن يحيا أبو مروان ، أخبرني أبي يحيا بن يحيا الليثي .

قال حفظه الله ، وأرويه أيضا عن أبي راشد المذكور ، عن أبي محمد عبد الرحمان سقين ، عن الامام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان السخاوي المصرى الشافعي ، عن أبي اسحاق ابراهيم بن علي البيضاوى ، عن أبي اسحاق ابراهيم بن موسى سماعاً ، وأبي اسحاق ابراهيم بن فرحون المالكي ، وأبي اسحاق التنوحي اجازة عن أبي عبد الله محمد بن جابر الوادىءاشى (138) ، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي ، عن أبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقى ، عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الخزرجي ، عن أبي عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع ، عن القاضي أبي الوليد يونس الصفار بسنده فيها السابق، قال لي شيخنا حفظه الله : وأرويها أيضا بسند العلقمي والمقدسي والرملي الى ابن حجر بما في فهرسته لها من الأسانيد .

وأجازنيها أيضا بهذا السند الذى ذكر لي ، وبسند آخر وهو الى ابن غازى كالأول، قال ابن غازىأخبرنا اجازة أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بنمحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي عن أبيه قراءة عليه ، قال قرأت جميعه بحرم الله تعالى الشريف على امام مقام المالكية به قاضي القضاة نور الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن عبد العزيز النويرى ، وتناولته من يده متلفظاً بالاجازة فيه ، ومقدار النصف منه أيضاً عن المسند المعمر بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن أبي بكر بن

137) في الطرة امام هذا الاسم ما يلي :
بقي هنا شيء يدل عليه ما بعده في الروايات الآتية ، فتأمله

138) في الهامش امام اسم ابن جابر ما يلي :
سندنا في فهرسة ابن جابر

محمد المخزومى الدمامينى الشافعى بشارع المرجانى من ثغر الاسكندرية حرسه الله تعالى ، وناولنيه وأجازنيه وأنبأنى به مولاى الجد الخطيب أبو عبد الله فى اجازته من غير واحد بسماع الأول على جماعة ، منهم أمام المقام الكريم ضياء الدين أبو الفضل محمد بن خليل بن عبد الرحمان بن محمد بن عمر القسطلانى المالكى بسماعه له على الحافظ فخر الدين أبى عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوزرى بقراءته له غير مرة على أبى القاسم محمد بن محمد سراقة الانصارى . **ح** ، وبه لابن غازى قال : وباجازة الأول أيضاً أعلا من هذا . . . . من أقضى القضاة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن عثمان بن موسى القرشى الفهرى الآمدى الحنبلى ، قال أنبأنا به الحافظ المسند شرف الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدى اجازة ، **ح** ، وبه لابن مرزوق قائلا : وبقراءة الجد الخطيب بالاسكندرية على الامام شهاب الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم المرادى القرطبى ، قال أنبأنا بجميعه جماعة ، منهم الامام المعمر الكاتب أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون القرطبى سماعاً عليه ، قال هو وابن سراقة وابن مسدى أنبأنا قاضى الجماعة أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقى قراءة بقراءته له على الفقيه أبى عبد الله بن عبد الحق بن أحمد بن عبد الحق الخزرجى ، واجازة له مع المناولة من القاضى أبى مروان عبد المالك بن مسرة اليحصبى ، وقرأ عليه صدراً منه ، ومن القاضى أبى مروان عبد الرحمان بن محمد بن قزمان ، وقرأ عليه بعضه وهو يسمع ، وأجازته المجردة من الشيخ أبى الحسن على بن أحمد بن أبى بكر الكنانى المقرئى . **ح** ، قال ابن مسدى وأنبأنا الامام أبو الخطاب أحمد بن محمد بن عمر بن واجب القيسى سماعا عليه ، قال أنبأنا به أبو مروان بن قزمان المذكور سماعا عليه . **ح** ، وبسماع الثانى لجميعه من الشيخ الامام الخطيب جلال الدين أبى الحسن يحيا بن محمد بن الحسن التميمى سنة سبعة عشرة وسبعمئة ، وقراءة المولى الجد الخطيب لبعضه ومناولة سائره من يد ناصر الدين المشدالى بسماعهما من أبى عبد الله محمد بن

عبد الله بن محمد بن أبى الفضل السبتى المرسى بسماعه من أبى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الحجرى ، قال أنبأنا به الامام أبو القاسم أحمد بن . . . . . ابن أحمد بن بقى ، والحافظ أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمان البطروجى قـراءة عليهما لجميعه ، قالوا ستتهم أنبأنا به الفقيه أبو عبد الله محمد بن فرج مولى ابن الطلاع سماعاً عليه بسماعه من القاضى أبى الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث بسماعه من أبى عيسى يحيا بن عبد الله بن أبى عيسى بسماعه من عم أبيه أبى مروان عبيد الله بن يحيا بسماعه من أبيه يحيا بن يحيا بسماعه من الامام مالك الا الأبواب الثلاثة المشكوك فيها فعن زيادة عن مالك سند عال جليل متصل بالسماء .

وأجازنى شيخنا أبقاه الله صحيح البخارى عن الشيخ ابراهيـم بـن عبد الرحمان العلقمى ، عن عبد الحق السنباطى ، عن الامام ابن حجر .ح ، وعن الشيخ عبد الرحمان بن فهد ، عن عمه عبد العزيز ، عن ابن حجر بما فى فهرسته .

وأجازنى حفظه الله جميع تآليفه وما له من منظوم ومنثور ، كل ذلك بشرطه المعتبر المأثور ، وكتب لى حفظه الله بجميع ذلك خطه ، ونص ما كتب بخطه :

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ما ذكره السيد الفقيه المشارك المتفنن الحافظ النبيه أبو العباس أحمد بن السيد الأجل الأكمل أبى عبد الله سيدى محمد المقرى القرشى صحيح ، وكتب أقل عبيد الله تعالى أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن على بن عبد الرحمان بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى خار الله له وهيأ له رشداً من أمره . وصلى الله على سيدنا محمد وءاله ، وأجزت له الفهارس التى أذكرها بأسانيدها الى أربابها وما اشتملت عليه من المقروآت والمجازات والمسموعات وغير ذلك .

منها **فهرسة الشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثمانى المكناسى** (139) ، أجزته أبقاه الله تعالى بمنه بها عن الشيخ أبى راشد يعقوب بن يحيا اليدرى والشيخ أبى العباس سيدى أحمد بن على المنجور ، كلاهما عن الشيخ الامام المفتى الحافظ أبى الحسن على بن موسى بن هارون المطغرى عن مؤلفها ابن غازى وبجميع تآليفه .

فهرسة الامام شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى المصرى ، أجزته أصلح الله حاله بها عن الشيخ البرهان سيدى وسندى أبو سالم ابراهيم ابن عبد الرحمان بن أبى بكر العلقمى المصرى ، عن الشيخ عبد الحق السنباطى . **ح** ، وعن الامام أبى عبد الله سيدى محمد بن أحمد الرملى الأنصارى الشافعى ، عن القاضى زكرياء الأنصارى ، كلاهما عن ابن حجر المؤلف .

فهرسة الامام ابى عبد الله المنتورى رحمه الله تعالى بمنه ، أجزته بها أصلحه الله وسدده عن الشيخ الاستاذ أبى عبد الله محمد بن يوسف الترغى المستارى ، عن الشيخ الاستاذ أبى القاسم بن ابراهيم المشترائى ، عن أبى العباس أحمد الدقون الصنهاجى ، عن أبى عبد الله محمد بن يوسف المواق الغرناطى ، عن أبى عبد الله المنتورى المؤلف .

فهرسة أبى جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى بمنه ، أجزته بها نفع الله به بالسند لابن غازى عن أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم محمد بن يحيا بن محمد النفزى الحميرى الشهير بالسراج الرندى ، عن أبيه عن جده عن أبى البركات البلفيقى ، عن أبى جعفر بن الزبير عن المؤلف .

---

(139) اسم هذه الفهرسة : التعلل برسوم الاسناد ، بعد ذهاب أهل المنزل والناد

فهرسة الشيخ أبى عبد الله محمد بن جابر الوادى ءاشي ، أجزته بها بالسند قبله للسراج ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبى الحجاج يوسف بن . . سين بن أبى بكر التسولى ، عن أبى عبد الله محمد بن جابر القيسى المؤلف .

رحلة ابن رشيد الشيخ الامام محمد بن عمر بن رشيد الفهرى ، أجزته بها بالسند قبله للسراج ، عن أبيه ، عن جده ، عن أبى العباس أحمد القباب الفاسى ، عن يحيا بن محمد بن عمر بن رشيد ، عن أبيه محمد بن عمر المؤلف .

مصنفات العراقى : عبد الرحيم بن الحسين العراقى رحمه الله تعالى بمنه . أجزته بها بالسند لابن حجر عنه .

مصنفات أبى العباس أحمد بن أبى محمد البرنسى الشهير بزروق رحمه الله تعالى ، أجزته بها عن أبى زكرياء يحيا بن محمد الحطاب المالكى التاجورى النجار عن أبيه محمد عنه ، وعن أبى عبد الله محمد بن أحمد الحضرى ، عن أبى عبد الله الخروبى عنه .

مصنفات خليل بن اسحاق المالكى رحمه الله تعالى ورضى عنه ، أجزته بها عن أبى عبد الله محمد بن أحمد الرملى ، عن زكرياء الأنصارى ، عن أبى النعيم رضوان العقبى ، عن البدر حسين البوصيرى خاتمة أصحاب خليل ، عنه . وصلى الله على سيدنا محمد وءاله انتهى .

هذا نص كتابه حفظه الله حسبما كتب لى بذلك خطه ورواياته حفظه الله فى جملة أحاديث وفى قصائد مسلسلات ، وغير ذلك وهو كثير جداً لا تسعه هذه العجالة ، ولا يبقى ببعضها الا تأليف مستقل .

وأما تآليف شيخنا صاحب الترجمة أسماه الله فكثيرة ، منها : **درة الحجال فى غرة أسماء الرجال** فى سفرين ضخمين جعله تذييلا لوفيات ابن خلكان رحمه الله

ومنها **المنتقا المقصور ، على مآثر الخليفة أبى العباس المنصور** ، ضمنه من مآثر أمير المؤمنين نصره الله كل غريب

ومنها **درة السلوك ، فيمن حوا الملك من الملوك** ، تأليف منظم ، عارض به **رقم الحلل فى نظم الدول** ، للسان الملة أبى عبد الله بن الخطيب السلمانى رحمه الله .

ومنها شرحه عليه المسمى **بدرر الملوك فى شرح درة السلوك** .

ومنها **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد** . ذيل به وفيات ابن الخطيب القسنطينى الشهير بابن قنفذ .

ومنها **القانون الوفى بجداول الحوفى** ، وهو كتاب عجيب فى بابه ، ولما رفعه الى أمير المومنين نصره الله كتب على أول ورقة منه بيتين من نظمه ، وهما :

لما رأيت مقامك السامى الذى	ملك العلا والنصر صار مطيعا
أيقنت أنك وارث الدنيا لذا	أهديت علم الارث فيه جميعا

ومنها **الفتح النبيل بما تضمنه من أسماء العدد التنزيل** ، وكتب عليه أيضاً :

لما ملكت من المفاخر والعلا	ما لا يعد بظاهر الأحساب
أهديت علم العد فيه جميعه	كيما يعين أكابر الحساب

ومنها **غنية الرائض فى معرفة أهل الحساب والفرائض** .

ومنها **مدخل فى الهندسة** .

ومنها **نظم تلخيص ابن البناء** .

ونظم منطق السعد ، ضاعا معاً فى أسره ، ولا حول ولا قوة الا بالله

ومنها **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس** ، وهو كتاب جامع طالعته فرأيت فيه عجائب تدل على غزارة حفظ مؤلفه ، وقد ذكرنا في ترجمة الكاتب الوجدي حفظه الله الأبيات (140) التي مدح بها هذا الكتاب ، وقد مدحته أنا ، وكتب مؤلفه حفظه الله على أول ورقة منه مخاطباً لأمير المؤمنين نصره الله وأدام وجوده :

كان الملوك اذا تعاظم قدرهم — أمروا بتثبيت العلا ترسيخا
جمعوا لهم في الكتب أخبار الورا — فجمعت من أخبارك التاريخا

ومنها **نيل الأمل فيما به بين المالكية جرى العمل** ، عهدي به قارب اتمامه . فهذه التآليف كلها رفعها للخزانة المنصورية الأحمدية العلوية عمرها الله وقد فعل ، فهو المسؤول سبحانه أن يديم وجود أمير المومنين ويعلي كلمته بمنه وكرمه ويبقي نصره .

ومنها فهرسته المسماة **برائد الفلاح في ذكر ما لي من الأسانيد الصحاح** . وقد اشتملت على فوائد .

هذا ما علمت من تآليفه حفظه الله .

وفي مدح تآليفه البديعة يقول الكاتب البارع الأديب المكثر البليغ أبو عبد الله محمد بن يوسف التاملي رحمة الله عليه :

مصنفات ابن أبي العافيه — أحيت رسوم الأدب العافيه
وأطلعت شموسه بعد أن — كانت زماناً كالسها خافيه
وشنفت وقرطت عصرنا — وألبسته حللا ضافيه

140) انظر صفحة 83

23 ـ أحمد بن أبى القاسم التادلى

الشيخ العارف الناسك الصالح العلم الحجة المؤلف المفيد السنى ، أبو العباس أحمد بن أبى القاسم التادلى .

لقيت هذا الشيخ حفظه الله بحضرة الامامة حاطها الله ، وأخذت عنه واستفدت منه ، وهو نفع الله بعلومه ءاية من ءايات الله فى المجاهدة ، لا يكاد يفتر عن ذلك أصلا ، استغرق نهاره وليله بأنواع الطاعات ، من صلاة وذكر وقراءة قرءان واقراء علوم الحقيقة ، شاهدته وكثير من تآليفه يقرأ بين يديه ، وشاهدت من كثرة حفظه لحكايات الصالحين عجباً ، يذكر بكل محل ما يناسبه ، ومع ذلك يأتى أيضاً ببعض الحكايات التاريخية ، وله ولوع باقتناء الكتب والمطالعة .

وقد قصد الناس زيارته حفظه الله ورضى عنه من البلاد الشاسعة ، ورأيته يوم الجمعة بجامع الكتبيين من الحضرة الامامية حاطها الله والناس يزدحمون على تقبيل يده وطلب الدعاء منه حتى لا يخلص منهم الا بعد جهد نفعهم الله بنياتهم .

وقد استجزته رضى الله عنه فأجازنى كل ما تجوز له وعنه روايته وجميع تآليفه وما أخذ عن شيوخه ، كالامام الشهير أبى عبد الله الخروبى الطرابلسى (141) وغيرهم ممن يطول تعداده .

فمن تآليفه رضى الله عنه **سراج الباحث فى شرح المباحث** ، فى ثلاثة أجزاء ، ومختصر مختصر مختصره ، ومنها **الدرة النفيسة فى فضائل الأدعية الشريفة ، والزهرة المنيفة** فى فضل **حزب المريد الحاذق** ، ومنها **لباب اللباب فى معاملة الملك الوهاب** ، ومختصره فى جزءين ، ثم مختصره يطلع فى جزء واحد ، ومنها

141) **محمد** بن على الخروبى الطرابلسى المنشأ نزيل الجزائر ودفين خارجها من أهل الحديث والفقه والتصوف والصلاح ، ورد على المغرب فى غرض السفارة من السلطان العثمانى الى السلطان السعدى ، توفى سنة 963 انظر ترجمته فى **الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** 4 : 150

الزهرة العالية فى فضائل الوسيلة الكافية ، ومنها **بداية المريد المقدام ، ومقدمات الأحلام فى تحقيق مبادىء الاسلام** ، ومنها **تصحيح البداية وتحقيق النهاية** ، ومنها **مطلع الأنوار السنية فى بعض معانى الحكم العطائية** ، يطلع فى أربعة أجـزاء ، ومختصره فى جزءين ، ومختصر مختصره فى جزء واحد . ومنها **بداية المريد فى الجد والمجاهدة ، وتحقيق المراقبة والمشاهدة** ، ومنها **نزهة الناظرين ومصباح السالكين وشمس العارفين فى بعض معانى مقامات السالكين** للامـام الهـروى المعروف بشيخ الاسلام ، فى سفرين ، ثم مختصره ومختصر مختصره ، ومنهـا أرجوزة **مفتاح السعادة** على بيان المقامات العشرة ، التى ذيل الأنصارى واختصرها ابن العريف ، وهى تنيف على ألف بيت ، ومنها **رجـز** يحتوى على من لقيه من العلماء الأعلام وأرباب التصوف أهل المقام . ومنها **نور المصباح فى فضائل حزب الفلاح** ، يحتوى على جزء ، ومنها رجز على الحكم سماه **نتائج الأفكار** ينيف على ألف بيت ، ومنها **كتاب فى الحض على المعروف** ، شرح رجز له على الأربعين حديثا التـى احتوت على فعل المعروف واغاثة الملهوف ، ومنها رجز أسماه **نصيحة الضعيف ، الراغب فى ذروة المنيف** ، ومنها ءاخر سماه **وسيلة الصديق يصل به لكعبـة التحقيق** ، ومنها **غنيمة الدهر** فى الأدعية والاذكار وبعض فضلها واسم الله الأعظم **وشرح جزب البحر** ، ومنها **شرح الشريشية على مقامات الصوفية** لأبـى العبـاس الشريشى ، وهى رائيته الشهيرة ، ومنها **ماءثر الشيخ أبى يعزا** رضى الله عنـه ونفعنا به ، ومنها أيضاً **ماءثر الشيخ سيدى أبى مدين ، والشيخ سيدى أبى العباس السبتى** رضى الله عن جميعهم ، ونفعنا بهم ، ومنها **شمس المراسم فى معرفة الولى وحقيقة الولاية والقطب والغوث والخاتم** ومنها أجوبة أبى العباس احمد بن عبد الله السجلماسى عن حقيقة الولى والقطب وما يتعلق بذلك من الأسرار ، وما لهم من بعض حقائق الأنوار ، سماه **انشاد الشريد الى مقامات حقائق التفريد** ، ومنهـا **شرح** ءاخر غير الذى تقدم **على الحكم العطائية** فى ثمان وسبعين كراسا ، ومنها

حزب **الوسيلة الكافية لمن أراد أن يختم الله له بالعافية** فى الدنيا والآخرة تقرأ صباحا ومساء ، ومنها **حزب المريد الحاذق** ومنها **حزب الفتح المستبين** الى غير ذلك من تآليفه رضى الله عنه التى لم تحضرنى الآن تسميتها ، ويوم استجزته حفظه الله ونفع به أخرج لى ستين مجلداً كلها من تصنيفه وأجازنيها على الشرط المألوف المعتبر عند أهله ، وأجازنى جميع ما له من منظوم ومنثور وأدعية وأذكار ، وكل ما رواه عن شيوخه أيمة هذا الشأن ، كالشيخ أبى عبد الله محمد بن على الخروبى الطرابلسى ، والخروبى المذكور أخذ عن الامام الشهير الحجة ، سيدى أبى العباس أحمد بن محمد زروق ، وأخذ زروق عن الشيخ أبى الخير السخاوى وغيره ممن ذكر فى تآليفه رضى الله عنه .

وأجازنى أيضا أسماء الله ما تحمله عن شيخه السيد الامام سيدى يعزا الجزولى ، عن سيدى محمد الحطاب امام الحرم ، عن الشيخ زروق ، وبمثل ذلك عن سيدى محمد بن عبد الرحمان الشريف عن برك . . . الحطاب عن أبيه عن الشيخ زروق ، وبمثل ذلك عن ابى محمد عبد الله الوردى ، عن طاهر بن زيان ، وصافحنى رضى الله عنه وشابكنى كما صافحه وشابكه الخروبى وغيره بالسند المتقدم الى الامام زروق ، وباقى ذلك فى تأليف الشيخ زروق ، وأذن لى رضى الله عنه فى لبس الخرقة من طريق سيدى عبد القادر وسيدى أبى الحسن الشاذلى ، وسيدى أبى مدين رضى الله عنهم ، وأفاض علينا من أنوارهم ، وكتب لى حفظه الله وأسماه خطه بذلك يوم خروجى من حضرة الامامة حاطها الله ، وهو يوم السبت الخامس عشر من ربيع الثانى من عام عشرة وألف سنة ، كل ذلك بمنزله بحارة ياسر من الحضرة المراكشية حماها الله ، وكان له ، نفع الله بعلومه ، زاويه بتادلة كلأها الله يطعم بها أبناء السبيل ، وقد سكن الآن حضرة الامامة وترك أحد أولاده بالزاوية المذكورة مقتفيا سننه فى ذلك ، سلك الله بالجميع أحسن المسالك

وله سبط اسمه عبد العزيز من أعيان أهل الطلب ، مجتهد فى القرءان ، قد لازم شيخنا الامام أبا العباس أحمد الشهير بابا من أهل السودان أعانه الله .

وقد سألنى صاحب الترجمة وأكد على أن أستجيز له مولانا العم ، المفتى العلم ، أبا عثمان سيدى سعيد ابن مولاى الجد أبى العباس أحمد بن أبى يحيا بن عبد الرحمان بن أبى العيش المقرى أدام الله وجوده ، وما ذلك الا لحرص صاحب الترجمة حفظه الله على أنواع العلوم ، والا فقد شارك مولانا العم فى الخروبى وغيره ، وقاربه فى السن لأنه أناف على الثمانين ، والله تعالى يديم وجود كل من فيه مصلحة للخلق من ملك ذى عدل ، أو فقيه ذى فضل ، بمنه وكرمه .

24 ـ أحمد بابا التنبكتى السودانى

الشيخ المؤلف الكبير المصنف العلم الطائر الصيت ، أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت .

لقيته بمراكش حضرة أمير المومنين مولانا المنصور أيد الله أمره ، وانتفعت به واستفدت منه ، وكنت كثيراً ما أذهب معه الى زيارة الصالحين بحضرة الامامة مصحوبين بجملة أعلام ، فنتذاكر فى طريقنا فنوناً جمة ، وأعارنى جملة كتب من خزانته الفريدة ، المبدئة فى اقتناء الغرائب المعيدة . وأجازنى جميع تآليفه المفيدة ، وكتب لى خطه بذلك مراراً عديدة .

فمن تآليفه شرحه على مختصر خليل لم يكمل ، رأيته من الزكاة الى النكاح فى سفرين ، وهو من تجزئة خمسة أسفار ، وسماه **المقصد** .

ومنها **تنبيه الواقف على مسالة « وخصصت نية الحالف »** فى كراس .

ومنها تعليق على الألفية مسمى بـ **(النكت الوفية لشروح الألفية)** وءاخر عليها أيضا لم يكملا .

ومنها **فتح المحيي ، في مسالة حيي** ، في ورقتين ، شرح على قول الألفية (وحيي افكك) البيت .

ومنها **المسك الأنم ، الى معرفة هلم** ، في كراسين .

ومنور الحالك في شرح بيتي ابن مالك اللذين نظمهما في لغات أيمن .

ومنها **نيل الامل في تفضيل النية على العمل** ، في شرح حديث نية المومن ابلغ من عمله مع حديث الصحيحين (اذاهم عبدى) الحديث .

وءاخر فيه ، مسمى **غاية الأمل في تفضيل النية على العمل** .

ومنها **غاية الاجادة في مساواة الفاعل للمبتدأ في شرط الافادة** ، في كراسين .

وءاخر سماه **النكت المستجادة في مساواتهما في شرط الافادة** .

ومنها **التحديث والتأنيس في الاحتجاج بابن ادريس** ، في اللسان ، في اربع ورقات .

واختصار شرح صغرى السنوسي في اربع كراريس .

ومنها **اختصار ترجمة السنوسي** في ثلاث كراريس ، اختصره من **المواهب القدوسية في المناقب السنوسية** للشيخ سيدى محمد بن عمر الملالى رضى الله عنه.

ومنها **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ذيل به **ديباج ابن فرحون** واستدرك عليه نحو السبعمئة ترجمة ، وقد وهب لى مسودته وكتب لى الاجازة على ظهر أول ورقة منها . ونصها :

« الحمد لله كما هو أهله ، وأفضل صلاته على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم ، يقول كاتبه الفقير أحمد بابا ابن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت لطفه الله بهم ووفقه لمرضاته ، أجزت الفقيه الحافظ المتفنن النبيه سيدى أبى العباس أحمد بن محمد المقرى من قرابة الامام العلامة أبى عبد الله المقرى قاضي الجماعة رحمه الله ونفعنا به ءامين . أن يروى عنى هذا التعليق في التاريخ وجميع ما جمعته في الفنون ، وذكر حفظه الله في هذه الاجازة جميع التآليف

المتقدمة ، وزاد **الحواشي على خليل** ، **وجلب النعم ودفع النقم في مجانبه الظلمة ذوى الظلم** ، فى كراسين فى غاية الاتقان فى موضوعه . وجزء فى **تكفير الكبائر بالاعمال الصالحة** وسببه كلام الامام ابن مرزوق فى ذلك فى غاية الافادة ، **وترتيب جامع المعيار** مع الزوائد عليه ، قال كتبت منه مسائل التوحيد والتفسير ، وشرح **العقيدة البرهانية** للسلالجى لم يكمل ، **ومطلبى ومأربى** ، **فى أعظم اسماء ربى** ، فى كراسة ، **وتعليق على مواضع من خليل** ، وعلى **مواضع من ابن الحاجب** ، ومسائل متضمنة فنوناً فى صورة أسئلة ، قال وجهتها لفاس ومراكش وغيرهما ، قال وأجزته غير ذلك مما جمعته فى العربية والفقه والحديث . قال وأجزته أيضاً أن يروى عنى جميع مختصر الشيخ خليل بحق قراءتى له قراءة بحث وتحقيق وحضورى أيضاً كذلك على شيخنا الامام الولى الصالح القدوة الفهامة سيدى محمد بغيع الونكرى(142) نحو عشر مرات فى أزيد من عشر سنين، بحق قراءته له على سيدى أحمد بن سعيد الفقيه الحافظ المحقق الصالح القدوة حفيد سيدى البركة محمود بن عمر وهو حضر فيه قراءة بحث على جده لأمه البركة أبى الثناء سيدى محمود بن عمر الفقيه الامام الولى الصالح المشهور . ح ، وأجازنيه أيضاً فى عموم اجازته سيدى الفقيه المتفنن العلامة والدى أحمد بن محمد بحق قراءته له على عمه سيدى محمود بن عمر المذكور ، بحق قراءته له هو على الشيخ عثمان المغربى ، على العلامة نور الدين السنهورى ، على العلامة البساطى وغيره ، عن أصحاب خليل بهرام والأقفهسى وغيرهما ، عن مؤلفه خليل رحمه الله ، ولنافيه طرف غير هذا ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله ، كتبه الفقير أحمد بابا بتاريخ أواسط المحرم من عام عشرة وألف .

وكتب لى أيضاً يوم خروجى من مراكش حماها الله فى ذلك ما نصه : الحمد لله وكفى ، وسلام على سيدنا محمد المصطفى ، وءاله وصحبه أولى الخير والوفا . وبعد فيقول العبد الفقير ، ذو القصور والتقصير ، أحمد بابا ابن الفقير أحمد بن

---

142) محمد بن محمود بن ابى بكر الونكرى التنبكتى المعروف ببغيع بباء مفتوحة ، فغين معجمة ساكنة فياء مضمومة ، فعين مهملة مضمومة ، ويكتب أحياناً بغيع وهو خطأ . فقيه شهير من كبار علماء السودان المغربى قال الشيخ احمد بابا لا يبعد عندى ان يكون هو العالم المبعوث على رأس هذا القرن ، ولد عام 930 وتوفى عام 1002 انظر ترجمته فى **نيل الابتهاج** ص 341

الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت خار الله له فى أموره ، وحفظه من غير الدهر وشروره ءامين ، لما يسر الله تعالى لى ملاقاة السيد الفقيه المتفنن اللبيب المحصل الحافظ أبى العباس أحمد بن محمد المقرى من ذرية الامام الأكبر ، العالم الأشهر، أبى عبد الله المقرى التلمساني نفعنا الله ببركته ، جالسته وحادثته واستفدت منه فوائد ، طلب منى أعلا الله شأنه أن أجيزه فى الحديث وفيما لى به رواية من كتبه فأسعفته بذلك لأنه أهل لذلك وزيادة فأقول وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب ، أجزت الفقيه المشار اليه أسعده الله تعالى أن يروى عنى جميع ما يجوز لى وعنى روايته مما أخذته من شيوخنا وسادتنا الفضلاء معقولها ومنقولها متى شاء وبأى لفظ شاء على شرطه المعتبر ، عند أهل الأثر ، وهو البراءة من التصحيف والتحريف ، فمن ذلك **موطأ** امامنا الأعظم امام دار الهجرة مالك بن أنس رضى الله عنه، والصحيحين البخارى ومسلم، **والشفا** لأبى الفضل عياض(143) وغيرها من الكتب الستة وغيرها من الأجزاء الحديثية وكتب الفقه ، وسندها كلها يطول الآن كتبه ولنكتب ما لا بد منه .

أما صحيح البخارى فأرويه عن جماعة منهم سيدى والدى سماعاً منه مراراً بقراءته هو مع الاتقان والتحقيق ، وسيدى شيخنا العالم الصالح المحقق محمد بن محمود بغيع سماعا منه أيضا ، وهما يرويانه سماعاً عن شيخهما الفقيه المحدث أبو عبد الله محمد عرف باند عمحمد سماعاً منه غيرما مرة واجازة قائلا أخبرنى به اجازة شيخنا شيخ الاسلام، قاضى القضاة أبو الفتح ابراهيم بن علاء الدين القرشى الشافعى القلقشندى قال أجازنى به شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر أنبأنا أبو على محمد بن أحمد بن على بن عبد العزيز المهدوى ، أخبرنا مشافهة عن يحيا بن سعد عن جعفر بن على الهمدانى ، أنبأنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان الديباجى اجازة ، أنبأنا عبد الله بن محمد بن محمد بن على الباهلى ، حدثنا الحافظ أبو على الجيانى ، أنبأنا أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيا الحذاء سماعاً ، وأبو عمر

143) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى السبتى ، مقدم وفيه فى الحديث والتفسير والأدب والشعر والأصول والفقه والعلوم العربية صاحب الكتب الذائعة الصيت فى المشارق والمغارب **كالشفاء** ، **ومشارق الأنوار** ، **وترتيب المدارك** ، **وشرح مسلم** ، **والتنبيهات** وغيرها . ولد بسبتة عام 476 وتوفى بمراكش عام 546 انظر عنه كتاب **ازهار الرياض ، فى أخبار القاضى عياض وغيره مما يحصل به للنفس ارتياح وللعقل ارتياض** تأليف أبى العباس المقرى صاحب هذا الكتاب

يوسف بن عبد الله بن عبد البر اجازة ، قالا : أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهنى أنبأنا أبو على سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن ، أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربرى ، أنبأنا أبو عبد الله امام الأيمة حجة الاسلام محمد بن اسماعيل البخارى رضى الله عنه ، ولنا فيه والحمد لله أسانيد غير هذا .

وأما صحيح مسلم فأرويه أيضاً سماعا عن سيدى الفقيه المحدث العالم المتفنن والدى أحمد بن محمد ، وعن شيخنا الفقيه المحقق سيدى محمد بغيع سماعاً منه أيضاً جميعه عن شيخهما المحدث اند عمحمد المذكور فوق سماعا لهما منه لجميعه مراراً ، قائلا أخبرنا به شيخنا شيخ الاسلام جمال الدين ابراهيم بن علاء الدين اجازة ، قال أخبرنى به أبو الفضل شيخ الاسلام ابن حجر ، قال أخبرنى به المسند أبو عبد الله النيسابورى مشافهة ، عن أبى الفضل سليمان بن حمزة المقدسى ، عن أبى الحسن على بن المغير ، عن الحافظ أبى الفضل السلامى، عن الحافظ ابن منده ، عن الحافظ أبى بكر الجوزقى ، عن أبى بشر مكى بن عبد الله ، عن الامام أبى الحسين مسلم القشيرى النيسابورى ، وبحق روايتى له عن شيخنا الامام محمد بغيغ عن شيخه شيخ الاسلام البرهمتوشى الحنفى ، بحق قراءته لجميعه عن الامام العلامة خاتمة المحدثين شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن على الفتوحى الحنبلى عرف بابن النجار ، عن شيخ الاسلام البدر أبى السعادات محمد بن شيخ الاسلام عبد الرحمان البلقينى سنة ثلاث وثمانين وثمانمئة ، عن المسند أبى ذر عبد الرحمان بن شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشى الحنبلى سماعاً عليه واجازة ، والمشايخ المسندون الشمس محمد بن سليمان بن أبى بكر الأدرعى الدمشقى ، ومحمد بن محمد بن يوسف الذهبى الحنبلى ، والعلامة أبو الحسين على بن يوسف بن اسماعيل بن بردس ، والبدر محمد بن على بن عبد الرحمان ، والقطب موسى اليونينى البعليون اجازة . قال الأول أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد البيانى سماعاً ، وقال اللذان بعده أنبأنا به أبو

محمد عبد الرحيم بن غنائم الترمذى سماعاً ، قال أولهما لجميعه ، وقال الآخر لبعضه واجازة لباقيه ، وقال الثلاثة الباقون أنبأنا به الشهاب أحمد بن عبد الكريم بن أبى الحسين البعلى سماعاً ، قال البيانى والترمذى أنبأنا به أبو الحسن على بن مسعود بن نفيس الموصلى ، والشرف أبو الفضل أحمد بن هبة الله بن تاج الأمناء أبى الفضل أحمد بن محمد ابن عساكر الدمشقى ، قال الترمذى حضوراً عليهما فى الرابعة واجازة ، قال الآخر سماعاً من لفظ أولهما ، زاد فقال أنبأنا به النجم أبو الفداء اسماعيل بن ابراهيم بن سالم بن الخباز الأنصارى الحنبلى ، والتاج أبو محمد بن صالح الجعبرى سماعاً ، قال ابن نفيس وابن الخباز أخبرنا به الشيخان الرضى ابراهيم بن عمر بن مضر بن فارس الواسطى ، وأبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى . ح ، وأخبرنى به عالياً المسند المعمر الرحلة (144) أبو السعود محمد بن محمد بن محمد العراقى سماعاً عليه لمجلس الختم بسماعه له بفوت على المسند المعمر أبى الطاهر محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن الكويك بسماعه عن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الهادى أنبأنا به أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى زاد ابن الخباز فقال : وأخبرنا به الأمين قاسم بن أبى بكر بن القاسم الأربلى ، وأبو بكر ابن عمر بن يونس المدنى ، والرشيد محمد بن أبى بكر بن محمد العامرى ، قال الجعبرى أنبأنا به الحافظ أبو على الحسن بن محمد بن محمد البكرى ، وقال أحمد بن عبد الكريم البعلى : أخبرتنا به زينب بنت عمر بن كندى سماعاً ، قالت هى والبكرى والأربلى والشرف بن عساكر أنبأنا به الرضى أبو الحسن المريد بن محمد بن على الطوسى ، قال الشرف والمرأة اجازة ، وقال الآخران سماعاً ، وقال ابن مضر أنبأنا به أبو الفتح منصور بن عبد الله بن عبد الله القراوى ، وقال ابن عبد الدائم أنبأنا به أبو عبد الله

---

144) رحلة بضم الراء وتسكين الحاء : رجل جليل القدر يرتحل اليه من الآفاق .

محمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الحراني سماعاً لجميعه الا ما فاته منه مما كان مع كونه ثقة يحلف أنه أعيد له ، قال المزري والعامري أنبأنا به أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الجرستاني سماعاً ، قال هو وابن منده والفروي والمريد أنبأنا به فقيه الحرم أبو عبد الله محمد بن الفضل الصاعدي الفراوي وهو جد والد أحدهم سماعاً الا الجرستاني فاجازة ، قال أنبأنا به أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي قراءة عليه ، قال أنبأنا به أبو أحمد بن محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي ، قال أنبأنا به أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد ، قال أخبرنا به الحافظ أمير المومنين أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله .

وأما كتاب **الموطأ** فأخبرني به والدي سماعاً منه لجميعه في نحو عشرين مجلساً ، وعن شيخنا الفقيه محمد بغيع قراءة مني عليه لجميعه واجازة ، وهما يرويانه عن شيخهما المسند الاثري اند عمحمد بحق روايته له اجازة عن العلامة شرف الدين عبد الحق السنباطي ، قال أخبرنا به أبو الحسن علي بن الفخر عثمان بن محمد البارنبائي ، عن الحافظ الشمس محمد بن عبد الرحمان السخاوي ، أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البكري المالكي ، أخبرنا به الشرف أحمد بن عبد الرحمان بن عسكر البغدادي المالكي سماعاً ، قال أخبرنا به والدي عبد الرحمان سماعاً واجازة مقرونة بالمناولة ، أخبرنا به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله الخولاني اذناً ، قال أخبرنا به القاضي أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث الصفار ، أخبرنا به أبو عمر عثمان بن محمد ابن يوسف اللخمي المعافري عرف بالقسطيلي ، أخبرنا به أبو عيسى يحيا ابن عبيد الله بن يحيا بن يحيا ، قال أخبرني به عم أبي أبو مروان عبيد الله بن يحيا بن يحيا ، قال أخبرني به أبي يحيا ، قال أخبرني به الامام الحجة أبو عبد الله نجم السنن مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه سماعاً ، ولنا فيه أسانيد أخر كثيرة لم يسع الآن كتبها .

وأجزته أيضاً أن يروى عنى صحيح البخارى والسنن الأربع لأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة ، بحق روايتى لها اجازة عن شيخنا الامام محمد بغيع ، بحق روايته هولها عن شيخه العلامة البرهمتوشى حضوراً وسماعاً منه مجالس من أول كتاب الايمان من البخارى واجازة لباقيه ، والسنن الأربع بروايته للبخارى قراءة لجميعه عن شيخ الاسلام أحمد الفنوحى الحنبلى بسنده ، والسنن الأربع بأسانيدها ، وفى كتبها طول .

وأجزته أيضا أن يروى عنى كتاب **الشفا** للقاضى عياض بحق روايتى له قراءة لأوله واجازة لباقيه عن سيدى القدوة الصالح القاضى الذى لا يخاف فى الله لومة لائم ، العاقب بن شيخ الاسلام أبى الثناء سيدى محمود بن عمر ، بحق قراءته هو له كذلك عن شيخ الاسلام ناصر الدين اللقانى ، بحق روايته هو عن شيخ الاسلام أبى الفضل جلال الدين السيوطى بسنده ، وقد أجاز شيخ الاسلام السيوطى الشيخ الامام ناصر الدين اللقانى جميع ما يجوز له وعنه روايته ، وأجاز شيخ الاسلام اللقانى سيدى قاضى القضاة العاقب بن محمود جميع ما يجوز له وعنه ، وكتب له خطه ، وأجازنى شيخ الاسلام سيدى العاقب جميع ما يجوز له وعنه روايته كذلك ، وكتب لى خطه وهو موجود عندى الى الآن والحمد لله ، وأجزت أنا سيدى الفقيه المقرى جميع ذلك .

ح ، وأروى كتاب **الشفا** أيضا سماعا من سيدى والدى لجميعه واجازة ، قال أخبرنى به اجازة الشيخ العلامة أمين الدين الميمونى نزيل مكة ، عن شيخ الاسلام زكرياء الأنصارى بسنده . قال الوالد رحمه الله : وأخبرنى به أيضاً شيخنا المحدث اند عمحمد بن الامام الفقيه المحقق الأثرى التارختى بروايته له عن الشرف عبد الحق بن محمد السنباطى ، قال أخبرنى به قطب الدين محمد بن محب الدين الجوجرى : قال أخبرنى به ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن الفرات الحنفى أنبأنا به العلامة البرهان ابراهيم بن احمد التنوحى سماعاً ، قال أنبأنا به أبو المحاسن يوسف بن محمد المقدسى الدلاصى سماعاً ،

قال أخبرنا به أبو الحسن يحيا بن محمد تامتيت اللواتى ، أنبأنا به أبو الحسن يحيا بن محمد بن الصائغ الأنصارى ، قال أنبأنا الحافظ ابو عمرو عثمان بن التوزى اذناً ، قال أنبأنا به أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان عرف بابن برطله ، عن الشيخ أبى الحسن على بن أحمد الغافقى ، قال أنبأنا به مؤلفه أبو الفضل عياض به رحمه الله تعالى وهذا قل من كثر وغيض من فيض .

وقد أجاز لوالدى رحمه الله جماعة من السادة الأئمة ، منهم الامام ناصر الدين اللقانى ، والشريف المحدث يوسف الأرميونى تلميذ الامام السيوطى المتولى لغسله بعد موته ، والامام العارف بالله أبو المكارم محمد البكرى المشهور فى جماعة آخرين .

وأجاز سيدى الامام العاقب أيضا سيدى الامام العلامة الحجة الفهامة محمد بن محمد الحطاب شارح خليل وغيره وصاحب الفهرسة المشهورة .

وممن أجازنى مكاتبة من مكة ولده الامام الجامع يحيا بن محمد الحطاب . وهو يروى عن أبيه وعمه عن جده وغيره ، ومروياتهم فى حد الكثرة بحيث لا يحاط بها ، وأطلق لى فى الاجازة بجميع ما يجوز له وعنه روايته .

وممن أجازنى أيضاً سيدى الشيخ الحاج الفاضل محمد بن محمد عرف بحمد فادم الفلانى ، وهو يروى عن جماعة منهم الامام محمد بن محمد الحطاب المتقدم ، والشيخ الصوفى شمس الدين المرصفى سبط العارف بالله خليل المرصفى ، وعن الشيخ العارف بالله عبد الوهاب الشعراوى فى جماعة ءاخرين ، وقد أطلق لى الاجازة فيما يجوز له وعنه روايته ، وخصص أيضاً أشياء كثيرة بأسانيدها وفى كتبها طول .

ومما أروى عن سيدى العاقب عن الامام محمد بن محمد الحطاب الحديث المسلسل بالدعاء فى الملتزم بسنده عن عبد الحق السنباطى بسنده ، والمسلسل بالعد فى اليد فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عن العاقب عن الامام

الحطاب بسنده ، والمسلسل بختم المجلس بالدعاء بسنده ، وأروى عن والدى المسلسل بالأولية .

وقد أذنت فى رواية جميع ذلك الفقيه المقرى حفظه الله تعالى وأصلحه ونفعنا به ءامين ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم ، وهذا ما تيسر الآن كتبه مع ضعفى غاية ، فليعذرنى السيد ، وبقية المرويات ان أحب سيدى أن يأخذها فهى عند قاضى الجماعة سيدى أبى القاسم بن أبى النعيم الغسانى بفاس ، فليحصلها باسانيدها من ثمه فانه كتب الجميع عنى ، والله تعالى ييسر لنا وله ما فيه الخير والسلام .

وكتب الفقير أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحيا الصنهاجى التنبكتى المالكى وفقه الله وغفر له بتاريخ يوم السبت خامس عشر ربيع الثانى عام عشرة وألف سنة أرانا الله ختامه فى عافية بمدينة مراكش المصونة حاطها الله . انتهى .

وأنشدنى حفظه الله للشيخ سلامة الأنبارى فى شرحه على المقامات قال وذكر ست مصدوقات لجلس ، والنظم قوله :

لقيت يوماً مبدربا جلسا (145) يقود من بطن قديد جلسا (146)

ثم ارتقى من بعد ذاك جلسا (147) يشرب فيه لبناً وجلسا (148)

مع رفقة لا يشربون جلسا (149) ولا يؤمون لهم جلسا (150)

---

145) رجلا طويلا

146) جملا

147) جبلا عاليا

148) عسلا

149) خمرا

150) مجلسا

قال وذيلها الشيخ أبو المكارم سيدى العارف بالله محمد بن العارف بالله أبى الحسن البكرى مستدركاً عليه ثمانية معان ، فقال مرتجلا :

ويطـؤون من بسيط جلســـا (151) ويخصفون من وريق جلســـا (152)

ويصحبون من نساء جلســـا (153) خريدة لبست فتـاة جلســـا (154)

قد نزلوا من الريـاض جلسـا (155) أمضوا به من الزمان جلســـا (156)

عدد له دون البرايا جلســـا (157) مفوقـين من سهـام جلســـا (158)

قال حفظه الله : هكذا أنشدنيها سيدى والدى الفقيه أحمد بن أحمد قائلا : أنشأها الشيخ وقت الاصفرار فى نبط موضع على ثلاث مراحل من الينبوع منشداً لنا أياها رحمه الله ورضى عنه ءامين .

ولصاحب الترجمة حفظه الله منظومة فى المبعوثين على رأس كل مئة قال فيها فى المئة العاشرة :

وعـاشر القـرون فيـه قـد أتـــا محمـد امـامنـــا وهـــو الفتـــا

وأفاد أن ذلك يرجع للأماكن ، فكل مكان يقيض الله له على رأس كل مئة من يجدد دينه ، فلذلك ادعا أن شيخه المبعوث على رأس المئة العاشرة يعنى بتنبكتو

151) أرضا غليظة
152) شجـرة
153) امرأة شريفة
154) المرأة الملازمة فناء الدار
155) غديـرة
156) وقتـا
157) أهل مجلس
158) سهما طويلا

ومن نظمه حفظه الله ما ذيل به على سبيل المداعبة قول بعضهم ، وكان المنجور رحمه الله ورضى عنه كثيراً ما يتمثل به :

بصبح تقول المعا (159) للضروس أحبة قلبى أراكم جلوس

فقال صاحب الترجمة رعاه الله :

ترجوت من مضغكم لقمة تزيل البلا وتعيش النفوس
اذا الذوق أمرا لنا لذة تجلت لروحى حميا الكؤوس
وان لذ فيها ببلع اللها وساعد بالأكل بعد البؤوس
وساعد من ردها المبتغا ودارت على الحلق منى ضروس
تسنى لنفسى عيش الهنا ففازت بوقت كليل العروس
فذا مطلب النيل لى مسعد يطارد عنى بلاء العبوس

ولصاحب الترجمة حفظه الله يد طولا فى نوازل الفقه والتاريخ لا يجارا فى ذلك ، وكذا فى علوم الحديث ، مع المشاركة التامة فى غيره ، ولهم بتنبكتو رئاسة القضاء .

ولما أن ملك أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله أصقاع السودان ، واستفتح القاصى بها والدان ، استقدم صاحب الترجمة وجملة أعلام من أهل بيتهم قبضوا كلهم فى الطاعون ، ولم يبق الا صاحب الترجمة فسح الله فى أجله ، وهو الآن تحت جراية أمير المومنين أيده الله .

وله سبط اسمه محمد برع فى العلوم أخبرت أنه توفى بعد سفرى من حضرة الامامة حاطها الله ، فمن نظم سبطه المذكور رحمه الله يتشوق الى تنبكتو

يا سائق الأظعان ان جئت من أربع تنبكتو فجىء سنكرى
وحى ثاويها من الصب أو فصف لهم حالى وما يعترى

(159) المصران جمعه أمعاء

وليكن هذا ءاخر ما يتعلق بالفقيه أحمد بابا المذكور على سبيل الاختصار ، والله الموفق بمنه .

25 ـ عبد الواحد الركراكى

الفقيه الفهامة القوى الادراك ، ذو المحاسن التى امتنعت من الاشتراك ، صاحبنا أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله الركراكى .

لقيته بمراكش حماها الله ، وهو ابن أخى قاضى الجماعة بها الفقيه المعقولى أبى عبد الله محمد بن أبى عبد الله الركراكى ، أخذ صاحب الترجمة عن عمه المذكور، وأخذ أيضاً عن شيخ الجماعة أبى مالك سيدى عبد الواحد الشريف رضى الله عنه ، وعن المفتى الحافظ الامام أبى عبد الله الترغى المسارى (160) وغيرهم ، وأخبرنى أنه أخذ عن المنجور رحمه الله .

له مشاركة تامة فى العلوم ، يستظهر مختصر خليل ، ويشارك فى الأصليين والمنطق والبيان واللسان وغير ذلك .

وله تآليف أنبأت بقوة ادراكه ، منها اختصاره **منظومة ابن زكرى فى علم الكلام** ، حذف منها ما تكرر وزاد زيادات ليست فيها ، وصدر منه هذا التأليف برسم الخزانة المنصورية عمرها الله ، ومنها **شرحه لنظم معنى اللبيب** للامام الشهير باليدون مزج فيه الشرح بالمشروح امتزاج الحياة بالروح ، وهو أيضاً بقصد الخزانة المنصورية عمرها الله ، وله غير ذلك .

وهب لى حفظه الله حواشى اللقانى على توضيح الامام خليل بن اسحق المالكى رحمه الله ، وتلك الحواشى لم يرها أهل تلمسان قط ، فلما قدمت بها وشاهدوها سروا بها كثيراً ، وكان ذلك لتشوفهم لحضرة الامامة مثيراً ، وقد قدمت معها بعدة

---

(160) محمد بن الاستاذ أبى يعقوب بن يوسف الترغى المسارى من بيت بنى ترغة من قبائل جبال غمارة المجاورة لبنى سلمان ، الشيخ الامام المقرئى الخطيب المفتى ، ولد بفاس ، وبها توفى عام 1009 أنظر ترجمته فى **الأعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام** 4 : 209

كتب غرائب جمعت من الفنون نظيماً ونثيراً وذلك كله من بركات الامام المنصور بالله أمير المومنين ابن أمير المومنين ابن أمير المومنين أيد الله دولته الطيبه الأعراق ، وملكه من السوس الأقصا الى أقصا العراق ، بمنه وكرمه .

26 ـ محمد القصار القيسى

الشيخ المفتى العلم المتفنن الأدرا المنتصر للعلوم كل الانتصار ، أبو عبد الله محمد بن قاسم بن على القيسى الشهير بالقصار لقباً لا صناعة

لقيته حفظه الله بفاس متولى خطة الفتيا والامامة والخطابة كان له فى علم البيان والأصلين وعلم الأنساب والرجال من رواة الحديث الاطالة والاصابة . أخذ عن جملة أعلام ، كالامام المعقولى الشهير ، أبى عبد الله اليستيثنى (161) والامام حامل لواء علم البيان أبى عبد الله محمد بن أبى الفضل خروف التونسى(162) وولى الله تعالى أبى النعيم سيدى رضوان بن عبد الله الجنوى رحمة الله على جميعهم ، رعن الامام رضوان معظم رواياته ، لأنه كان أعنى رضوان رحمه الله مقدماً فى علم الرواية وحامل راياته ، أخذ رضوان المذكور عن سقين ، عن زكرياء الانصارى ، والقلقشندى كلاهما عن شيخ الاسلام ابن حجر .

وكتب للشيخ القصار صاحب الترجمة حفظه الله بالاجازة من مصر الامام أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطى ، وكتب له أيضاً بالاجازة قاضى قضاة المالكية بالقاهرة المعزية الشيخ بدر الدين القرافى محمد بن يحيا ابن عمر بن يونس المصرى رحمه الله ، ونص ما كتب له به :

لقد أبديت حقا لا مجازاً — بما صار الفقيه به مجازا

محمد بن قاسم من بفاس — وبالقصار قد عرف امتيازا

كذا ولداه كل قد تسمى — محمد ، زاد مجدهما نجازا

---

161) محمد بن عبد الرحمان اليستيثنى ، ويقال اليسيتنى نسبة الى يسيتن قبيلة بربرية من اعمال دبدو ، عالم فاس ومفتيها ، ومحيى العلوم الدائرة فيها ، ولد عام 897 وتوفى ليلة الاربعاء فاتح عام 959 انظر ترجمته فى **نيل الابتهاج** ص 338 **والفكر السامى** 4 : 102

162) محمد بن أبى الفضل المدعو التونسى الانصارى الملقب جار الله ، الامام الفقيه الاصولى وجدد بها سند العلوم المعقولية ، وكان له أيضاً على المنقولات سند عال ، توفى سنة 966 انظر ترجمته
وجدد بها سند العلوم المعقولية ، وكان له أيضاً على المنقولات سند عال ، توفى سنة 966 انظر ترجمته
فى **الفكر السامى** 4 : 102

وكاتبنــــى باخـــــلاص وصـــــدق	وقـــد طلب الافـــادة واستجـــازا
بسلسلـــة الحديـث عـن الأعـــالى	ذوى فضل ومجـــد لا يـــــوازا
عـــلى وجـه سأبديـــه صريحـــاً	يكـون لما حـــواه مستجـــــازا
وينفـع طالبـــاً وبجيــد نفعــــاً	وعند الله مـــن فضـل يجـــازا
ويدعـــو لى بقصـــد ظهـر غيـــب	بخاتمـة تكـون لنـــا مفـــــازا
واشياخـــى يبلغهـــم رضـــــاه	تحيـــات . . . . . نشـــــــازا
بحرمـــة أحمـــد المختـــار طـــه	عليه صـــلاة ربـى لا تـــوازا

قلت ولنذكر هنا طرفا من أشياخ بدر الدين القرافى المذكور لأنا قد اتصلت به وبهم رواياتنا من عدة طرق ، فنقول : من شيوخ البدر المذكور الامام العلامة المحقق الناقد الخاشع السالك زين الدين أحمد الجيزى بجيم مكسورة ثم مثناة تحتية ثم زاى مكسورة نسبة لبلدة على النيل تجاه الروضة روضة مصر ، بينها وبين مصر بحر النيل ، أخذ الجيزى المذكور عن شمس الدين اللقانى فى صحبه والد البدر ، وابتدأ مع والده عليه فى القراءة بيوم واحد ، قرأ عليه الموطأ الى الرضاع قراءة دراية ، وكان حسن الأدب مع المصنفين ، اذا وقف على اشكال يقول ما فهمنا مرادهم ، وكان اذا أشكل عليه شيء لا يفتأ حتى ينجلى عنه الاشكال، وقرأ عليه أول الصحيحين والشفا ، واجازه باقى الستة ، وكل ما يجوز له وعنه روايته ، يروى عن اللقانيين ، وكان يستحضر مسائل الرضى حتى كان يعلم فى أى ورقة هى المسألة ، حضر البدر عنده فى جامع الازهر فى التفسير وخليـل . . . . . مرة وفى المغنى ، وكان فى ءاخر عمره يحب الحج ، ويطلب من الله أن تكون خاتمته هنالك فتوفى بعد أن حج وزار فى الحجة سنة سبـع وسبعيـن وتسعمئة ، وكان كثيراً ما ينشد فى . . . . . .

ومن شيوخ البدر أيضاً يوسف المدعو جمال الدين ابن زكرياء المعين طلبة العلم بمصنفات والده ، قرأ عليه البخارى الى كتاب الصلاة ، أوله بحق روايته

عن والده الشيخ زكرياء وشيخ الاسلام ابراهيم بن أبى شريح الشامى، والقلقشندى ابراهيم وشيخ الاسلام السيوطى ، والامام أبى الجود محمد الشهير بابن النجار الدمياطى ، وشيخ الاسلام عبد البر بن الشحنة الحنفى ، وشيخ الاسلام ابن الكركى ابراهيم بكاف وراء مفتوحتين ، ثم كاف مكسورة .

ومن شيوخ البدر أيضاً أبو عبد الله محمد بن الولى العارف أبى الصفا أحمد شهاب الدين بن الشيخ العارف أبى الفضل عبد الرحمان بن الاستاذ الوارث القطب الربانى العالم صاحب الكرامات ، سيدى محمد شمس الدين أبى الاخلاص التيمى البكرى الصديقى الشاذلى الشهير بالحنفى ، قال البدر أنه ءاخر اجتماع له مع والده أى البدر ضمه ضمة فهم منه أنها وداع ، ولم يجتمعا بعد ذلك ، أجاز له الطيلسان ، وارخاء العذبة ، والجلوس على السجادة ، وتلقين الذكر . أخذ عن الشيخ عبد القادر الشاذلى صحيح البخارى عن الشاوى شهاب الدين أحمد بن طريف ، عن أبى الفضل العراقى .

ويروى البكرى المذكور أيضاً عن قريبه أبى الخير خير الدين ابن القطب سيدى محمد الحنفى ، قال أخبرنى بالبخارى شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر الواسطى بحق سماعه من صدر الدين الميدومى .

ويروى البكرى أيضاً عن الديمى نسبة لقرية من قرى مصر .

ومن شيوخ البكرى الامام السيوطى ، يروى عن أربعة من أصحاب الميدومى ، سمع عليه صحيح مسلم ، وقرأ عليه فهرس أسماء مؤلفاته ستمئة مؤلف ، وأجاز له

ومن شيوخ البكرى ، زكرياء ، والقاضى شهاب الدين الصيرفى ، وكلاهما عن ابن حجر ، ونور الدين الفيشى من أصحاب ابن حجر ، وعلم الدين البلقينى ، والجلال المحلى .

ومن شيوخ البدر أيضاً خاتمة المحدثين ، من ظهرت فيه دعوة جد الحسن صلى الله عليه وسلم « نضر الله امرءاً سمع مقالتي » الحديث : محمد بن أحمد نجم الدين الغيطي المصري ، سمع عليه من صحيح مسلم ومن البخاري ، وسمع عليه الحديث المسلسل بالأولية ، وأجازه اجازة مقرونة بالمناولة .

من شيوخ النجم المذكور زكرياء ، وكمال الدين أبو الفضل محمد بن علي القادري الطويل قاضي القضاة ، والسيد أبو البقاء محمد بن السيد حمزة الحسيني، والشيخ عبد الحق السنباطي ، والأمير بن النجار ، والبدر المشهدي ، والشيخ أبو السعود شهاب الدين بن الشيخ عز الدين عبد العزيز السنباطي .

ومن شيوخ البدر أيضاً المسند المعمر بهاء الدين محمد الشنشوري (163) نسبة لقرية بمصر أبي عبد الله بن نور الدين علي العجمي التركي ، عرف جده ووالده بالعجمي ، الشافعي ، يروى عن زكرياء ، والجلال السيوطي ، والفخر الديمي ، سمع عليه من صحيح البخاري والموطأ ومسلم ، وأجاز له الستة والشفاء والسيرة وغيرها ، ويروى عن الطويل والشيخ عبد الحق السنباطي والقلقشندي، وأجاز البدر في تواليف السيوطي وزكرياء وخصوصا عشاريات السيوطي .

ومن شيوخ البدر المعمر المسند شرف الدين موسى الشهير بالبلقيني الحنفي ، أخذ عن الجلال الأسيوطي وقاضي القضاة ابراهيم الكركي .

ومن شيوخ البدر ايضاً الشيخ محمد بن أحمد بن أحمد الفيشي نسبة الى قرية من مصر ، أبوه وجده عالمان ، أخذ عنه البدر سيرة شيخه خاتمة المحدثين الشيخ محمد الشامي العثماني الشافعي تلميذ السيوطي المسماة **سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد** ، وأجاز له **الموطأ** والبخاري وجميع ما يجوز له

---

163) في الطرة امام كلمة الشنشوري ما يلي : بشينين معجمتين ، الأولى مفتوحة ، والثانية مضمومة ، بعدهما نون وواو ، ثم راء بعدها مثناة تحتية ، نسبة الى قرية من قرى مصر

وعنه روايته ، من شيوخه شمس الدين اللقاني ، والمعمر الرحلة محمد بن عمر النشيلي ، والرحلة الشيخ أبو حفص عمر العبادي شيخ البرقوقية وغيرهم .

ومن شيوخ البدر نور الدين القرافي الأنصاري ، قرأ عليه الحديث المسلسل بالأولية من صحيح البخاري أوله وءاخره ، وأجاز له ما له من رواية ومؤلف .

ومن شيوخ النور قاضي القضاة شيخ الاسلام محمد التتائي المالكي شارح **خليل** وصاحب **السلسبيل الفائض في علم الفرائض** ، قرأ عليه كتابه المذكور والفاتحة ، وأجاز له كل ما يجوز له وعنه ، ويروى عن السيوطي ، وقرأ على مشايخ السيوطي الشهاب الحجازي شاركه فيه الطويل وهو أعلا من عنده ، ويروى النور المذكور عن المقري قريش العثماني البصير عن شمس الدين الجزري شيخ السيوطي عن الشمس ابن الحبار عن محيي الدين النووي .

ومن أشياخ البدر والده شرف الدين يحيا بن عمر بن يونس سبط ابن أبي جمرة من قبل الأم ، ينتمي لسعد بن عبادة سيد الخزرج ، أخذ عن اللقاني قرأ عليه مختصر خليل غير مرة .

ومن أشياخه ، أعني البدر ، زين الدين عبد الرحمان بن علي الأجهوري بضم الهمزة ثم جيم ساكنة ثم هاء مضمومة ثم واو ، ثم راء مكسورة نسبة لقرية من مصر ، أخذ عن الشهاب أحمد الفيشي واللقاني ، رزق السعادة في التلاميذ ، وتخرج به سيدي أحمد بن سيدي أحمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي والبدر المذكور .

ومن أشياخ البدر أيضا الولي الصالح سيدي عبد الرحمان التاجوري الورع الزاهد ، أخذ عن اللقانيين ، وكان ناصر الدين اللقاني يقول فيه : من أراد أن ينظر الى أحد من الصحابة فلينظر اليه ، ويخاطبه بمخاطبة السادة ، أكثر طلبته من

المغاربة ، حضر عنده البدر المدونة والرسالة والموطأ ، وربما وقع اللغط بين البدر وبينهم ، فيقول الشيخ الحق مع المصرى ، ولم يعلم أنه ذكر الدنيا بشىء من مدح ولا ذم ، من أرباب المكاشفات ، ولم يجز البدر ، وأنشد لنفسه بذلك .

وليت ولو قد اوليانى تحسرا وفات مرام كان حالى به اعتلا

وله :

رب متعنى دواما بصديق وخليل

سند البدر المذكور فى خليل عن جماعة عن الشمس اللقانى عن نور الدين السنهورى بفتح السين وضم الهاء نسبة الى قرية من مصر .

أجاز لشيخنا القصار فى الصحيحين والموطأ وباقى الكتب الستة والشفا والسيرة وجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه من مقروء ومجاز وجميع المرويات والمؤلفات والمسانيد والمعاجم ، والمستخرجات ، والمشيخات ، وأجزاء مفردات ، وكتب أسماء الرجال ، والجرح والتعديل ، وكتب فقه الأيمة الأربعة ، وأصول وكلام وتصريف ووعظ ونحو ومعان وبيان وبديع وتاريخ .

وتواليف البدر القرافى شرح مختصر خليل سماه **عطاء الله الجليل الجامع لما عليه من شرح جميل**، جمع فيه بهرام والمواق وحلولو والسنباطى وحاشية ابن غازى ، **والقول المأنوس على القاموس** ، **وأحكام التحقيق فى أحكام التعليق** ، **والدرر النفائس فى هدم الكنائس** ، **والدرر المنيفة فى الفراغ عن الوظيفة** ، **والدرر المنثرة ، فى هبة أم الولد والمدبرة** ، **وهداية السالك لمعرفة أسماء شراح مدونة الامام مالك** ، وشرح **الموطأ** ، **والمدونة** ، **وتقييد على أوائل من الحديث** ، **وبهجة النفوس فى محاكمة بين الصحاح والقاموس** ، **وذيل على الديباج** لابن فرحون فى نحو خمس كراريس أيضاً .

ولما حدث البدر المذكور شيخنا القصار فى كتابه بالفاتحة من طريق الجان أنشد لنفسه :

خصصتك أمرا ليس يخفاك شأنـــــه فشد يـدا واداب لجمـــع مفـــاخـر
وكن حاملا للعلـــم تحمـــد ســـره وتلقـــى رضا البارى بحسن الذخائر
وجد وجد بالنفس فى طلب العـــــلا تلاحـظ وجـه الله فى اليوم الآخـــر

وكان تاريخ اجازة البدر المذكور لشيخنا المفتى ابى عبد الله القصار فى أواسط ربيع الثانى عام خمس وتسعين وتسعمئة .

قلت : وأجازنى شيخنا المفتى الشيخ القصار صاحب الترجمة جميع مـا يجوز له وعنه روايته بشرطه ، وكانت اجازته اياى يوم سفرى من الحضرة الفاسية الى تلمسان حماها الله يوم الخميس سابع عشر القعدة من عام عشرة وألف ، فمما أجازنيه الحديث المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا جار الله تعالى سيدى محمد خروف الأنصارى التونسى ، وهو أول حديث سمعته منه ، وشيخنا ولى الله تعالى سيدى رضوان رحمهما الله تعالى ، وهو أول حديث سمعته منه بسنده ، قالا حدثنا شيخ الاسلام سقين ، وهو أول حديث سمعناه منه ، قال حدثنا شيخ الاسلام زكرياء ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال حدثنا ابن حجر ، وهو أول حديث سمعته منه ، وبقية السند فى فهرسة ابن حجر الـى عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الراحمون يرحمهم الرحمان تبارك وتعالى . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، قال الترمذى حسن صحيح ، وقد رفعت الحديث من ابن حجر الى عبد الله بن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما فى ترجمة الامام الكبيـــر

الشهير أبى العباس أحمد بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى فاغنا ذلك عن تكراره (164) .

وأخبرنى شيخنا القصار المذكور حفظه الله بموطأ امامنا مالك رضى الله عنه اجازة ، قال أخبرنى به الشيخ الولى الصالح أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى قراءة لبعضه وسماعا لبعضه واجازة ومناولة لجميعه ، وحدثنى به عن مفتى فاس ومحدثها أبى زيد عبد الرحمان بن أحمد بن على القصرى العاصمى الشهير بسقين ، عن شيخ الاسلام القلقشندى وزكرياء عن ابن الفرات عن ابن جماعة عن ابن الزبير عن ابن خليل عن ابن زرقون عن الخولانى عن الطلمنكى عن أبى عيسى عن عبيد الله بن يحيا عن أبيه عن مالك رضى الله عنهم .

وأعلى منه به الى ابن الفرات عن ابن أميلة عن ابن البخارى عن المؤيد عن السيدى عن البحيرى عن زاهر عن العباس عن أبى مصعب عن مالك .

وحدثنى به شيخنا القصار أيضا عن شيخ الاسلام أبى الطيب الغزى اجازة عن زكرياء بسنديه ، وهو أعلا منهما والحمد لله .

الجامع الصحيح للامام محمد بن اسماعيل البخارى ، أخبرنى به شيخنا القصار المذكور اجازة عن أبى النعيم رضوان قراءة عليه الا قليلا واجازة ومناولة لجميعه ، عن سقين قراءة عليه غير مرة ، عن زكرياء والقلقشندى ، عن ابن حجر ، عن التنوخى ، عن الحجار ، عن الزبيدى عن أبى الوقت ، عن الداودى ، عن الفربرى ، عن البخارى رضى الله عنهم .

(164) انظر صفحة 291

وأخبرني به أيضاً عن الغزى عن زكرياء وهو عال .

وأخبرني به أيضاً عن المنفرد بالمنطق والكلام وأصول الفقه والبيان بفاس جار الله سيدى محمد خروف الأنصارى رحمه الله سماعاً لبعضه ، قال بقراءة صديقى العالم الصالح سيدى ابراهيم ابن شيخى ولى الله الفقيه الفرضى الاستاذ النحوى سيدى أبى شامة ابن شيخى الفقيه المحصل سيدى عبد الرحمان ابن الفقيه المحصل سيدى ابراهيم الدكالى رضى الله عنهم ، ومناولة لبعضه واجازة لجميعه عن شيخ الاسلام الكمال الطويل القادرى عن الحجازى عن ابن أبى المجد عن الحجار به ، وهما عاليان والحمد لله على ذلك كثيرا .

صحيح الامام مسلم بن الحجاج النيسابورى رضى الله عنه ، أخبرنى به اجازة عن ابى النعيم رضوان سماعا لبعضه بقراءة أبى اسحاق ابراهيم بن ابى شامة السابق واجازة ومناولة لجميعه عن سقين قراءة لجميعه ، عن زكرياء عن الزركشى ، عن البيانى عن ابن عساكر عن المؤيد عن الفراوى عن عبد الغافر عن الجلودى عن ابن سفيان عن مسلم .

وأخبرني به أيضاً عن الغزى عن زكرياء به .

وأخبرنا به أيضاً عن خروف عن الطويل عن العلم البلقينى عن التنوخى عن ابن حمزة عن ابن المنير عن ابن ناصر عن ابن مندة ، عن الجوزقى ، عن مكى ، عن مسلم رضى الله عنهم ، وهما عاليان والحمد لله ، فيقع بسبب ما ذكر فى ثنائيات الموطأ وثلاثيات البخارى بينى وبين حبيب الله ومصطفاه من خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خمسة عشر .

وأخبرني شيخنا المذكور أبقاه الله اجازة ، قال : أخبرنا الغزى اجازة ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن أميلة ، عن ابن البخارى ، عن ابن طبرزد ، عن ابن عبد الباقى ، عن اسحاق الحنبلى ، عن أبى محمد البزار ، عن أبى مسلم .

عن محمد عبد الله الأنصارى ، عن حميد ، عن أنس أن الربيع بنت النضر عمتــه لطمت جارية فكسرت سنها فعرضوا عليهم الارش فأبوا ، فطلبوا العفو فأبوا ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأمرهم بالقصاص ، فجاء أخوها أنس بن النضر فقال يا رسول الله أتكسر سن الربيع ؟ والذى بعثك بالحق لا تكسر سنها ، قال : يا أنس كتاب الله القصاص ، فعفا القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ، رواه البخارى عن الأنصارى ، هذا عــن حميد ، عن أنس ويقع لى بثلاثة عشر لكن حسن .

وأخبرنا رضى الله عنه اجازة قال : أخبرنا الغزى اجازة عن زكرياء عن ابن الفرات عن ابن أميلة عن البخارى عن الصيدلانى عن الجوزادنية عن ابن ريزة ، عن الطبرانى ، حدثنا عبيد الله بن رماحس القيسى برمادة الرملة سنة أربع وسبعين ومئتين ، حدثنا أبو عمر زياد بن طارق ، وكان قد أتت عليه مئة وعشرون سنة ، قال سمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمى يقول لما أسرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين يوم هوزان ذهب يفــرق السبــى والشاء فأنشأت أقــول هــذا الشعــر :

أمنن علينــا رســول الله فى كـــرم ... فانك المــرء نرجــوه وننتــظـــــــر
أمنن على صبية قد عاقهـــا قــــدر ... مشتــت شملهـــا فــى دهرها غيــر
أبقت لنــا الدهــر هتافــا على حــزن ... على قلوبهم الغمـــاء والغمـــــــــر
ان لم تداركهــم نعمــاء تنشرهـــــا ... يا أرجــح الناس حلما حين يختبــر
أمنن على نســوة قد كنت ترضعهـــا ... اذ فوك تملأه من محضهـــا الـــدرر
اذ أنت طفــل صغيــر كنت ترضعهــا ... واذ يزينك ما تــاتى ومــا تــــــدر
لا تجعلنا كمن شالت نعـــامتــــــه ... واستبق منا فانا معشر زهــــــــر
أنا لتشكــر للنعمــاء اذ كفــــرت ... وعندنا بعد هــذا اليــوم مدخــــر

فألبس العفو من قد كنت ترضعــه من أمهــاتك ، أن العفو مشتهــر

يا خير من مرحت كمت الجياد بــه يوم الهياج اذا ما استوقد الشــرر

أنا نؤمل عفــوا منك تلبســه هذى البرية اذ تعفــو وتنتــصر

فاعــف عفا الله عمــا أنت راهبــه يــوم القيامة اذ يهــوى لك الظفــر

قال : فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال : ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وقالت قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسولــه ، وقــالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ولرسوله ، صححه الضياء المقدسى ، ونازعه ابن حجر فى تصحيحه ، ومال الى أنه حسن ، وأجاب ابن عباس عما تكلم به ابن عبد البر وغيره وأطال فى ذلك .

وأخبرنى رضى الله عنه اجازة قال أخبرنى الغزى اجازة عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن جماعة ، عن مونسة ، عن عفيفة ، عن حمزة العلوى ، عن أبى الشيخ ، حدثنا محمد بن زكرياء القرشى ، حدثنا عبد الله بن مسلمة القعنبى ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل معروف صدقة ، وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، حديث حسن من هذا الوجه ، وقد ورد بسند صحيح من غير هذا الطريق .

بشارة عظيمة : قال محمد بن عبد العظيم المنذرى لراءيه فى النوم : دخلنا الجنة وقبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال ابشروا ، كل من كتب بيده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو معه فى الجنة .

غاية عالية : أخبرنا شيخنا المذكور أبقاه الله اجازة . قال حدثنا خروف رحمه الله ، حدثنا الامام سيدى فرج الشريف الطحطحائى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم يقول : من أصبح ءامنا فى سربه معافى فى بدنه معه قوت يومه فكانما سيقت له الدنيا بحذافيرها . ورواه عنه شيخ الاسلام الديمى .

تصانيف الامام عياض بن موسى بن عياض اليحصبى رحمه الله : أخبرنا بها شيخنا الامام ابو عبد الله صاحب الترجمة أبقاه الله اجازة ، عن أبى النعيم رضوان، عن سقين ، عن القلقشندى ، وزكرياء ، عن ابن الفرات ، عن الدلاصى ، عن ابن تامتيت ، عن ابن الصائغ عنه ، وعن الغزى عن زكرياء به ، وهو عال والحمد لله .

تصانيف القرافى وابن حجر وزكرياء : أرويها عن شيخنا القصار المذكور عن أبى النعيم رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن حجر عن العراقى ، وعن الغزى عن زكرياء عن ابن الصلاح ، أخبرنا به أبقاه الله اجازة عن رضوان سماعاً لبعضه ومناولة واجازة لجميعه ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن حجر ، عن ابن أبى المجد ، عن ابن المهتار ، عنه ، وأخبرنا به أيضاً عن الشيخ خروف ، عن الطويل ، عن الحجازى ، عن ابن أبى المجد به ، وأخبرنا رضى الله عنه وابقاه بتصانيف العراقى أيضا عن خروف عن الطويل عن الحجازى عنه .

رسالة ابن أبى زيد رضى الله عنه : أخبرنا بها رضى الله عنه اجازة عن الشيخ رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن أميلة ، عن البخارى ، عن الخشوعى ، عن الرازى عن ابن الوليد ، عنه ، وهذا عال ، وأخبرنا بها عن الغزى عن زكرياء ، وهذا أعلا والحمد لله .

مختصرا ابن الحاجب الأصلى والفرعى ، أخبرنا بهما رضى الله عنه اجازة عن الشيخ رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن أبى الفتح المراغى ، عن أبى طلحة الحراوى ، عن الدمياطى ، عنه ، وأخبرنا بهما أيضاً عن الغزى ، عن زكرياء به .

تصانيف الامام البيضاوى . أخبرنا بها رضى الله اجازة عن رضوان عن سقين عن زكرياء ، عن ابن حجر ، عن أبى هريرة ابن الحافظ الذهبى ، عن ابن الياس عنه . وأخبرنا بها أيضا اجازة عن زكرياء به .

جمع الجوامع لابن السبكى وجميع تصانيفه : أخبرنا بها رضى الله عنه اجازة عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عنه ، وأخبرنا بها أيضاً اجازة عن الغزى عن زكرياء به .

البـــردة ، أخبرنا بها أبقاه الله اجازة عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء عن ابن الفرات عن ابن جماعة عن الناظم ، وأخبرنا أيضاً بها اجازة عن الغزى عن زكرياء به .

وأتصل بسيدنا القطب الجامع سيدنا ومولانا عبد القادر الكيلانى عن شيخنا القصار المذكور ، عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء (165) عن ابن حجر عن التنوخى ، عن الحجار ، عن ابن القبيطى ، عنه ، وأتصل به أيضاً عن الشيخ القصار المذكور ، عن خروف ، عن الطويل القادرى ، عن الحجازى ، عن ابن أبى المجد ، عن الحجار به ، وأتصل بسيدنا ومولانا أبى الحسن الشاذلى عنه عن رضوان ، عن سقين ، عن القلقشندى ، عن الواسطى ، عن الميدومى ، عن أبى العباس المرسى ، عنه . وأتصل بسيدنا ومولانا أبى عبد الله الساحلى عنه أعنى القصار ، عن الاستاذ أبى العباس التسولى ، عن الدقون ، عن المواق ، عن الصناع ، عنه .

وأجازنا شيخنا المذكور أبقاه الله كتاب **قوت القلوب** للامام أبى طالب المكى رحمه الله عن الغزى عن زكرياء عن ابن الفرات عن ابن جماعة ، عن ابن الزبير ، عن ابن الشارى ، عن الحجرى ، عن عبد الحق بن عطية ، عن أبيه غالب ، عن أبى بكر محمد بن نعمة القرشى ، عن عبد الحكم بن محمد الصقلى ، عن أحمد بن شعيب المقرى ، عن أبى طالب المكى رضى الله عن جميعهم بمنه وكرمه .

---

(165) فى الطرة : كان مولد زكرياء عام 820 وتوفى عام 920 فعمره مئة سنة رحمه الله

كتاب **احياء علوم الدين** لأبى حامد الغزالى رضى الله عنه ، أخبرنا به اجازة عن الغزى ، عن زكرياء ، عن أبى النعيم رضوان الحافظ ،عن ابن أبى المجد ، عن سليمان بن حمزة ، عن محمد بن حماد الحرانى ، عن أبى سعد عبد الكريم السمعانى ، عن محمد بن ثابت ، عن أبى حامد الغزالى سماعاً رضى الله عنهم أجمعين .

وأخبرنا بهما أيضا رضى الله عنه اجازة أى بالاحياء والقوت عن رضوان ، عن سقين ، عن زكرياء به ، وأخبرنا رضى الله عنه اجازة عن الغزى ، عن زكرياء ، عن ابن الفرات ، عن ابن جماعة ، عن ابن الزبير ، عن أبى عبد الله محمد بن عياض، عن الخشوعى ، عن أبى عبد الله محمد بن أحمد المعروف بابن الحطاب ، عن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب البغدادى ، عن موسى بن عرفة السمسار ، عن أبى عمرو أحمد بن الفضل النفزى ، عن اسماعيل بن موسى ، عن عمر بن شاكر ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتى على الناس زمان الصابر منهم على دينه كالقابض على الجمر ، انتهى .

قلت ولنقتصر على هذا القدر من أسانيد شيخنا الامام المفتى أبى عبد الله القصار المذكور أبقاه الله فانها كثيرة جداً ، وكذلك مسلسلاته فى جملة من النظم بأسانيدها الى أربابها لم أذكر منها شيئاً خوف الاطالة ، منها ما أنشدناه فى عمود اجازته ، قال أنشدنا أبو العباس التسولى ، قال أنشدنى أبو العباس الدقون، قال أنشدنى أبو عبد الله المواق ، قال أنشدنى المنتورى ، قال أنشدنى ابن بقى. قال أنشدنى ابن شاطر ، قال أنشدنى أبو العباس أحمد بن البناء الأزدى .

قصدت الى الوجازة فى كلامى ... لعلمى بالصواب فى الاختصار
ولم أحذر فهوما دون فهمى ... ولكن خفت ازراء الكبار
فشأن فحولة العلماء شأنى ... وشأن البسط تعليم الصغار

ولما طلبت منه حفظه الله الاجازة كتب لى خطه وأذن لى فى كل ما يجوز لـه وعنه روايته بشرطه المعتبر عند أهله ، وأنشدنى حينئذ لنفسه وذلك بمصرية بدويرة جامع القرويين المعينة لامام الصلاة :

أجزت لكم مروينـا مطلقـا وما　　لنـا سائلا أن ترحمـوا بدعاء

وكان مولده حفظه الله سنة أربعين أو تسع وثلاثين وتسعمئة .

وأماما صدر عنه من التآليف فأخبرت أن له حاشية عجيبة على شرح الكبرى للامام السنوسى انتقد فيها كثيرا من حاشية المنجور ، ولـه غيرهـا ممـا لـم يحضرنى تعيينـه .

ومن نظمه رحمه الله ، وهو نظم فقيه :

ألفيـن واثنـين وستمئـه　　أسند للنبـى البخارى يثبت

وقال أيضا :

وصل البخارى شش خب ومعلقـه　　نطق ومقطوعه زده ومـا وقفـا

وقال أيضا أدامه الله فى خبر الواحد المحتج به .

وصـل عـدالـة وضبـط عـاضـد　　ما شد ما اعتـل لنقـل الواحـد

وقال أيضا حفظه الله يمدح صحاح الجوهرى رحمه الله .

جزى الله عنا الجـوهرى بجنـة　　كسا كلنـا من تاجه المرتضا تاجـا
اذا ما رءا ياقوتة منـه مشكـل　　يذوب فاعطـا الملك من كان محتاجا

وقال يذم أم الفواحش :

ما ذا عسى فى الخمر أن أقـولا　　بـول مريـض يذهب العقـولا

وقال حفظه الله في أدوات الاستفهام جمعها في بيت واحد :

فهل أي ما من أين أيان كيف كم   متى همز أنى أم سلن عن الحكم

وقال حفظه الله :

ثلاثة لا يلامون على خلق   قد ساء ذو مرض والجوع والعدم

ومن فوائده حفظه الله من استدل في الضروري عمي من حيث يبصر وجهل من حيث يستبصر ، قاله الباقلاني ، ثم نظمه الشيخ القصار المذكور فقال :

من استدل في الضروري عمى   من حيث يبصر وللجهل نمى
من حيث يستبصر قاله الامام   الباقلاني محقق الكلام

وقال حفظه الله يمدح سعد الدين التفتازاني رضى الله عنه :

جزى الله سعد الدين مني بجنة   وأسكنه منها بخير مقام
فقد كنت أهواه فزاد محبة   بما ساق من رضوان خير امام

وقال حفظه الله وقد ظهر في وجهه أثر عض الناموس بالحضرة المراكشية :

لما وعا قلبي محبة حضرة   دام الامام بها أبو العباس
ظهرت شواهدها بوجهي أنجما   والنجم هاد شاهد للناس

ووجدت بخطه حفظه الله أثناء رسالة كتب لشيخنا تلميذه الامام الفرضي العلامة أبي العباس بن أبي العافية الشهير بابن القاضي أبقاه الله ما نصه : وبعد أعزكم الله فقد حملني الفرح على أن قلت :

يا سيدي ابن القاضي شرفت الوطن   بمصنفاتكم وحليت الزمن
فأطال ربي للزيادة عمركم   وأدام ينبوع العلوم مع المنن
مولاي أحمد عالم الخلفاء من   أحيا العلوم وأهلها نجل الحسن

فهذا ما وقفت عليه من نظمه حفظه الله، وهو الآن متولى خطة الفتيا مضافة الى الامامة والخطابة، وقد كنت تركته عزل عن الفتيا وجعل مكانه الفقيه القاضي أبو الحسن على بن عمران حفظه الله ، ثم أخبرني الثقة في هذا التاريخ أنه لما قدم مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيد الله أوامره وظفر أجناده وعساكره الى الحضرة الفاسية رد اليه الفتيا ، وولى الفقيه ابن عمران قضاء حضرة الامامة حماها الله .

وكان سبب تلقيب صاحب الترجمة بالقصار على ما أخبر به أن رجلا قصارا قدم على بعض اجداده بالوصية فجرت عليه وهو حفظه الله بادى الصلاح ذو تؤدة وسمت حسن مع التواضع ولين الجانب . وله خزانة كتب عظيمة جدا جمعها كلها من غير أن يترك أسلافه من ذلك شيئا . والله تعالى يعينه وينجده بمنه وكرمه .

هذا ءاخر الغرض المتعلق به على سبيل الاختصار ، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم .

27 – على بن عمران السلاسى

الفقيه القاضي المفتي العلامة المتفنن أعجوبة الزمان أبو الحسن على بن عبد الرحمان بن أحمد بن عمران السلاسى .

قاضي الحضرة الفاسية ومفتيها . ومولى العلوم على أحسن الوجوه لطلابها ومؤتيها ، حافظ لا تدرك غايته ، ومحقق حمدت في فهم العلوم سعايته ، يقوم على مختصر خليل أتم قيام يستيقظ لازالة الاشكالات والناس نيام ، مع المشاركة في التفسير والأصلين والبيان والمنطق والنحو ، وله رواية في الحديث عن الشيخ أبي راشد يعقوب البدري ، وعن المفتي أبي عبد الله القصار ، وقرأ على البدري الحوفية قراءة تحقيق فظهر منه من حسن الفهم ما تعجب منه من حضره ، وأخذ عن البدري أيضا تلخيص ابن البناء الازدي رحمه الله ، وأخذ النحو عن أبي

العباس أحمد بن علي القدومي رحمه الله ، وأخذ أنواع العلوم عن الشيخ الاستاذ النحوى أبي العباس أحمد بن علي الزموري ، ولازمه كثيراً وبه كان جل انتفاعه ، وبه تأدب ، وأخذ عن غير من ذكر من مشيخة عصره ، ثم برز على أعلام المغرب حفظا وفهماً ، وقد حدثت أن مولانا أمير المومنين المنصور بالله أيده الله قد ولاه في هذه الايام قضاء الحضرة المراكشية حاطها الله ، وناهيك بمن ينتقيه أمير المومنين نصره الله لقضاء حضرته .

وهذا الشيخ صاحب الترجمة حفظه الله ءاية من ءايات الله في السير فكاد أن يحفظ اكتفاء الكلاعي عن ظهر قلب حتى لا يند عليه منه شيء ، ويسرد تلك القصائد المطولات التي فيه حسبما شاهدته .

قلت : وأول يوم دخلت فاسا حاطها الله رابع صفر من عام تسعة وألف حضرت مجلس صاحب الترجمة في مختصر خليل وبحلقته جمع وافر من نجباء الفقهاء ، فوجدته في القراءة عند قول صاحب المختصر في الفريضة المنبرية لقول علي رضي الله عنه صار ثمنها تسعاً ، فنقل هذا المترجم له هنالك ما ذكر الشراح ، ثم استطرد ما ذكره العقباني بلدينا الامام القاضي سيدي سعيد رحمه الله ، وبعد ذلك قال ان الضمير في قوله ثمنها يعود على الزوجة فسلمه جميع الحاضرين ، وكنت وراءهم لست في الحلقة الأولى لكوني غريباً لم أتجرأ أن أجلس معهم في الحلقة لقصور باعي في العلم بالنسبة الى أولئك ، فقلت حفظكم الله ان الضمير يعود على الفريضة لا على الزوجة ، فقال بعض الحاضرين لا خصوصية اذن للثمن ، لأن كل فرض في مسائل العول ينقص صاحبه منه ، فالثلثان للبنتين في مسألتنا قد نقصا ، وكذا السدسان اللذان للأب وللأم ، فقلت وهذا مشترك الالزام فلا خصوصية للزوجة كما هو ظاهر ، على أنا نقول انما خص الثمن بالذكر لقوله فيه صار تسعاً ، وذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يخطب في

خطبة فاصلة العين ؟ فلما سئل عن هذه المسألة قال صار ثمنها تسعاً على فاصلة خطبته ، ومر فى خطبته ، فقال الشيخ صاحب الترجمة ما ذكرته حسن ان كان ثم ما يعضد أن الضمير يعود على الفريضة لا على الزوجة ، فقلت هذا أبو اسحاق التلمسانى صاحب الرجز يقول :

كـزوجـة وأبويـن وابنتيـن فاعلم فان العلم للانسان زيـن
وهى التى يدعونها للمنبـر دونهـا فاعلمـن بهـا واذكـر
اذ سائـل سـال عليـا خاطبـا عنها فافتاه عنهـا مجـاوبـا
وقـال صار ثمنهـا تسعهـا لحكمـة بالغـة جمعهـا

فقال الصواب ما ذكرت ، فاراد بعض الحاضرين المعارضة فقال له الحق ما ذكر ، وليس اعتراضك بشيء ، وانما ذكرت هذه الحكاية لأجل الانصاف الذى وقع من شيخنا صاحب الترجمة حفظه الله وذلك شان الأكابر ، ووقع بيننا فى ذلك المجلس أبحاث قيدتها فى غير هذه العجالة .

ولصاحب الترجمة حفظه الله نظم رائق ، وأمداح فى أمير المومنين مولانا المنصور بالله وولى عهده مولانا المأمون أيدهم الله ، فمن ذلك قوله فـى بعـض الموالد الشريفة :

أهاج اشتياقى حاجـر ومسيـل فللدمـع فى صحن الخدود مسيـل
ودمعى سريع للعقيـق مضـارع ووجدى وليلـى وافـر وطويـل

وهى طويلة من غر قصائده حفظه الله لم أقف على باقيها .

وله مطلع ءاخر

اروا الحديث عن العقيق وبانه

وقال أسماء الله مخمسا بيتى أمير المومنين مولانا المنصــور بــالله وقــد تقدم ذكرهما :

رمانى لحظ منه يا قوم فـــاتـــــر فيا عجبا من فاتـــر وهو بـــاتـــــر
ولما جنا حبى ومالى ثـــائـــــر طرقت حمـــاه والأسود خـــــوادر
به فتولى فى الظبا وهو يشرد

ألم يدر انى مقـــدم ومقـــــــدم وفى الحرب والهيجا هــزبر وضيغــم
ولست أبالى ما الخميس العرمـــــرم فعلمت ءاساد الشرا كيف تقـــــدم
وعلم غزلان النقا كيف تشرد

مولده حفظه الله سنة ستين وتسعمئة أعانه الله بمنه وكرمه .

28 ـ أبو القاسم بن أبى النعيم الغسانى

القاضى العلم العلامة المشارك البيانى أبو القاسم بن محمد بن أبى القاسم بن محمد ابن أبى النعيم الغسانى ، قاضى حضرة فاس حماها الله .

لقيته بها واستفدت منه ، وقرأت عليه نحو النصف من **التلخيص** وأخذته عنه ، انفرد بمعرفة البيان وبرز فيه على أهل عصره ، وعز نظيره فى الأمصار فلا جرم أن دعى عزيز مصره مع المشاركة فى الأصلين والمنطق والعربية والعروض والقيام بعلوم التفسير ، قد نسب من ذلك الى الفخر وورثه ارث ذوى الفروض .

ولما أبت من الحضرة المراكشية حماها الله وافدا على ولى العهد أنجده الله ، قام شيخنا المذكور على قدم اعتنائه ، حتى قضا الغرض فأوقف فكرى بصنيعه على مساجد مدحه وثنائه .

أخذ حفظه الله عن الامام المنجور ، وعن القاضى الحميدى ، وعن المفتى السراج رحم الله جميعهم ، وغيرهم ممن يطول ذكره .

وهو أحد القواسم المشهورين بالمغرب ، والثلاثة الباقون سيدنا الماهر أبو القاسم الوزير أبقاه الله ، والقاضى أبو القاسم بن قاسم بن سودة رحمه الله ، والعروضى القاسم بن ابراهيم المدجن القصرى ، وصاحب الترجمة أدراهم ، الا أن أبا القاسم الوزير حفظه الله اختص بمعرفة علم الطب ، وصاحب الترجمة شارك فى سائر العلوم أتم مشاركة .

29 ـ عبد الرحمان بن ابراهيم المشترائى

الفقيه العلامة الخطيب أبو زيد عبد الرحمان بن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن ابراهيم المشترائى الشهير بابن ابراهيم ، من أهل فاس .

لقيته بها ، وبيتهم بيت علم وصلاح ، كان جده الامام عبد الرحمان بن ابراهيم علم عصره ، أخذ عن ابن غازى وغيره ، وأخذ عنه مولاى العم المفتى أبقاه الله ، والشيخ المنجور ، وغيرهم ، وعمه الامام أبو القاسم من أكابر الأعلام ، أخذ عنه الاستاذ الزمورى ، والحافظ الترغى ، وبلدينا المفتى أبو عبد الله المرى وغيرهم .

أخذ صاحب الترجمة عن القصار ، وشيخنا أبى العباس ابن القاضى ، وعن السراج ، والحميدى ، والزمورى ، وغيرهم من أعلام ذلك العصر ، وله مشاركة تامة فى الفقه والأصلين والمنطق وعلوم الحديث وغير ذلك .

وأخبرت أنه سافر فى هذا التاريخ لبلد السودان الشاسعة ، ولا أدرى ما سبب ذلك مع أنه كان خطيبا بجامع باب الجيسة من الحضرة الفاسية حماها الله .

وله مجالس للتدريس . وله نظم رائق لم أكتب منه الا النادر ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بديع المنصور أمير المومنين أيد الله أمره ، وأدام نصره :

قصر تفرد بالمحاسن قلبه   فأفاد قصر القلب والافراد

وهى من غر قصائده ، أنشدنيها بلفظه ولم أحفظ منها الا هذا البيت ولا حول ولا قوة الا بالله ، وكذا أنشدني لنفسه أيضاً أخرى في مدح أمير المومنين نصره الله ، ولم يتعلق بحفظى أيضاً منها الا بيت فرد وهو :

أنا الدخيل فأقفو كل قافية ... وللدخيل من الاشباع ما عرفا

ولا يخفى ما اشتمل عليه هذا من أنواع التورية بعلم العروض .

وقال حفظه الله ملغزاً ، وذكر الجواب عن هذا اللغز في ترجمة شيخنا أبي العباس ابن القاضي حفظه الله ، وفي ترجمة الكاتب الوجدى (166) :

أحاجى فاضلا حبراً نجيبا ... ليعرب عن ضمائر ما يفهم
فما اثنان استطالا واستداما ... وقد قسما الزمان بدون ضيم
وخل زاد بالبعد امتلاء ... ويسقم ان يواصل أى سقم
وضيف جاءنا من غير أرض ... فناولناه شاة دون عظم

وقال حفظه الله :

حشيشه يعتادها شادن ... حشاشة القلب اليه تطيش
لا تعجبوا اذ عاد يعتادها ... فالظبى لا يعهد غير الحشيش

واجتاز ذات يوم مع الكاتب أبى عبد الله الوجدى بدرب الغفيرى ، فقال الكاتب الوجدى ارتجالا :

أيا درب الغفير عليك منى ... سلام فى الصباح وفى المساء

فقال صاحب الترجمة مجيزاً له :

عليك تحية من عند صب ... يحن الى الشوادن والظباء

---

166) انظر صفحة 85 وصفحة 256

فقال له الوجدى المذكور لو قيل فى المساء مع الصباح كيف يقال فى البيت الثانى ؟ فقال بديهة : « يحن الى الشوادن والملاح » ، ونظمه كثيراً جداً ومع ذلك فهو فى غاية الاجادة ولم نقف منه الا على ما ذكرت .

ولما قدمت الحضرة الفاسية حماها الله كان أحد المسرعين الى برى وتأنيسى جزاه الله أفضل الجزاء بمنه .

وكانت ولادته حفظه الله بمدينة فاس المحروسة سنة تسع وستين وتسعمة وتولا خطابة جامع باب الجيسة بعد موت أبيه وله حفظه الله مشاركة فى علوم الأوائل من هندسة ونجوم وغير ذلك ، والله تعالى يسلك بنا وبه سبل هداه ، ويرده من الصقع السودانى سالما ظافرا بما أمل قصر أم طال مداه ، بمنه وكرمه .

30 ـ محمد بن رضوان النجارى

السيد أبو عبد الله محمد بن يوسف بن رضوان النجارى ، من أهل فاس .

لقيته بمراكش حماها الله ، وهو من ذرية الامام رئيس الكتاب الشهير أبى القاسم ابن رضوان صاحب المؤلف فى السياسة وغيره .

لصاحب الترجمة حفظه الله نظم لا بأس به ، فمنه قوله فى السد الذى أنشأه أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله حسبما تقدم الالمام بذكره (167)

شنى مكارم لم تعد لقياس ... حاز الفخار بها أبو العباس

شمس الخلافة قطبها وامامها ... وجمال مفرقها وتاج الراس

سبط الرسول المصطفا وامامنا ... ذو الفخر والآلاء ملك الناس

فأقلها تأسيسه وسداده ... سداً تعاظم أمره من فاس

حتى غدا من عزمه متكملا ... مستوعباً مستوثق الآساس

(167) انظر صفحة 23

من بعد تعطيل المساجد جملـــة   من فاس أندلس عـلى أجنـــاس
وغـدا الريـاض لأجـل ذاك مواحلا   من بعد غضتهـا وحسـن كـــاس
لله هـــزتـه اذا ذكـــر النـــدا   فتسـح أنملـه عـــلى الجـلاس
فتخالهـــا وكـــاف مـــزن مسبل   كم معسر أغنـــاه مـن افـــلاس

وقال مجيزا شطر أبى الحسن الهوزالى ، قال أعنى الهوزالى :

رشأ كان عـــذاره وجفـــونــــه

فقال صاحب الترجمة :

مـن نرجس هـذا ، وذا مـن ءاس

لعبت محاسنـــه وساحـر طرفـــه   بفـــؤاد صب مـردف الأنفـــاس

وقـــال :

سهرت لذكـــر فراقـك الآمـــاق   وتنـــاثـرت بدموعهـــا الأحـــداق
وتبـــادرت بسجـامهـا فكأنهـــا   صوب تحدر للمسيـــل يـــراق

وقال حفظه الله مضمناً البيت الذى ذكرنا حكايته فى ترجمة الشهاب :

يا جؤذراً رام الفـؤاد برميـــه   والصد أغـرا اذ تصـــدا وانثنـــا
حكـم الصـدود عـلى . . . . اذاقـــه   طعـم الأسـا فغـدا بقتـل معلنـــا
(خلص بجاه الحب قلب متيـــم   غمـز الصدود عليـــه أعوان الضنا)

ولم أقف من نظمه على أكثر من هذا .

ولـد حفظه الله سنة 667 وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه (168)

168) بالطرة ازاء هذا السطر : وتوفى سنة 1014

31 — على السجلماسى

الفقيه النحوى الأديب المشارك المتفنن البارع الخط أبو الحسن على بن الزبير السجلماسى الملقب بين الأصحاب بالعضد .

لقيته بفاس أخره الدهر وحقه أن يقدم ، وهدم بناء علمه وحقه أن لا يهدم ، شغل نفسه مدة بالتدريس فى البيان والعربية ، ولم تك نفسه عن ادراك غايتهما بأبية ، وكتب مرة عن الأمير الأجل المولى أبى المعالى زيدان بن أمير المومنين نصره الله .

أخذ عن الحميدى ، والسراج والزمورى ، وغيرهم من أعلام ذلك العصر ، وبرع فى النحو حتى صار الآن من أكابر النحويين بالحضرة الفاسية ، وله نظم منه قوله فى السد الذى انشأه أمير المومنين نصره الله :

قل للامام جزاه الله مكرمة ... حيث أعتنا بانسداد السد للأمم
كهف الأنام وغوث المسلمين لقد ... أضحت مآثره ناراً على علم
أعظم به من امام زانه شرف ... ومد ساعده بالمجد والكرم
وكيف لا ينقضى سد بفاس وقد ... توجه الأمر من مولاى ذى الهمم
لا زال يرفل فى ثوب الفخار اذن ... ويرتقى فى معالى المجد بالقدم

وقال مضمنا :

قد قلت للظبى الذى سلب الحشا ... والقلب منى راعه لما رنا
(خلص بجاه الحب قلب متيم ... غمز الصدود عليه أعوان الضنا)

وقال حفظه الله :

بوادى الجواهر (169) أبصرت من ... سبا مهجتى بالجفون المراض
يروم اقتطاف أزاهره ... ويمرح ما بين تلك الرياض
فقلت له بعد أن أثخنت

(169) هو وادى فاس

الى هنا أنشد لنفسه ، فكمله الكاتب أبو عبد الله الوجدى بان قال :

حشاى بلحظ مـن الهنـد مـاض
صددت وطرفـك يبـدى الجفـا — حذار الوشـاة وقلبـك راض
فقـال كذاك لطيـف الحجـا — يـوارى السرور ويبـدى انقباض

وقـال :

لا تعجبـوا مـن شـادن — لـه خـديـد جلنـار
ان سـل من سيف لـه — لحيـن صب ذا الفقـار
اذ هـو فى قتـلى عـلى — لكنـه يبـدى النفـار

وخاطب الكاتب أبا عبد الله الوجدى بلغز هو :

أحاجى خبيرا باللغـور وحلهـا — ومن شأنه كشف المعما بلا عسر
ومن نظمه كالدر يسحر ذا النهـا — ويسبى عقول القارضين ومن يدرى
ومن نثره كالعقد فى نحر غـادة — فمن أجل هذا يدريه ذوو الشعـر
عن اسم غـدا قلبى بحسن جمالـه — أسير غـرام قط لا ينقضى أسـرى
وقلب لـه قـاس اذا ما قلبتـه — على أن قلب القلب فيه شفـا ضرى
ولن أنت أسقطت الأخيـر وثانيـا — وجـدت . . . .
ومن دون أن يطـوى الأخير . . . . — بدت نفر ياصاح لا ريث فـى الأمـر
أجبنى جوابـاً من جواهـر فكركـم — ليذهب دجـن الجهل بالنظم والنثـر
فلا زلتم صدراً لدا كل محفـل — وعونا على فك الرموز بلا نكـر
وهذا سلام الله منـى اليكـم — سلام محب سالم القلب والصـدر
على عدد الايام والرمل والحصـا — وما غرد القمـرى فى غصن خضـر

32 ـ عبد العزيز الجبار

الأديب الشاعر المفلق ، صاحب النادرة الغريبة ، أبو فارس عبد العزير بن محمد بن عمر الجبار ، من أهل فاس .

لقيته بها ولم ينشدنـي شيئاً من نظمه ، انما أنشدنيه الثقات الذين سمعوه منه ، وله في الخمريات أخبار ينقلها عنه أهل ذلك المذهب ، فمن نظمه قوله مضمناً

ولما أن دعا للبين داع ... صروف الدهر وانهلت مـئاقـي
أتـا متمثلا في الحال حبي ... ببيت كـاد أن يدنـي سياقي
أتظعن عـن حبيبك ثـم تبكـي ... عليه فمن دعـاك الـى الفـراق
فصرنا في البكا فرسـي رهـان ... وأنشد كلنـا ممـا يلاقـي
فما في الارض أشقـا من محـب ... وان وجـد الهـوا حلـو المـذاق !

وله أيضاً :

جمعت معاني الحسن في غاية المجد ... بما قد قراك اليـوم من نعم تسـدى
مدام ونقل واجتماع أحبـة ... جدير بهـذا أن تسمـا أبا السعـد
واني على ريب الزمـان لمنشـد ... لما قد أراني من غـرام ومن وجـد
أحبكم ما دمت حيا فان أمـت ... فوا كبدي من ذا يحبكـم بعـدي ؟

وقال يهجو :

أيا من ليس يعـرف قـام زيـد ... وأفنا عمـره فـي الاشتغـال
ولم ينصب من التحذيـر شيئـاً ... ولـم يحـزم بغيـر الاعتـلال
متى صدرت في بـاب المنـادا ... فهمـت اشـارتـي عـن كل حال

وقال يهجو بعض القضاة :

وقـاض لا يـرا بالعجب بـاسـاً ... تشعـب عجبـه لمـؤرخيـه
أراد بـه القيـام عـلى أنـاس ... فاقعـده الزمـان عـلى أخيـه

وقال مخمسا ، نسبه له الأديب ابن يعقوب رحمه الله :

أفاض دموعي داعــي البيـــن اذ بدا   وحــادي جمال الحي قطـع مذ حــدا
فؤادي ، وأضحى مني الحــال منشداً   (وقائلة ما بـــال دمعـك مســـودا
وقد كان مبيضــاً وأنــت نحيـــل)

أمن بعد حب لن تـــرا منـــه مالكـا   أمن طول هجـر لم تجد فيه مشتكـا
وهل فيك داء صير الدمـــع حالكــاً   (فقلت لها قد جـف دمعـي من البكا
وهــذا سواد العيـــن فيه يسيـــل)

ويا ليت حبي فاهـــم ما أردتـــــه   اذا جـــاء يومـــاً زائـراً وقصدتـه
وأنشد من شوقـــي له ان وجدتـــه   (فناء دموعـــي في هواك حمدتـــه
وجرى السواد اليوم فيـــه دليـــل)

وقال في معنا بيتي أمير المومنين مولانا المنصور بالله أيده الله اللذين تقدما وهما : (وصفوا اشتياقي للحبيب وسرهم) الى ءاخرهما (170) :

يا من يقـــول لواش بي يغالطـــه   قلبي له حجـــر لـم لا أنا فيـــه
لمـا اعترفت بـأن القلب مـن حجر   أذهبت غمـي لكونـي ها أنا فيـــه

وقال في ذلك أيضاً :

وساق له في القلب معنا يبيـن عـن   اذاية طبـــع لا مـرد لبـــأســـه
تأملت منه القلب في حـال صبـــه   فألفيتـه يعـــزا لبعـــض لباســـه

ولا يخفا ما اشتمل عليه هذان البيتان من المحاسن ، فمنها التجنيس في القافية ، ومنها التورية في قوله القلب لأنه يحتمل الجنان وهو المعنى البعيد المورا عنه ، ويحتمل عكس ساق وهو قاس وهو المورا به ، وكذا قوله صبـه يحتمل العاشق ويحتمل مصدر صب بترشيح الساقي ، والحاصل أن المراد أنـه

(170) انظر صفحة 41

كان لابساً النوع المعروف بقلب حجر (171) فتأمل القلب فوجده بعض لباسه ، وهو ما ذكرنا والله الموفق .

وقال ايضا فى الاستخدام ، وكتب بها لبعض أصحابه ، وكان معه . . سبوب اسمه الكميت :

فلو زرتنى يا صاح بالأمس زورة — لألفيت كل الحسن تحت لواءى
شربت كميتا فيه ثم ركبته — وصيرته من أقرب الندماء

وقال :

فلولا أمير المومنين يسبقه — الى ذلك المعنا لظلت ألوكها
ولكن أتاها وهى بكر ففضها — فهان على مثلى لذاك سلوكها

وقال صاحب الترجمة أيضاً :

خليلى انى قد بليت بشادن — عليه عيون علقت بحياتى
وكنت أصلى عندما قد رأيته — ألا يا فتاى هل تصح صلاتى

وقال ، ولنجعله آخر ما نكتب من نظمه :

دعوت الهى وقلت اسمحن — أيا فالق الحب ثم النوا
فجد لى فقلبى اذا امتحن — طننت بأنى أمنت النوا
فقال عذولى لا تفرحن — فقلت لكل امرء ما نوا
فمنى الجوارح لا تفضحن — الهى والا

ولد بقرب الستين وتسعمئة

---

171) لون أزرق يميل الى الرمادى . ما زال معروفاً بهذا الاسم الى اليوم بفاس

33 ـ محمد الغجاف

الأديب الأريب أبو عبد الله محمد الغجاف من أهل فاس .

لقيته بمراكش حاطها الله ، وهو أحد المتولين لتسفير الكتب بالباب الامامى المنصورى أعلا الله أعتابه ، اختص بحفظ مقامات الحريرى ، وله مشاركة فى التاريخ والأدب ، وله نظم رائق ، فمنه قوله (172) :

34 ـ الحسن بن يوسف الزياتى

النحوى أبو محمد الحسن بن يوسف بن مهدى الزياتى نزيل فاس .

انتهت اليه رياسة علم النحو ، لم أتذاكر معه شيئاً ، وله نظم منه قوله :

وقالوا الى كم تشتكى غصص الهوا ؟ فقلت الى أن يعترينى أوانى
فكم ليلة قد بت خال من الهوا وأصبح قلبى بين الخفقان
وأضحا لسان الحال والشوق منشدا تقاسمتما يا قاسمان جنانى
فمنكم بلحظ نائم الجفن فاتر خلعت به شوقاً اليه عنانى
وخد يرينا الورد لكن لحظه حماه فلا يلفى اليه تدانى
ومنكم بلحظ بين السقم فاتك وجيد له داعى الغرام دعانى
فلم تلفيا والله فى الحسن ثالثاً ولم ألف فى فرط المحبة ثان

وقال مواليا :

قاسوا الذى صاد قلبى بتجافيه بالبدر ، هيهات ما فى البدر ما فيه
أرا بخديه ورداً قلت أقطفه قالوا فان سهام العين تحميه

172) ترك المؤلف هنا صفحة بيضاء كان ينوى من غير شك اثبات بعض أشعار الغجاف فيها

وقال منه أيضاً :

سحر جفونـه يا اخـوان خلفنـي بادى البلاهـة مفنى القلب مبليـه

مملوك حبك ياحبى فيا أسفـي لوصلتـه فلعـل الوصل يحييـه

وله منه :

حملتنى من عظيم الشـوق يا أملى ما لا يكـاد لسانى اليوم يحصيـه

قد كنت قدما رحيب الصدر واسعـه حتـى نظرتك يا من لا أسميـه

وقال أيضاً :

رفقا على القلب اذ فى القلب سكناك وارع ذمامى فان الله يـرعـاك

وارفـق بطـرف كئيب أنت نـاظـره قد طالما شهدت عينيه عينـاك

وعـامل الجسم بالاحسـان يـا أملى اذ هـو مأوى لقلب هـو مـأواك

واعكس ظنون أنـاس طالما زعمـوا قطعك عنى ، وذاك الظـن حاشاك

واردد كيود العدا فى نحرهم أبـداً أنهـاك أن تامـن الأعـداء أنهـاك

وما يضرك لو واصلت يـا أملـي صبا كئيبـا بطـول الدهر يهواك

وله أيضاً :

يفنى ويقضى زمانى فى الهـوا عبثـا وهو يروح ويغـدو فـى تجنيـه

منعـم العيش سالى البال ذو طـرب ما ذاق يومـا عـذاب الصد والتيـه

نسب له هذه المقطوعات التى ذكرنا شيخنا أبو العباس ابن القاضى أدامه الله بمنـه .

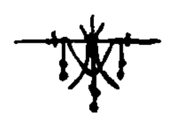
هـ

فهرس

صحيفة

صحيفة

صحيفة



جدول الخطأ والصواب

لم يسلم متن هذا الكتاب من أخطاء رغم ما بذل من جهد في تحقيقه وتصحيحه ، وبعض هذه الأخطاء ناتج عن تلاشي الكتاب وعبث الأرضة والرطوبة بكتابته مما عسر معه تحقيقه فابقى كما هو أو كما ظن أنه هو ، أما بعضها الآخر فناتج عن غفلة حصلت اثناء التصحيح .

وفيما يلي بعض هذه الأخطاء :

ص	س	خطأ	صواب
كه	12	الملاحضة	الملاحظة
كح	4	ما في الخبايا	ما فيها من خبايا
ل	22	الخزن	الخزى
لب	11	غير هنا	غيرها
لب	19	لابسى	لابس
14	14	أقاضى	أقاصى
16	6	والقبس القبس	القبس
23	1	التاريح	التاريخ
24	3	نجده	نجدة
24	13	البخارى	النجارى
24	18	وأتقن من ذؤابة هاشم	وأتقن سد فاس بعد ما
29	11	خمراً	حمراً
30	12	ثناه . . . . الطروسا	ثناه يملا الطروسا
30	16	. . . كا . . . سيما	مسكا شميماً
30	17	. . . . خندريسا	وجيء بها خندريسا
31	12	غضانها	غصانها
33	12	أنبر	أخبرت
38	10	ابو . . . بن عمرا . . .	أبو الحسن على بن عمران السلاسى
43	4	كقا	كقنا
51	5	هيجت	هجت
68	12	دلك	ذلك

ص	س	خطأ	صواب
73	6	بعز	يفر
73	7	ثياب	ثبات
74	5	الجذيب	الجديب
75	3	وبلفظه	وبلفظة
76	1	أنامل	أناملى
77	9	لابستنى	لابستى
81	15	مقه	مقة
90	2	الغز	اللغز
91	6	شاذن	شادن
93	11	ملجاً	ملجأ
93	15	ووحشه	ووحشة
94	4	بحبابه	بحبابة
168	14	الهورالى	الهوزالى
173	2	المرينى	المرى
203	8	95	94
205	15	94	95
206	3	95	96
206	4	96	97
206	15	97	98
207	13	98	99
207	24	الدر البهية	الدرر البهية
211	14	99	100
213	12	100	101
213	14	فريض	قريض
240	13	وسبعين	وتسعين
272	8	حرف	أحرف
337	8	يفهم	بفهم
337	13	حشيشه	حشيشة
339	19	667	967
342	18	يحرم	يجزم
352	8	316	317